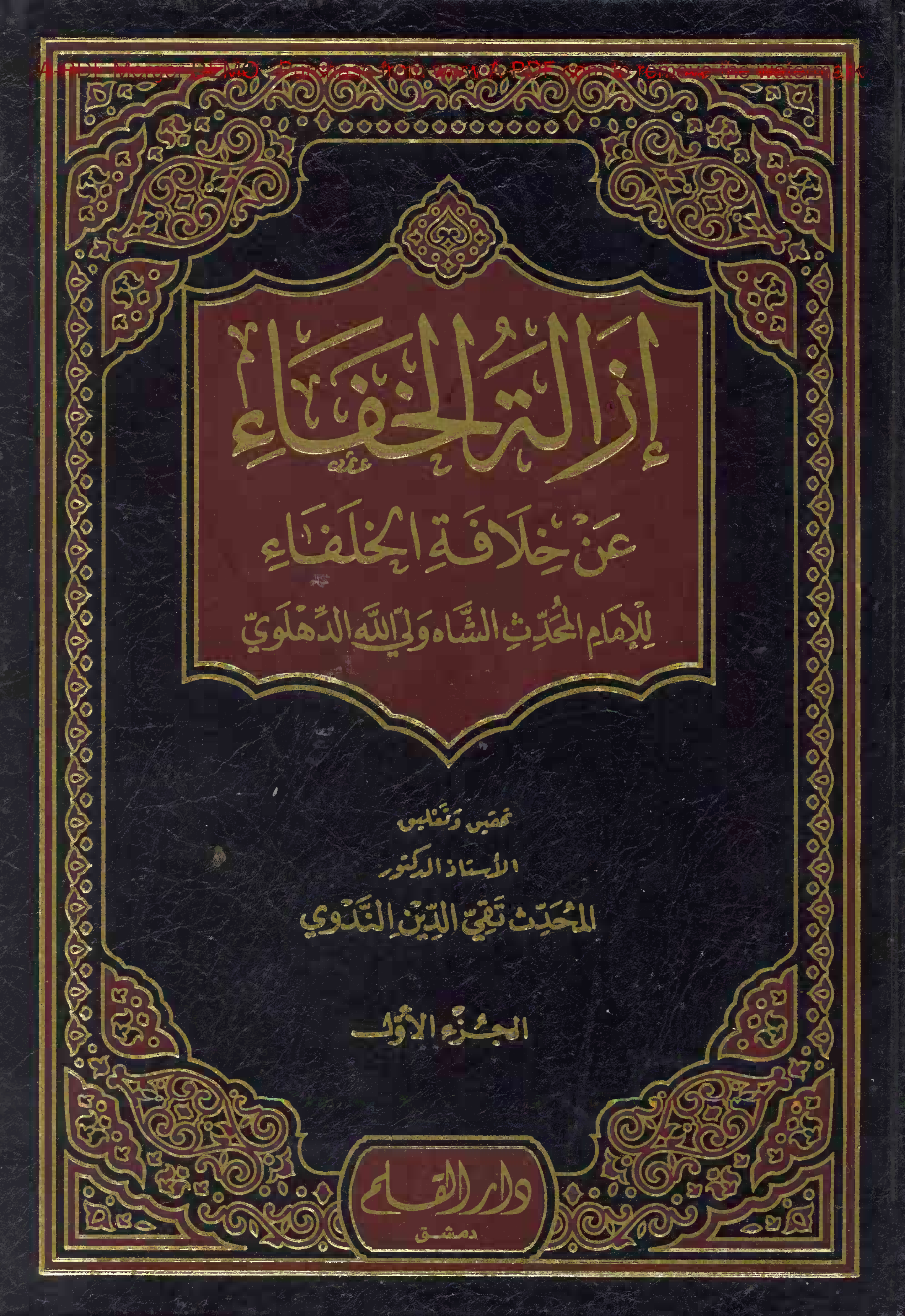


A-PDF Merger DEMO : Purchase from www.A-PDF.com to remove the watermark
إزالة الخفاء
عن خلافة الخلفاء
للإمام المحدث الشاه ولي الله الدهلوي
تحقيق وتعليق
الأستاذ الدكتور
المحدث تقي الدين الندوي
الجزء الأول
دار القلم
دمشق

إزالة الخفاء

عن خلافة الخلفاء

للإمام المحدّث الشّاه وليّ الله الدّهلويّ

ت ١١٧٦هـ

تحقيق وتعليق

الأستاذ الدكتور

المحدّث تقيّ الدّين النّدوي

تعريب

جاويد أحمد النّدوي

الجزء الأوّل





إزالة الخفاء

عن خلافة الخلفاء

[١]

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ = ٢٠١٣م

إزالة الخفاء
عن خلافة الخلفاء

للإمام المحدِّث الشاه
ولي الله أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي
(ت١١٧٦هـ)

تعريب

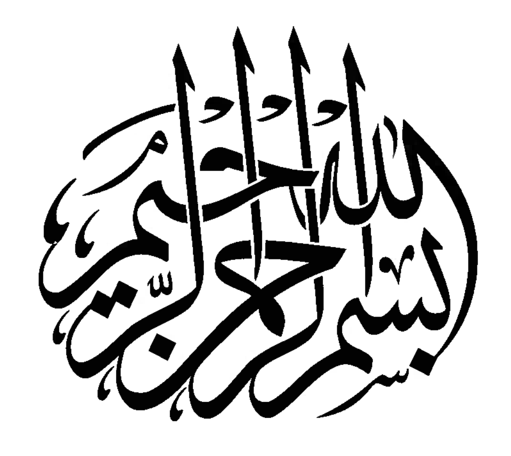
السيد فيروز أختر الندوي

بإشراف

الأستاذ المحدِّث الدكتور تقي الدين الندوي

الجزء الأول

دار القلم






بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الكتاب

بقلم: الأستاذ الدكتور فضيلة الشيخ تقي الدين الندوي
حفظه الله ورعاه

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وخاتم النبيين محمّد وآله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسانٍ ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين.

أما بعد: فيسرّ كاتبُ هذه السطور أن يقدِّمَ باسم مركز الشيخ أبي الحسن الندوي (بالهند) للقرّاء العرب كتاب «**إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء**» للإمام أحمد بن عبد الرحيم، المعروف بولي الله الدهلوي (١١١٤ ـ ١١٧٦هـ).

لا شك أن هذا الكتابَ فريدٌ في موضوعه، ويدلّ على دقّة نظر المؤلّف، ومعرفته بأسرار الشريعة ومقاصدها.

قال العلّامة فخر المتأخرين الإمام عبد الحي اللكنوي (ت١٣٠٤هـ) في كتاب «التعليق الممجّد على موطأ الإمام محمد»: «كتابُ **إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء**، كتابٌ عديمُ النظير في بابه، لم يؤلَّف مثلُه قبلَه ولا بعدَه، ويدلّ على أنّ صاحبه بحرٌ زخّار لا ساحل له، والكتابُ يشتملُ

على شرح المباحثِ الخاصّة بالخلافة الإسلامية والسياسة الشرعية، ومكانةِ الخلفاء الراشدين الأربعة، وذكرِ مناقبهم ومآثرهم وإنجازاتهم وتوجيهاتهم على نكات غالية وفوائدَ نادرة، لا يستغني عنها عالم ولا باحث».

والكتاب يشتمل أيضاً على دراسة تحليلية للتاريخ الإسلامي من النواحي الدينية والسياسية بَدْءاً بالخلافة الراشدة إلى ما بعدها، فصار الكتابُ بمزاياه هذه مصدراً مهمّاً جدّاً للعلماء والباحثين.

قد كنتُ من أيام طلب العلم مولعاً بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن قَيِّم الجوزية ومؤلفات الإمام الدهلوي؛ لأنّ بعض شيوخنا الذين أخذنا منهم علمَ التفسير وعلمَ الحديث كانت لهم عنايةٌ خاصّةٌ بأفكارهم ومؤلّفاتهم، منهم شيخُ التفسير في ندوة العلماء الشيخ محمد أويس النگرامي تلميذ العلّامة المحقق السيد سليمان الندوي رحمه الله، قد قرأت عليه كتابَ «حجّة الله البالغة» وهو ينقلُ آراءَ الشيخين؛ أي: شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن قيّم الجوزية وآراء الإمام الدهلوي، كذلك كان أستاذُنا المحدّث الكبير الشيخ حليم عطا السلوني يذكر في أثناء محاضراته أفكارهم ومؤلفاتهم.

والواقع أنّ هذا الكتابَ يلي كتاب «حجة الله البالغة» للمؤلف من حيث القيمة والأهمية، وكتاب «حجة الله البالغة» قد ألَّفه المؤلف **باللغة العربية**، واختار لكتاب «إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء» **اللغةَ الفارسية**، ولذلك لم يشتهر في العالم العربي كاشتهاره في شبه القارة الهندية.

وقد حاول بعضُ الدّارسين نقل الكتاب إلى اللغة العربية، كما كان كبارُ العلماء والمشايخ، منهم العلّامة المحقق السيد سليمان الندوي رحمه الله (ت١٣٧٣هـ = ١٩٥٣م) حريصين على أن يترجَمَ الكتابُ إلى اللغة العربية

لمكانته العلمية، وقد كتب العلّامة الندوي في شذرات مجلة «المعارف» (عدد أكتوبر ١٩٣٣م) التي كانت تصدر تحت إشرافه من دار المصنفين أعظم كره، (١ تشرين الأول الهند): «إنّ كتاب «**إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء**»، للإمام الدهلوي نصفُه بالعربيةِ ونصفُه بالفارسية، فلو تُرجِمَ الكتابُ إلى العربية كاملاً ـ ولا شك أنّه يكون في عِدّة مجلدات ـ، لعاد بالخير الكثير، والفضل العميم على الأمة الإسلامية»، فكان من أمانيه وغاياته النبيلة أن يُتَرْجَمَ هذا الكتابُ إلى اللغة العربية.

فلمّا قرأتُ هذه الكلمات لأستاذ أساتذتنا المحقق العلّامة السيد سليمان الندوي رَحِمَهُ اللهُ تشجَّعتُ أن أقومَ بهذا العمل الجليل، لكنَّ كثرة أشغالي وانشغالي بدراسة وتحقيق «**التعليق الممجّد على موطأ الإمام محمد**»، و«**ظفر الأماني في شرح مختصر الجرجاني**»، و«**أوجز المسالك شرح موطأ مالك**»، و«**بذل المجهود شرح سنن أبي داود**»، و«**الجامع الصحيح**» للإمام البخاري وغيرها من كتب السُّنَّة، حالت دون ذلك، وكَلَّفتُ بهذه المهمة الأخوين العزيزين من أساتذة الجامعة الإسلامية بمظفرفور أعظم كره، الهند، وهما: السيد فيروز أختر الندوي، والسيد جاويد أحمد الندوي، بترجمة الكتاب من اللغة الفارسية إلى اللغة العربية، وقد اشتغلا سنتين أو أكثر حسب توجيهاتي بهذه المهمة، وأَسْهَمَتْ معهما لجنةٌ من الباحثين من مركز الشيخ أبي الحسن الندوي بالهند للمراجعة والمشاركة في التحقيق والتخريج، ونخصّ بالذكر الأخوين العزيزين العالمين: شمس الرحمٰن القاسمي المُظاهري، ورضي الرحمٰن القاسمي.

ثم إنّي تفرّغت عدّةَ شهورٍ لقراءة هذا الكتاب، ومراجعة ما جاء من التحقيقات والتعليقات في الهوامش، فعدَّلت بعضَ العبارات، وحذفتُ

بعضَها، وزدت بعضَ التعليقات حسب الحاجة، وكان الاهتمامُ في التعليقاتِ بتخريج الأحاديث والآثار، وبيانِ درجة بعض الأحاديث حسبَ الحاجة، أمّا مراجع التاريخ فاكتفينا بالإحالة على رقم المجلد والصفحة. وقد جاءت في الكتابِ بعضُ المصطلحات الصوفية فشرحناها حسبما شرح الإمام الدهلوي وشيوخه في مؤلفاتهم، ليتبيّنَ للقارئ أنّ هذه المصطلحات التي ذكرها الإمام الدهلوي في هذا الكتاب توافقُ الكتابَ والسُّنَّة، ولم تخرْج عن منهج السلف الصالح.

بعد المراجعةِ والتحقيق يبدو أنّ المؤلف لم يجد فراغاً لإعادةِ النظر في الكتاب، فقد أشار إلى ذلك الشيخ محمد أحسن الصديقي النانوتوي رحمه الله (المتوفى ١٣١٢هـ = ١٨٩٤م)؛ لأنّ الكتابَ قد طُبع لأول مرة بعنايته عام (١٢٨٦هـ) بالمطبعة الصديقية الواقعة بمدينة «بريلي»، وكان عنده ثلاث نسخ من الكتاب، وهو الذي قام بالمقابلة بينها وتصحيحها، وعلّق على الكتاب بعض التعليقات النافعة.

وقد نَقَلَ هذا الكتابَ إلى اللغة الأردية إمامُ أهل السُّنَّة الشيخ عبد الشكور الفاروقي اللكنوي، لكنّ ترجمته تنتهي إلى الفصل الخامس، ثم كمَّله الشيخ اشتياق أحمد المجدّدي رحمهما الله.

وهناك من القرائن ما يدلُّ على أنَّ المؤلف الإمام الدهلوي لم يُعِدِ النظرَ في الكتاب، لوقوع التكرار في إيرادِ بعض الروايات، حتّى دخلت بعضُ الروايات الضعيفة والموضوعة في الكتاب، ولو أعادَ النظر لحذفَها.

قد استفدنا من الترجمة الأردية أيضاً، ولم يَضَعِ المؤلِّفُ رحمه الله عناوين لفقرات الكتاب، ولكّن المترجِمَيْن ـ الشيخ عبد الشكور والشيخ اشتياق أحمد ـ قد وضعا تلك العناوين فأثبتناها، لكن أحياناً عدّلنا بعضَ صيغها، وأضفنا بعضَ العبارات المعتبرة.

فالحمد لله تعالى على أنْ أصبحَ هذا الكتابُ صالحاً للنشر، وعرضنا الكتابَ على العالمين الجليلين: معالي الأستاذ الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، وسماحة الشيخ الجليل محمد رابع الحسني الندوي رئيس ندوة العلماء بالهند ـ حفظهما الله ـ لتقديم هذا الكتاب الجليل فقبلا مشكورين مأجورين، ولم يدّخرا وسعاً في تحرير مقدّمتين مهمتين كانتا زينةً للكتاب، فجزاهما الله خيراً.

ولا أريد أن أطيلَ في بيان خصائص الكتاب؛ لأني قرّرتُ أن ينشر في بداية الكتاب ما كتبه أستاذُنا الكبير السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله في كتاب «**رجال الفكر والدعوة في الإسلام**» كالتقدمة، وفي ذلك كفايةٌ، وكذلك أخذنا ترجمة الإمام ولي الله الدهلوي رحمه الله من كتاب «**نزهة الخواطر**» للعلّامة عبد الحيّ الحسني وزدنا عليها بعضَ الزيادات ليكونَ القارئُ على بصيرةٍ من شخصيته ومآثره.

ندعو الله سبحانه أن يتقبَّل هذا الكتابَ، ويوفّق العلماء والدارسين والباحثين في البلاد العربية والإسلامية للاستفادة من هذا الكتاب، واللهُ وليُّ التوفيق.

مدينة العين: يوم عرفة ١٤٣٠هـ
الموافق ٢٦/١١/٢٠٠٩م

✍ **أ.د. تقي الدين الندوي**




بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الكتاب

بقلم: أ.د. عبد الله بن عبد المحسن التركي
الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على نبيّنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فإنّ الحديثَ عن كتاب «**إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء**» للشاه ولي الله الدهلوي، يستدعي التمهيدَ لذلك بالتعريف بالمؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ وتلخيص ترجمته. **فأقول**:

• هو العلّامة الشيخ أحمد بن عبد الرحيم، أبو عبد العزيز، الملقّب بشاه ولي الله، الفاروقي الهندي الدهلوي، ولد في مدينة دهلي عام (١١١٤هـ)، ونشأ فيها في أسرة علم وفضل، تسلسلتْ ولايةُ القضاء والإفتاءِ في عقب جَدِّها الأعلى المفتي شمس الدين، الذي هاجر إلى الهند في القرن السادس، واستمّرت إلى والد المترجم الشيخ عبد الرحيم في القرن الثاني عشر، الذي كان من وجوه مشايخ دهلي وأعيانهم، ذا حظ وافر من العلوم. وكان من معاصري السلطان المغولي المشهور أُورَنك زيب عالَمْكِير، الذي دعا إلى مشروع تنظيم الفقه الإسلامي، وشارك فيه الشيخ عبد الرحيم، ثم ظهر المشروع فيما بعدُ في صورة

(الفتاوى العالمكيرية) المعروفة أيضاً بالفتاوى الهندية.

• قرأ العلوم المقررة في الهند الإسلامية في ذلك العهد؛ كالتوحيد، والنحو، والفقه، والأصول، والتفسير، والحديث، والمنطق، والطب، والحكمة، والهيئة، والحساب، وآداب السلوك، وعلم الحقائق، بالفارسية والعربية، قرأ ذلك على والده، فكان هو شيخَه الذي تخرّجَ على يديه.

• وفي أواخر عام (١١٤٣هـ)، حجَّ بيتَ الله الحرام، واغتنمها نُهزةً ثمينةً للقاء علماء الحرمين[1]، وحمل الحديثَ عنهم بالقراءة والسماع والإجازة. فقرأ عليهم «الصحيحين» و«السنن» عدا النسائي، و«الموطأ» و«مسند أحمد»، و«الأدب المفرد» للبخاري، و«الشفا» للقاضي عياض، و«رسالة الشافعي» في الأصول.

• وكانت الإجازاتُ التي حصل عليها الدهلوي من شيوخ الحرمين في كتب الحديث وغيرها من الكتب حلقةً تتّصلُ منها سلسلةُ الإسنادِ في الهند من بعده، إلى أصحابها المصنفين.

• ثم عاد المترجم إلى الهند، وقد ملأ العَيْبَةَ ممّا جمع من علم مكة وطيبة، ونبُلَ وبرعَ في علم الحديث والأثر، مع حفظ المتون، وضبط الأسانيد، والنظر في دواوين المجاميع والمسانيد. ولم يتفق لأحدٍ قبلَه ـ ممّن كان يعتني بهذا العلم الشريف، من أهل تلك البلاد الشاسعة ـ ما اتفق له من روايةِ الأثرِ وإشاعته في الأكناف البعيدة.

• وعلَتْ همّتُه، وتوسّعَ نظرُه، فاشتغل بدراسة التفسير وعلومه، والفقه في مذاهبه الأربعة المشهورة، ودرس أصولَ هذه العلوم، ومبادئها

---

(١) ذكرهم في كتابه «إنسان العين في مشايخ الحرمين».

التي هذَّبها تهذيباً بليغاً، وأكثرَ من التصرُّفِ فيها، حتى يكادَ يصحُّ أَنْ يقالَ فيه: إنّه باني أُسها، وباري قوسها[(١)].

• وزاده الله في الإكرام والإنعام، إذ وهبه بصيرةً نافذةً ناقدةً، وذكاءً وقّاداً، مع جَوْدةِ الذاكرةِ، قال عنه ابنُه الشاه عبد العزيز: «ما رأيتُ أحداً أقوى ذاكرةً من والدي».

• وأثمرت تلك المواهبُ الربانيةُ لديه درايةً عميقةً، ومعرفةً واسعةً بالكتاب والسُّنَّة، وأصول الدين وفروعه، وبصراً بأسرار الشريعة ومقاصدِها، واطلاعاً جيداً على السيرة والتاريخ.

• وتجلَّت هذه المعرفةُ في تصانيفه وتواليفه، فقد جاءت صالحةً نافعةً غزيرةَ الفوائدِ، نفيسةَ المعلوماتِ والنكتِ والشواردِ، ولا سيّما كتاباه العُجابان البديعان: «**حجة الله البالغة**»، «**وإزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء**».

• أقبل الدهلويُّ على نشر ما تعلَّم من العلوم، وبثّها في الناس، وكان جُلُّ اهتمامه مُركّزاً على نشر الحديث وعلومه، إلى أنْ لقيَ اللهَ تعالى في العام (١١٧٦هـ)، وورث علمَه ودعوتَه من بعده ذريتُه الأماجدُ، فبرزت بجهودِهم نهضةٌ علميةٌ في شبه القارة الهندية، امتدت آثارُها وما زالت تؤتي ثمارَها إلى اليوم[(٢)].

❁ كتاب «إزالة الخفاء» وأهميةُ موضوعه:

• يدلُّ عنوانُ الكتابِ دلالةً أوليةً عامّةً على موضوعه والمقصود من تأليفه، وهو الذبُّ عن الخلفاء الراشدين المهديين الذين خلفوا النبيَّ ﷺ،

---

(١) «نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر» (٦/٨٥٨) ط: دار ابن حزم.

(٢) «الحطة في ذكر الصحاح الستة»، لصديق حسن خان القنوجي (ص٢٥٧).

على أمته من بعده، وإقامة دين الله فيها، واجتهدوا ـ رضوان الله عليهم ـ بغاية وسعهم، ونهاية طاقتهم، أن يسيروا في الأَمْرَيْنِ جميعاً على هديه عليه الصلاة والسلام ومنهاجه القويم.

• وقد سلك المؤلِّفُ إلى بلوغ هذا المقصد المنيف، مسلكَ التقصِّي والتفصيل للدلائل، من شهادات الكتاب العزيز، والسُّنَّة النبوية الشريفة، ووقائع السيرة النبوية، وسير الصحابة، الدالة تصريحاً أو تلميحاً، على الفضائل التي ثبتت وتقرّرت للصحابة بعامة، وأنّ الخلفاء الراشدين فَضَلُوا غيرَهم من ذلك الجيل الفريد، بمزايا أُخرى سمت بهم ليكونوا أحقَّ بالخلافة وأهلَها، وأنّ ترتيبَهم الزمني في الاستخلاف وقعَ على وِفْق الترتيب بينهم في الأفضلية وقوّةِ التحقّق بتلك المزايا.

وقسَّم المؤلِّفُ ـ في كتابه هذا ـ الخلافة قسمين؛ عامةً وخاصةً:

• فأمّا **الخلافةُ العامةُ** ـ التي جعل الكلامَ عليها كالمدخل والتمهيد في مباحث الكتاب ـ فيعني بها: الإمامةَ العُظمى التي أوجب الشرعُ القيام بها في المسلمين في كلِّ عصر من الأعصار، لحفظ جماعتهم، وإقامة دينهم، وسياسة دنياهم، بالشرع الذي أنزله الله في كتابه مُجْمَلاً، وبيَّنه للناس على لسان رسوله ﷺ بأقواله وأفعاله.

• وأمّا **الخلافةُ الخاصةُ** ـ التي هي أُمُّ مقصودِ هذا الكتاب وغرضُه المنشود ـ فعنى بها تلك الخلافةَ العامة أو الإمامةَ العظمى، في واقعها التطبيقي في الأُمة في الفترة التي تلت وفاةَ رسولِ اللهِ ﷺ إلى ثلاثين سنة، وهي الفترة المصطلح عليها بزمن الخلافة الراشدة.

• فتكلَّم وليُّ الله الدهلوي على الخلافة بمفهومها الأول العام، مثبتاً وجوبَها في الشرع، ومبيناً شروطَها التي لا تصحُّ إلا باستيفائها، والطرق التي تنعقدُ بها، والواجبات التي تلزم مَنِ انعقدت له نحو

عامة المسلمين، والواجبات التي تلزمُ عامة المسلمين نحوه.

وغير خافٍ على ذي اهتمام بالفقه السياسي الإسلامي، أنَّ عدداً من العلماء جرّدوا كتباً لتحرير فصول هذا الموضوع ومباحثه ومطالبه؛ كأبي الحسن الماوردي والقاضي أبي يعلى الفراء، والجويني، وغيرهم.

• ثم أردف بالكلام على الخلافة **بمفهومها الخاص**، فذكر جملةً من المناقبِ والصفاتِ التي سمَّاها اللوازم؛ تؤهل مَن استوفاها من الصحابة لهذا المنصب المنيف؛ ككونه من المهاجرين الأولين، الشاهدين الحديبيةَ، المبشَّرين بالجنة، منوِّهاً في أعقاب ذلك بتحقّق تلك الخصائص الحميدة الفريدة في عدد كبير من الصحابة، وفي مقدمتهم الخلفاء الراشدون، على تفاوت بينهم في درجة التحقق بها، بحسب تفاوتهم في الرتبة الزمنية في تولي الخلافة.

• بعد ذلك استعرضَ إحدى عشرة آية من كتاب الله، أتى عليها بالبيان والتفصيل منتزعاً منها ما يشهد بطريق الإشارة أو الاقتضاء، للخلفاء الراشدين بكونهم كانوا على الهدى المستقيم في زمن النبي ﷺ، وبعده في استخلافهم على أمته.

• أما في **زمنه عليه الصلاة والسلام**، فبدخولهم دخولاً أولياً في جملة من أثنى الله عليهم، وبشَّرهم بجنته ورضوانه، إذ بذلوا الأموال والمُهَج في نصرة رسول الله ﷺ، والاستجابة لأمره في السرَّاء والضرَّاء، في الشدة والرخاء.

• وأما في **أثناء استخلافهم**، فبما يقتضيه الوعد للمؤمنين باستخلافهم في الأرض، وتمكين دينهم لهم، وتبديلهم من بعد خوفهم أمناً، من أن ذلك لا يكون إلا في ظلِّ إمامةٍ صحيحةٍ، وسياسةٍ رشيدةٍ تجمع أمرهم وتقيم لهم دينهم الذي ارتضى الله لهم.

• ثم استعرض المؤلف جملةً وافرةً من الأحاديث والآثار، رتَّبها على طريقة المسانيد بجمع مرويات كلِّ صحابي، وترتيبها في العرضِ بحسب الترتيب المتبع في «**مسند أحمد**» وغيره[١]. وقصد بذكرها إبراز مناقب الخلفاء الراشدين، وفضائلهم المستلزمة لصحّةِ خلافتهم، وكونها كانت خيراً ونعمةً على الأمة.

بعد ذلك تطرَّق لذكر الفتن التي أنبأت السُّنَّةُ بوقوعها في الأمة، مبيِّناً الآثار السلبية التي أحدثتها تلك الفتن في الاعتقاد والأخلاق والوحدة السياسية للأمة، وأردف بذكر ما أرشد إليه النبي ﷺ من الأقوال والأفعال والمواقف عند وقوع الفتنة.

• وفي **الجزء الثاني** من الكتاب: استقرأ الشاه ولي الله الدهلوي، ما في كتاب الله من الآيات التي لها صلةٌ بفضل أحد الخلفاء الأربعة، بكونها نزلت فيه، أو موافقةً لرأيه، أو لأنّه أعلم الناس بتأويلها وموقع تنزيلها، أو تفرّدَ بِحُسن الاستنباط منها، مما يدلّ على وفرة العقل والفهم عندهم رضوان الله عليهم وعلى سائر الصحابة.

• تطرق إثر ذلك إلى **ذكر الدلائل العقلية** على خلافة الخلفاء الأربعة.

• ثم أتبعها **بذكر الدلائل النقلية والعقلية** على تفضيل الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما على غيرهما من الخلفاء، فضلاً عن سائر الأصحاب والأمة جمعاء.

• وخصَّص **الجزءين الثالث والرابع** لسرد مآثر الخلفاء الأربعة، واحداً واحداً، على مراتبهم في الاستخلاف، فاستعرض مناقب أبي بكر

(١) تقدمة تحقيق «مسند أحمد» (ص٥١) ط: مؤسسة الرسالة.

الصديق رضي الله عنه على التفصيل، ومنها صفاته ومواقفه وبلاؤه في زمن النبي ﷺ، ومنجزاته في زمن خلافته وبعض آرائه الفقهية. ثم ذكر مناقب عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، ثم علي بن أبي طالب، على هذا النحو.

هذه مشمولاتُ الكتابِ في أجزائه الأربعة على الإجمال والعموم، وقد انطوى في جزئياته واستطراداته على علمٍ جمٍّ، وفوائدَ نفيسة تُنمُّ عن سَعةِ اطلاع المؤلف على وقائع السيرة، وتاريخ الخلافة الراشدة، وحُسن فهمه للنصوص، واستنباطه منها، وإحاطته بمرامي الشريعة ومقاصدها الكليّة والجزئية.

• ويذكر مترجمو المؤلف أن نسخة من كتابه هذا وقعت بيد العلّامة الشيخ فضْلِ حقٍّ بن فضْل إمام الخير آبادي ـ وكان من مخالفي المؤلف ـ فأولعَ بها، وكان يكثِرُ النظرَ فيها في آناء فراغه من دروسه وسائر ما يشغله من شأنه، فلمّا استطلع عامّةَ ما في الكتاب، قال بمحضر من الناس: «إنّ الذي صنَّف هذا الكتابَ لبحرٌ زخّارٌ لا يُرى له ساحِلٌ»[(١)].

• ولو لم يكن لهذا الكتاب من فضل وقيمة، إلا تنقية سير الخلفاء الراشدين من الشبهات والأكاذيب التي ألقاها فيها بعض المبطلين، وإبرازُ فضلهم على الأمة الإسلامية قاطبة، فضلاً مسترسلاً على القرون إلى اليوم، لكان جديراً بكلِّ تنويهٍ وتقديرٍ، وخليقاً بأن يهتبل به فقهاء الأمة ومؤرّخوها وسائر أولي العلم فيها، اهتبالهم بسلفه وصنوه الذي يشترك معه اشتراكاً موضوعياً؛ أعني: «منهاج السُّنَّة النبوية» لشيخ الإسلام وفخره

(١) يُنظر: «نزهة الخواطر» (٦/ ٨٦١)، و«اليانع الجني من أسانيد الشيخ عبد الغني»، للترهتي (ص٩٣).

أبي العباس ابن تيمية، الداحض لأباطيل «منهاج الكرامة» لابن المطهر الحلّي[١].

❁ الخلافة وموقعها في الفقه الإسلامي السُّنِّي:

• ممّا هو بيِّنٌ عند أهل السُّنَّة والجماعة، أن الخلافَة مسألةٌ فقهيةٌ في أصولها وفصولها، ولا مدخلَ لها في الأصول الاعتقادية، إلا في بعض قضاياها الجزئية المتعلقة بضرورة حفظ الجماعة، وطاعة أولي الأمر في المسلمين بقدر الإمكان.

• فلم يثبت عند أهل السُّنَّة وهم جمهور الأمة وسوادها الأعظم، ـ على شدة حرصهم في تتبع السنن ووقائع السيرة النبوية ـ ما يدلُّ على اختصاص هذا المنصب برجالٍ بأعيانهم، فضلاً عن أن يكون الذين ادعي فيهم ذلك الاختصاصُ، متميّزين عن سائر المسلمين بـ«الإمامة» التي تعني عند معتقديها وراثةَ النبوة في العلم والعصمة في الاعتقاد والأقوال والأفعال، وتوجِبُ على كلِّ مسلم عاصرَ واحداً من أولئك الذين ادّعيت فيهم تلك الإمامةُ، أن يتولّاه، ويتبع تعاليمه وينصره، ويتبرَّأ ممّن أنكر تلك الإمامة المزعومة في أصلها، أو في ثبوتها لأحدٍ ممّن نُصَّ عليهم على مراتبهم في ذلك الزعم، ويعتقدُ أنّه لا حَظَّ له في الدين ما دام على ذلك.

• ليس عند أهل السُّنَّة، بل ولا عند المنصفين من الباحثين من أي طائفة كانوا، أَثَارَةٌ من علم تثبِتُ شيئاً من دعاوى الإمامة، وما فُرِّعَ عليها من فروعٍ خاطئةٍ حائدةٍ عن سواء السبيل، أدّت إلى الطعن في خلافة الصدّيق والفاروق رضي الله عنهما، وإساءةِ الاعتقاد في عامّةِ الصحابة من المهاجرين والأنصار والتابعينَ لهم بإحسان، الذين عدّلهم الله، وأثنى عليهم في أكثر

---

(١) «الشيعة والتشيع»، لإحسان إلهي ظهير (ص١٠٧).

من موضع من كتابه العزيز، وأرهقت الأمةَ جدلاً وشقاقاً في غير طائل، بل أضعفت طاقتَها في خدمة الرسالة الخاتمة، التي ائتمنها الله عليها، ومواجهة أعدائها، ومزَّق وحدتَها السياسية.

❁ عصر الخلافة الراشدة امتداد لعصر النبوة في نشر الإسلام وبناء الأمة:

• ينظرُ جماهيرُ المسلمين إلى عصر الخلافة الراشدة وفقاً لما شهدت به نصوص السُّنَّة، على أنّه أزكى العصور في تاريخهم بعد عصر النبوة، حيث تولى أمرَ المسلمين خِيرةُ الصحابة من أولي النبل والعقل والسابقة إلى الإسلام، والهجرة، وشهود المشاهد مع رسول الله ﷺ، حتى توفي وهو عنهم راضٍ، وبشرهم بالجنة؛ يؤازرهم سائرُ الصحابة، الذين رفعَ اللهُ على كاهلهم عمودَ الإسلام، فجمعوا القرآن، وحفظوا السُّنَّة في صدورهم، وروّوها التابعين، وقاتلوا المرتدين حتى فاؤوا إلى حظيرة الإسلام، وأبصروا الحقَّ بعد انكشاف ما كان يغشاه لديهم من غشاوة الظلام، وفتحوا البلدان، ومصّروا الأمصار، ودوّنوا الدواوين، وأنفذوا الأحكام، وأقاموا العدلَ بين الأنام، وساسوا الأمة بغاية وسعهم في النصح لها، وحملها على منهاج نبيِّها. وكانوا فوقَ ذلك أئمةً في التقوى والعبادة، والزهد في الدنيا، والرغبة في ما عند الله.

• فحقٌّ على الأمةِ قاطبة أن تعرفَ للخلفاء الراشدين المهديين بخاصة، وللصحابة بعامة، فضلَهم في إقامة الدين، ونشر رسالة الإسلام في الخافقين، في ظلِّ السياسة النبوية ثم الراشدية، وأن تتخذ مِنْ سيرهم الزكية الجميلة، ومآثرهم الطيبة الجليلة، قدوةً صالحةً ومثالاً يحتذى.

• قال الشيخ أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني المالكي، في ترجمة اعتقاد أهل السُّنَّة الذي صَدَّرَ به رسالته الفقهية:

«وأفضلُ الصحابةِ الخلفاءُ الراشدون المهديون؛ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رضي الله عنهم أجمعين. وأنْ لا يذكرَ أحدٌ من صحابة الرسول ﷺ إلّا بأحسن ذكرٍ، والإمساكُ عمّا شجرَ بينهم، وأنّهم أحقُّ الناس أن تُلتمَسَ لهم المخارجُ، ويُظنُّ بهم أحسنَ المذاهب».

• وقال الإمام أبو جعفر أحمد بن سلامة الطحاوي:

«ونحبُّ أصحابَ رسول الله ﷺ، ولا نُفرِط في حبِّ أحدٍ منهم، ولا نتبرّأ من أحد منهم، ونبغض مَنْ يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبُّهم دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبغضُهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيانٌ».

❁ مزايا كتاب إزالة الخفاء:

• لهذا الكتاب مزايا كثيرةٌ، بسط الكلام عليها سماحةُ الشيخ أبو الحسن الندوي في الكتاب الذي أفرده لترجمة المؤلف، ضمن سلسلة رجال الفكر والدعوة، وأثبته المحقّقُ حفظه الله في مقدمة هذه الطبعة، فأفاد وأجاد وأوفى على الغاية في بيان موضوعه وأهميته.

• ومن مزايا كتاب «**إزالة الخفاء**»: أنّه كشفَ عن أنّ التعرّض لخلافة الخلفاء الراشدين، بالتشكيك أو الطعن في إثباتها، ينطوي على مؤامرة خبيثة بعيدةِ المرمى في خطورتها، مثل إظهار خيبة الإسلام وإخفاقه في عهده الأول الزاهر، وأنّ صحبةَ النبيِّ ﷺ لم تثمرْ شيئاً من الخير، ولم تفعل فعلها في تكوين مجتمعٍ صالحٍ فاضلٍ يُوثَقُ به.

• وكان من نتائج هذا الاعتقاد الخطير المبير، الذي ابتُني على التعلّق بأخبار مختلقة مكذوبة وُضعت في مناقب قوم ومثالب آخرين، أنه أورثَ لدى معتقديه الشكَّ والتشكيكَ في سلامة القرآن الكريم من التحريف، وادعاء النقصِ فيه، والتصرّف في ترتيب آياته في المصحف،

والطعنِ بذلك في أمانة جامعيه وناقليه، مع أنّ جمعه تمَّ بطريقة مشتهرة، ثبت بها علم عامة الصحابة بذلك، ومنهم الذين شهدوا نزوله، وتلقوه تلقيناً عن النبي ﷺ، فأقرّوا ما صنع الصدّيق رضي الله عنه ورضوه، وكذلك نقله تمَّ بطريقة ظاهرة وعلم مشتهر من الصحابة، بل بتعاونٍ منهم على نقله إلى الذين جاؤوا من بعدهم[(١)].

• وكذلك أورثَ هذا الاعتقادُ الخطيرُ المبيرُ، طعناً في السُّنَّةِ النبويةِ بالطعن في ناقليها من الصحابة، وطعناً في جميع الأمور التي اتفق عليها المسلمون. وفي هذا يقول المؤلف في المقدمة: «**كلُّ مَنْ يحاوِلُ هدمَ هذا الأصل (ثبوت الخلافة الراشدة) وينكِرُ هذا الأصلَ الأصيل من الدين، إنّما يحاوِلُ هدم جميع الشُّعَبِ الدينية**». وصدق فيما قال، فإنَّ الخلفاء الراشدين ومَنْ معهم من الصحابة الملازمين لرسول الله ﷺ هم الواسطةُ بينه وبين أمته في أخذ القرآن الكريم وتلقّيه، بل وفي تلقي جميع ما اشتمل عليه الدينُ من أصولٍ وفروعٍ، ممّا علّمه النبيُّ ﷺ بأقواله وأفعاله وسائر تصرفاته وأحواله.

• وعلاوة على ما اشتمل عليه الكتابُ من حشد البراهين المثبتة لخلافة الخلفاء الراشدين، والتعريف بمناقبهم، وإنجازات عهودهم، وإيراد مجموعة صالحة قيّمة من كلماتهم وتوجيهاتهم، فقد وشَّىٰ الكتابَ وزادَ في قيمته، ما احتواه من نُكَتٍ لطيفةٍ، وفوائدَ وفرائدَ بارعةٍ وتحقيقاتٍ نادرةٍ رائعةٍ.

• ومن الفوائد التي نثرها المؤلف في كتابه، تعرّضه لتاريخ الإسلام

---

(١) لمزيد من الكلام على شبهة تحريف القرآن الكريم، إيراداً وجواباً، وبيان شدة اهتمام السلف بخدمة كتاب الله. يُنظر: «الانتصار للقرآن الكريم»، للقاضي أبي بكر الباقلاني (ص٩٤ ـ ١٥٦).

الثقافي والديني، بشيء من العرض والتحليل، مجلّياً بذلك التغيرات الدينية والعقلية والفكرية التي طرأت بعد وفاة النبي ﷺ، ممّا يجعل العاقلَ الحصيفَ يدرِكُ بثاقب بصيرته من خلال ما عرضه، الصلةَ السببيةَ بين تلك التغيرات، وبينَ الفتن التي أصابتِ الصفَّ الإسلامي، أو بعبارة أخرى: **تأثير البدع في الفكر السياسي وأثره السلبي على وحدة الأمة**.

۞ طباعة الكتاب وترجمته:

• ألَّف الشاه وليُّ الله الدهلوي كتابَ «**إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء**» باللغة الفارسية، التي كانت منتشرةً بين مسلمي الهند. فطُبِعَ الكتابُ في الهند طبعةً أولى في أصله الفارسي، ثم نُقِلَ إلى الأردية، ونقل منها ومن أصله الفارسي إلى العربية، لكنّه لم ينشر في البلاد العربية ـ فيما نعلم ـ إلى اليوم.

• فهذه النشرةُ التي يشرِفُ عليها ترجمة وإعداداً وطباعة أخونا وصديقنا المستشار **الدكتور تقي الدين الندوي**، يُعدّ عملاً جليلاً ثميناً، وبالشكر والتقدير حقيقاً وقميناً، باعتبار الأهمية العلمية التي يتميز بها الكتاب، وباعتبار إيصاله أوّل مرة إلى القارئين باللغة العربية، وباعتبار الجهد القيّم الذي بذلته لجنةٌ من الباحثين من مركز الشيخ أبي الحسن الندوي ـ أثابهم الله من واسع نَوْله وفضله ـ في ترجمة الكتاب من اللغة الفارسية إلى العربية، وتخريج نصوصه، ورفده بتعليقات مفيدة.

• والأستاذ الدكتور تقي الدين الندوي، أحدُ علماء الحديث المبرّزين في الهند، تخرّج في دار العلوم بندوة العلماء في لكنو، وقرأ على فضلاء مشايخها، واشتغلَ بتدريس الحديث وعلومه، في دار العلوم المذكورة، وفي جامعة فلاح دارين كجرات، ثم استقرّ به النوى في جامعة الإمارات العربية المتحدة بالعين.

• وصرف عنايته للبحث والتأليف والتحقيق في هذا الميدان، حتّى صار أحدَ فرسانه؛ ورزقه الله تعالى همّةً عاليةً، وجلَداً ماضياً على البحث ومكابدة مشاقّه، في دأب لا كللَ فيه ولا مللَ.

ومن قرأ تعليقاته على كتاب «**التعليق الممجد**»، أو «**ظفر الأماني**»، لعلّامة زمانه في الهند عبد الحي اللكنوي، عرفَ الشأوَ الذي بلغه في الاطلاع والمعرفة بالحديث وفنونه، أجزلَ الله له المثوبةَ فيما قدَّم، وبارك في أعماله وأوقاته، ومتّعه بدوام العون والتوفيق لخير المقاصد.

• وكان آخرَ ما صدر له في خدمة السُّنَّة النبوية الشريفة، إخراجَ «**الجامع الصحيح**» للإمام البخاري، في طبعة جديدة ذات حلة قشيبة، مع حاشية نفيسة علَّقها الشيخُ المحدّث أحمد علي السهارنفوري (ت١٢٩٧هـ)، واعتمد في أصله الذي علَّق عليه هذه الحاشية، على نسختين تتّصل إحداهما بأصل شرف الدين أبي الحسن علي اليونيني (ت٧٠١هـ)، والثانية بأصل رضي الدين أبي الفضل الحسن بن محمد العدوي الصغاني (ت٦٥٠هـ)، وهما أصحُّ الأصول للجامع الصحيح في العالم، عليهما عوّلَ الشّراحُ المتأخرون؛ كالعسقلاني، والعيني والقسطلاني.

والحمد لله في البدء والختام.

٢٣ ذو القعدة سنة ١٤٣٢هـ

الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي

أ.د. عبد الله بن عبد المحسن التركي




بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بقلم: سماحة الأستاذ الجليل محمد الرابع الحسني الندوي

رئيس ندوة العلماء لكنو (الهند)

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصّلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد بن عبد الله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

• **أما بعد**: فهذا كتابٌ قيّمٌ مفيدٌ، في موضوعٍ مهمٍّ جداً، هو موضوعُ الثقة بعظمة صحابة الرسول ﷺ، وبمكانتهم الدينية العالية، بناءً على الصحبة المخلصة الحاصلة لهم من سيدنا خاتم النبيين ﷺ، الذي أكملَ اللهُ له دينَه، وأتمَّ عليه نعمتَه، وجعلَ في صحبته تأثيراً لا نظيرَ له.

• ذكر الله في كلامه المجيد رضاه عن صحابة رسوله الكريم ﷺ وقبوله عملهم.

• قام الإمامُ أحمد بن عبد الرحيم المعروف بولي الله الدهلوي بتأليفِ هذا الكتاب في التعريف بهؤلاء ومدحهم.

• والإمام الدهلوي من أجلِّ علماء عصره، ومجدّد المنهج الإسلامي الصحيح في شبه القارة الهندية في القرن الحادي عشر، أدّى بجهده العلمي والفكري الديني دوراً عظيماً في إحياء الفهم الصحيح للدين، وتجديد الفكر الإسلامي على المنهج الراشد، وعرضَ الشريعة

الإسلامية في صورةٍ متناسقةٍ شاملةٍ، وكشفَ عن أسرارِ الأحكام الشرعية ومقاصدها وحِكَمِها، ومازجَ بين العقل والنقل، وبين الفقه والحديث، ووَفَّق بين المذاهب الفقهية الرئيسة، وأصلحَ العقائد، ونشرَ الكتابَ والسُّنَّة، وردَّ على المذاهب الضالة الدخيلة على الإسلام، وقصّرَ الفجوة بين المذاهب الفقهية المستقيمة السائدة، ورفعَ الفجوةَ بين المنتمين إليها، وعرضَ الشريعةَ الإسلامية وشُعَبَها وأبوابَها في ترابط ونظام وتناسق واتّزان.

• وبهذا الشمول العجيب والتنوّع النادر للفكر الإسلامي الأصيل، والعلم الديني الراسخ والفهم لروح العصر، والتنبّه للأخطار والتحديات التي كان يحمِلُها المستقبل، وإعداد العدة لمواجهتها: أصبحَ نموذجاً كاملاً للمصلح الديني والمجدد الإسلامي، إنّه بذل جهدَه في المجالات الثلاثة الكبرى؛ المجال العلمي، والمجال الديني، والمجال الاجتماعي.

• أما في المجال العلمي: فإنّه رأى أنَّ المناهجَ التعليمية الإسلامية تعتني بالفنون العقلية أكثر من اعتنائها بالمصدرين الأصلين الإسلاميين: الكتاب والسُّنَّة، فدعا إلى تغليب المصدرين الجليلين في التعليم الإسلامي، وقد أثّرت جهودُه في ذلك تأثيراً كبيراً واسعاً.

• وبدأت المدارسُ الإسلامية بهذا التأثير المفيد تعتني اعتناءً لائقاً بالمصدرين الأصلين للعلوم الإسلامية، إلى أنِ اعترفَ بعضُ كبار علماء العرب بتقدّم النظام التعليمي في الهند متمثلاً في الاعتناء بكتب الحديث النبوي الشريف.

• كما أنَّه بحث في أسرار الشريعة الإسلامية للدين، فأوجدَ الاقتناع العلمي بأحكام الشريعة الإسلامية بتأليفه كتاباً مهمّاً جليلاً باسم

«**حجة الله البالغة**» قدّم فيه أسراراً وحكماً للشريعة الإسلامية، يتعرّف القارئ من خلالها الميزة الفائقة لهذه الشريعة الغراء التي أكملها الله تعالى على خاتم أنبيائه، وأتمَّ بذلك نعمتَه على أتباعِ هذا الدين المبين.

• وألّف كتاباً مهمّاً آخر باسم «**عِقْدُ الجيد في الاجتهاد والتقليد**» عرضَ فيه ضرورةَ التقريب بين المذاهب الفقهية المختلفة، وبحثَ ما ساد بين العلماء من التفرُّق والخصومة في شأن التقليد والاجتهاد، التي جرَّت إلى مشاجرات بين علمائها، وقد تحوّلت هذه المشاجراتُ في بعض الأحيان إلى خصوماتٍ شديدةٍ، وتعصبٍ عنيفٍ.

• إنّه لفتَ نظر العلماء إلى أنَّ الشريعة الإسلامية تتّسعُ لآراء مختلف المجتهدين في المذاهب المختلفة.

• ولفتَ النظرَ كذلك إلى أنَّ التقليد الذي يتبعه أبناء المذاهب الفقهية الجليلة والاجتهاد البحت الذي يدعو إليه المخالفون لأئمة المذاهب الفقهية ليس ممّا يبعثُ على الخصومة، بل يجوزُ لكلٍّ واحدٍ العمل منهما في مجاله.

• والكتاب المهم الثالث الذي ألَّفه هو هذا الكتاب «**إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء**»، وذلك عندما رأى أنَّ طائفةً من الناس ينتقدون صحابة رسول الله ﷺ الذين صحبوه بمحبة خالصة، وبذلوا النفسَ والنفيسَ في سبيل حمايته وطاعته، فأحبّهم الرسول ﷺ ورضيَ عنهم.

لقد رأى الإمام الدهلوي أنَّ طائفة من الناس ينكرون تفضيل الصحابة رضوان الله عليهم، واتّخذوا هذه الأفكار ديناً لهم فيذمّونهم، ويُنكرون استحقاقهم خلافة رسولهم الكريم ﷺ بعد وفاته، ورغم ذلك فإنّهم يدّعون أنّ الرسول ﷺ أوصى بالخلافة لعليّ وأولاده من فاطمة، ومَنْ جاء بعدهم من الأحفاد، وزعموا لهم العصمةَ والقداسةَ أيضاً.

• فبناءً على ما وجد الإمام ولي الله الدهلوي في ذلك من خطر ديني، وانحراف، أوجب على نفسِهِ إبطالَ هذه الفكرة الضالة، وإثبات عظمة الصحابة ﭫ، وهم الذين تربَوْا على يدِ خاتم النبيين محمد بن عبد الله الصادق الأمين ﷺ تربيةً كاملةً، ورافقوه في أحوال الشدّة والقسوة واحتمال الأذى في طاعة الله ورسوله ﷺ، وبخاصة الخلفاء الراشدون الأربعة الذين قاموا بخلافته ﷺ من بعده، والذين وفّق اللهُ عامّةَ الصحابة بانتخابهم، وذلك لتقدّمهم وامتيازهم في صحبة الرسول ﷺ، فقد سبقوا عامة الصحابة في الحب والطاعة، وثبتوا ثباتاً كاملاً على الإيمان واتباع الرسول ﷺ.

• لقد لقي الصحابة ﭫ كلهم في طاعة الله ورسوله ﷺ أذىً شديداً، وإهانة من المشركين، ورغم ما كانوا عليه في جاهليتهم من شِدّةٍ وأنفةٍ إلا أنهم احتملوا الأذى في سبيل الإسلام، فقد آمنوا بالإسلام، ورافقوا الرسول ﷺ، وصاروا أتباعاً له مخلصين ملتزمين بضبط النفس وكظم الغيظ مهما بلغ بهم الأذى والإهانة، وذلك طاعةً لأمر الله تعالى؛ خاصّةً في عهدهم المكي، الذي امتدّ ثلاثةَ عشرَ عاماً، وعملاً بقول الله تعالى: ﴿كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء: ٧٧].

• وفي العهد المدني أذن الله تعالى لهم بالجهادِ عند الضرورة، وكانوا في هذا العهد ملتزمين بما يأمرهم به رسولهم الكريم ﷺ، فقد قضوا في غزوة الأحزاب مدةَ ثلاثة أسابيع في الشتاء وتحتَ السماء ليلاً ونهاراً صابرينَ على المشقة والبرد والجوع، ليمنعوا عدوَّهم من اجتياز الخندق، ولم يبدوا لرسول الله ﷺ ضجراً ولا استسلاماً، وكان امتحاناً قاسياً شديداً، ونجحوا فيه نجاحاً باهراً.

• وكذلك في شأن صلح الحديبية الذي كان في نظرهم إهانةً

شديدةً لكرامتهم، وكانوا أقوياء في ذلك الوقت لدفع هذه الإهانة، ولكنّهم صبروا على طاعة رسولهم ﷺ بفضل إيمانهم وتقواهم.

• وتوفي الرسول الكريم ﷺ الذي كان داعياً إلى دين الحق، وقائداً وأميراً للأمة التي تكونت بدعوته، وأصبحت أمةً هاديةً مسؤولةً عن تنفيذ أوامر الله تعالى في السرِّ والعلن، وعن تبليغ دعوة الحق، وتحقيق إرادة الله في الأرض، يقومُ على كلِّ ذلك نخبةٌ من الرجال الأوفياء لمنهج رسول الله ﷺ، متأسّين به في كلِّ ما يأتي وما يدعُ.

• يذكر الإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بولي الله الدهلوي أهميةَ ذلك، ويشرحُ أمرَ خلافةِ النبيِّ ﷺ بعد وفاته ﷺ، وضرورتها لتنظيم المسلمين إجماعياً، وإقامة الحدود فيقول: «**الخلافة هي الرئاسةُ العامّةُ في التصدّي لإقامة الدين بإحياء العلوم الدينية، وإقامة أركان الإسلام، والقيام بالجهاد، وما يتعلّقُ به من ترتيب الجيوش والفرض للمقاتلة وإعطائهم من الفيء، والقيام بالقضاء، وإقامة الحدود، ورفع المظالم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، نيابة عن النبي ﷺ**».

• ثم يقول مبيِّناً معنى «**إقامة الدين**» وزيادة إيضاحٍ له: «**عندما ننظر إلى الأمور نظرةَ استقراءٍ، وننتقل من الجزئيات إلى الكليات، ومن الكليات إلى الكلية الواحدة الشاملة للجميع، نصلُ إلى نتيجةٍ أنّ الجنس الأعلى لهذه الأمور من الجزئيات المتشتتة والكليات المنتشرة، (وكأنها كلية الكليات) هي تلك الحقيقة (الكلية الجامعة) التي عنوانها إقامةُ الدين، والتي تندرجُ تحتها أنواعٌ وأجناسٌ أخرى، منها إحياء العلوم الدينية التي تشتمل على تعليم الكتاب والسُّنَّة، والتذكير، والموعظة، يقول الله تعالى:** ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾ [الجمعة]»[١].

• وبناء على ذلك قام الإمام ولي الله الدهلوي بتأليف هذا الكتاب المهم «**إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء**» شرحاً وإثباتاً لما رآه من ضرورة الذبِّ عن الخلفاء الراشدين المهديين، الذين كان لهم دورٌ مهمٌ في نشر الإسلام بعد وفاة الرسول ﷺ، وردّاً شديداً على الطائفة المنحرفة عن الحق، التي تقومُ برفض الخلافة، وتتّخذ فكرةَ الوراثةِ والإمامةِ القدسيةِ بدلاً منها، وحصرها في فرعٍ من فروع ابنة واحدة من بنات النبي ﷺ. وهي لا تكتفي برفض خلافة الخلفاء، بل تجاوزت إلى ذمِّهم وشتمهم أيضاً، وهم الذين أحبّهم الرسول ﷺ وأحبوه كما جاء في كتاب الله تعالى لقوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ۝٢٩﴾ [الفتح].

• وكان انتخابُ الخلفاء الراشدين من صحابةِ الرسول ﷺ قد تمّ باختيار الصحابة ورضاهم، وتمّتْ بيعةُ كلِّ واحدٍ من الخلفاء الأربعة بصورة إجماعية، وكان عملُهم بعدَ تقلدهم الخلافةَ على أحسن مستوى في التأسّي بالرسول الكريم ﷺ في شوؤن الحياة الإيمانية والعملية والقيادية كلها، وهم الذين تربوا تربية كاملة على يد خاتم النبيين محمد ﷺ في الجوانب المختلفة من الحياة الإسلامية، واستفادوا من هذه التربية النبوية الكريمة في أداء واجبهم القيادي والتوجيهي، واستحقّوا بذلك خلافةَ رسولهم الكريم محمّد ﷺ في إدارة نظام الحياة للأمة الإسلامية.

---

(١) «إزالة الخفاء» (١/ ٨٣).

● وقد أشاد القرآن بصبرهم ومصابرتهم طوال **العهد المكي**، وسجّل ثباتهم وأثنى عليهم ثناءً بالغاً فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت]، وقال تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

● وفي **العهد المدني** قَضَوا عشرةَ أعوامٍ في الكفاح والجهاد بالأنفس والأموال، وظهر جليّاً ثباتُهم على الإيمان، واتباعُهم رسولهم ﷺ مهما وقعت لهم من الأحوال القاسية، قال الله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب].

● ثم جاءت مرحلةُ ما بعدَ الرسول ﷺ، مرحلةُ نيابتهم عنه بتطبيق منهجِه، الذي تلقوه عنه، وتربوا عليه في حياته ﷺ، وتشاوروا في انتخاب مسوؤل يقوم بهذا الواجب.

● وأجمعوا على انتخاب أقرب أصحاب الرسول ﷺ إليه وأوفقهم لرأيه ﷺ في مناسبات عديدة، واختاره الرسول ﷺ في آخر حياته لإمامة الصلاة نيابةً عنه عند مرضه.

● فبناءً على كلِّ ذلك اتفقوا على اختيار **سيدنا أبي بكر الصدِّيق** رضي الله عنه لنيابةِ الرسولِ ﷺ إثرَ وفاته. وقام سيدنا أبو بكر رضي الله عنه بخلافة رسوله الكريم ﷺ في أداء المهمات التي جدّتْ بعد وفاة الرسول ﷺ بكلِّ دقةٍ وأمانةٍ وعزيمةٍ وهمةٍ، وقضى في هذا العمل سنتين، فكان في قمّةِ الوفاء لمنهج رسول الله ﷺ، وجعلَ الإسلامَ قائماً وثابتاً ثبوتاً قوياً على الخط الذي قام به رسول الله ﷺ وذلك في حال محنةٍ وخطرٍ، وذلك لأنّ طائفة من الناس ارتدت عن الطاعةِ والإيمانِ إثر وفاة

الرسول الكريم ﷺ ممّن كانوا في أقاصي الجزيرة العربية؛ لأنّهم لما رأوا وفاة الرسول ﷺ لجؤوا إلى انتهاز الفرصة للخروج عن اتباع الإسلام، فارتدوا عنه ارتداداً، فوقف سيدنا أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه وِقفةَ صمودٍ وعزيمةٍ، وقاتلهم حتّى رجعَ الناسُ إلى اتباع الحق، وعاد الإسلام إلى شوكته وقوته، وسيره على الخط الذي كان رسمَه خاتمُ النبيين محمد ﷺ، ووصلت دعوةُ الحقِّ إلى أقاصي البلاد، وزالت شبهةُ بعض الناس في استمرار الإسلام بعد رسول الله ﷺ.

• ولما توفي سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه احتاجَ الأمرُ إلى مَنْ يقومُ مقامه، ويكون قوياً مثله لمواجهة الأوضاع المتجددة، بسبب توسع البلاد الإسلامية، ودخول جنسيات مختلفة إلى الإسلام.

• وخوفاً من وقوع الاضطراب بعدَ وفاته رَشّحَ للخلافة رجلاً شديداً في دين الله، أميناً صادقاً، هو **سيدنا عمر بن الخطاب** رضي الله عنه، وهو الذي كان يثقُ به رسولُ اللهِ ﷺ، وكان قريباً منه ﷺ، وكان شديداً في نُصرةِ الحقِّ والذبِّ عن الدين المتين، وأثنى عليه الرسولُ ﷺ لموافقة بعضِ آرائه الوحيَ الإلـٰهيَّ. وكان سيدنا أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه يعرفُ ذلك، فرشّحه لخلافة المسلمين.

• وقامَ سيدنا عمر رضي الله عنه بأمور الخلافة أحسنَ قيامٍ بأقوى طريق، وبعزيمة صلبة لمدة عشرة أعوام.

• وتوفي سيدنا عمر رضي الله عنه وجاءت مرحلةُ نيابته، فرأى أصحابُ الشورى اختيارَ رجلٍ يميل إلى اختيار الرخصة أيضاً، كلّما اقتضى الأمرُ ذلك، لئلا يتعبَ الناسُ لطول قيامهم بالعزيمة، فاختاروا لذلك **سيدنا عثمان بن عفّان** رضي الله عنه، وهو ذو النورين، لكونه زوجاً لابنتين لرسول الله ﷺ.

• وجاء سيدنا عثمان رضي الله عنه واختارَ تسهيل العمل والرخصة في أمور تقتضيها؛ لأنَّ أحوالَ الناس اختلفت، وضعف فيهم اختيارُ العزيمة بسبب دخول أبناء بلدان مختلفة في الإسلام، وكانوا جديدين في الإسلام، لم يتربوا على العزيمة، فكان اجتهادُ سيدنا عثمان ذي النورين رضي الله عنه في ذلك في محلّه المناسب اللائق بالظروف والأحوال، وبقيَ هذا المنهجُ طوال خلافة سيدنا عثمان رضي الله عنه.

• وولي الخلافةَ بعده الصحابي الجليل **سيدنا عليٌّ المرتضى** رضي الله عنه، وكان يؤثِرُ طريقةَ سيدنا عمر الفاروق رضي الله عنه في الشدة، وبذلك حصلت تجارب مختلفة في إدارة شؤون المسلمين في أثناء الخلافة الراشدة، وكلُّ ذلك كان مأخوذاً من عمل الرسول صلى الله عليه وسلم وِفْقَ الأسوة النبوية الشريفة للمجتمع الإسلامي الفاضل للعمل في كل جانب من جوانب الحياة.

• ولا شكَّ أنَّ كلّ ما وقع منذ العهد المكي للنبوة إلى خلافة سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان تحت حكمة إلٰهية وتدبير إلٰهي حكيم؛ لأنّ الله تعالى أكملَ الدين، وأتمَّ نعمةَ الإسلام. وإكمالُ الدين يتحقّقُ حين تظهَرُ جوانبه المختلفة، فكانت خلافةُ هؤلاء الخلفاء الأربعة مثالاً لذلك، ليكونَ ذلك نبراساً للمؤمنين إلى ما شاء الله في اختيار الأسوة المثالية بجوانبها المختلفة، وفق المنهج النبوي الشريف.

• وبناءً على ذلك كان أخطرَ شيء هو ظهورُ فرقةٍ تنكِرُ صلاحَ الخلفاء الراشدين وجدارتهم بخلافة المسلمين.

ويكتب عن ذلك الإمام ولي الله الدهلوي: «إنّ شأن هذه الفرقة (في نظر أولئك الذين يعرفون تاريخ مذهبها ومعتقداتها الأساسية وفهمها وتصورها للدين، الذين درسوا كتبَها المعتبرة، ومصادرَها المعتمدة لدى أهلِها دراسةً مباشرةً) ليس شأنُ خلافٍ في الاجتهاد والقياس أو فُرقة

جانبية لا تخرجُ عن نطاق الشريعة الإسلامية، بل إنَّها تحملُ إزاء التصور الصحيح للدين الذي يُبنى أساسُه على الكتاب والسُّنَّة وعظمة مكانة النبوة، وعقيدة ختم النبوة: تفكيراً مستقلاً، وتصوراً دينياً مقابلاً، ويمكِنُ أن يُقدّرَ ذلك إلى حدٍّ ما مِنْ عقيدة «الإمامة» لدى الفرقة الاثني عشرية التي تعتقدُ أنَّ الإمامةَ نظيرُ النبوة، بل تفضلها وتفوقها في جوانب كثيرة».

• ويذكر الإمام الدهلوي: «يقول الفقير ولي الله عُفِيَ عنه: إنَّ بدعة التشيّع راجت في هذا العهد وانتشرت، وتأثّرت طبائعُ العامة بشبهاتهم التي أوردوها تأثراً عميقاً، ونشأت في قلوبِ معظمِ أهل هذه المنطقة شكوكٌ وشبهاتٌ كثيرةٌ في موضوع ثبوتِ خلافة الخلفاء الراشدين»[1].

• وشعوراً بخطورة هذه الفرقة التي تريد أن تهدمَ أساسَ بناء نظام الخلافة الإسلامية بمخالفة الأولين من حملة هذا الدين المتين وذمهم، فقام الإمام ولي الله الدهلوي بتأليف كتاب مهم في هذا الموضوع هو هذا الكتاب «**إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء**».

• يقول سماحة الشيخ الندوي عن أهمية هذا الكتاب: «لم يكن نظرُ الإمام الدهلوي إلى السطح الظاهري من هذه الفتنة التشكيكية المدبَّرة، بل كان ينظرُ ببصيرته الثاقبة إلى أعماق تلك المؤامرة الخطيرة، التي كانت ترسُبُ في داخله، والتي كانت تظهرُ نتائجُها البعيدة الخطيرة مثل خيبة الإسلام وإخفاقه في عهده الأول الزاهر، وأنّ صحبة النبي ﷺ لم تثمر ولم تفعل فعلها في تكوين مجتمع صالح فاضل يوثق به.

• ومن نتائج هذا النوع من التفكير والاعتقاد الطبعيّة وجودُ عدم

---

(١) «إزالة الخفاء» (١/ ٧٧).

الثقة بصيانة القرآن الكريم، وبقائه على أصالته وصحّته عن طريق الصحابة الذين شهدوا نزوله وتلقوه عن النبي المعصوم ﷺ مباشرة، وذلك في خير القرون، وكذلك الاضطراب في صحّة الأحاديث ونقل السُّنَّة النبوية، وجميع الأمور التي اتفق عليها المسلمون»[١].

● ويقول الإمام ولي الله الدهلوي عن تأليفه لهذا الكتاب: «والواقع أنّ نور التوفيق الإلـٰهي ألقى في رُوْعِ هذا العبد الضعيف عِلماً مستقلّاً بكل وضوح وتفصيل، حتّى عَلِمَ عِلْمَ اليقين أنَّ إثبات خلافة الخلفاء الراشدين أصلٌ من أصول الدين عظيم، وما لم يتمسك الإنسان بهذا الأصل تمسكاً قوياً، ولم يَعُضَّ عليه بالنواجذ، بقيتْ كلُّ مسألةٍ من مسائل الشريعة معرَّضة للشك والضعف»[٢].

● ويقول سماحة الشيخ العلّامة أبو الحسن علي الحسني الندوي[٣]: ويشتمل هذا الكتاب ـ علاوةً على الأدلة والبراهين على إثبات خلافة الخلفاء الراشدين وذكر مناقبهم ومآثرهم وإنجازات عهودهم، ومجموعةٍ قيِّمةٍ صالحةٍ من كلماتهم وتوجيهاتهم ـ على فوائدَ غالية، وتحقيقات نادرة، ونُكات لطيفة، وموادَّ قيمة، لا تتوفّر في كتب العقائد وعلم الكلام بصفة عامة، ولا في كتب التاريخ والسير.

● منها تحديد القرون الثلاثة، وبيان الفرق بين الخلافة والملك وتفاصيلهما، وشرح الملك العضوض، والتصريح بأنّ دولة بني أمية وسلطنتهم المطلقة لم تكن خلافةً.

● وهو وإن كان يرى أنَّ الخلافة الراشدة انقضت مع سيدنا علي رضي الله عنه، لكنه يتجنّب الطعنَ والوقيعة وإساءة الظن بسيدنا معاوية رضي الله عنه

---

(١) «رجال الفكر والدعوة» (٤/ ٦٠١). (٢) «إزالة الخفاء» (١/ ١).
(٣) «رجال الفكر والدعوة» (٤/ ٦١٤).

وينصح به، بناءً على ما وردَ في فضله ومناقبه من أحاديث وآثار[١].

• هذا هو الموضوعُ المهمُّ الخطيرُ الذي أضرَّ إضراراً شديداً بالمنهج النبوي الشريف لإمارة المسلمين، وكان سبباً لتفريق المسلمين وإهانة صحابة خاتم النبيين سيدنا محمد بن عبد الله الأمين ﷺ.

• فرأى الإمام أحمد بن عبد الرحيم الشاه ولي الله الدهلوي من الضرورة الشديدة تأليفَ كتابٍ في بيانِ انحرافٍ شديدٍ أصبحَ سديداً على طائفة من الناس يختارونه.

«فقام الإمام الدهلوي بتأليف هذا الكتاب، وكان نصفُه باللغة الفارسية، ونصفُه باللغة العربية».

• وطبع هذا الكتاب ـ **لأوّل مرة** ـ بإشارة من الشيخ جمال الدين خان وزير بهوفال، وبعناية الشيخ محمد أحسن الصديقي عام (١٢٨٤هـ) بالمطبع الصديقي ببريلي، وكان عنده ثلاث نسخ من الكتاب، قامَ بالمقابلة بينها وتصحيحها، منها نسخة الشيخ جمال الدين ببهوفال، ونسخة ثانية للشيخ أحمد حسن الأمروهي، ونسخة ثالثة للشيخ نور الحُسن، وهناك من القرائن ما يدلُّ على أنَّ المؤلف الإمام لم يُعِدْ النظرَ في الكتاب.

• وصدرت **الطبعةُ الثانية** للكتاب من أكاديمية سهيل لاهور باكستان عام (١٣٩٦هـ)، الموافق (١٩٧٦م)، وهي صورةٌ عن الطبعة الأولى، ونُقِلَ الكتابُ إلى العربية بعناية المجلس العلمي بدابيل، ولكنّه لم ينتشر في العالم العربي كما ينبغي.

• ونقل إمامُ أهل السُّنَّة الشيخ عبد الشكور الفاروقي اللكنوي هذا

---

(١) «إزالة الخفاء» (١/١٤٦).

الكتاب إلى اللغة الأردية، ولكنّ هذه الترجمة تنتهي إلى الفصل الخامس، وأسماها «كشف الغطاء عن السُّنَّة البيضاء»، ويشتمِلُ ما طبع منها على ست وثلاثين وثلاث مئة صفحة، وتمَّ طبعها في عمدة المطابع بلكنو عام ألف وثلاث مائة وتسع وعشرين من الهجرة النبوية.

• والآن يقومُ بنشره بعد تحقيق وتعليق مفيدينِ المحقّقُ البارعُ لكتب الحديث فضيلة **الدكتور الشيخ تقي الدين الندوي**، الذي شغل منصب أستاذ الحديث النبوي الشريف سابقاً في جامعة العين بالإمارات المتحدة العربية، وقبل ذلك شغل هذا المنصب الجليل في جامعات إسلامية كبرى في الهند، ويخدمُ كتبَ الحديث بالتحقيق والتعليق.

• ومن أهمِّ أعماله في هذا الصدد إصداره لأصحِّ نسخةٍ للجامع الصحيح لإمام المحدِّثين أمير المؤمنين في الحديث الحافظ الحجة أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد مقابلةٍ شاملةٍ لنسخ عديدة صدرت في القرون المختلفة، ونالت ثقةً وأهميةً لدى المهتمين بالحديث النبوي الشريف.

• ولا زال فضيلةُ الشيخ تقي الدين الندوي يخدمُ علوم السُّنَّة بشرح كتب مهمة قيِّمة في الحديث النبوي الشريف وعلوم متصلة به، وتنال جهودُه العلمية هذه تقديراً وثناءً من رجالات العلوم الإسلامية في العالم الإسلامي.

• كما أنّه اعتنى اعتناءً كبيراً بما أفاد مجدد القرن الثاني عشر الإمام أحمد بن عبد الرحيم ولي الله الدهلوي رحمه الله تعالى، ومنه هذا الكتاب المهم الجليل الذي يصدره فضيلة الدكتور الشيخ تقي الدين الندوي بعد بذل جهد كبير في تحقيق مشكلاته، ومقابلة نصوص الكتاب بنسخ مختلفة له، وكتابة التعليق على ما يقتضي التعليق، وشرح ما يحتاج

من الشرح، فعملُه هذا عملٌ مفيدٌ يستحقُّ كلَّ التقدير، ويكون فيه نفع للدارسين لهذا الموضوع، وإنّه طلب منّي كتابة تعريف لهذا العمل الجليل، وكنتُ أراه فوق درجتي، ولكن استجابةً لطلبه قمتُ بكتابة هذا التقديم، وأدعو الله تعالى القبول لهذه الخدمة العلمية الدينية المهمة، والله ولي التوفيق.

✍ كتبه

محمد الرابع الحسني الندوي

رئيس ندوة العلماء لكنو (الهند)




تقديم الكتاب

بقلم: العلامة الداعية الإسلامي الكبير
السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي
رحمه الله تعالى(١)

❁ أهمِّيَّة كتاب «إزالة الخفاء» وامتيازُه وتفرُّده:

• إنَّ الكتابَ الذي يلي كتابَ «حجة الله البالغة» في القيمة والأهميَّة، والذي هو مأثرةُ الإمام الدِّهلوي الفريدةُ هو كتاب «**إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء**».

• وإنَّه لِكثيرٍ من خصائصه ومزاياه كتابٌ فريدٌ في موضوعه، ويزخر هذا الكتاب كُلّه بالنُّكات العلميَّة المُثيرة، والإشارات النَّادرة اللَّطيفة، وتتوفَّر فيه نماذجُ كثيرةٌ، تدلُّ على تدبُّر الإمامِ الدهلوي الطَّويل، وتفكيرِه العميق في كتاب الله تعالى، وتجاوبِه الموهوب معه، وفَهمه الغائص الدَّقيق، وسُرعة البديهة، والتَّفطُّن لمكنونات الآيات، وإشاراتها الدَّقيقة، وعُمقِ الاستنباط ودِقَّته، ووفرةِ الذَّكاء، وتوقّد الذهن؛ بحيث يتوصَّل به كل مُنْصِف سليمِ الفكر إلى أنَّ هذا العلمَ ليس كسبياً وكتابياً صِرْفاً، وأنَّ مؤلِّفَ هذا الكتاب ليس صَنيعَ المناهج الدِّراسيَّة المُتداولة وكُتبِ التَّفسير وأصول

(١) انظر: «رجال الفكر والدعوة» (٤/ ٢٢٩).

الفقه وعِلم الكلام الشَّائعة في عصره، يقتطِفُ منها ويجمعُ فُتات مائدتها فحسب، بل إنَّ علمه نابعٌ من الموهبة الرَّبانيَّة والفُيوض الإلـٰهيَّة الخاصَّة.

• وقد صَدرتْ من قلم الإمام الدهلوي نفسِه عفواً، هذه الكلماتُ التاليةُ في مبدأ الكتاب:

«والواقعُ أنَّ نور التَّوفيق الإلـٰهي ألقى في رُوعِ هذا العبد الضعيف علماً مستقلاً بكلِّ وضوح وتفصيل، حتّى علمَ علْم اليقين أنَّ إثبات خلافة (الخلفاء الراشدين) أصلٌ من أصول الدين عظيمٌ، وما لم يتمسّك الإنسانُ بهذا الأصل تمسُّكاً قوياً، ولم يعضّ عليه بالنواجذ، بقيت كلُّ مسألةٍ من مسائل الشريعة معرّضةٌ للشّك والضعف»[(١)].

• حتّى إنّ العلماء الكبار الذين كانت لهم خلافاتٌ مع الإمام الدهلوي، وكانوا موغلين في العلوم العقلية، ومنهمكين فيها، بل كانوا يحتلّون مكانَة الإمامة فيها، لمّا وقع بصرُهم على هذا الكتاب لم يتمالكوا أَنْ أثنوا على مؤلّفه، واعترفوا بتبحُّر علمه، وسعة معرفته، ودقة نظره، يقول الشيخ محسن بن يحيى الترهتي، صاحب «اليانع الجني»:

«إنّ العلّامةَ فضلَ حقٍّ بن فضل إمام الخير آبادي[(٢)] وقعتْ في يده نسخةٌ من كتاب «**إزالة الخفاء**»، فكان أولع بها، ويكثِرُ النظرَ فيها أوان فراغه من دروسه، وسائر ما يشغله من شأنه، فلمّا وقفَ على كثيرٍ منها قال لِمَحضرٍ من الناسِ: «إنَّ الذي صنّفَ هذا الكتابَ لبحرٌ زخّارٌ لا يُرى له ساحِلٌ»[(٣)].

---

(١) «إزالة الخفاء» (١/ ٧٧)، طبع أكاديمية سهيل، لاهور.س.

(٢) اقرأ ترجمته في: «نزهة الخواطر» (ج٧)، وقد وقعت بينه وبين أبناء الإمام الدهلوي والذين كانوا على طريقته مطارحات علمية، ومناقشات دينية، لذلك كانت لشهادته قيمة كبيرة.

(٣) انظر: «اليانع الجني» (ص٩٣)، المطبوع مع رجال الطحاوي، و«نزهة الخواطر» (٦/ ٤٠٦) ترجمة الإمام الدهلوي.

• وقد وصف العلّامة فخر المتأخرين أبو الحسنات عبد الحي اللكنوي (ت١٣٠٤هـ) ـ الذي يعترِفُ بتبحُّر علمه، ونبوغه وسعة نظره القاصي والداني ـ في كتابه «**التعليق الممجد على موطأ الإمام محمد**» كتابَ «**إزالة الخفاء**» بأنّه «**كتابٌ عديمُ النظيرِ في بابه**»[١].

❁ الصلة بين «حجة الله البالغة» و«إزالة الخفاء»:

• لقد كانت الحاجةُ بعد تأليف كتاب «حجة الله البالغة» الذي عُرِضَ فيه نظامُ الإسلام الجامع الشامل المتناسق بطريق يثبت علاقته بالحياة والمجتمع والمدنية، ويوضّحُ أنّه بدون تنفيذ الأحكام الإسلامية المتعلّقة بالعقائد والعبادات والحياة الاجتماعية لا يبقى أيُّ أملٍ في قيام مجتمع صالح رشيد، ومدنية صالحة، وحياة اجتماعيّة متَّزنة عادلة.

• كانت الحاجةُ لبيانِ هذه المقاصد والأهداف وتكميلها والقيام بهذه المرحلة بطريقة علمية تحقيقية (تروي غليل الأذهان والطبائع العقلانية لعهد الثورة العقلية التي كان قد أظلّ زمانها) وإلى الكتابةِ في خصائص النظام الاجتماعي في الإسلام وطبيعته، وأهدافه وغاياته ونطاق عمله، وعن «الخلافة» (الهيئة الإدارية العالمية الدائمة، الصريحة المنصوصة لهذا النظام) بهذا البسط والتفصيل، والأدلة من العقل والنقل، وشواهد التاريخ، وفوق كل ذلك في ضوء الكتاب والسُّنَّة النبوية الواضحة، وتفضحُ الضلالات والظنون الخاطئة التي ظهرت في هذا الصدد منذُ زمنٍ قديمٍ، والتي نشأت بناءً عليها فرقة جديدة[٢]، كانت قد أحدثت لسيطرة العناصر الإيرانية في عهد الإمام الدهلوي نفسه ـ بصفة خاصة ـ من

(١) التعليق الممجّد: (ص٢٥)، طبع المطبع اليوسفي.
(٢) المراد بها: الفرقة الإمامية الشيعية.

الاضطراب الفكري والبلبلة العقلية ما تخطّى حدودَ المعتقدات والأعمال، إلى نظام الحكومة وسُلطة المسلمين العليا في الهند، وجعلت مستقبل المسلمين في الهند في خطر تحوم حوله الشكوك والشبهات.

● إنّ شأنَ هذه الفِرقة (في نظر أولئك الذين يعرفون تاريخ مذهبها ومعتقداتها الأساسية وفهمها وتصوّرها للدين، والذين درسوا كتبها المعتبرة ومصادرها المعتمدة لدى أهلها دراسة مباشرة) ليس شأن خلافٍ في الاجتهاد والقياس، أو فرقة جانبية لا تخرجُ عن نطاق الشريعة الإسلامية، بل إنَّها تحمِلُ إزاء التصوّر الصحيح للدين الذي ينبني أساسه على الكتاب والسُّنَّة، وعظمة مكانة النبوة، وعقيدة ختم النبوة، تفكيراً مستقلّاً، وتصوُّراً دينياً مقابلاً، ويمكِنُ أن يقدّر ذلك ـ إلى حدٍّ ما ـ من عقيدة «الإمامة» لدى الفرقة الاثني عشريّة، التي تعتقدُ أنَّ الإمامةَ نظير النبوة، بل تفضلُها وتفوقُها في جوانب كثيرة[١].

● يقول الإمام الدهلوي وهو يبيّن الغرض الأساس من هذا الكتاب وغايته الأولى:

«يقول الفقيرُ ولي الله ـ عفا الله عنه ـ إنَّ بدعة التشيع راجت في هذا العهد وانتشرت، وتأثَّرت طبائعُ العامة بشبهاتهم التي أوردوها،

(١) وقع لدينا أخيراً كتاب «الحكومة الإسلامية» لقائد الثورة الإيرانية روح الله الخميني، الذي يعرف بآية الله العظمى الإمام الخميني، فقد جاء فيه في (ص٥٢) بعنوان «الولاية التكوينية» بعد التصريح بأنّ الأئمة يملكون الخلافة التكوينية، وتخضع لحكمهم وسلطتهم جميعُ ذرّات هذا الكون، ما يلي:
«وإنّ من ضرورياتِ مذهبنا أنَّ لأئمتنا مقاماً لا يقربه مَلَكٌ مقرّبٌ، ولا نبيٌّ مرسَلٌ، وبموجب ما لدينا من الروايات والأحاديث، فإنَّ الرسول الأعظم ﷺ والأئمة (ع) كانوا قبل هذا العالم أنواراً، فجعلهم الله بعرشه محدقين، وجعلَ لهم من المنزلة والزلفى ما لا يعلمه إلا الله». («الحكومة الإسلامية» طبع كتبخانه بزرك إسلامي ـ إيران).

ونشأت في قلوبِ معظم أهل هذه المنطقة شكوكٌ وشبهاتٌ كثيرةٌ في موضوع ثبوت خلافة الخلفاء الراشدين»[١].

• لم يكن نظرُ الإمام الدهلوي إلى السطح الظاهر من هذه الفتنة التشكيكية المدبّرة، بل كان ينظرُ ـ ببصيرته الثاقبة ـ إلى أعماق تلك المؤامرة الخطيرة التي كانت ترسب في داخله، والتي كانت تظهر نتائجُها البعيدة الخطيرة (مثل خيبة الإسلام وإخفاقه في عهده الأول الزاهر، وأنَّ صحبة النبي ﷺ لم تثمر ولم تفعل فعلها في تكوين مجتمع صالح فاضل يوثق به.

• ومن نتائج هذا النوع من التفكير والاعتقاد الطبيعية وجودُ عدم الثقة بصيانة القرآن الكريم، وبقائه على أصالته وصحّته، عن طريق الصحابة الذين شهدوا نزوله، وتلقَّوه عن النبي المعصوم ﷺ مباشرةً، وذلك في خير القرون، وكذلك الاضطراب في صحة الأحاديث ونقل السُّنَّة النبويّة، وجميع الأمور التي اتفق عليها المسلمون).

• ولذلك يقول الإمام الدهلوي: «كلُّ مَنْ يحاوِلُ هدم هذا الأصل (ثبوت الخلافة الراشدة وصحّتها) وينكِرُ هذا الأصل الأصيل من الدين إنّما يحاول هدمَ جميعِ الشُّعَبِ الدينية»[٢].

ويزيد قائلاً: «إنّ الخلفاء الراشدين هم الواسطةُ بين رسول الله ﷺ وبين أمته في أخذِ القرآن الكريم وتلقّيه»[٣].

• ثم يدرِجُ الإمام الدهلوي في هذه الدائرة تلكَ الشُّعب والعلوم التي حصلت ثروتها للأمَّة عن طريق الخلفاء الراشدين؛ كعلم الحديث،

---

(١) «إزالة الخفاء» (١/ ٧٧).
(٢) «إزالة الخفاء» (١/ ٧٨).
(٣) المصدر السابق: (٢/ ٤).

وعلم الفقه، والإجماع على المسائل المجتهد فيها، والقضاء على اختلاف الأمة، وعلم الإحسان (الذي سمِّيَ ـ أخيراً ـ بعلم السلوك)، وتوضيح الفرق بين مراتب علوم الحكمة والأخلاق الفاضلة والأخلاق المذمومة، وتدبير المنزل، وسياسة المدنية، كلُّ هذه العلوم والفنون والشعب الدينية انتقلت إلى الأمة عن طريق الخلفاء الراشدين، وبتعليمهم ومنهج عملهم، وتدينُ لها الأممُ كلُّها في ذلك»[١].

• ولذلك كان من المناسب ـ جداً ـ أن يشرحَ ـ بعد تأليف «حجة الله البالغة» الذي هو تفسير علمي ونظري للإسلام ـ كيف طبِّقت هذه الأصول والتعاليمُ الإسلامية بعد عهد النبوة ـ مباشرة ـ في عالم الواقع بنجاح منقطع النظير، وكيف ظهرت في صورة عملية، وطبِّقت على الحياة بطريقة رائعة، وما هي الآثار التي عادت بها على المجتمع البشري، وكيف قضت على مدنيَّتين عتيقتين جبَّارتين تملِكان أزمّة السُّلطة والسَّيطرة حتى اقتسَمتا العالم الْمُتمدِّن كُلَّه، ويرجع تاريخُها إلى قرون عريقة في القِدم، وكانتا تزدهران وتتقدَّمان تحت ظلّ الحكومات (الساسانية والرومية) وفي قيادتها، وتؤثِّران على الحياة الإنسانية وتطبعانها بطابعها، كيف انتهى دورُهما، وذهبتا أدراج الرياح؟![٢].

۞ مؤلَّفات قديمة أخرى في الموضوع:

• لم نعثر في مجموعة الكتب القديمة في موضوع النظام الاجتماعي والسلطة الحاكمة ودائرة نفوذها وعملها إلا على كتب معدودة (بغضِّ النظر عن درجتها وكيفيتها، بل في عددها وكمِّيتها كذلك)، ويحتلُّ

---

(١) انظر للتفصيل: «إزالة الخفاء» (٢/ ٦).

(٢) انظر للتفصيل: «إزالة الخفاء» (٢/ ٥٤) عنوان «تحطيم الدولة الساسانية» (٢/ ٥٩ ـ ٦٣) عنوان «تحطيم الدولة الرومية».

كتابُ الإمام أبي يوسف (١١٣ ـ ١٨٢هـ) تلميذ الإمام الأعظم أبي حنيفة (ت١٥٠هـ) وقاضي القضاة في الخلافة العباسية المعروف بـ«كتاب الخراج»[١] مكانةً أوَّليَّة وأساسيَّة في هذا الموضوع، إلّا أنّ نطاق البحث فيه لا يخرجُ عن وسائل الدخل للدولة الإسلامية وماليتها ونظام المحاصيل والخراج فيها.

• وأول كتاب بسيط يجدرُ بالذكر في هذا الموضوع هو كتاب «الأحكام السلطانية والولايات الدينية» لقاضي القضاة العلّامة أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي (٣٦٤ ـ ٤٥٠هـ)، وقد جاء في ٢٥٩ صفحة من القطع المتوسِّط، ويدورُ الكتابُ حول موضوع الإمامة، وحكمها الشرعي وشروطها وكيفية انعقادها، والمناصب التي تولّى تفويضها، وتعيين المسؤولين عليها، وواجبات الإمام ومسؤولياته، وأحكام تعيين القضاة والأئمة، وولاية الصدقات، والجزية والخراج، وغير ذلك من الأحكام، وكذلك إقامة الحدود، والحسبة وغيرها، ولم يرد فيه أيُّ بحثٍ في ثبوت خلافة الخلفاء الراشدين وصحتها ومآثرهم ومناقبهم ومكانتهم في الدين.

• ومن أضخم الكتب في هذا الموضوع «الغياثي» واسمه الكامل «غياثُ الأمم في التياثِ الظلم»[٢]، وهو تأليف شيخ الإمام الغزالي المعروف، وأستاذ الأساتذة في عصره إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك الجويني (٤١٩ ـ ٤٧٨هـ)، وقد ألّف هذا الكتاب بإشارة من

---

(١) وقد طبع مؤخراً بتحقيق الدكتور إحسان عباس، وصدر عن دار الشروق بمصر.

(٢) طُبع هذا الكتاب بتحقيق: الدكتور عبد العظيم الديب، وبعناية: الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري على نفقة الشؤون الدينية لحكومة قطر عام ١٤٠٠هـ، ويشتمل الكتاب على ٦١١ صفحة من القطع الكبير.

وزير الدولة السلجوقية الفاضل المعروف نظام الملك الطوسي (٤٠٨ ـ ٤٨٥هـ) (مؤسس المدرسة النظامية ببغداد ونيسابور) لمطالعته ومراجعته، وقد كان هو في الحقيقة وزيرَ الملك ألب أرسلان، وملك شاه السلجوقي ومعتمده، ولكنّه كان في الوقت نفسه رجلَ هذه الدولة العظيمة بل الإمبراطورية الكبيرة الوحيد، وشخصيتها المركزية[١].

وهذا الكتاب يدورُ حول الأحكام الشرعية للإمامة وصفاتها وواجباتها، فقد ذكر في القسم الأول منه صفات الأئمة والولاة والقضاة، كما جاء فيه البحث في أنه إذا لم يوجد للمسلمين إمامٌ فماذا يجب عليهم عند ذاك؟

كما ذكر فيه صفات المفتين والأمراء وفضلهم، وما هي الواجبات العائدة على الأمة عند غيبتهم؟ وماذا يجب على المسلمين إذا تسلّط عليهم حاكمٌ فاقد الأهلية بالسيف والقوة؟ وإذا خلا عصرٌ من العصور من أصحاب الإفتاء فكيف تعمل الأمة وما هي مسؤوليتها؟ وما هي الأسباب التي توجب خلع الإمام وعزله؟

ثم جاء في تفصيل ذكر الأحكام الفقهية التي يفرض على الأمة معرفتها والعمل بها عند فقدان المفتين.

ومن هنا يتحوّل الكتابُ إلى كتاب في الفقه الشافعي، وليس في الكتاب أيُّ مبحث في موضوع ثبوت خلافة الخلفاء الراشدين وأهميتها، إذ إنّ الكتاب يعالِجُ ـ في الحقيقة ـ موضوعَ الأحكام الشرعية للإمامة وصفاتها وواجباتها، وتردُ في الكتاب في مواضع كثيرة تعريضات بكتاب «الأحكام السلطانية» للماوردي وانتقاداتٌ على مؤلفه.

• والكتاب الثالث الجدير بالذكر في هذا الموضوع هو «**السياسة**

---

(١) انظر لترجمته: «وفيات الأعيان»، لابن خلكان، و«طبقات الشافعية».

الشرعية في إصلاح الراعي والرعية» لشيخ الإسلام ابن تيمية (٦٦١ ـ ٧٢٨هـ)، وقد صرَّح المؤلف العلَّامة في مقدّمة كتابه هذا بأنّه رسالةٌ مختصرةٌ اشتملت على أصول السياسة الإلٰهية والنيابة وأحكامها التي لا يستغني عنها الراعي ولا الرعية.

والكتابُ ـ في الأصل ـ تفسيرٌ وتفصيلٌ للآية الكريمة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾ ـ إلى قوله تعالى: ـ ﴿...ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ۝٥٩﴾ [النساء: ٥٨، ٥٩].

فعنوان **الباب الأول** من **القسم الأول**: «الولايات»، وعنوان **الباب الثاني** «الأموال»، وجاء البحث في **القسم الثاني** أولاً عن حدود الله تعالى وحقوقه، ثم حقوق العباد، واشتمل الكتاب على ١٦٨ صفحة من القطع المتوسط(١).

ولم يتعرَّض المؤلِّف في هذا الكتاب للمباحث التاريخية والأصولية والكلامية المتعلّقة بالخلافة الراشدة، والخلفاء الراشدين، التي يحتلّ فيها مؤلِّف الكتاب الجليل مكانة الثقة والإمامة والاجتهاد، ولو اعتنى بهذه الناحية لكانت زيادةً قيّمةً في المكتبة الإسلامية العلمية والبحوث الموضوعية، ولكنّه كتب بقلمه السيَّال وعلمه الزاخر في هذا الموضوع على صفات «منهاج السُّنَّة» الذي يتجلَّى فيه نموذجُ بحره العلمي الزاخر، وجولان قلمه القوي السلسال(٢).

❁ مكانة الخلافة ومنزلتها في الإسلام:

● يتجلَّى في القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية المشرفة تصوّر اعتناق

---

(١) بين أيدينا طبعة رابعة للكتاب صدرت من دار الكتاب العربي بمصر عام ١٩٦٩م.
(٢) راجع: «رجال الفكر والدعوة في الإسلام» (ج٢).

الدعوة الإسلامية والدين الحنيف والمؤمنين به في صورة جماعة منظَّمة متضامنة متراصَّة. وكلمات «الأمة» و«الملّة» و«الجماعة» التي استخدمت لهم كلّها تدلّ على هذه الحقيقة دلالةً واضحةً، ويعرف أصحاب العلم والبصيرة أنّ هذه الكلمات المستخدمة في لغة الكتاب والسُّنَّة، واصطلاحهما، لم تستخدم ـ إطلاقاً ـ لمحض التصوّر السطحي للكثرة العددية والتجمّع البشري العام الذي لا يملك أي وزن أو تأثير في تاريخ الأديان والملل ولا في مقادير الشعوب والحضارات.

• بل لقد زخر القرآن الكريم كلُّه في صدد بيان وقائع الأمم السابقة حيناً، وفي التعرّض لبيان أسباب القوة والضعف والهزيمة والغلبة حيناً آخر بعدم تأثير الكثرة العددية، وخفّة الجموع البشرية، وفقدانها لأيِّ وزن واعتبار، وغلبة الشر والفساد رغم وجود الأفراد الصالحين الأخيار، وشقاء الإنسانية وبؤسها وضعف الحق وخذلانه، كلُّ ذلك ممّا يؤكِّد على أنّ الأفراد المتفرِّقين ـ مهما كان عددهم ـ لا يحملون في ميزان العقل والعدالة أهمية كبيرة وفائدة مرجوّة عامة.

• إنّ الأهداف التي يرمي إليها الإسلام تشتمل على إصلاح العلاقة بين العبد والمعبود وتنظيمها وتقويتها، ثم توسيع نطاقها وتعميمها، ومحاولة سبك الحياة الإنسانية في قالبها، وتصحيح العلاقات وتطبيقها بين أفراد الجماعة وأعضائها، وتهيئة الجوّ والمناخ الصالح لحياة آمنة وادعة مطمئنة، مهذّبة جميلة زاهية، تتوفّر فيها الفرص الكاملة لأداء حقوق العباد وربّ العباد، والبلوغ إلى غايات الكمال ومدارج الرقي والفضل التي أودعت صلاحيتها في فطرة الإنسان.

• لقد حاول الإسلام ألا تضيع العبقرية البشرية وقوتها العلمية في مقاومة تلك الأخطار، والتوقِّي من تلك الخسائر والأضرار، وإزالة تلك

المفاسد والأمراض التي تنجم ـ تارةً ـ نتيجة الحياة الممزَّقة غير المنظمة ومن القوانين الوضعية تارةً أخرى، ولا بدّ لذلك من خلافة وإمارة تنبني على الاعتقاد بقانون نازل من السماء وشريعة ربانية، وحاكمية الإلٰه الواحد وألوهيته وربوبيته.

• أمّا **الشريعة الإلٰهية** فإنّه يلزمُ الاعتقادُ فيها بأنها منزلةٌ من الله العليم الحكيم، وأنّها بريئةٌ من الأخطار والمصالح الشخصية والأغراض، وأنها فوق العصبيات، والمحسوبيات، والعلاقات.

وأمّا **الخلافة والإمارة**، فإنّه يجب عليها أن تكون ترجماناً صالحاً، وممثلةً صادقةً للشريعة الربانية، بعيدة ـ إلى حدِّ المستطاع البشري والإرادة الإنسانية ـ عن التمييز والعصبية بغير حق، بريئة عن عدم المساواة بين الناس، والمحاباة والمداهنة في الدين.

• وقد أصدر الشارع عليه الصلاة والسلام لتكميل هذه الأهداف وتحقيقها وظهور نتائجها وثمارها ـ من أول الأمر ـ تعاليمَ وإرشاداتٍ يضطرّ المسلمون ـ بناءً عليها ـ أن يكوّنوا جماعةً منظمةً مترابطةً تخضع لأحكام ولي الأمر وإدارته، الذي يمتاز عنهم ـ بصفة عامة ـ بكثير من الخصائص، ويحافظ على مصالحهم ومنافعهم وحاجاتهم، وقد اختارُوه في ضوء أصول الشريعة السَّمْحةِ الْمَرِنَة العادلة، فإذا كان ذلك الإنسان يتولّى «الإمامة الكبرى»، فإنّه يدعى بـ: «خليفة المسلمين»، و«أمير المؤمنين»، أو «الإمام». أمّا إذا كان نائباً عنه، أو مرشَّحاً منه، أو اختاره المسلمون لتنفيذ أحكام الشريعة وفصلِ الخصومات وتنظيمِ الحياة الدينية الاجتماعية ـ بشكل جزئي محلي ـ فهو «الأمير».

لقد كان اختيار الخليفة وترشيحه من تلك الواجبات الأساسية على المسلمين، أن قُدِّمَ أكبرُ المحبين للرسول ﷺ وصاحبُه الصادقُ الوفيُّ

المستميتُ دونه، سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وتولى الصحابة الكرام الذين كانوا يفدونه ﷺ بالمُهَجِ والأرواح، ويفضّلونه على الأنفس والأبناء والآباء ـ رضي الله عنهم وأرضاهم ـ مع أهل البيت الطيِّبين الأطهار ـ فَصْلَ هذه القضية، وترشيحَ خليفة المسلمين، وتعيينَهُ على دفن الجسد الطاهر ﷺ، ولا يزال هذا ـ تقريباً ـ دينَ المسلمين وطريقَهم عند وفاة أي خليفةٍ، واختيارِ خليفة آخر.

• وبقي العالم الإسلامي بدون خليفةٍ أيّام غيابِ الخليفة المسترشد بالله، ووقوعه في الأسر، حيث اعتقله السلطان مسعود السلجوقي في العاشر من رمضان عام (٥٢٩هـ) وذلك لمدة قليلة لا تتجاوز ثلاثة أشهر وسبع ليال، وقد كان هذا حادثاً أليماً، وتجربةً جديدةً قاسيةً، غَشّى بسببها على العالم الإسلامي السوادُ، وعلاه الحزنُ والكآبةُ، وقامت لها بغدادُ وقعدت، وفي تعبير المؤرِّخ ابن كثير:

«انزعج الناسُ لذلك، وزُلزلوا زلزالاً شديداً صورةً ومعنًى، وجاءت العامةُ إلى المنابر فكسروها، وامتنعوا من حضور الجماعات، وخرج النساءُ في البلد حاسرات، ينُحْنَ على الخليفة، وما جرى عليه من الأسر، وتأسّى بأهلِ بغداد في ذلك خلقٌ كثيرٌ من أهل البلاد، وتمَّت فتنةٌ كبيرةٌ، وانتشرت في الأقاليم، واستمرّ الحال على ذلك شهر ذي القعدة، والشناعةُ في الأقاليم منتشرةٌ، فكتب الملك سنجر إلى ابن أخيه يُحذِّره غِبَّ ذلك وعاقبة ما وقع فيه من الأمر العظيم، ويأمره أن يُعيدَ الخليفة إلى مكانه ودار خلافته، فامتثلَ الملك مسعود ذلك»[١].

• ولم يحرم العالم الإسلامي من يوم اختيار سيِّدنا أبي بكر

(١) «البداية والنهاية»، لابن كثير (١٢/٢٠٨).

الصديق رضي الله عنه خليفةً للمسلمين عام (١١هـ) إلى عهد الخليفة المستعصم بالله العباسي (ت٦٥٦هـ) من الخليفة المسلم.

• وإنَّ القصيدة المأساوية الحزينة المفطِّرة للقلوب والأكباد التي قالها الشيخ سعدي ـ الذي كان بعيداً عن مركز الخلافة في شيراز ـ على حادثِ شهادةِ الخليفة المستعصم بالله، التي يقول في مطلعها ما ترجمته بالعربية:

«لقد حُقَّ للسّماءِ أن تُمْطِرَ على الأرضِ الدماءَ على سُقوط المستعصم أميرِ المؤمنين».

تُصرِّح بنظرة المسلمين إلى الخليفة والخلافة، ما هو تصوُّرهم لها، وما هي عواطفُهم التي لا يملكون حبسها وكَبْتَها على حرمان العالم الإسلامي منها؟.

❁ التعريف الجامع المانع للخلافة:

• لقد **عرَّف الإمام الدِّهلوي** ـ الذي كان يملك بصيرةً نافذةً، ودراسةً عميقة واسعةً للكتاب، والسُّنَّة، والفقه، والعقائد، والكلام، والسيرة، والتاريخ، وكان عارفاً بأسرار الشريعة وحقائقها ـ **الخلافة تعريفاً جامعاً مانعاً** يصعب أن يعرَّف بأفضل وأدقّ منه، وإنّ كلَّ لفظة من ألفاظ هذا التعريف تحمِلُ في طيّاتها سِجِلّاً من المعاني والحقائق والأمثلة، يقول:

«الخلافة هي الرئاسة العامّة في التصدّي لإقامة الدين بإحياء العلوم الدينية، وإقامة أركان الإسلام، والقيام بالجهاد، وما يتعلّق به من ترتيب الجيوش، والفرض للمقاتلة، وإعطائهم من الفيء، والقيام بالقضاء، وإقامة الحدود، ورفعِ المظالم، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، نيابةً عن النبي ﷺ»[1].

(١) «إزالة الخفاء» (١/ ٨٣).

• ثم يقول مبيِّناً معنى «إقامة الدين» وزيادةَ إيضاحٍ له:

«عندما ننظرُ إلى الأمورِ نظرةَ استقراءٍ، وننتقلُ من الجزئياتِ إلى الكليات، ومن الكليات إلى الكلية الواحدة الشاملة للجميع، نصل إلى نتيجةٍ أنَّ الجنس الأعلى لهذه الأمور من الجزئيات المتشتِّتة والكليات المنتشرة الكثيرة (وكأنها كلِّيةُ الكليات) هي تلك الحقيقة (الكلية الجامعة) التي عنوانها «إقامة الدين»، والتي تندرج تحتها أنواعٌ أخرى، منها: إحياء العلوم الدينية التي تشتمل على تعليم الكتاب والسُّنَّة، والتذكير، والموعظة، يقول الله تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾ [الجمعة][1].

الاستدلال بالقرآن الكريم على خلافة الخلفاء الراشدين:

• إنَّ أروعَ ما يحتوي عليه هذا الكتاب، وأشوقَهُ لمتذوِّقين مَعانِيَ القرآن الكريم، هو ما استدلَّ له الإمام الدهلوي على انعقاد خلافة الخلفاء الراشدين، وأنّهم أصحابُ الخلافة الراشدة الحقَّة، وأنّه تحقَّق بهم الأمرُ التكويني الرباني والمشيئة الإلـٰهية، بآياتٍ كريمات من القرآن الحكيم، ولفت الأنظارَ إلى تلك الإشارات، بل التصريحات في الآيات البيِّنات، التي تثبت بداهة ـ بل في صورة نتائج رياضية قطعية في بعض المواضع ـ أنّ هذه الآيات لا تَصْدُقُ ولا تَنْطَبِقُ إلا عليهم، ولا يمكن أن يراد بها غيرهم، وأنَّ هذه النبوءات الواردة في الآيات لا ترجِعُ إلى غير أشخاصهم، وأنَّ الوعودَ التي انطوت عليها تلك الآيات لم تتحقّق في عهدٍ غيرِ عهد خلافتهم، فلو سحبنا ـ من الوسط ـ شخصياتهم وعهودَهم

---

(١) المصدر السابق (١/ ٨٣ و ٨٤).

لظلَّت هذه الأوصاف بدون ما تصدق عليه، ولباتت هذه الوعودُ تنتظِرُ التحقُّقَ والوقوع.

• نختارَ من بين الآيات التي أوردها الإمام الدهلوي آيتين اثنتين كنموذج، منها آية من سورة النور، يقول الربّ ﷻ:

• ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

يقول الإمام الدهلوي: إنّ هذا الوعدَ (بالاستخلاف في الأرض وتمكين الدين والأمن بعد الخوف) إنّما كان مع أولئك الذين كانوا موجودين وقتَ نزول سورة النور، وقد تشرَّفوا بالإسلام، وبصحبة النبيِّ عليه الصلاة والسلام، وشاركوا في تأييد الدين الحنيف ونصره.

يقول الإمام الدهلوي ـ بصراحة ووضوح ـ: إنّ هذا الوعدَ لم يكن مع سيدنا معاوية رضي الله عنه، ولا مع بني أمية وبني العباس الذين لم يكونوا ـ حين ذاك ـ قد دخلوا في الإسلام، ولا كانوا موجودين في المدينة المنورة.

ثم يقول: إنّه ليس من الممكن، ولا من المعقول أن تُولَّى جماعةُ المسلمين كلُّها الخلافةَ في الأرض، ويتبوّؤون كلُّهم في وقت واحد منصب الخلافة، فلا يمكن أن يراد بذلك إلا بعض الأفراد المعدودين.

يقول:

﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾؛ أي: ليستخلفنَّ جمعاً منهم، والطاعةُ والانقيادُ من لوازم ذلك، ثم عند ما يتحقّقُ هذا الوعد يظهر الدين كله، وتحصل له السلطة والسيطرة الكاملة، وليس كما يقول الاثنا عشريون: إنّ الدين المرضيَّ عند الله يبقى ـ دوماً ـ مستتراً مخفياً، ولذلك اتخذ أئمةُ أهل

البيت التقيةَ شعارَهم، ولم يقدَّرْ لهم أن يعلنوا دينَهم ويظهروه جهاراً وعلانية.

﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ أفادت هذه الآية: أن ذلك الدين الذي لا يُقْدَرُ على إظهاره في زمن هذه الخلافة الموعودة؛ ليس ديناً مرضياً مختاراً عند الله تعالى[1]، كذلك يقول الله تعالى:

﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾؛ أي: إنّ الله تعالى يخلق في عهد هذه الخلافة (الموعودة) جوّاً من الأمن والطمأنينة والسلام بدلاً من جَوِّ الخوف والفزع، ويثبت ذلك أنّ هؤلاء المستخلفين وسائر المسلمين يعيشون وقت تحقق هذا الوعد في أمن وسلام، لا يرهبهم الكفار ذوو الدياناتِ المختلفة، ولا تُخيفهم جماعةٌ أو قوة.

وبالعكس من ذلك يقول الإماميون: إن أئمة أهل البيت ما زالوا في خوف ومطاردة وفزع، وأنهم استخدموا «التقية» وأنهم واجهتهم ـ دائماً ـ من قبل المسلمين أنفسهم محنٌ وبلايا، وعانوا من الذلة والإهانة، ولم يعيشوا يوماً مؤيدين منصورين[2].

وقد تحقق وعد الاستخلاف والتمكين في الأرض على أيدي هؤلاء المهاجرين الأولين والحاضرين وقت نزول آية الاستخلاف، فإذا لم يكن هؤلاء خلفاء، فقد بقي هذا الوعد غير محقق، ولن يتحقق إلى قيام الساعة ـ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ـ[3].

• والآية الثانية هي آية سورة [الفتح: ١٦]، يقول تعالى: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟

(١) «إزالة الخفاء» (١/ ١٣٧).
(٢) المصدر السابق (١/ ١٣٨).
(٣) «إزالة الخفاء» (١/ ١٤٨).

يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾﴾.

وقد بحث الإمام الدهلوي في هذه الآية بحثاً مفصَّلاً، وخلاصتُه: أنّ نبيَّ الله ﷺ خرج عام (٦هـ) مع جماعة كبيرة من أصحابه ـ بناءً على رؤيا رآها ـ إلى مكة المكرمة، قاصدين أداء العمرة، وقد خرج معه ﷺ عددٌ كبيرٌ من أصحابه لخُطورة الحادث، وظروف مكة المكرمة، وخطر قيام قريش بالمعارضة والمعاداة، ولكن لم يخرج معه الأعراب (سكان البوادي) لخوفهم ونفاقهم، وقد وقع في الحديبية ذلك الحادث التاريخي لفسخ الإحرام، ومعاهدة الصلح مع قريش الذي ذكر في كتب السيرة والحديثِ بتفصيلٍ، ووقعت هناكُ بيعة الرضوان التي أعلن الله تعالى للمشاركين فيها بنعمة رضاه، وبشَّرهم بالفتح القريب.

ثم أعلن في سورة الفتح هذه أنّ الأعراب ـ الذين لم يكونوا حاضرين وقت صلح الحديبية، والذين انصرفوا عن الزمالة والمشاركة في هذه المهمة العسيرة الخطيرة ـ لا يصحبون ولا يشاركون في هذا الفتح القريب (فتح خيبر) (الذي وقع في شهر محرم الحرام عام ٧هـ)، يقول الله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾﴾ [الفتح].

ثم قيل بعد ذلك لهؤلاء المخلّفين: إنّه لا يؤذن لكم بالمشاركة في الفتح القريب (فتح خيبر) والاستمتاع بمغانمه، ولكنّكم ستدعون إلى حرب مع أناس أولي بأس شديد، من صفاتهم أنّهم أصحاب قوة وشجاعة وبأس، ومن خصائصهم أنّهم إمّا أن يقاتلوا أو يدخلوا في الإسلام، وليس هناك حلٌّ وسط (كالجزية مثلاً)، وأنّ هذه الدعوة والنداء إلى هذه الحرب والقتال يكونُ لها من الحب والقبول عند الله تعالى، وأن

الداعي إليها يكون له من الوزن والاعتبار، ويكون له من وجوب طاعته على الناس أنّكم إذا قبلتم دعوته وأطعتموه يؤتكم الله أجراً حسناً، وإن تولّيتم وانصرفتم كما تولّيتم من قبل، يعذّبكم الله عذاباً أليماً، يقول الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾﴾ [الفتح].

يقول الإمام الدهلوي: «يثبتُ من قوله تعالى: ﴿سَتُدْعَوْنَ﴾ بالاقتضاء أنّه يكون في المستقبل داعٍ يوجّه الدعوة للأعراب (سكان البادية، الذين لم يخرجوا مع الجيوش الإسلامية بمناسبة صلح الحديبية) إلى حربٍ مع قومٍ ليس لها إلا صورتان اثنتان: إمّا القتال أو الإسلام، «ولا يصدقُ ذلك إلّا على المرتدين من قبائل العرب، الذين لم يكن يحل أخذ الجزية منهم، فهم إمّا أن يقاتلوا فيقتلوا في الحرب، أو يسلموا ويعودوا إلى حظيرة الدين».

ولم يتحقق هذا إلا في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، الذي قاتل المرتدين من العرب، وكان حكمُهم الشرعي ذلك لا غير، وليس من الممكن أن يراد به الروم ولا الفرس الذين كانت لهم ثلاث صور، إما القتال أو الجزية أو الإسلام، وتثبت بذلك ـ بداهةً ـ خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه؛ الذي بعث جيوشَه تحت قيادة سيف الله خالد بن الوليد رضي الله عنه، لمقاتلة هؤلاء المرتدين، ووجَّه الدعوةَ إلى الأعراب.

ثم إنَّ الوعدَ بالأجر الحسن على قبول هذه الدعوة، والوعيدَ بالعذاب الأليم على الإعراض عنها، ليس إلّا حقّ الخليفة الراشد، ومنصبه ومكانته[1].

(١) انظر للتفصيل: «إزالة الخفاء» (١/ ١٩٥)، وقد جاء تأييدُ هذا الاستدلال في تفسير =

❁ محتوياتٌ قيِّمةٌ أخرى في الكتاب:

• ويشتمل هذا الكتابُ ـ علاوةً على الأدلة والبراهين وعلى إثبات خلافة الخلفاء الراشدين، وذكر مناقبهم ومآثرهم، وإنجازات عهودهم، ومجموعة قيِّمة صالحة من كلماتهم وتوجيهاتهم ـ على فوائدَ غاليةٍ وتحقيقاتٍ نادرةٍ، ونكاتٍ لطيفةٍ، وموادَّ قيمة، لا تتوفّر في كتب العقائد وعلم الكلام بصفة عامّة، ولا في كتب التاريخ والسير، منها تحديد القرون الثلاثة[1]، وبيانُ الفَرْقِ بين الخلافة والملك، وتفاصيلها[2]، وشرح الملك العضوض، والتصريح بأنّ دولة بني أمية وسلطتهم المطلقة لم تكن خلافةً، وهو وإنْ كان يرى أنَّ الخلافةَ الراشدةَ انقضت مع سيدنا عليٍّ رضي الله عنه، لكنّه يتجنّب الطّعن والوقيعة وإساءة الظن بسيدنا معاوية رضي الله عنه وينصح به، بناء على ما ورد في فضله ومناقبه من أحاديث وآثار[3].

أما خلفاء بني أمية بعده فيقول في حقهم ـ بكل صراحة ـ: «لَمَّا تسلَّط عبدُ الملك (بن مروان) على الحكومة زالتِ الفوضى والاضطراب، وظهرت أمورُ الخلافة الجائرة ـ التي بيّنها الرسول ﷺ في أحاديث متعددة ـ على مسرحِ الوجود[4]».

= العلّامة شهاب الدين محمود الآلوسي (.... م = ١٢٧٠هـ) المعروف بـ«روح المعاني»، يقول الآلوسي: «المراد بالمغانم: مغانم خيبر، كما عليه عامة المفسّرين ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [الفتح: ١٦]، وهم على ما أخرجَ ابنُ المنذر والطبراني عن الزهري: بنو حنيفة، ومسيلمة، وقومه أهل اليمامة، وعن رافع بن خديج: إنّا كنّا نقرأ هذه الآية فيما مضى ولا نعلم مَنْ هم، حتى دعا أبو بكر رضي الله عنه إلى قتال بني حنيفة، فعلمنا أنهم أريدوا بها، وشاع الاستدلال بالآية على صحّةِ إمامةِ أبي بكر رضي الله عنه: «روح المعاني» (ص١٠١ ـ ١٠٤).

(١) «إزالة الخفاء» (١/ ١٢١ ـ ١٢٢).
(٢) المصدر السابق (١/ ١٢٦).
(٣) المصدر السابق (١/ ١٤٦).
(٤) «إزالة الخفاء» (١/ ١٤٣)، ويقول المؤلف عن يزيد بكل صراحة: «دعاة الضلال يزيد =

● ومن خصائص هذا الكتاب احتواؤه على مادّة زاخرة في المنهج الفقهي لسيدنا عمر الفاروق ﵁، ولفتاواه وأحكامه وأقضيته، وقد تكوَّن منها ظهورُ «فقه الفاروق ﵁»[(١)].

● ولعلّ هذه الخطوة نحو عرض «فقه الفاروق ﵁» بصورة متميّزة فريدة، وجمع اجتهاداته وأَقيِسَته وفتاواه؛ كانت الخطوةَ المباركةُ الأولى التي أنجزها الإمام الدهلوي مع أولياته وسوابقه العديدة، ولم يُؤلَّف ـ إلى الآن ـ في هذا الموضوع أيُّ كتاب مستقلٍّ جامع، إلا أنّ الدكتور محمد روَّاس قلعه جي رتّب كتاباً ضخماً كبيراً باسم «موسوعة [فقه] عمر بن الخطاب [عصره وحياته] ﵁»، قامت بنشرها مكتبة الفلاح بالكويت ويشتمل الكتاب على ٦٨٧ صفحة من القطع الكبير[(٢)].

● ومع إثبات خلافة الخلفاء الراشدين رضي الله تعالى عنهم أجمعين، وذكر فضلهم ومناقبهم ومآثرهم وخدماتهم العظيمة بإسهاب وتفصيل يتجلَّى فيه تذوُّق الإمام الدهلوي للموضوع، وحماسه واندفاعه نحو الإشادة بجليل أثرهم، والذي كان تلبيةً لحاجة ماسَّة كانت من مقتضيات عصره، ومن العوامل والدوافع القوية إلى تأليف هذا الكتاب.

● لم يتحفَّظ الإمام الدهلوي في ذكر مناقب سيدنا علي بن أبي طالب وجلائل أعماله ومآثره، ولم يضنَّ في ذلك بشيء، بل ذكر سيدنا عليَّ بن أبي طالب ﵁ بكلِّ حبٍّ وإجلالٍ، واعترافٍ بحقوقه ومكانته

= بالشام، والمختار الثقفي بالعراق». «حجة الله البالغة» (٢/ ٢١٣)، وكذلك وصفه في بحث المناقب بقوله: «كان منافقاً أو فاسقاً» (ص٢١٥).

(١) راجع: «إزالة الخفاء» (٢/ ٨٥ ـ ١٤٢).

(٢) وقد طبع أخيراً في دار النفائس ببيروت في سلسلة الموسوعة الفقهية عام ١٤٠١هـ = ١٩٨١م.

الجليلة، وعواطف الحبِّ والشوق نحو أهل البيت الكرام، بتفصيلٍ وإفاضةٍ، وقد بدأ مناقب سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ ومآثَره بقوله: «مآثَرَ أمير المؤمنين وإمام الشجعان أسدِ الله الغالب عليِّ بن أبي طالب ﷺ»، كذلك يذكر السيدين الحسن والحسين ﷺ بحبّ وإجلال وإكبار.

• ويعُدُّ في الوقائع الهائلة العظيمة بعد وفاة النبي ﷺ شهادةَ سيدنا عثمان ﷺ في الفتنةَ الأولى التي وقعت في الإسلام[١]، وشهادةَ بضعة الرسول ـ سيدنا الحسين ﷺ ـ في الفتنة الثانية، وأورد حديثاً من «مشكاة المصابيح» برواية البيهقي، يفيد أنّ نسبة سيدنا الحسين ﷺ إلى الرسول ﷺ كنسبة مضغة اللحم إلى الجسم، وأنَّ نبيَّ الله ﷺ قد تنبَّأ باستشهادِ سيدنا الحسين ﷺ على أيدي أفرادٍ من أمته[٢].

• وقد عدَّ من هذه الفتن واقعة الحرَّة العظيمة، التي انتُهكت فيها حرمةُ المدينة المنورة في عهد يزيد، ووقع من القتل والنهب والسلب ما يَندى له الجبينُ، وتعرّضت المدينةُ وأهلُها للامتهان والذّلة وانتهاك الحُرُمات[٣]، وقد انتقد الإمامُ الدهلوي بني أمية في مواضع كثيرة من الكتاب[٤]، وهكذا جاء الكتابُ ميزاناً عادلاً وسَطاً، لا يميل نحو الإفراط ولا التفريط، وهذا هو شعارُ أهل السُّنَّة والجماعة، وموقفهم المتَّزِنُ الصحيح.

❁ الدَّلالة على الفتن والتَّغيُّرات الحادثة بعد وفاة النبي ﷺ:

• إنَّ من أكبر خصائص هذا الكتاب أنّه تتجلَّى فيه صورةٌ بارزةٌ مجسَّدةٌ لتاريخ الإسلام الديني، والتغيُّرات الدينية والعقلية والفكرية التي

---

(١) انظر: «إزالة الخفاء» (١/ ١٥٤).
(٢) المصدر السابق (١/ ١٥٤).
(٣) المصدر السابق (١/ ١٥٤).
(٤) المصدر السابق (١/ ١٥٤ ـ ١٥٥).

طرأتْ عليه، إنّ كتب التاريخ العلمي والسياسي للإسلام كثيرةٌ لا تُحصى، ولكننا لا نعثرُ على كتابٍ يشيرُ إلى معالم التغيرات الخُلقية والعلمية والعقلية في أثناء تسلسل التاريخ المدني والسياسي للإسلام (مهما كانت هذه التغيّراتُ الحادثةُ خفيفةً قليلةً باهتة اللون لا تكشف إلا بمجهر المعرفة الدقيقة للطبيعة الإسلامية)، وكل ما يوجد في عامّة الكتب بهذا الصدد لا يعدو مادة متفرقة منتشرة.

ولم يخترْ أحدٌ من المؤلِّفين هذا الموضوع عنواناً لبحثه المستقل، أما الإمام الدهلوي فإنه يذكر الفتن الحادثة في القرون المشهود لها بالخير، والفتن التي حدثتْ بعده[١]، واختلافَ الأحكام بين خير القرون وشرِّ القرون[٢]، والتَّغيرات الفكرية والمعنوية التي طرأتْ ضمن التغيرات الكلية، والتي وقعت في عهد الرسالة، وبعدَ خير القرون.

• وقد جاءت عناوينُ هذه المباحث **كما يلي**:

ظهورُ الكذب، التقعُّر والمغالاة فيما يتعلق بقراءة القرآن الكريم وتجويده، والاكتفاءُ بقراءة القرآن الكريم وتلاوته، وقلةُ التدبر والتفقُّهِ فيه، والتقعير وشقّ الشعرة في المسائل الفقهية، البحثُ والجدال في المسائل الفرضيّة التي لم تقع أصلاً، تأويلُ متشابهاتِ القرآن وإبعادُ النجعة فيه، توليدُ الأسئلة الطريفة في العقائد والإلٰهيات، إحداث الأوراد والأحزاب بنيّة التقرب إلى الله تعالى التي لا توجد في السُّنَّة المأثورة، الالتزامُ بالمستحبَّات كالالتزام بالواجبات، انقراضُ الشورى الاجتماعية ومراجعةُ العلماء الصالحين في الإفتاء، نشوء فرق جديدة كالقدرية والمرجئة وغيرهما، رفع الثقة المتبادلة بين المسلمين، وعدم أمن بعضهم بعضاً، سيطرةُ أولئك على الدولة الذين لا يتأهلون لها أصلاً، أو هم من

(١) «إزالة الخفاء» (١/ ١٢٢).
(٢) المصدر السابق (١/ ١٣٦).

رجال الدرجة الثانية أو الثالثة، الكسلُ والتواني في إقامة أركان الإسلام[١].

❁ ظهور الكتاب ونشره:

• طُبع هذا الكتاب ـ لأوّل مرة ـ بإشارةٍ من الشيخ جمال الدين خان وزير بوفال، وبعِناية الشيخ محمد أحسن الصديقي عام (١٢٨٦هـ) بالمطبعة الصديقية ببريلي، وكانت عنده ثلاث نسخ من الكتاب، قام بالمقابلة بينها وتصحيحها، نسخة الشيخ جمال الدين ببوفال، ونسخة ثانية للشيخ أحمد حسن الأمروهي، ونسخة ثالثة للشيخ نور الحُسْن، وهناك من القرائن ما يدلّ على أن المؤلّف الإمام لم يُعِدِ النظرَ في الكتاب.

وصدرت الطبعة الثانية للكتاب من أكاديمية سهيل، لاهور، باكستان، عام (١٣٩٦هـ الموافق ١٩٧٦م)، وهي صورةٌ عن الطبعة الأولى[٢].

• ونقل إمام السُّنَّة الشيخ عبد الشكور الفاروقي اللكنوي هذا الكتاب إلى الأردية، ولكنّ هذه الترجمة تنتهي إلى الفصل الخامس، وأسماها بـ«كشف الغطاء عن السُّنَّة البيضاء» ويشتمل ما طبع منها على ٣٣٦ صفحة، وتمّ طبعها في عمدة المطابع بلكنو عام (١٣٢٩هـ).

❁ ❁ ❁

---

(١) «إزالة الخفاء» (١/ ١٣٣).

(٢) وكانت هذه الطبعة بين أيدينا عند كتابة هذا الباب، وقد أحلنا فيه إلى صفحاتها.




ترجمة المؤلف

بقلم: الأستاذ الدكتور فضيلة الشيخ تقي الدين الندوي

حفظه الله ورعاه

الإمام المجدد الشاه ولي الله الدهلوي

(١١١٤ ـ ١١٧٦هـ = ١٦٩٩ ـ ١٧٦٢م)

• هو الشيخ الإمام الهمام، حجة الله بين الأنام، إمام الأئمة، قدوة الأمة، علّامة العلماء، وارث الأنبياء، آخر المجتهدين، أوحد علماء الدين، زعيم المتضلعين بحمل أعباء الشرع المتين، محيي السُّنَّة، وعَظُمَتْ به للهِ علينا المنة، شيخ الإسلام، قطب الدين، أحمد ولي الله بن عبد الرحيم بن وجيه الدين العمري الدهلوي، واسمه التاريخي عظيم الدين، وكان يكنّى بأبي عبد العزيز.

وينتهي نسبه من قبل **والده** إلى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومن قبل **أمه** إلى موسى الكاظم رحمه الله.

وكان أبوه الشيخ عبد الرحيم(١) من وجوه مشايخ دهلي ومن أعيانهم، له حظ وافر من العلوم الظاهرة والباطنة، مع علوٍّ كعبه في طريقة الصوفية.

---

(١) انظر ترجمته في: كتاب «أنفاس العارفين» (ص٨٣ ـ ٨٥).

• **ولادته**: ولد يوم الأربعاء لأربع خلون من شوال سنة أربع عشرة ومئة وألف في أيام عالمگير، في بيت أخواله بقرية «پُهلت» في مديرية «مظفر نگر» بولاية أُترابراديش.

نشأته:

لمّا بلغَ الإمامُ الدهلوي الخامسةَ من عمره أُدخلَ الكُتّاب، وفرغ في أواخر السنة السابعة من حفظ القرآن الكريم، وكذلك فرغ من العلوم المتداولة في هذه البلاد، وهو في الخامسة عشر من عمره، وأُجيزَ بالدرس.

• وكان قد قرأ طرفاً من «المشكاة» و«الجامع الصحيح» للبخاري و«الشمائل» للترمذي، و«المدارك»، والفقه وأصوله والمنطق والكلام وغيرها من العلوم على أبيه.

• وكان استفاد من إمام الحديث في زمانه الشيخ محمد أفضل السيالكوتي (المتوفى ١١٤٦هـ) وانتفع به.

• وبايع والدَه، واشتغل بأشغال المشايخ النقشبندية، وحصلتْ له إجازة البيعة والتلقين وهو ابن سبعة عشر سنة.

• ثم اشتغل بالتدريس نحواً من اثنتي عشرة سنة منذ (١١٣١هـ = ١٧١٩م)، وحصل له الفتح العظيم في التوحيد، والجانب الواسع في السلوك، ونزل على قلبه العلوم الوجدانية فوجاً فوجاً، وخاض في بحار المذاهب الأربعة وأصول فقههم خوضاً بليغاً، ونظر في الأحاديث التي هي متمسكاتهم في الأحكام، وارتضى من بينها ـ بإمداد النور الغيبي ـ طريقَ الفقهاء المحدثين.

رحلته إلى الحرمين الشريفين:

• رحلة الإمام الدهلوي إلى الحجاز؛ وإقامتُه به تحتل في حياته

العلمية والفكرية والدعوية والتجديدية مكانةً تاريخيةً كبيرةً، وتعتبر باباً جديداً وخطّاً فاصلاً بين عهدين، إنّه اشتاق إلى زيارة الحرمين الشريفين، فرحل إليهما في سنة (١١٤٣هـ)، ومعه خاله الشيخ عُبيد الله البارهوي الفلتي، وابن خاله الشيخ محمد عاشق ابن الشيخ عبيد الله الفلتي، والشيخ نور الله الصديقي البرهانوي وغيرهم من أصحابه، فأقام بالحرمين عامين كاملين، وصحب علماء الحرمين صحبة شريفة، وحج في أثناء قيامه مرتين، وزار المدينة المنورة، وتتلمذ على كبار شيوخ المحدثين منهم:

١ ـ الشيخ المحدث **أبو طاهر محمد بن إبراهيم الكردي المدني** في المدينة المنورة، وتلقّى منه جميع «صحيح البخاري» ما بين قراءة وسماع، وشيئاً من «صحيح مسلم»، و«جامع الترمذي»، و«سنن أبي داود»، و«سنن ابن ماجه»، و«موطأ الإمام مالك»، و«مسند الإمام أحمد»، و«الرسالة» للشافعي، و«الجامع الكبير»، وسمع منه «مسند الحافظ الدارمي»، وشيئاً من «الأدب المفرد» للبخاري، وشيئاً من أول «الشفا» للقاضي عياض، وسمع عليه «الأمم لإيقاظ الهمم» بتمامه، وأطراف باقي الكتب الستة، و«كتاب الأم» للشافعي، فأجازه الشيخ أبو طاهر إجازةً عامةً بما تجوز له.

• وذكر العلّامة محسن بن يحيى الترهتي في «اليانع الجني»[1]: أنّ الشيخ أبا طاهر كان يقول: كان الشيخ ولي الله يسند عني اللفظ، وكنت أصحح عنه المعنى، وكتب ذلك في إجازته له أيضاً.

• وقد كان الشيخ أبو طاهر ـ رغم كونه محدِّثاً جليلاً ـ حسن الظن

---

(١) (ص٨١).

بالصوفية، محترزاً عن انتقادهم، يقول الإمام الدهلوي: إنّي لما ذهبتُ إلى الشيخ أبي طاهر للتوديع والمغادرة إلى الوطن أنشدني هذا البيت:

نَسِيْتُ كلَّ طريقٍ كنتُ أَعْرِفُهُ إلّا طَرِيْقاً يؤدّيني لِرَبْعِكُمُ

وكان ردُّ الإمام الدهلوي كذلك، ويقول الشيخ عبد العزيز الدهلوي: لمّا أراد والدي العودة من المدينة المنورة قال لشيخه أبي طاهر، وقد سُرَّ الشيخ بهذا القول: إنّني قد نسيتُ كل ما قرأته سابقاً إلّا علوم الدين وعلم الحديث النبوي الشريف بصفة خاصة، وقد صدّقت ذلك حياةُ الإمام الدهلوي وأشغالِه وأعمالِه فيما بعد، وقد حقّق ما نطق به لسانه، وأثبت القول بالعمل، ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣][١].

يقول الإمام الدهلوي في شأن الشيخ أبي طاهر الكردي: وهو في هذا العصر أحفظُ أهل المدينة وأشبهُهم بالسلف الصالح في سيرته وطريقته، وإسنادُه أقوى، ومشايخُه أكثر[٢].

٢ ـ ومنهم السيد **عمر بن أحمد بن عقيل**، وهو ابن بنت الشيخ عبد الله بن سالم البصري المكي، سمع منه أطراف الكتب الستة وغيرها، وأجاز له بجميع مرويّاته، وهو أخذها عن جدّه لأمه عبد الله المذكور الذي كان في ذلك العصر حافظَ الحديث[٣].

٣ ـ ومنهم الشيخ **تاج الدين القلعي**[٤] (المتوفى ١١٤٤هـ) مفتي الحنفية بمكة المكرمة، سمع منه أطراف الكتب الستة، و«موطأ مالك»،

(١) انظر: «رجال الفكر والدعوة» (٤/ ٤٨٤).

(٢) انظر: «إتحاف النبيه» (ص٧٦).

(٣) انظر: «إتحاف النبيه» (ص٧٦)، و«فهرس الفهارس» (٢/ ١٨٩).

(٤) انظر ترجمته في: «إنسان العين» (ص٢٠)، و«أبجد العلوم» (ص٨٤٨).

و«مسند الدارمي»، و«كتاب الآثار» لمحمد، وأجازه بجميع مرويّاته عن الحسن العُجيمي وأحمد النخلي، وعبد الله بن سالم البصري وغيرهم.

٤ ـ ومنهم الشيخ المحدِّث **وفد الله ابن الشيخ محمد بن محمد بن سليمان المغربي المالكي**، أخذ عنه الإجازة لجميع مروياته عن والده حافظ الحديث ومجمع الفضائل الشيخ محمد بن محمد بن سليمان المغربي ـ الذي يملك النسخة اليونينية، وجاء بها من «إستنبول» إلى الحرمين الشريفين ـ وقرأ عليه ـ زيادةً على ما تقدم ـ جميعَ «الموطأ» برواية يحيى بن يحيى المصمودي، وأجازه الشيخ بروايته(١).

وعاد إلى الهند سنة خمس وأربعين ومئة وألف.

وأعظمُ الفوائد التي حصلت للإمام الدهلوي في الحرمين الشريفين هو تذوّقُ الحديث النبوي الشريف، والتوسع فيه، ومعرفةُ مناهج علماء الحرمين الشريفين في التدريس والتربية، والاطلاع على مؤلفات علماء الحديث والتفسير وغيرهما من العلوم في قيامه في الحرمين الشريفين، وكانت مجاورةُ بيت الله الحرام وبركاتُ جوار النبي ﷺ، والأوضاعُ المضطربة في الهند، واضطراب الدولة الإسلامية فيها، والاطلاع على سيطرة القوى الأجنبية، وإحكام الاستيلاء عليها يوماً فيوماً، كلّ ذلك كان من الأسباب والدوافع القوية إلى نيَّة الهجرة والإقامة في الحجاز، لكنّه عزم على العودة إلى الهند، وكان فيها تحقيق تلك البشارة النبوية التي تلقّاها في المدينة المنورة وهي: **إنّ مرادّ الحقّ فيك أنْ يجمعَ شملاً من شَمْلِ الأمةِ المرحومةِ بك**(٢).

يمكن أن يفهم سبب رجوعه إلى الهند أيضاً بالرؤيا المعروفة التي

---

(١) «إنسان العين» (ص١٥ ـ ١٦).

(٢) انظر: «رجال الفكر والدعوة» (٤/ ٤٨٦).

ذكرها في مقدمة «حجة الله البالغة»، و«الدر الثمين في مبشرات النبي الأمين» ﷺ قال: رأيتُ كأنّ الحسن والحسين رضي الله عنهما نزلا في بيتي، وبيد الحسن رضي الله عنه قلمٌ قد انكسر لسانه، وبسط إليَّ يده ليعطيني وقال: هذا قلمُ جدّي رسول الله ﷺ، ثم أمسك يده وقال: حتّى يصلحه الحسين، فليس ما يصلحه الحسين كما لم يصلحه غيره، فأخذه الحسين رضي الله عنه فأصلحه ثم ناولنيه فسُررت به، ثم جِيْءَ برداءٍ مخطّط، فيه خط أخضر، وخط أبيض، فوضع بين يديهما، فرفعه الحسين رضي الله عنه وقال: هذا رداءُ جدي رسول الله ﷺ، ثم ألبسنيه، فوضعته على رأسي تعظيماً، وحمدتُ الله تعالى، فمن يومئذٍ انشرحَ صدري للتصنيف في العلوم الشرعية[1].

أعماله بعد العودة من الحجاز:

لمّا عاد إلى الهند طار صيتُه في البلاد، وأقبل الطلّاب والعلماء إليه من أطراف البلاد للاستفادة من علومه وفيوضه، وقال الشيخ عبد العزيز ولده الأكبر: كان والدي قد هيّأ في كلّ فنٍّ وعلم رجلاً من أصحابه، وكان يعهد بطالب ذلك الفنّ إليه، ويسند إليه التدريس في المدرسة الرحيمية، وتفرغ للأعمال المهمة، وخصص أوقاتها لإنجازها وهي:

١ ـ بيان المعارف والحقائق.

٢ ـ الاشتغال بتحرير المعارف والأسرار وتدوينها.

٣ ـ تدريس الحديث النبوي الشريف.

قال الشيخ عبد العزيز: وكان إذا انكشف عليه شيءٌ في أثناء تدريسه سجّله، وكان قليلاً ما يمرض، ويقول: لم أرَ مثل السيد الوالد

---

(١) انظر: «الدر الثمين في مبشرات النبي الأمين» (ص١٥٣).

في قوة ذاكرته، ولا أقولُ: إنني لم أسمع بمثله، ولكنني لم أشاهد، وكان ـ علاوة على علومه وفضائله ـ عديمَ النظير في ضبط أوقاته، وكان إذا جلس مجلسه بعد الشروق لم يغير جلسته، ولا يَحُكُّ جسده، ولا يبصق إلى الظُّهر(١).

مآثره وفضائله:

١ ـ منها: ما أكرمه الله تعالى به من **الفصاحة في اللغة العربية**، وربط الخاص بالفنون الأدبية في النظم والنثر، كأنه نشأ ببادية من بوادي هوازن أو تميم.

٢ ـ ومنها: علوم **الفقه على المذاهب الأربعة** وأصحابهم، واطلاعه على مآخذ المسائل، ومنازع الحجج والدلائل.

٣ ـ ومنها: علم **الحديث والأثر**، مع ضبط المتون، وضبط الأسانيد، والنظر في دواوين المجاميع والمسانيد، ولم يتفق لأحدٍ قبله ممن كان يعتني بهذا العلم من أهل قطره ما اتفق له من رواية الأثر وإشاعته، والجهود الموفقة للتطبيق بين الفقه والحديث والدعوة إليه.

٤ ـ ومنها: علوم **القرآن والتفسير**، وتأويل كتاب الله العزيز، ومن نظر في كتبه شهد بتوفر حظه منه، إنه لنعم الترجمان لكتاب الله وتأويله، وكاشف حقائقه.

٥ ـ ومنها: أصول هذه العلوم ومبادئها التي هذّبها الشيخ رحمه الله تعالى تهذيباً بليغاً، ولخّص أمهاتها تلخيصاً عجيباً، حتى يكادَ أن يصحَّ أن يقال: إنّه باني أُسّها، وباري قوسها.

وأما **أصول التفسير**، فكتابه «الفوز الكبير» فيها شاهد صدق على

(١) انظر: «ملفوظات الشيخ عبد العزيز» (ص١١).

براعته على كثير من أصلها، والحق أنه متفرد بتحقيق هذا الفن وتحقيقه، وأما **أصول الحديث** فله فيها باع رحيب، وقد أشار ابنه الشيخ عبد العزيز إلى أنّ له فيها تدقيقات مستظرفة لم يُسبق إليها، وأما **أصول الفقه**، فإنه شرح أصول المذاهب المختلفة وجمعها، وبين الفرق بين الأمور الجدلية والأصول الفقهية، وردّ وجوه الاستنباط على كثرتها إلى عشرة، وأسس قواعد الجمع بين مختلف الأدلة وبين قوانين الترجيح.

٦ ـ ومنها: علم **العقائد وأصول الدين**، فإنه أتى بأسرار غامضة في التطبيق بالمأثور مما لا يهتدي إليها في الأعصار إلّا واحدٌ بعد واحدٍ ممن يجتبيه الله تعالى، وقد جمع الله في صدره ما شتّته بين المحدِّثين والمتكلمين والفقهاء.

٧ ـ ومنها: آداب **السلوك وعلوم الحقائق**، فإنّه أفاض من المعارف والأسرار على أهلها ما شهد بصدقه شاهدا صدق من المعقول والمنقول.

٨ ـ ومنها: فنون من **علم التفسير**؛ كبيان العلوم الخمسة، وتأويل الحروف المقطعات في أوائل السور، وتوجيه قصص الأنبياء.

٩ ـ ومنها: **ترجمة القرآن باللغة الفارسية**، سمَّاها: «فتح الرحمٰن في ترجمة القرآن».

١٠ ـ ومنها: ما ألقى الله في قلبه وقتاً من الأوقات **ميزاناً يعرف به سبب كل اختلاف** وقع في الملة المحمدية على صاحبها الصلاة والسلام، ويعرف به ما هو الحق عند الله وعند رسوله ﷺ، قد ذكر نموذجاً من ذلك في «الإنصاف»، و«عقد الجيد»، و«الهمعات»، وغير ذلك من مصنفاته.

١١ ـ ومنها: ما صبَّ الله في صدره من نور كشف له **وجوه أسرار الشريعة**، ثم شرح صدره لبيانها، فعرض الشريعة الإسلامية في صورة متناسقة مُدَعَّمة بالأدلة والبراهين.

١٢ ـ **ومنها**: بيان **مكانة الخلافة ووظيفتها في الإسلام**، وشرح خصائص الخلافة الراشدة ومميزاتها وإثباتها بالأدلة، والرد على الروافض.

١٣ ـ **ومنها**: **عمله التجديدي القيادي** في أهل الاضطراب السياسي واحتضار الدولة المغولية، والحسبة على مختلف طبقات الأمة، والدعوة إلى الإصلاح والتغيير.

١٤ ـ **ومنها**: **تمييز السُّنَّة السنية من البدع** غير المرضية.

١٥ ـ **ومنها**: القيام **بتربية العلماء الراسخين**، وتخريجهم، حتى يقوموا بعده بهذا العمل التجديدي من الإصلاح ونشر الدين الصحيح، وينقلوه إلى الأجيال القادمة[1].

❁ ثناء الأئمة عليه:

• قال شيخه أبو طاهر **محمد بن إبراهيم المدني**: إنه يسند عني اللفظ، وكنتُ أصحِّحُ منه المعنى، أو كلمة تشبه ذلك، كتبها في وثيقة إجازته له، هذا يقرُب من قول البخاري في أبي عيسى الترمذي حين قال له: ما انتفعتُ بك أكثرُ ممّا انتفعت بي، وليس وراءه مفخرة ترام، ولا فوقها منقبة تتمنى.

• وقال الشيخ الشرف **محمد الحسيني** في كتابه «الوسيلة إلى الله»: كاد الزمان أن يكون شبيهاً بزمان الجاهلية، فاقتضى التدبير الكلي والحكمة الأزلية أن تظهر حقيقة الحقائق بالقدر المشترك الجامع بين علوم النبوة والولاية، بل الجامع بين العلوم المعتدة كلها من التفسير

---

(١) انظر: «الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام» (٦/ ٤١٤ ـ ٤١٤)، و«اليانع الجني» (ص٨٥)، و«رجال الفكر والدعوة» (٤/ ٥٠٤).

والحديث والفقه والكلام والتصوف والسلوك، فيُنزِلُ كلَّ علمٍ منزلته، ويبلغُ كلَّ عبارة وإشارة مبلغها، وهو الكامل المكمّل، زبدة المتقدمين، قدوة المتأخرين، قطب المدققين، غوث المحققين، الشيخ ولي الله الدهلوي ـ سلَّمه الله سبحانه ـ.

• وذكر الشيخ غلام علي العلوي الدهلوي في «المقامات» أنّ شيخه الميرزا جانجانان العلوي الدهلوي (المتوفى ١١٩٠هـ = ١٧٨١م) كان يقول: إنّ الشيخ ولي الله له أسلوبٌ خاص في تحقيق أسرار المعارف وغوامض العلوم، وإنّه ربانيٌّ من العلماء، ولعلَّه لم يوجد مثله في الصوفية المحققين، الذين جمعوا بين علمي الظاهر والباطن إلا رجال معدودون.

• يقول الشيخ **محسن يحيى الترهتي** صاحب «اليانع الجني»: إنّ العلّامة فضل حق بن فضل إمام الخير آبادي[1] (المتوفى ١٢٧٨هـ = ١٨٦١م)، وقعت في يده نسخةٌ من كتاب «إزالة الخفاء»، فأولع بها وكان يكثر النظر فيها أوان فراغه من درسه وسائر ما يشغله من شأنه، فلمّا وقف على كثير منها قال في محضر من الناس: إنّ الذي صنَّف هذا الكتاب لبحر زخّار لا يُرى له ساحلٌ[2].

• وقد حكي عن المفتي **عناية أحمد الكاكوري** (المتوفى ١٢٧٩هـ = ١٨٦٣م) أنه كان يقول: إنّ الشيخ ولي الله مَثَلُه كمثل شجرة طوبى، أصلها في بيته، وفرعها في كلّ بيت من بيوت المسلمين، فما من بيتٍ ولا مكانٍ من بيوت المسلمين إلا وفيه فرعٌ من تلك الشجرة، ولا يعرف غالبُ الناس أين أصلها.

---

(١) وقد وقعت بينه وبين أبناء الإمام الدهلوي والذين كانوا على طريقته مطارحات علمية، ومناقشات علمية، لذلك كانت لشهادته قيمة كبيرة.

(٢) انظر: «اليانع الجني» (ص٣٩).

• وذكر شيخنا الإمام **محمد زكريا الكاندهلوي** المدني: أنِّي كتبتُ إلى جميع من يشتغل في الهند بالحديث أن يكتب إليَّ سنده إلى أصحاب كتب الحديث، فتحقق لي من أجوبتهم أنّه لا سندَ لأهل الهند إلا والشاه ولي الله قدَّس سره واقع في أثناء سنده.

• قال السيد **صديق خان القنوجي** في «الحطة بذكر الصحاح الستة» (ص١٦١) في ذكر مَنْ جاء بعلم الحديث في الهند: ثم جاء الله ﷻ من بعدهم بالشيخ الأجل، والمحدّث الأكمل، ناطقُ هذه الدورة وحكيمُها، وفائقُ تلك الطبقة وزعيمُها: الشيخ ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي، المتوفى سنة ست وسبعين ومئة وألف، وكذا بأولاده الأمجاد، وأولاد أولاده أولي الإرشاد، المشمِّرين لنشر هذا العلم عن ساعد الجد والاجتهاد، فعاد بهم علمُ الحديث غضّاً طرياً، بعد ما كان شيئاً فريّاً، وقد نفع الله بهم وبعلومهم كثيراً من عباده المؤمنين، ونفى بسعيهم المشكور من فتن الإشراك والبدع ومُحْدَثاتِ الأمور في الدين ما ليس بخافٍ على أحد من العالمين، فهؤلاء الكرام قد رجّحوا علم السُّنَّة على غيرها من العلوم، وجعلوا الفقه كالتابع له والمحكوم، وجاء تحديثهم حيث يرتضيه أهل الرواية، ويبغيه أصحاب الدراية، شهدت بذلك كتبهم وفتاواهم، ونطقت به زُبرهم[1] ووصاياهم، ومن كان يرتاب في ذلك فليرجع إلى ما هنالك، فعلى الهند وأهلِها شكرُهم ما دامت الهند وأهلها:

من زَارَ بابَكَ لَمْ تَبْرَحْ جَوارِحُه ... تَروِي أحادِيْثَ ما أوليْتَ مِنْ مِنَنِ
فالعَيْنُ عن (قُرَّةٍ) والكَفُّ عن (صلةٍ) ... والقلبُ عن (جابرٍ) والسمعُ عن (حَسنٍ)[2]

---

(١) أي: كتبهم.
(٢) ومن الطريف أن المنن التي ذكرتها هذه الجوارح وأشادت بها، والأسماء التي =

وقال القنوجي في «أبجد العلوم» (٣/ ٢٤٣): كان بيته في الهند بيتَ علم الدين، وهم كانوا مشايخ الهند في العلوم النقلية بل والعقلية، أصحاب الأعمال الصالحات، وأرباب الفضائل الباقيات، لم يعهد مثل علمهم بالدين علم بيت واحد من بيوت المسلمين في قطر من أقطار الهند، وإن كان بعضُهم قد عرف بعضَ علم المعقول، وعُدّ على غير بصيرة من الفحول، ولكن لم يكن علم الحديث والتفسير والفقه والأصول وما يليها إلا في هذا البيت، لا يختلف في ذلك مختلف من موافق ولا من مخالف؛ إلا من أعماه الله عن الإنصاف، ومسَّته العصبية والاعتساف، وأين الثرى من الثريا؟ والنبيذ من الحُمَيَّا؟ والله يختصُّ برحمته من يشاء.

مؤلفاته:

للإمام الدهلوي مؤلفات كثيرة في اللغتين العربية والفارسية نذكر أسماء بعضها حسب حروف المعجم:

(أ)

١ ـ «الأربعين» (بالعربية).
٢ ـ «الإرشاد إلى مهمّات الإسناد» (بالعربية) ط.
٣ ـ «إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء» (بالفارسية) ط.
٤ ـ «أطيب النغم في مدح سيد العرب والعجم» (بالعربية) ط.
٥ ـ «ألطاف القدس في لطائف القدس» (بالفارسية) ط.

= أشارت إليها في هذا الصدد، كلها أسماء رواة الحديث والشيوخ المحدثين، مثل قرة بن خالد السدوسي، وصلة بن أشيم العدوي، وسيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنه، والحسن البصري رحمهم الله أجمعين، «رجال الفكر والدعوة» (٤/ ٥٥١).

٦ ـ «الإمداد في مآثر الأجداد» (بالفارسية) ط.

٧ ـ «الانتباه في سلاسل أولياء الله» (بالفارسية) ط.

٨ ـ «إنسان العين في مشايخ الحرمين» (بالفارسية) ط.

٩ ـ «الإنصاف في أسباب الخلاف» (بالعربية) ط.

١٠ ـ «أنفاس العارفين» (بالفارسية) ط.

(ب)

١١ ـ «البدور البازغة» (بالعربية) ط.

١٢ ـ «بوارق الولاية» (بالفارسية).

(ت)

١٣ ـ «تأويل الأحاديث» (بالعربية) ط.

١٤ ـ «تحفة الموحِّدين» (بالفارسية).

١٥ ـ «التفهيمات الإلٰهية» (بالعربية والفارسية) ط.

(ج)

١٦ ـ «الجزء اللطيف في ترجمة العبد الضعيف» (بالفارسية) ط.

(ح)

١٧ ـ «حجة الله البالغة» (بالعربية) ط.

١٨ ـ «حسن العقيدة» (بالعربية) ط.

(خ)

١٩ ـ «الخير الكثير» (بالعربية) ط.

(د)

٢٠ ـ «الدر الثمين في مبشرات النبي الأمين» (بالعربية) ط.

٢١ ـ «ديوان الشعر العربي» جمعه ولده الشيخ عبد العزيز، ورتبه الشيخ رفيع الدين.

(ر)

٢٢ ـ «الرسائل الثلاث» (بالعربية) ط.

٢٣ ـ رسالة في الرد على رسالة الشيخ خواجه خورد عبد الله بن عبد الباقي.

٢٤ ـ «رسالة الحكمة» (بالفارسية).

(ز)

٢٥ ـ «الزهراوين» في تفسير سورة البقرة وآل عمران.

(س)

٢٦ ـ «السطعات» (بالفارسية) ط.

٢٧ ـ «سرور المحزون» (بالفارسية) ط.

(ش)

٢٨ ـ «شرح تراجم أبواب البخاري» (بالعربية) ط.

٢٩ ـ «شفاء القلوب» (بالفارسية).

٣٠ ـ «شوارق المعرفة» (بالفارسية).

(ع)

٣١ ـ «العطية الصمدية في الأنفاس المحمدية» (بالفارسية).

٣٢ ـ «عقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد» (بالعربية) ط.

(ف)

٣٣ ـ «فتح الرحمٰن في ترجمة القرآن» (بالفارسية).

٣٤ ـ «فتح الخبير بما لا بد من حفظه في علم التفسير» (بالعربية) ط.

٣٥ ـ «فتح الودود لمعرفة الجنود» (بالعربية).

٣٦ ـ «الفضل المبين في المسلسل من حديث النبي الأمين» (بالعربية) ط.

٣٧ ـ «الفوز الكبير في أصول التفسير» (بالفارسية) ط.

٣٨ ـ «فيوض الحرمين» (بالعربية) ط.

(ق)

٣٩ ـ «قرة العينين في تفضيل الشيخين» (بالفارسية) ط.

٤٠ ـ «القول الجميل في بيان سواء السبيل» (بالفارسية) ط.

(ك)

٤١ ـ «كشف الغين عن شرح الرباعيتين» (بالفارسية).

(ل)

٤٢ ـ «لمعات» (بالفارسية) ط.

(م)

٤٣ ـ «المقالة الوضيئة في الوصية والنصيحة» (بالفارسية) ط.

٤٤ ـ «المقدمة السنية في الانتصار للفرق السنِّية» (بالعربية).
٤٥ ـ «المقدمة في قوانين الترجمة» (بالفارسية) ط.
٤٦ ـ «المسوى من أحاديث الموطأ» (بالعربية) ط.
٤٧ ـ «المصفى» (بالفارسية) ط.
٤٨ ـ «المكتوب المدني» (بالعربية).
٤٩ ـ «مجموعة رسائل في مناقب الإمام البخاري وفضل ابن تيمية» (بالفارسية والعربية).

(ن)

٥٠ ـ «النبذة الإبريزية في اللطيفة العزيزية» (بالفارسية).
٥١ ـ «النوادر من أحاديث سيد الأوائل والأواخر» (بالعربية).

(هـ)

٥٢ ـ «الهمعات» (بالفارسية) ط.
٥٣ ـ «هوامع شرح حزب البحر» (بالفارسية).

❁ وفاته:

قال عبد الحي الحسني: توفي إلى رحمة الله سبحانه ظهيرة يوم السبت سلخ شهر الله المحرم سنة ست وسبعين ومئة وألف بمدينة دهلي، ودفن في جانب اليسار من «دلّي دروازه» (باب دهلي) بالحي الذي يسمَّى: «مِهْديان»، وله اثنان وستون سنة[1].

❁ ❁ ❁

---

(١) انظر: «الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام» (٦/٤٢٨).

إزالة الخفاء
عن خلافة الخلفاء

للإمام المحدِّث الشاه
ولي الله أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي
(١١١٤ ـ ١١٧٦هـ)

المجلَّد الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة المؤلف

الحمد لله الذي بعث إلينا أشرف الرسل، داعياً إلى أقوم السبل، وجعل أصحابه وزراء له في عهده، وخلفاء له من بعده، لتتمّ النعمة، وتعمّ الرحمة، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده، وأشهد أنّ محمداً عبده ونبيَّه، الذي لا نبيَّ بعده، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فيقول الفقير ولي الله ـ عُفي عنه ـ: إنَّ بدعة التشيّع راجت في هذا الزمان وسادت، وانصبغت نفوس عامة الناس بشبهاتهم التي أثاروها، ونشأت في قلوب معظم أهل هذه المنطقة شكوكٌ وشبهات حول إثبات خلافة الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين[(١)].

والواقع أنّ نور التوفيق الإلـهي ألقى في رُوع هذا العبد الضعيف علماً فيه كلُّ بسط وتفصيل، عَلِمَ به علمَ اليقينِ أنّ إثبات خلافة هؤلاء الخلفاء أصل من أصول الدين، فلا تستقيم مسألةٌ من مسائل الشريعة الغرَّاء ما لم يتمسّك الناسُ بهذا الأصل تمسّكاً قوياً، ويعضّوا عليه بالنواجذ؛ لأنَّ معظم الأحكام الواردة في القرآن مجملةٌ، ولا يمكن حلُّها وتفصيلُها بدون تفسير السلف الصالح، وأكثر الأحاديث من قبيل خبر الآحاد تحتاج إلى الشرح والبيان، ولا يصلح التمسّك بها إلا أن ترويها

---

(١) ما أشبه اليوم بالبارحة.

جماعة من السلف، ويقوم باستخراج المسائل منها رهط من المجتهدين، ولا يمكن التوفيق بين الأحاديث المتعارضة بدون سعي هؤلاء السعداء، وكذلك جميع الفنون الدينية من القراءة، والتفسير، والعقائد، وعلم السلوك، فإنّها لا تتأصّل بأي صورة بدون اتباع آثارهم، وتتبّع مآثرهم.

وقد اتبع السلف في هذه الأمور آثارَ الخلفاء الراشدين، وتمسّكوا بأذيالهم، ولم يُجمَع القرآن، ولم تتبيّن القراءة المتواترة من الشاذة إلا بجهود الخلفاء، ولم تترتّب كذلك القضايا والحدود والأحكام الفقهية إلا بسعيهم؛ فكل مَنْ سعى إلى هدم هذا الأصل فإنه أراد هدم جميع الفنون الدينية.

وقد عُلِمَ أنّ مدبِّر السماوات والأرض تبارك وتعالى قدّر جميع الشرائع في الأزل في اللوح المحفوظ، وقد وردت الإشارة إلى ذلك في قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ [التوبة: ٣٦].

ثم نزّل على قلب النبي ﷺ بالإجمال تارةً وبالتفصيل أخرى، ثم بيّنه النبي ﷺ بطريق النصّ تارةً وبطريق الإشارة أخرى، حتى ظهر أمر الله، وقامت حجّته تبارك وتعالى، وثبت تكليفُ العباد بذلك اعتقاداً وعملاً.

فكذلك قرر الله تعالى خلافة الخلفاء الراشدين أولاً في اللوح المحفوظ، ونزلت في القرآن بالإجمال؛ ثم فصّلت في قلب النبي ﷺ بالرؤيا تارةً، وبطريق الفراسة في تعبير رؤيا الصحابة ﷺ تارةً أخرى، ثم أخبر النبي ﷺ بهذا العلم الشريف (أي: حقيقة الخلافة الراشدة) نصّاً وإشارةً، حتّى تحققَ تكليفُ العباد باستخلاف هؤلاء الخلفاء اعتقاداً وعملاً، وانكشف القناعُ عن أمر الخلافة تماماً، وعمل بذلك أهل القرن الأول بقلوبهم وقوالبهم بمقتضى ذلك.

وكل ما قاله المتأخّرون من الأشاعرة على خلاف ذلك من أن

خلافة هؤلاء لم تثبت بالنصّ مطلقاً أو لم تثبت بالنص الجلي[١]، بل هي أمر اجتهادي، إذ إن الناس قد اتفقوا على خلافتهم في ذلك العصر، خلافاً لما ذهب إليه الشيعة من أنه وقع ظلم عظيم في القرن الأول، وهو سلب الناس حقّ الخلافة من مستحقّها من أجل طلب الدنيا واتفقوا على غير مستحقِّها، (فأستغفر الله من جميع ما كره الله).

وعلمَ به أيضاً أنّ التوفيقَ بين اختلاف العلماء في أمر استخلاف النبي ﷺ: هل استخلف أحداً أم لا؟ يمكن بطريقين:

أحدهما: أنّ كلمة «الاستخلاف» تُطْلَقُ ـ تارةً ـ على مجرّد تنبيه الشارع العبادَ على الانقياد للخليفة.

والثاني: أنها تُطْلَقُ ـ تارةً أخرى ـ على توصية جميع ولاة الأمور من أرباب الحلّ والعقد ـ على الهيئة المعتادة ـ بخلافته، إما بِالتّنصيص على كلمة «الاستخلاف»، أو ما يساويه في المعنى.

فصار بين العلماء فريقان، وذهب كل فريق إلى أحد هذين المعنيين[٢]، وحاول تأييدَ ما ذَهَبَ إليه وتكلّم حوله.

أما مشاورة الصحابة في أمر الخلافة فلا تدلّ على أنّ الخلافة لم يكن منصوصاً عليها عندهم، بل إنما شاوروا لحفظ الأحاديث[٣] (أي: أحاديث الخلافة)، والاستنباط من النصوص، ولتذكّر المعاني المستخرجة من المآخذ المتعددة، وما إلى ذلك.

والتوفيق بين اختلاف العلماء في أمر الخلافة: هل هي بنصّ جليٍّ

---

(١) انظر: «شرح الطحاوية في العقيدة السلفية» (٣/ ١٣٩).

(٢) يعني: الطائفة الذين نفوا استخلاف النبي ﷺ أحداً من أصحابه ذهبوا إلى المعنى الأول، والطائفة الذين قالوا باستخلافه ﷺ اختاروا المعنى الثاني.

(٣) أي: لذكر أحاديث الخلافة وبيانها في مجلس الصحابة لكي يعرفها الجميع، ويستخرجوا منها ما يرشدهم في أمر الخلافة، ويهديهم سواء السبيل.

أم خفيٌّ؟ يمكن بأنَّ من عرفوا الربط بين آيات الإجمال والحديث الذي يفسِّرها ذهبوا إلى كون النصِّ جلياً، ومن ظنّوا أنَّ الآية لا علاقة لها بالحديث، ولم يكشفوا القناع عن إجمالها، ولم يربطوا بين الآية والأحاديث، ولم يتبيّن لهم الأمر، قالوا بالنص الخفيّ.

ثم إنّ الأحاديث هي أخبار آحاد تتفق على معنى إثبات الخلافة كقدر مشترك، فمن وقع بصره على حديث دون حديث، ظنَّ الحديثَ خبرَ آحاد، ومن وقع بصره على الأحاديث الواردة في هذا الباب جملةً ظنّه متواتراً بالمعنى.

وكما أن توفيق المولى ﷻ بَسَطَ هذا العلمَ (أي: علم الخلافة) في صدري، وألقى في خاطري شوقاً لنشره تحريراً وتقريراً، طبقاً للحديث الذي أخرجه **ابن ماجه** عن **جابر** رضي الله عنه قال: «**إذا لَعَنَ آخِرُ هذه الْأُمَّةِ أَوَّلَهَا فَمَنْ كَتَمَ حَدِيْثاً فَقَدْ كَتَمَ مَا أَنْزَلَ الله**»[1]، فبناءً على ذلك كتبتُ بعضَ الأوراق في هذه المسألة، وسمّيتها «**إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء**»، وجعلتُ له مقصدين:

* **المقصد الأول**: في بيان معنى الخلافة العامة والخاصة وشرطها وشرط ما يتعلّق بها، وسرد الأدلة على خلافة هؤلاء، وحلّ الخلاف: هل كانت الخلافة بنصّ أو باجتهاد؟

* **والمقصد الثاني**: في مآثر الخلفاء الأربعة.

وهذا أوان الشروع في المقصود، وبنور توفيقه أتمسَّك، وعلى فضله أتوكَّل، وإلى كَلاءته وحفظه أفوِّض أمري كله، حسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.

---

(١) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (٢٦٣). الحديث ضعيف جداً. وفي الزوائد: في سنده حسين بن أبي السري كذاب، وعبد الله بن السري ضعيف...

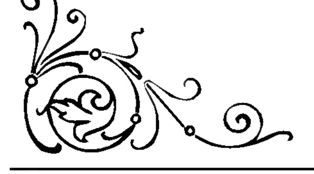
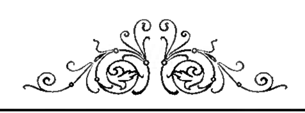


المقصد الأول

في بيان الخلافة العامة والخاصة وشرطها، وشرط ما يتعلّق بها، وسرد الأدلّة على خلافة هؤلاء وحل الخلاف: هل كانت الخلافة بنصٍّ أو باجتهاد

يتضمّن عدّة فصولٍ، وهي ثمانية:

- **الفصل الأول:** في بيان الخلافة العامة.
- **الفصل الثاني:** في بيان لوازم الخلافة الخاصة.
- **الفصل الثالث:** في تفسير الآيات الدالة على خلافة الخلفاء الراشدين.
- **الفصل الرابع:** في تفسير الأحاديث والآثار والآيات الدالة على خلافة الخلفاء الراشدين.
- **الفصل الخامس:** في بيان الفتن التي أخبر النبي ﷺ بظهورها بعد عصر الخلفاء الراشدين.
- **الفصل السادس:** في بيان تصريحات القرآن الكريم وإشاراته إلى مكانة الخلفاء الراشدين.
- **الفصل السابع:** في بيان الدلائل العقلية على خلافة الخلفاء الراشدين.
- **الفصل الثامن:** في تفضيل الشيخين رضي الله عنهما.




الفصل الأول

[في بيان الخلافة العامة]



المسألة الأولى

في تعريف الخلافة العامة

هي الرئاسة العامّة في التصدِّي لإقامة الدين، بإحياء العلوم الدينية، وإقامة أركان الإسلام، والقيام بالجهاد، وما يتعلَّق به من تنظيم الجيوش والفرض للمقاتلة، وإعطائهم من الفيء، والقيام بالقضاء، وإقامة الحدود، ورفع المظالم، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، نيابةً عن النبي ﷺ.

وتفصيل هذا التعريف بعد التدبر في الملَّة المحمدية ـ على صاحبها الصلاة والسلام ـ أنّه معلوم قطعاً أنّ النبي ﷺ بُعث لكافة خلق الله، وعاملهم معاملات شتى، واشترك معهم في بعض التصرفات، وعيّن لكل معاملة خليفةً ونائباً عن ذاته الشريفة، واهتمّ بالأمور اهتماماً عظيماً، وإذا تأمَّلنا في هذه المعاملات والتصرفات، وانتقلنا من الجزئيات إلى الكليات[1]، ومن الكليات إلى الكلي الواحد، الذي يشمل الجميع،

(١) الجزئيات والكليات من مصطلحات المنطق، ولكن المراد هنا من «الجزئيات»: هو الوقائع الخاصة المنفردة، والمراد من «الكليات»: هو الوقائع العامّة من أمور الدين وأحوال وتصرفات النبي ﷺ.

وجدنا أنّ إقامة الدين هو الجنس الأعلى[١] الذي يشمل جميع الكليات وأجناس أخرى تحته **كالآتي**:

أولها: إحياء علوم الدين ونشرها؛ كتعليم القرآن والسُّنَّة، والتذكير والموعظة، قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢]، ومن المشهور أنَّ النبي ﷺ كان يخاطِبُ الصحابة بالموعظة والتذكير في أغلب الأحيان.

وثانيها: إقامة أركان الإسلام؛ إذ إنّه من المعلوم أنَّ النبيَّ ﷺ أمّ بالناس صلاةَ الجمعة والعيدين والصلوات الخمس، وعيّن الأئمة في كل مكان، وعَني بأخذ الزكاة وصرفها في مصارفها، واختار العُمّال لهذه الأعمال، وكذلك كان يسمع الشهادة لثبوت رؤية هلال رمضان والعيد، ويأمر بالصيام والفطر، إن ثبتت الرؤية بالشهادة، وأقام الحج بنفسه، ولمّا لم يبلغ النبيُّ ﷺ مكة في السنة التاسعة للهجرة أرسل إليها أبا بكر رضي الله عنه ليقيم الحجَّ نيابةً عنه ﷺ، وأمّا قيامه ﷺ بالجهاد، ونصب الأمراء، وبعث الجيوش[٢]، والسرايا[٣]، وقيامُه بالقضاء في

---

(١) تنقسم الكليات إلى خمسة أقسام: ١ ـ الجنس، ٢ ـ النوع، ٣ ـ الفصل، ٤ ـ الخاصة، ٥ ـ العرض العام، أما الجنس: فهو الكلي الذي يكون جزءاً مشتركاً لحقيقة أفراده كالحيوان، فإنه جزء مشترك لأفراده من الإنسان والبقرة والفرس وما إلى ذلك، وللجنس مراتب، فمن الجنس ما يكون تحت جنس آخر، ويندرج فيه جنس آخر أيضاً، يقال له: جنس متوسط، ومنه ما يكون تحت جنس آخر ولا يندرج فيه جنس آخر، يقال له: جنس سافل، ومنه ما لا يكون تحت جنس، ولكن تندرج فيه أجناس أخرى، يقال له: جنس أعلى.

(٢) هي جمع «جيش»، وهو طائفةٌ من جندٍ يزيدُ عدد أفرادها على ثمان مئة. انظر: «بذل المجهود» (٩/ ٤٤٩).

(٣) هي جمع «سرية»، وهي طائفة من جيش أقصاها أربع مئة تبعث إلى العدو. انظر: «مجمع بحار الأنوار» (٣/ ٦٧).

الخصومات، ونصب القضاة في بلاد الإسلام، وإقامة الحدود، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ فإنّها لا تحتاجُ إلى بيان ودليل البتةَ، ولمّا انتقل النبيُّ ﷺ إلى الرفيق الأعلى لم تزل إقامة الدين بكل تفاصيله وجزئياته واجبةٌ، وإقامة الدين يتوقّف على نصب شخص يهتمّ بهذا الأمر اهتماماً بالغاً، ويرسل النواب إلى الآفاق، ويطّلع على أحوالهم، وألّا ينحرفوا عن أمره شيئاً بل يتحرّكوا حسب إشارته، ويكون هذا الشخص خليفة رسول الله، ونائباً عنه بكلِّ معناه.

وأمّا كلمة (**الرئاسة العامة**) في التعريف، فقد خرج منها العلماء المسلمون المشتغلون بنشر العلوم الدينية؛ (لأن الرئاسة العامة لا تحصل لهم) وقضاة الأمصار وأمراء الجيوش الذين ينفذون ـ بأمر الخليفة ـ أمور الدين.

وكانت الموعظة والتزكية في العصر الأول من لوازم الخلافة، وأن الوعظ خاص بالحاكم أو الرجل الذي يقرره، وأن الذي يعظ من دونها مُراءٍ، فقد قال النبي ﷺ: «**لَا يَقُصُّ إلا أَمِيْرٌ، أَوْ مَأْمُوْرٌ، أَوْ مُخْتَالٌ**»[(١)].

وقد خرج من كلمة (**في التصدّي لإقامة الدين**) في التعريف: الرجل الذي حصلت له الغلبة والرئاسة على أهل الآفاق، ويأخذ الخراجَ من الشعب من غير وجه شرعي، مثل الملوك الجبابرة الطغاة المتغلّبين.

وخرج كذلك من كلمة (**التصدّي**): الرجلَ الذي فيه أهليةٌ لإقامة الدين على أكمل وجه، وهو أفضل أهل زمانه في صلاحياته، لكن لم يحصل له من هذه الأمور شيء، فلا تطلق الخلافة على مَنْ هو مستور عن أعين الناس (كما يقول الشيعة: إنّ المهديَّ مستورٌ)، أو لم يحصّل النصرَ والغلبةَ.

---

(١) أخرجه أبو داود في «سننه» رقم: (٣٦٦٥)، وابن ماجه في «سننه» رقم: (٣٧٥٣).

ويخرج الأنبياء عليهم السلام بقيد **(نيابة عن النبي ﷺ)** عن معنى الخلافة، ولو أنَّ داود عليه السلام لقّب بالخليفة في القرآن الكريم، لكنّ الكلام يدور هنا حول خلافة النبي ﷺ، وسيدنا داود عليه السلام كان خليفة الله تعالى(١)، ولذلك ما رضي أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه أن يُدعى بخليفة الله، ولكنّه أمر أن يدعوه بخليفة رسول الله(٢).

المسألة الثانية

في وجوب نصب الخليفة

ويجب على المسلمين ـ وجوبَ كفايةٍ ـ إلى يوم القيامة نصبُ خليفةٍ يستوفي شروط الخلافة، **ولذلك عدة أدلة**:

أولها: أنَّ الصحابة رضوان الله عليهم قد عُنوا بأمر تعيين الخليفة قبل دفنه ﷺ، فلولا أنّهم أدركوا وجوب نصب الخليفة لما قدّموه على هذا الأمر الخطير، وفي هذا دليل شرعي قد ثبت من النبي ﷺ بطريق الإجمال(٣).

وثانيها: قد ورد عن النبي ﷺ: **«مَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»**(٤)، وهذا نصٌّ شرعي على وجه التفصيل.

وثالثها: لقد فرض الله تعالى الجهاد، والقضاء، وإحياء علوم

---

(١) انظر: قول الله تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [صٓ: ٢٦].

(٢) قد أخرج ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٧/ ٤٣٣) رقم: (٣٧٠٤٨) عن نافع مولى ابن عمر عن ابن أبي مُليكة قال: قال رجل لأبي بكر: يا خليفة الله! قال: لست بخليفة الله، ولكنّي خليفة رسول الله، أنا راضٍ بذلك، وكذا أخرجه أبو عمر في «الاستيعاب» (١/ ٢٩٧) رقم الترجمة: (١٦٣٣)، والمحب الطبري في «الرياض النضرة» (١/ ٨٣).

(٣) إذ إن كل ما صدر من صحابي من قول أو عمل ولا دخل فيه للعقل والتجربة فهو في حكم الحديث المرفوع، كما هو مذهب جمهور أهل العلم.

(٤) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم: (١٨٥١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٩/ ٣٣٤).

الدين، وإقامة أركان الإسلام، ودفع الكفار عن بلاد الإسلام فرض الكفاية، وكل ذلك لا يتحقّق بدون الخليفة والإمام، ومعلوم أنَّ مقدمة الواجب واجبة، وقد نبَّه على ذلك كبار الصحابة رضي الله عنهم جميعاً.

المسألة الثالثة

في شروط استحقاق الخلافة

والأصل في هذه المسألة أنَّ معنى الخلافة ـ كما تقدَّم ـ يتضمَّن إحياء علوم الدين، وإقامة أركان الإسلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والقيام بأمر الجهاد، والقضاء، وإقامة الحدود، فكلُّ ما يشترط في شيء من هذه الأمور يُشترط في الخلافة أيضاً، وبالإضافة إلى ذلك يُشترط شيءٌ آخر بمقتضى حديث مستفيض[1]، وهو قرشية الإمام كما أُثر عن النبي ﷺ: «**الأئمةُ مِنْ قريشٍ**»[2].

ونأتي إلى تفصيل هذه الشروط بعد ما عُلم هذا الأصل:

من شروط الخلافة **أن يكون الخليفة مسلماً**، إذ إن رئاسة المسلمين لا يجدر بها إلا مسلم، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾ [النساء]، والظاهر أنّ هذه الأمور لا تتمّ على يد غير المسلمين، وإن ارتدّ الخليفة عن الدين ـ والعياذ بالله ـ يجب الخروج عليه، فنصبُ كافر أصلاً لا يستحقُّ الخلافة أولى، (وهذا دليل على أنّ الإسلام شرطٌ للخليفة).

---

(١) هو الحديث الذي يرويه ثلاثة عن ثلاثة في كلِّ طبقة على الأقلّ، ولا بأس بالزيادة الواقعة في طبقة ما.

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٨٥)، برقم: (٦٩٦٢)، والنسائي في «الكبرى» (٣/ ٤٦٧)، برقم: (٥٩٤٢).

ومنها: أن يكون الخليفة عاقلاً بالغاً؛ إذ إن المجنون والسفيه والصبي محجورون عن تصرفاتهم الذاتية، (ويعيَّنُ لإنجاز معاملاتهم وليٌّ)، حيث قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾ [النساء: ٥]، وإذا لم يملكوا أموالهم فلا يصحّ تسلُّطهم على رقاب المسلمين وأموالهم بالطريق الأولى، ولا يتحقّق المطلوب من استخلاف هؤلاء بالقطع.

ومنها: أن يكون الخليفة ذكراً دون أنثى، كما ورد في «صحيح البخاري»: «**لَنْ يُفْلِحَ**[١] **قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً**»[٢]، قال النبيُّ ﷺ ذلك القول حين بلغه ﷺ أنَّ أهل فارس ملَّكوا بنت كسرى عليهم، إذ إنّ المرأة ناقصة العقل والدين، وهي لا تصلح لساحة الحرب والقتال وحضور المحافل والنوادي، فلا تتم أمور الخلافة على يديها.

ومنها: أن الخليفة يكون حرّاً؛ لأنَّ العبدَ لا تُقبلَ شهادته في الخصومات؛ لأنّه حقيرٌ، مُهانٌ في أعين الناس، والواجب عليه الاشتغال والعناية بأمور مولاه.

ومنها: أن يكون الخليفة متكلّماً سميعاً بصيراً؛ ذلك لأنّ الخليفة يجب عليه أن يأمر بالحكم الذي يحكم به بوجه لا يشتبه مفهومه على الناس، ويعرفه المدَّعي والمدَّعى عليه، والمقِرّ والمقَرّ له، والشاهد والمشهود عليه، ويستمع إلى كلامهم، ويجب عليه كذلك أن يولِّي قضاة في الأمصار، وينصّب العمّال في بلاده المحروسة، ويجهز الجيوش، ويُعْلِمهم بما يعرض لهم في ساحة القتال من التدابير، وكلُّ ذلك لا يمكن إلا بسلامة الأعضاء، وكل ما لا يتم فرض الكفاية إلا به فهو فرض كفاية.

---

(١) كذا في «صحيح البخاري»، وفي الأصل الفارسي للكتاب: «مَا أَفْلَحَ» وهو تحريف.

(٢) انظر: «صحيح البخاري» رقم: (٧٠٩٩).

ومنها: أن يكون الخليفة شجاعاً وصاحبَ رأي في الحرب والسلم وإعطاء الأمان، وفرض الرواتب للمقاتلين وتعيين الأمراء والعمّال وصاحب كفاية؛ أي: لا يكون صاحب دعة وغير محنك حتّى لا يخبط في الأمور خبط عشواء، ولا يتمكَّن من إنجاز المهمّات؛ لأن الجهاد لا يتصور إلا من الشجاع وصاحب الرأي والكافي في الأمور، وذلك أنَّ الجهاد من أعظم مطالب الخلافة.

ومنها: أن يكون الخليفة عدلاً، يجتنب الكبائر غير مصرٍّ على الصغائر، وصاحب مروءة، وأن لا يكون وَقِحاً، خليع العذار، قليل الحياء؛ لأن هذه الأمور تُشترط في الشاهد والقاضي وراوي الحديث، ففي الرئاسة العامّة التي تقع رقاب الناس بيد صاحبها لا بدّ أن تكون شرطاً فيها بالطريق الأولى، قال الله تعالى: ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، ومعنى كون الشاهد مرضيّاً أن يكون صاحب عدل وصاحب مروءة.

ومنها: أن يكون الخليفة مجتهداً؛ لأنّ الخلافة تتضمَّن القضاء وإحياء العلوم الدينية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكل ذلك لا يتمُّ إلا على يد المجتهد، قال رسولُ الله ﷺ: «**القضاةُ ثلاثةٌ، واحدٌ في الجنّةِ واثنان في النّارِ، فأمّا الذي في الجنَّةِ فرجلٌ عرفَ الحقَّ فقضَىٰ به، ورجلٌ عرفَ الحقَّ فجارَ في الحكمِ فهو في النار، ورجلٌ قضى للناسِ على جهلٍ فهو في النّارِ**»، رواه أبو داود[1].

الاجتهاد المطلوب في الخليفة:

ومعنى الاجتهاد في الحقيقة أن يعرف الخليفة جملة عظيمة من

(١) «سنن أبي داود» رقم: (٣٥٧٥).

أحكام الفقه بأدلَّتها التفصيلية من الكتاب والسُّنَّة والإجماع والقياس، ويعرف كل حكم منوطاً بدليله، وأن يكون لديه كذلك ظنٌّ قويٌّ بدليله، ولا يكون في هذا العصر مجتهدٌ إلا مَنْ جمع بين العلوم الخمسة من:

١ ـ علم الكتاب قراءةً وتفسيراً.

٢ ـ وعلم السُّنَّة بأسانيدها، ومعرفة الصحيح والضعيف منها.

٣ ـ وعلم أقاويل السلف في المسائل الدينية، لئلَّا يخرجَ من الإجماع، فيُحدِثَ قولاً ثالثاً ـ عند الخلاف ـ على القولين.

٤ ـ وعلم العربية من اللغة والنحو وغيرهما.

٥ ـ وعلم طرق الاستنباط ووجوه التطبيق بين النصَّين المختلِفَين.

ويعرِفَ كلَّ حكم منوطاً بعلّته بعد الخوض في المسائل الجزئية، ولا يجب أن يكون مجتهداً مستقلاً؛ كأبي حنيفة والشافعي، بل يكفيه أن يكون مجتهداً منتسباً يعرف تحقيق السلف ويفهم استدلالاتهم، ولديه ظنّ قوي في كل مسألة من المسائل.

والتحقيق أن إحياء تفسير القرآن الكريم لا يمكن بدون هذه العلوم الخمسة، ولكن تتأكّد الحاجة في علم التفسير إلى أحاديث أسباب النزول ومواقعه، وآثار السلف، وسعة الذاكرة، وقوة الفهم للسياق والتوجيه، وما إلى ذلك، وقس على علم التفسير جميع الفنون الدينية، والله أعلم.

ولم تكن هذه الشروط لازمةً في عهد الصحابة ﭬ، بل مجرّد علم القرآن وحفظ السُّنَّة كان مطلوباً؛ لأن العربية كانت لغتهم الأمّ، ولم يكونوا في حاجة إلى تعلّم النحو وقواعد اللغة العربية لفهم الكلام، ولم تظهر الأحاديث المتعارضة، ولم يظهر خلافُ السلف في أمور الدين بعدُ.

ومنها: **أن يكون الخليفة قرشياً** من ناحية نسب الآباء؛ لأنَّ سيدنا

أبا بكر الصدِّيق صرف الأنصار عن الخلافة قائلاً: «**الأئمةُ مِنْ قريشٍ**»[١]، وهذا قول النبي ﷺ، وروى أبو هريرة وجابر: «**الناسُ تَبَعٌ لقريشٍ في هذا الشأنِ**»[٢]، وروى ابن عمر: «**لا يزالُ هذا الأمرُ في قريشٍ ما بقيَ مِن الناسِ اثنان**»[٣]، وروى معاوية بن أبي سفيان: «**إنّ هذا الأمرَ في قريشٍ لا يُعاديهم أحدٌ إلا كَبَّه الله على وجهه ما أقاموا الدِّينَ**»[٤]، ولهذا الحديث طرق عديدة مختلفة سوى هذه الطرق، لكنّا نكتفي بهذا القدر روماً للاختصار والإيجاز.

هل تشترط معرفة الخطّ والكتابة للخليفة؟

وقد اختلفوا في اشتراط معرفة الخطّ والكتابة في الخليفة، فذهبت جماعة إلى إثباتها، نظراً إلى أنّ كثيراً من أمور الدين يتوقّف على معرفة الخطّ والكتابة، مثل علم الكتاب والسُّنَّة، ومثل كتابة المراسيم والرسائل، وقد أنكر ذلك البعضُ الآخرُ استدلالاً بأنَّ النبيَّ ﷺ كان أميّاً، والواقع أنَّ النبيَّ ﷺ لا يُقاس عليه أحدٌ، وتتوقّف اليومَ معرفةُ الدين على علم الخطّ، وكثير من مصالح الدين منوطة بالكتابة.

وبالجملة: فإذا اجتمعت هذه الشروط في شخص استحقّ الخلافة، فإذا جعلوه خليفة، وعقدوا له الإمامة، كان خليفة راشداً، وإذا جعلوا الخليفة مَنْ لا تجتمع فيه هذه الشروط، كان السُّعاة لخلافته عصاةً

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٨٥) رقم: (٦٩٦٢)، والنسائي في «الكبرى» (٣/ ٤٦٧) رقم: (٥٩٤٢).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم: (٣٤٩٥)، ومسلم في «صحيحه» رقم: (١٨١٨).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم: (٣٥٠١)، ومسلم في «صحيحه» رقم: (١٨١٨).

(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم: (٣٥٠٠).

مذنبين، ولكن إذا تحقّقت سلطته على البلاد يُنفَّذ حكمه فيما يوافق الشرع ضرورةً؛ لأنَّ محاولة صرفه عن الخلافة يُسبِّبُ خلافاً وفتنةً في الأمة.

المسألة الرابعة

في طرق انعقاد الخلافة

تنعقد الخلافة بأربعة طرق:

أولها: بيعة أولي الأمر من العلماء والقضاة والأمراء وأعيان الناس ممن تيسَّر وجودهم في البلاد، ولا يشترط اتفاق أعيان جميع بلاد الإسلام، إذ إنّ ذلك ممتنعٌ الوجود، ولا ينفع بيعة رجل ورجلين في ذلك؛ لأنَّ سيدنا عمر قال في آخر خطبته: «فمن بايع رجلاً على غير مشورة من المسلمين فلا يتابَعُ هو ولا الذي بايعه، تغرَّةً أن يُقتلا»[1]، وكانت خلافة سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه بطريق البيعة (أي: بيعة أولي الأمر).

وثانيها: استخلاف الخليفة؛ يعني: يختار الخليفة العادل من بين المسلمين شخصاً ممن يستوفي شروط الخلافة، وذلك نصحاً للمسلمين، ويجمع الناس وينصّ على استخلافه إياه، ويوصي بالانقياد له، فيختصّ بالخلافة ذلك الرجل من بين المستوفين لشروطها، ويلزم على القوم أن يبايعوه على الخلافة، ويجعلوه إماماً لهم، وكانت خلافة سيدنا عمر الفاروق رضي الله عنه بهذا الطريق.

وثالثها: الشورى، وهو أن يحصرَ الخليفةُ الخلافةَ في طائفة ممن يستوفون الشروط، ويقول: يتولّى الخلافة من يختارونه بعد التشاور من

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم: (٦٨٣٠).

بينهم بالاتفاق، فيتشاورون فيما بينهم من بعد وفاة الخليفة، ويختارون أحداً ممن يرضون به منهم، وأما إذا كان الخليفة السابق قد قرّر شخصاً أو جماعة معينة على ذلك، فلا يُعتبر باختيار غيرهم البتة، وكانت خلافة عثمان بن عفان ﵁ بهذا الطريق، إذ إنَّ سيدنا عمر الفاروق ﵁ جعل الخلافة مشاعة بين ستة[1]، ثم اتفقت كلمتُهم على عبد الرحمٰن بن عوف لانتخاب الخليفة من بينهم، فاختار عثمان ﵁.

ورابعها: الاستيلاء، وهو أن يتصدّى أحدٌ للخلافة بعد وفاة الخليفة بدون البيعة والاستخلاف، ويجمع الناس حوله بتأليف القلوب أو بالقهر ونصب القتال فيكون خليفة، ويجب على الناس طاعته فيما يوافق الشرع، وذلك على نوعين:

النوع الأول: أن يكون المستولي **يستوفي الشروط**، ويصرف المعارضين والمنازعين في الخلافة بالصلح والتدبير من غير أن يرتكبَ المحرَّمات والمنهيات، وذلك يجوز عند الضرورة، وكانت خلافة معاوية بن أبي سفيان بعد علي المرتضى وبعد الهدنة القائمة بينه وبين الحسن بن علي من هذا النوع.

والنوع الآخر: أن يكون المستولي **لا يستوفي الشروط**، ويصرف المعارضين والمنازعين في الخلافة بالقتال والحرب مع ارتكاب المحرَّمات والمعاصي، وذلك لا يجوز، وفاعله عاصٍ لا محالة، لكن يجب على الناس طاعته فيما يوافق الشرع، وإذا أخذ عمّاله الزكاة تسقط عن ذمَّتهم، وإذا حكم قضاته في الخصومات يُنفَّذ حكمهم، ويُشرع الجهاد والقتال معه، وذلك بالنظر إلى الضرورة، إذ إنَّ في عزله ونزع

---

(١) وهم: عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمٰن بن عوف، وطلحة بن عبيد الله ﵃.

الخلافة من يده تلفاً لنفوس المسلمين وظهوراً للفتنة وفساداً في الأرض، ولا يُعلم باليقين أنَّ هذه الشدائد تؤدِّي إلى الصلاح أم لا؟ بل يحتمل أن يتغلَّب مَنْ هو أضلُّ منه سبيلاً، فلا يجوز إثارة الفتنة المؤدِّية إلى الشرّ على وجه اليقين لأجل مصلحة موهومة غير يقينية، وكانت خلافةُ عبد الملك بن مروان وأول خلفاء بني العباس من هذا النوع.

وبالجملة: فإنَّ الخلافةَ محصورةٌ في هذه الطرق الأربع، فإن كان رجل واحد متصفاً بشروط الخلافة في عصره، أو كانت جماعة تتصف بها، ولكنه هو أفضل من جميعهم، لا تنعقد خلافته بدون وجه من الوجوه المذكورة، ذلك لأنَّ الصفات التي يتَّصف بها ليست كافيةً لإنهاء اختلاف الناس لمجرَّد وجودها، ولا يقضىٰ على الفتن إلا أن تكون لديه سلطة، وكانت له بيعة برقاب الناس، ولذلك بادرت جماعة من الصحابة ﵃ إلى بيعة أبي بكر ﵁ بعد وفاة النبي ﷺ ولم يكتفوا بأفضليته.

وقد تكلَّم أهل العلم حول خلافة علي المرتضى ﵁: بأي وجه من الوجوه المذكورة انعقدت خلافته؟ فذهب أكثرهم إلى أنه تولَّى الخلافة ببيعة من المهاجرين والأنصار من الصحابة الذين كانوا بالمدينة المنوَّرة، ومعظم الرسائل والمكتوبات التي أرسلها سيدنا علي المرتضى ﵁ إلى أهل الشام تشهد بهذا المعنى[(١)].

وقال جماعة منهم: إن خلافته تحقّقت بالشورى، إذ إنَّ الشورى قد

---

(١) انظر مثلاً: كتاب سيدنا علي المرتضى إلى سيدنا معاوية بن أبي سفيان في «شرح نهج البلاغة» (٣/ ٤٧)، وها هو نصه: «**أما بعد، فإن بيعتي بالمدينة لزمتك وأنت بالشام؛ لأنّه بايعني القومُ الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان، على ما بويعوا عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يردّ، وإنّما الشورى للمهاجرين والأنصار، إذا اجتمعوا على رجل فسمّوه إماماً، كان ذلك لله رضاً؛ فإن خرج من أمرهم خارجٌ بطعنٍ أو رغبة ردّوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتباع غير سبيل المؤمنين**».

استقرّت على أنّ الخلافة لا يستحقّها إلا عثمان أو علي، فلمّا لم يبق عثمان تعيّن علي، ولكن فيه نظر.

وينبغي هنا فهم بعض النكات ضمن هذه المسألة، إذ قد يرد هنا سؤال، وهو أنك قلت: إنَّ خلافة الشيخين كانت بنصِّ النبي ﷺ، فكيف يصحُّ القول بأنّ خلافة سيدنا أبي بكر الصدِّيق انعقدت ببيعة أولي الأمر من الصحابة، وإنّ خلافة سيدنا عمر الفاروق انعقدت باستخلاف الصدّيق إياه؟

فنحن نجيب عن هذا السؤال فنقول: إنّ مرادنا أنّه قد ثبت بنصِّ النبي ﷺ وجود خلافتهما في زمن مخصوص، ويرجع الناس إليهما، وتنعقد الخلافة لهما، وانقياد الناس وامتثالهم لهما من حيث اتصافهما بالخلافة، لكنّ الخلافة بالفعل تحقّقت ببيعة من أولي الأمر من الناس، وباستخلاف الصدّيق رضي الله عنه، مثال ذلك: أنَّ الصلاة وجبت على زيد في الكلام الأزلي وبنصّ الشارع، ولكنّ تعلّقَ حكم الوجوب به بالفعل منوط بدخول الوقت، ولكنْ لحكمة الأسباب والعلل تُنْسَبُ الخلافة إلى أهل الحل والعقد، أو إلى الاستخلاف، فإن نسبة تحقق الخلافة إلى بيعة أولي الأمر أو الاستخلاف فباعتبار حكمة الأسباب والعلل.

كذلك تَعْلَمُ باليقين بنصِّ النبي ﷺ أن الإمام المهدي يظهر عند قرب القيامة، ويكون إماماً حقّاً عند الله ورسوله ﷺ، وهو الذي يملأ الأرض عدلاً، بعد أن كانت قد امتلأت ظلماً وعدواناً، فقد بيّن النبيُّ ﷺ استخلاف الإمام المهدي ووجوب اتباعه فيما يتعلّقُ بالخلافة، وذلك عند تحقُّقها، ولكن لا يتحقّق ذلك بالفعل إلا عند ظهوره وبيعة الناس له بين الركن[(١)] والمقام[(٢)].

---

(١) هو الحجر الأسود. «مجمع بحار الأنوار» (٢/ ٣٨٧).

(٢) هو الحجر الذي فيه أثر قدم سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، «مجمع بحار الأنوار» (٤/ ٣٤٨).

فتشاورُ الناس فيما بينهم لأبي بكر الصدِّيق، أو استخلافُ الصدّيق عمر الفاروق برأيه، واختيارُ عبد الرحمٰن بن عوف لعثمان بن عفان للخلافة لا يستلزم عدم وجود نصّ من الشارع ـ عليه الصلاة والسلام ـ، بل الظاهر أنّ هؤلاء جعلوا نصّاً أو إشارةً من الشارع عليه السلام عمدةً ومرجعاً لهم.

وأما ذيوع شهرتهم بالنسبة إلى خلافتهم فهو كما يقال: هذا واجب عند أبي حنيفة، وليس بواجب عند الشافعي، أو كما يقولون: هذا ما أحلّه عمر الفاروق وما إلى ذلك، مع أنهم لم يوجبوه ولم يحرموه إلا بدليل شرعي، وموعد تفصيل الكلام في ذلك في الفصل الثالث[1] من هذه الرسالة.

المسألة الخامسة

في بيان ما يجب على الخليفة من إمضاء مصالح المسلمين

والأصل في هذه المسألة الخوض والتأمل في معنى الخلافة، ومعرفة المقدِّمات التي لا يُتصور إقامة الدين بدونها، والمكمِّلات التي لا تتحقق معرفة الدين بدونها على أكمل وجه.

فعلم أنّه يجب على الخليفة المحافظة على دين محمد ﷺ على الهيئة المعروفة التي ثبتت من الأحاديث المستفيضة من إجماع السلف الصالح، مع الإنكار على مَنْ يخالف الشرع، بأن يقتل المرتدّين والزنادقة

(١) قد وقع في الأصل الفارسي في هذا الموضع «الباب الثالث»، ولعل ذلك تصحيف، إذ إن المؤلف الدهلوي رحمه الله لم يقسم الكتاب إلى أبواب، بل الكتاب موزّع بين مقصدين، وكل من المقصدين يحتوي على عدة فصول، لذلك غيّرناه بـ«الفصل الثالث».

ويعاقب المبتدعين، ويجب عليه أيضاً الاهتمام بإقامة أركان الإسلام من الجمعة، والجماعات، والزكاة، والحج، والصوم، بحيث يقيم كل ذلك بذاته في مقرّه ومدينته، ويقوم بنصب أئمة المساجد والعاملين للصدقات في المناطق البعيدة، ويقرر أمراء الحج في الموسم، ويُعنى بإحياء علوم الدين بنفسه حسب الاستطاعة، ويعين المعلِّمين في كلِّ المدن، كما أرسل عمر ﷺ عبد الله بن مسعود مع جماعة إلى الكوفة، وبعث معقل بن يسار، وعبد الله بن معقل إلى البصرة، ويحكم بين أهل الخصومة؛ أي: يقضي في الدعاوى والمشاجرات، ويقرر القضاة لأجل ذلك، ويحافظ على بلاد الإسلام من شرّ الكفار وقطّاع الطريق والمحتلِّين المتغلِّبين، ويملأ ثغور دار الإسلام بالأفواج وآلات الحرب، ويقاتل أعداء الله ورسوله ابتداءً[1] ورفعاً[2]، ويقوم بترتيب الجيوش، وفرض الأرزاق للمجاهدين، وأخذ الجزية والخراج وقسمتهما بين الغزاة، وأيضاً يقوم بتقدير الأعطيات والأرزاق للقضاة وأهل الفتوى والمعلِّمين والواعظين وأئمة المساجد برأيه من غير إسرافٍ وتقتير، ويختار النوّاب في المعاملات من الأمناء العدول وأهل النصح، وأن يكون دائم التفقّد والملاحظة لأحوال الشعب والأفواج وأمراء الأمصار وجيوش الغزاة والقضاة وغيرهم، لكي لا تظهر الخيانة والظلم، ولا يجوز إسناد أمور المسلمين إلى الكفار أصلاً، ونهى عمر ﷺ عن ذلك بشدّة.

أخرج شيخ الشيوخ العارف السهروردي[3] ـ قُدِّس سرَّه ـ في

---

(١) أي: هجومياً.
(٢) أي: دفاعياً.
(٣) هو: شهاب الدين أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله البكري البغدادي السهروردي، شيخ الصوفية ببغداد، كان من كبار الصالحين وسادات المسلمين، وكانت فيه مروءة وإغاثة للملهوفين، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، وكان يعظ الناس، توفّي في مستهلّ المحرم ٦٣٢هـ ببغداد، ودفن من الغد بالوردية. انظر: «البداية والنهاية» (١٣/ ١٣٨).

«العوارف»[١] عن وثيق الرومي قال: كنت مملوكاً لعمر، فكان يقول لي: أسلم فإن أسلمتَ استعنتُ بك على أمانةِ المسلمين، فإنّه لا ينبغي أن أستعين على أمانتهم بمن ليس منهم، قال: فأبيتُ، فقال عمر: لا إكراه في الدين، فلما حضرته الوفاة أعتقني، فقال: اذهب حيث شئت[٢]، هذا بيان ما يجب على الخليفة بإيجاز واختصار.

المسألة السادسة

في بيان ما يجب على الرعية من طاعة الخليفة

يجب على المسلمين الامتثالُ لما يأمر به الخليفة من مصالح الإسلام، ولم يخالف الشرع، سواء كان الخليفة عادلاً أو جائراً، وإذا كان الناسُ مختلفين في فروع المذاهب، وأمر الخليفة بأمر اجتهادي لم يخالف القرآن والسُّنَّة المشهورة وإجماع السلف والقياس الجلي[٣] المبني على أصل واضح الثبوت، فالواجبُ الاستماع إلى قوله، والعمل بمقتضى قضائه، وإن كان حكم الخليفة لم يكن موافقاً لمذهبه.

---

(١) يعني: «عوارف المعارف».
(٢) «عوارف المعارف» (ص٦٩).
(٣) القياس الجلي، وهو ما يعرف من ظاهر النص بغير استدلال، ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ يدلّ على تحريم الضرب قياساً على الأصح. انظر: «البحر المحيط» (٤/ ٢٢٣)، وهو على ثلاثة أقسام: **أحدها**: ما عرف معناه من ظاهر النص بغير الاستدلال؛ كقوله: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ فإنه يدل على تحريم الضرب قياساً لا لفظاً على الأصح، وفي جواز النسخ به وجهان، والأكثرون على المنع. **الثاني**: ما عرف؛ كَنَهْيه عن الضحية بالعوراء والعرجاء، فكانت العمياء قياساً على العوراء، والعرجاء على القطع؛ لأن نقصها أكثر، فهذا لا يجوز التعبد به بخلاف أصله، ويجوز التخصيص به، ولا يجوز النسخ بالاتفاق، لجواز ورود التعبد في الفرع بخلاف أصله. **الثالث**: ما عرف معناه باستدلال ظاهر بتأدي النظر؛ كقياس الأمة على العبد في السراية، وقياس العبد عليها في تنصيف الحد، فلا يجوز النسخ به. انظر: «البحر المحيط» (٥/ ٩٨).

۞ وجوه البغي على الخليفة:

ويحرم الخروجُ على السلطان الذي اتفق المسلمون على خلافته إلا أن يروا منه كفراً بواحاً، ولو أنه لم يستوفِ شروط الخلافة. والخروج على الخليفة يكون **على ثلاثة أوجه**:

أحدها: أن **يصير الخليفة كافراً بإنكار ضروريات الدين** ـ العياذ بالله ـ ويجب الخروجُ عليه بهذه الحال وقتاله، وهذا القتالُ مِنْ أعظم أنواع الجهاد، لئلا يتلاشى الإسلامُ ويغلب الكفر.

وثانيها: أن **يكون الخروج لنهب الأموال وقتل النفوس وتحليل الفروج من غير تأويل شرعي**، يحكِّمون السيف دون قانون الشرع، فحكم هذه العصابة كحكم قطّاع الطريق، ويجب دفعهم وتفريق جمعهم، وتشتيت شملهم.

وثالثها: **أن يكون الخروج من أجل إقامة الدين**، وذلك بإثارة الشكوك والشبهات حول الخليفة والطاعة له، فإذا كان التعليل باطلاً لا يُعبأ به قطعاً مثل تعليل أهل الردة والمانعين للزكاة في زمن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ومعنى بطلان التعليل بالقطع، أن يكون مخالفاً لنصّ الكتاب والسُّنَّة المشهورة والإجماع والقياس الجلي، فإذا كان التعليل اجتهَاديّاً قطعيَّ البطلان فهم بغاةٌ، وكان حكم هؤلاء في القرن الأول حكم المجتهد المخطئ، إن أخطأ فله أجر، فلمّا اشتهرت أحاديث منع البغي الواردة على الخليفة في «صحيح مسلم»(١)، وغيره من الكتب،

---

(١) أخرج مسلم في «صحيحه» رقم: (١٨٥٢) عن طريق شعبة عن زياد بن علاقة قال: سمعت عرفجة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنّه ستكونُ هناتٌ وهناتٌ، فمن أرادَ أن يفرِّقَ أمرَ هذه الأمة، وهي جميعٌ، فاضربوه بالسيفِ، كائناً مَنْ كان**». وأخرج مسلم أيضاً في «صحيحه» رقم: (١٨٥٢) عن طريق يونس بن أبي يعفور عن أبيه عن =

وانعقد إجماع الأمة عليه، يُحكم اليوم بعصيان البغاة لا محالة.

وإذا ظهر من الخليفة جَور صريح أو أمر بما يخالف الشرع، ويكون برهان من الشارع في هذه المسألة، ومعنى البرهان هنا ما تقدَّم ذكره(١)، يجوز القيام بدفع ظلم الخليفة عن نفسه، وترك طاعته، والذين يساعدون السلطان ويتعاونون معه على إيذائهم وكبتهم يكونون عصاةً مجرمين، وإذا لم يكن برهان من الشارع في هذه المسألة فليصبروا، وما يلمّ بهم من آفة ومصيبة فليعدّوه من الله، وليمتنعوا عن القتال.

ومن أعظم أنواع الجهاد القيام بأمر الخليفة بالمعروف، ونهيه عن المنكر **بغير الخروج عليه بالسيف**، وينبغي أن يكون ذلك بلطف ونصح دون عنف وشدّة، **وأن يكون ذلك في الخلوة، دون الجلوة**، حتّى لا تثورَ فتنةٌ.

❁ ثبوت الخلافة العامة للخلفاء الأربعة:

بعدما عُلم معنى الخلافة وشروط الخليفة وما يتعلَّق بها، حان أن نرجع إلى أصل الغاية، وهي أنَّ ثبوت الخلافة العامة للخلفاء الأربعة من أجلى البديهات، إذ إننا عندما ننظر إلى معنى الخليفة وشروطه، ونحاول الإحاطة بما استفاض من أحوال الخلفاء الأربعة، ينكشف لنا بالبداهة والجلاء ثبوت شروط الخلافة فيهم، وظهور مقاصد الخلافة منهم بأكمل

= عرفجة قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**مَنْ أتاكم، وأمرُكم جميعٌ على رجُلٍ واحدٍ، يريدُ أن يشقَّ عصاكم، أو يفرِّقَ جماعتكم فاقتلوه**»، ورواه أحمد في «مسنده» رقم: (١٨٢٩٥ و١٩٠٠٠)، ورواه أبو بكر في «مصنفه» (١١/ ٣٤٤) رقم: (٢٠٧١٤)، ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢/ ٧٧) رقم: (١٣٨٠٠ ـ ١٣٨١٣).

(١) لم يتقدم ذكره، بل سيأتي الكلام فيه مفصَّلاً في المجلد الثاني لهذا الكتاب.

وجه، وإذا كان هناك خفاء وغموض في ثبوت خلافتهم، فذلك بإدخال معاني غير مطلوبة في معنى الخلافة كما فعل الشيعة؛ إذ يشترطون العصمة والوحي الخفي في الإمام، وإلا فلا يَشُكُّ عاقلٌ في ثبوت الإسلام والعقل والبلوغ والحرية والذكورة وسلامة الأعضاء والقرشية للخلفاء الأربعة، ولا ينكر من له عقل سليم أنّ القتال لأهل الردة، وفتح بلاد الروم والفرس، ومدافعة جيوش كسرى وقيصر، قد تحقّق بتدبيرهم وأمرهم، وفي هذا كفاية لمن اكتفى.

والشيعة أنفسهم يدّعون أنّ الشيخين انتزعا الخلافة من علي المرتضى ﵁ غصباً، ولا يتمُّ ذلك بدون كمال الجرأة والتدبير وتأليف القلوب، فأقرّوا لهم بالشجاعة والرأي والكفاية من حيث لم يقصدوه.

وأمّا شرط الاجتهاد والعدالة فينبغي التأمل في أقاويل الخلفاء، والخوض في قضاياهم ومناظراتهم، حتّى يظهرَ اجتهادهم ظهور الشمس في رابعة النهار، ولم يتمكّن أحد من المعارضين من اتهامهم بظاهر الفسق[1] حتى الآن، وكل ما تفوَّهوا به من ترّهات فمردّه إلى أمر مختلَفٍ فيه، لا يعرفه من جمهور المسلمين، إلا هذه الفرقة ـ عاملهم الله بعدله ـ.

والخلاصة: أن ثبوت الخلافة للخلفاء الأربعة بالمعنى المذكور

---

(١) وقد اعترف الكُتّاب الكبار من غلاة الشيعة خضوعاً للوقائع التاريخية الثابتة والروايات المستفيضة باتباع الخلفاء الثلاثة لظاهر الشريعة المطهرة، فكتب علم الهدى في كتاب «الشافي» في شأن الخلفاء الثلاثة: «... يرى أكثر الأمة أن الإمامة دونه»، وكتب المحقّق الجيلاني في «فتح السبل»: «إنهم قد اجتنبوا أموال المسلمين، واختاروا الزهد في الدنيا، وهجروا الدنيا وزخرفها، وقنعوا بقليل، وأكلوا ما خشن، ولبسوا الكرباس، على الرغم من أن الدنيا كانت تأتيهم بأحمرها وأسودها، وقد قسموا كل ذلك بين المسلمين، وما غمسوا أيديهم فيها»، وكتب العلّامة البحراني في «شرح نهج البلاغة»، طبع: طهران، المجلد الثاني عشر: «إن الفرق بين الخلفاء الثلاثة ومعاوية في إقامة حدود الله والعمل بمقتضى أوامره ونواهيه ظاهر».

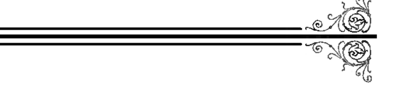
يستغني عن البرهان والدليل، والمطلوب في هذا الباب هو تجريد معنى الخلافة عن المعاني الملحقة غير المرضية، وتحرير شروط الخلافة وبيان مقاصد تولِّي الخلافة لا غير، وقد بيَّنَّا هذه الأمور بتوفيق الله في هذه العجالة، والحمد لله رب العالمين.

❊ ❊ ❊



الفصل الثاني

[في بيان لوازم الخلافة الخاصّة]



❁ أوصاف الخلافة الخاصة:

وقد ورد في الحديث أنَّ النبي ﷺ قال: «**إنّه بدأ هذا الأمرُ نبوةً ورحمة، ثم كائنٌ خلافةً ورحمةً، ثم كائنٌ ملكاً عضوضاً، ثم كائنٌ عتواً وجبرية وفساداً في الأمة**»[١]، وقد ورد في بعض الروايات: «**خلافة على منهاج النبوة**»[٢].

وأيضاً روي عنه ﷺ أنه قال: «**الخلافة بعدي ثلاثون سنة**»[٣]، وقد بيَّن الله تبارك وتعالى في عديد من الآيات في القرآن الكريم أوصافَ الخلافة وعلاماتها، فمنها قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ﴾ [الحج: ٤١]، ومنها: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ﴾ [النور: ٥٥]، ومنها: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ﴾ [الفتح: ٢٩]،

---

(١) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٢/ ١٧٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ٤٧٦) رقم: (١٦٤٠٧ و٨٧٣).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣٠/ ٣٥٥) برقم: (١٨٤٠٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١/ ١٥٧) رقم: (٣٦٨)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٧/ ٤١٣) رقم: (٢٨٤٣).

(٣) أخرجه مسلم رقم: (١٨٢٠)، وابن حبان في «صحيحه» (١٥/ ٣٩٢) رقم: (٦٩٤٣).

ومنها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، إلى غير ذلك من الآيات.

وبيَّن الصحابة عند مشاورتهم في تعيين الخليفة بعض الأوصاف، كما قالوا: «أحقّ بهذا الأمر»، وقالوا: «وتوفِّي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ»، وباستقراء هذه الأدلّة ظهرت أمامنا بعضُ الأوصاف للخلافة الخاصة علاوةً على الأوصاف والخلال التي ذكرت في الخلافة العامّة فيما تقدّم، ونريد الآن أن نقومَ باستيعاب هذه الأوصاف والإحاطة بها في هذا الفصل، ونبيِّن كيف أنها توجد في الخلفاء الأربعة ـ رضوان الله عليهم جميعاً ـ بتمامها وكمالها.

وفسَّر قتادة التابعي شيخ أهل البصرة لفظ الحوارية (التي وردت في شأن كبار الصحابة) بوجوده مع أوصاف الخلافة الخاصة المقرونة بالقرشية، قال معمر: قال قتادة: الحواريون كلهم من قريش: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وحمزة، وجعفر، وأبو عبيدة، وعثمان بن مظعون، وعبد الرحمٰن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة، والزبير[1]، وفسَّر قتادة فيما روى عنه روح بن القاسم «الحواريين»[2] الذين تصلح لهم الخلافة، كذا في «الاستيعاب» لابن عبد البر[3].

وفي اعتبار هذه الأوصاف ـ في الخلافة الخاصة ـ **ثلاثُ نكاتٍ**:

النكتة الأولى: أنَّ نفوس الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ خُلِقت على غاية النزاهة وعلو الفطرة.

---

(١) «الاستيعاب» (١/ ١٥٢) رقم الترجمة: (٨٠٨).

(٢) **الحواريون**: أصحاب المسيح عليه السلام؛ أي: خلصاؤه وأنصاره، وأصله من التحوير: التبييض، قيل: إنهم كانوا قصّارين يحوّرون الثياب؛ أي: يبيّضونها، «النهاية» (ص٢٤٠).

(٣) (١/ ١٥٢) رقم الترجمة: (٨٠٨).

ولأجل هذه النزاهة وعلوِّ الفطرة صلحوا للوحي الرباني في حكمة الله تعالى، وفُوِّضت إليهم رئاسة العالم، قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

وهناك طائفة من الأمة، نفوسهم أشدّ قرباً إلى نفوس الأنبياء في الصفاء وعلوّ الفطرة، وهم في أصل فطرتهم خلفاء الأنبياء، ومثلهم في الأمة كمثل المرآة التي تكتسب من الشمس أثراً ما لا يتيسَّر للطين والخشب والحجر، فهذه الطائفة المصطفاة من الأمة تتأثَّر بنفس النبي ﷺ بوجهٍ لا يتيسَّر لغيرهم، وكل ما اكتسبوا من النبي ﷺ اكتسبوه بشهادة قلوبهم، فكأنما أدركت قلوبهم هذه الأشياء إجمالاً، ووجدوا في كلام النبي ﷺ شرحاً وتفصيلاً لإجمال هذه المعاني.

وتحتهم طوائفُ أخرى ينزلون من بعدهم إلى درجة بعد درجة حتى تصل النوبةُ إلى عامة المسلمين.

فالخلافة الخاصّة عبارة عن أن يكون هذا الشخص رئيس المسلمين بأصل فطرته ووضعه الطبيعي من النزاهة وعلوِّ الفطرة؛ إذ إنّ مراتب استعدادات بني آدم في هذه الصفة تتفاوت، ولا تكون على منزلة واحدة، فيكون الخليفةُ الأمثلَ فالأمثلَ في هذه الصفة، فيكون هو رئيس الأمة حتى تحاذي الرئاسة الظاهرة الرئاسة الباطنة، والذين هم خلفاء الأنبياء باعتبار وضعهم الطبيعي قد لقِّبوا في الشريعة بالصِّديقين والشهداء والصالحين، ويُستفاد هذا المعنى من هاتين الآيتين:

الآية الأولى: قال الله تعالى بلسان عباده: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧].

والآية الثانية: قال تبارك وتعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩﴾ [النساء].

وقد بيَّن الله تبارك وتعالى في هاتين الآيتين أنّ مطلوب المسلمين في الدعاء في صلواتهم، وغاية أمانيّهم في سلوك مراتب القرب هو نيل موافقتهم للطائفة الذين أنعم الله عليهم، والمراد بالمُنْعَم عليهم هذه الفرق الأربع[(١)].

وفي الموضع الآخر: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾، إلى أن قال: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٥٤، ٥٥]، إشارة إلى هذا المعنى نفسه؛ أي: إنما ولي أمر جمهور المسلمين أفاضلُ رجالهم، ممن يقيمون الصلاة، ويحبّون الله، وهو يحبّهم وما إلى ذلك، وقد بيَّن هذا المعنى عبد الله بن مسعود، أورده أبو عمر في خطبة «الاستيعاب» عن ابن مسعود قال: «إن الله تعالى نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ خيرَ قلوب العباد، فاصطفاه، وبعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد، بعد قلب محمد ﷺ، فوجد قلوب أصحابه خيرَ قلوبِ العباد، فجعلهم وزراء نبيِّه ﷺ يقاتلون عن دينه»[(٢)].

وذكر البيهقي مثل ذلك إلا أنه قال: «فجعلهم أنصارَ دينه، ووزراء نبيّه، فما رآه المؤمنون حسناً فهو عند الله حسن، وما رَأَوْهُ قبيحاً فهو عند الله قبيح»[(٣)].

كما ثبت أنّ هؤلاء أولى بالخلافة؛ واجتهادهم أولى وأحقّ من اجتهاد غيرهم، ولكلٍّ وصفٍ من الأوصاف المذكورة علامات وخواصّ، وقد صرَّح النبي ﷺ بوجودها في مناقب الصحابة تارةً، واكتفى بالإشارة إليها تارةً أخرى، والكناية أبلغ من التصريح.

---

(١) يعني: النبيين، والصدِّيقين، والشهداء، والصالحين.

(٢) انظر: خطبة «الاستيعاب» (١/ ٥)، و«كشف الخفاء ومزيل الإلباس» للعجلوني رقم الحديث: (٢٢١٤)، فيه: الأصح وقفه على ابن مسعود.

(٣) انظر: «معرفة السنن والآثار» للبيهقي (١/ ٧٣).

والنكتة الثانية: أنّ الخليفةَ الحقيقيَّ للنبيِّ ﷺ مثله كمثل الناي[١] الذي يضعه العازف في فمه للنفخ فيه ورفع الصوت منه وما يشبه ذلك، وإنشاء النغمة وكيفيتها المطربة يرجعان إليه لا إلى الناي، فكذلك تقاسيم رحمة الله تعالى التي كانت في نصيب رسول الله ﷺ.

وانتقل الرسول ﷺ إلى الملأ الأعلى قبل تكميله، فكمل هذا على أيدي الخلفاء نيابة عن النبي ﷺ، وهذا العمل في الواقع ينسب إلى النبي ﷺ، ويكون الخلفاء كالجوارح له لا غير.

فالخلافة الخاصّة هي أنّ الأعمال والأشياء التي نُسِبَتْ إلى النبي ﷺ في القرآن والحديث القدسي تمَّت وتحقَّقت على يد الخليفة، وقد بيّن النبيُّ ﷺ خلافته ونيابته عنه تصريحاً وتلويحاً مرَّات كثيرة، حتّى تُسجّل جميع الأعمال التي تمّت على يد الخليفة في سجلِّ النبي ﷺ، وحصل للخلفاء شرف الوسيلة لا غير، كما جاء في القرآن الكريم: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ [الفتح: ٢٩]، ما يدلّ على هذا المعنى، ويشهد على ذلك هذا الحديث القدسي: «**وإنَّ اللهَ نظرَ إلى أهلِ الأرضِ فمقتَهم عربَهم وعجمَهم إلّا بقايا**[٢] **مِنْ أهلِ الْكِتَابِ وَقَالَ: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِيَ بِكَ**»[٣].

ومثل هذا الأمر قصّة سيّدنا داود عليه السلام، وهي أنّه أقبل على بناء المسجد الأقصى بعلوِّ همَّة وعزيمة، فلمَّا رأى أنّ البناء لا يتمّ على يده

---

(١) فارسية، جمعه نايات: آلة من آلات الطرب يُنفخ فيها.

(٢) كان أهل الكتاب من اليهود والنصارى قد انحرفوا عن دينهم الذي جاء به أنبياؤهم، وسلكوا طرق البدعة والضلال إلَّا شرذمة قليلة منهم عُبِّرَ عنها في الحديث ببقايا من أهل الكتاب.

(٣) أخرجه مسلم رقم: (٢٨٦٥).

سأل الله أن يرزقه ولداً صالحاً حتّى يُتِمَّ إنجازه ويُكمِّل خطّته، وَلَمَّا كان ولدُه حسنةً من حسناته نسب بناء المسجد الأقصى إليه، واشتهر عليه السلام أنّه هو باني المسجد الأقصى ومؤسسه.

والنكتة الثالثة: أنّ الخلافة أمرٌ عظيم، ونفوس بني آدم مجبولة على الشهوات، والشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم، فإذا استقرَّت الخلافة بالرأي فيحتَمَلُ أنْ يكونَ الخليفةُ يسلك طريق الظلم والجور، ويتكاسل عن أداء مهمَّات الخلافة، وإذا كان الأمرُ كذلك، فالضررُ أكبرُ وأشدُّ من عدم استخلافه، وهذا الاحتمال كثير الوقوع، ألا ترى أنَّ جميعَ الملوك إلّا مَنْ عصمه الله وقعوا في هذه المهلكة والضلال ولا يزالون، ولا يصحُّ استخلافه، ولا تطمئنُّ قلوب الناس حتّى يزولَ هذا الاحتمالُ بوعد الله، أو بالأوصاف والخصال التي إذا حصلت يمتنع الظلم والإهمال عادةً، ويغلب على الظنّ وقوعُ العدل والقيامُ بمهمات الخلافة.

وتأمّل من ناحية أخرى أنّ من صار مرشداً للخلائق ومربِّياً لهم في العلم الظاهر والباطن، يحتمل أن يكون مخطئاً غير مصيب في علمه وحاله، واعتقده الآخرون مصيباً متمسِّكين ببعض القرائن والبراهين وروّجوا ذلك الخطأ، وما أحسن ما قاله الشاعر الفارسي:

اي بسا ابليس آدم روئ هست بس بهر دستے نبايد داد دست

ومعناه: ربّما يَتمثَّلُ إبليس بصورة إنسانٍ، فلا ينبغي المبايعةُ لكلِّ من يمدَّ يده إليك.

فلا يخلو الأمر من الشبهة، ما لم يحصل الوثوق بعلمه وحاله في ضوء الأحاديث المستفيضة من الصادق المصدوق ﷺ وإشاراته.

فالخلافة الكاملة (الخاصة) هي التي حصل لنا الوثوق بصاحبها بنصٍّ من الشارع أو إشاراته عليه السلام.

والخلافة العامة هي خلافة رجل يُكتفى بمعرفة عدالته وعلمه بمجرد الرأي.

وبعد ما انتهينا من بيان هذه النكات الثلاث نقوم ببيان تفصيل لوازم الخلافة الخاصة:

تفصيل الصفات اللازمة للخلافة الخاصة:

١ ـ إنّ مِنْ لوازم الخلافة الخاصة أن يكونَ الخليفةُ من المهاجرين الأولين، ومن الذين شهدوا الحديبيةَ، والحاضرين عند نزول سورة النور، وشهدوا بدراً وتبوك، وغيرها من المشاهد العظيمة؛ فإنَّ الأحاديث استفاضت في بيان عظمة شأنهم ووعدهم بالجنة.

فأما كونه من **المهاجرين الأولين**، فذلك لأنّ الله تبارك وتعالى قال فيهم: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ۚ﴾ [الحج: ٣٩]، ثم قال بعد ذلك: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [الحج: ٤٠]، ثم قال بعد ذلك: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ﴾ [الحج: ٤١].

وحاصل المعنى في هذه الآيات الكريمة أنَّ المهاجرين الأولين الذين أُذِن لهم بالقتال، قال الله تعالى فيهم تعليقاً: ﴿إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ...﴾؛ أي: إن جعلناهم رؤساء أقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وأمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر.

و«**النهي عن المنكر**» يتناول إقامةَ الجهاد؛ إذ إنَّ أشدَّ المنكرات هو الكفر، وأشدّ الطرق للنهي عن المنكر الجهاد، وهو يتناول إقامة الحدود ورفع المظالم كذلك.

و«**الأمر بالمعروف**» يتناول إحياء العلوم الدينية، فقد لزم بمقتضى

هذا القول الربّاني أنَّ أيَّ شخص من المهاجرين الأولين إن مُكِّن في الأرض، فلا بدّ أن تتحقّق على يديه غاياتُ الخلافة ومطالبها، وليس في وعد الله خُلْفٌ، فإذا كان الخليفةُ من المهاجرين الأولين قام الأمنُ، واطمئنّتِ القلوب بخلافة هذا الرجل، وهذه الصفة المذكورة في شأن المهاجرين الأولين هي في مقام العصمة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام[1].

وأيضاً قال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، وأيضاً قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ [الأنفال]، وأيضاً قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٢٠].

إذن يجب أن يكون الخليفة من المهاجرين الأولين؛ لأنّه من لوازم الخلافة الخاصة.

وكذلك يجب أن يكون الخليفة ممّن شهد صلح **الحديبية لعدة وجوه:**

الأول: قال الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ [الفتح: ٢٩]، ثم يقول بعد ذلك: ﴿مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ﴾ [الفتح: ٢٩].

وحاصل هذه الآيات: أنّ الذين شهدوا مع رسول الله ﷺ صلح الحديبية يقع على أيديهم إظهارُ الدين، وإعلاء كلمة الله، فإذا وُجدت

(١) قال المحشّي: جزى الله المؤلف على هذا التحقيق العجيب.

هذه الصفةُ في الخليفة توثق الاعتماد على أن مطالب الخلافة تتحقَّق به.

الثاني: قد ثبت في القرآن العظيم أن الله تعالى رضي عنهم، فقد قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، وقد ورد في الحديث عن جابر قال رسول الله ﷺ: «**لَنْ يلجَ النارَ أحدٌ شهدَ بدراً والحديبيةَ**»[١]، وروي عنه أيضاً أنه قال رسول الله ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**»[٢].

الثالث: ينبغي أن يكون الخليفة ممن **حضر عند نزول سورة النور**؛ لأن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ [النور: ٥٥]، ولفظة «**منكم**» راجعة إلى الحاضرين دون المسلمين قاطبةً، إذ إنّه لو كان المرادُ بها جميعَ المسلمين للزم التكرار[٣] بذكر لفظة «منكم» مع كلمة ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾، فالمعنى المراد: هو أنّ الله وعدَ تلك الطائفة الموجودة عند نزول الآية بأنَّ تمكينَ الدينِ وغلبتَه يظهر وفق سعيهم واجتهادهم وجهدهم.

ويجب أيضاً: أن يكون ممن شهد **مشاهد الخير**؛ لأن أصحاب بدر هم أفضل الصحابة ﷺ، كما أخرج البخاري عَنْ مُعَاذِ بْنِ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم: (٣٠٠٧ و٤٢٧٤)، ومسلم في «صحيحه» (رقم ٢٤٩٤)، وأبو عمر في «الاستيعاب» (١/ ١٥٢) رقم الترجمة: (٨٠٨)، واللفظ له.

(٢) أخرجه أبو داود في «سننه» رقم: (٤٦٥٣).

(٣) التكرار هنا بمعنى اللغو الزائد؛ إذ إن مراد الله تعالى بـ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ لو كان جميع المسلمين إلى يوم القيامة، لكانت لفظة: ﴿مِنكُمْ﴾ في الآية لغواً زائداً؛ إذ إن هذا المعنى ينشأ في الآية بدون «منكم» بطريق أحسن، وذلك بحيث يكون الكلام حسبما يلي: (وعد اللّه الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض)...، وتعالى كلام الله تعالى عن أن تكون فيه كلمة لغو بدون معنى.

الزُّرَقِيِّ عَنْ أَبِيهِ ـ وَكَانَ أَبُوهُ مِنْ أَهْلِ بدرٍ ـ قَالَ: جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ؟ قَالَ: «**مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ**» أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا، قَالَ: وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْراً مِنَ الْمَلَائِكَةِ[١].

وقد ورد في شأنهم في حديث صحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ على أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمُ الْجَنَّةُ، أَوْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**»[٢].

ونزلت في الذين **شهدوا تبوك** هذه الآية: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ [التوبة: ١١٧].

ومبنى هذا الأصل (يعني: المشاركة في مشاهد الخير من لوازم الخلافة الخاصة) كلام **ابن عمر** الذي أراد أن يقوله لمعاوية بن أبي سفيان: «أَحَقُّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْكَ مَنْ قَاتَلَكَ وَأَبَاكَ عَلَى الْإِسْلَامِ»، أخرجه **البخاري**[٣].

وكذلك قول عبد الرحمٰن بن غنم الأشعري فقيه الشام مبنيٌّ على هذا الأصل، وهو في قصة طويلة، وهو الذي عاتب أبا هريرة وأبا الدرداء بحمص إذ انصرفا من عند علي رضي الله عنه رسولين لمعاوية، وقد أرسلهما معاوية إلى علي رضي الله عنه ليطلبا منه أن يجعل الأمر شورى بينهم، وكان مما قال لهما: «عجباً منكما كيف جاز عليكما ما جئتما به، تدعوان عليّاً أن يجعلها شورى، وقد علمتما أنه قد بايعه المهاجرون والأنصار وأهل الحجاز والعراق، وأنَّ مَنْ رضيه خيرٌ ممن كرهه، ومن

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم: (٣٩٩٢).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم: (٣٩٨٣)، وفي الأصل: «فقد غفرت لكم أو فقد وجبت لكم الجنة» فالعبارة مقلوبة، والصواب ما أثبتناها.

(٣) «صحيح البخاري» رقم: (٤١٠٨).

بايعه خيرٌ ممّن لم يبايعه، وأيّ مدخل لمعاوية في الشورى وهو من الطلقاء الذين لا تجوز لهم الخلافة، وهو وأبوه من رؤوس الأحزاب، فندما على مسيرهما، وتابا منه بين يديه رضي الله تعالى عنهم»، أخرجه **أبو عمر** في «الاستيعاب»[(١)].

٢ ـ ومن لوازم الخلافة الخاصة: أن يكون الخليفة مبشّراً بالجنّة؛ أي: قال النبي ﷺ فيه بلسانه المبارك: إنّ فلاناً من أهل الجنّة، وعاقبته النجاة والسعادة، وذلك بخصوص اسمه بدون أي تعليق وشرط؛ إذ إن هذا التبشيرَ يُفيد القطعَ أن يكونَ هذا الشخصُ صاحبَ سعادة وإيمان وتقوى في آخر أحواله.

وكان الخلفاء في آخر أحوالهم قائمين بأمر الخلافة، وانتقلوا من الدنيا إلى الآخرة في هذه الحال، ويُفيد ظنّاً قريباً من اليقين أن يكون هذا الرجل صالحاً، ومجتنباً للمعاصي، ومطيعاً اللهَ تعالى، وإن كان اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة أنَّ توبة أهل الكبائر مقبولةٌ ولو كانت قليلة الوجود، فلو جاز أن يصدرَ من المبشرين بالجنة الكبائر لزم منه تلبيس عظيم، وتدليس شديد؛ (لأنَّ البشارة بالجنة لهم تنفي أن يتصور عنهم صدور الكبائر) مع أنَّ كلامَ النبيِّ ﷺ منزَّهٌ عن التلبيس والتدليس، وبلغت بشارة الخلفاء الراشدين بالجنة حدَّ التواتر، لا يحتمل خلافه[(٢)].

وأما تبشير النبي ﷺ الخلفاءَ الأربعة بالجنَّة فقد بلغ حدَّ التواتر بحيث لا يدع مجال الاحتمال لخلافه.

أوّلاً: ورد ذلك إجمالاً في آيات مناقب المهاجرين الأولين،

---

(١) (١/ ٢٥٧) رقم الترجمة: (١٤٤٩).

(٢) وذلك بشهادة الله تعالى الواردة في القرآن، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم].

وحضَّار الحديبية، وجيش العُسرة وغيرها، وفي ضمن أحاديث نبوية وردت في مناقب الصحابة مطلقاً أو في مناقب الذين شهدوا الغزوات مما يطول ذكره.

ثانياً: والبشارة لهم بالجنة في الحديث الذي روي عن سعيد بن زيد في شأن العشرة المبشرة[(١)].

ثالثاً: والبشارة لهم بالجنة في الحديث الذي روي عن أبي موسى وجابر رضي الله عنهما وغيرهما.

رابعاً: والحديث الذي روي عن أبي سعيد الخدري وابن مسعود رضي الله عنهما في شأن الشيخين.

خامساً: وفي الأحاديث النبوية التي رويت عن كثير من الرواة في شأن كل خليفة، منها حديث: «**عثمانُ رفيقي ومعي في الجنَّةِ**»[(٢)]، وحديث: «**ولعليٍّ بستانٌ في الجنَّة**»[(٣)].

٣ ـ **ومن لوازم الخلافة الخاصة**: أن يكونَ الخليفةُ رجلاً نصّ النبيُّ ﷺ على أنّه من الطبقة العليا من الأمة؛ يعني: من الصدّيقين والشهداء والصالحين.

والمحدَّث[(٤)] يساوي الصديق رتبةً، وإنّه يدخل في تعريف الصديق

---

(١) أخرجه الترمذي رقم: (٣٧٤٨)، وابن ماجه رقم: (١٣٣ و١٣٤).

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ١٠٤).

(٣) كذا في النسخة الفارسية الأصلية، وأخرج أبو يعلى في «مسنده»: عن علي بن أبي طالب، قال: بينما رسول الله ﷺ آخذ بيدي، ونحن نمشي في بعض سكك المدينة؛ إذ أتينا على حديقة، فقلت: يا رسول الله! ما أحسنَها من حديقةٍ، قال: «**لكَ في الجنّةِ أحسنُ منها**»، ثمّ مررنا بأخرى، فقلت: يا رسول الله! ما أحسنَها من حديقةٍ، قال: «**لك في الجنَّة أحسنُ منها...**». (١/ ٢٦٥).

(٤) **الملهم**: من يُلْقى في نفسه شيئاً فيخبر به حدساً وفراسةً، يخصّ به الله من يشاء، =

باعتبار آخر (لهذا لو ورد في شأن أحدٍ لفظُ مُحَدَّث فيكفي له)، أو بيَّن ﷺ أنّه في أعلى درجات الجنّة، فيلزم من هذا أن هذا الشخص يكون في الطبقة العليا من الأمة، أو يكون رأيه موافقاً للوحي، ونزلت آيات كثيرة وفق رأيه، ويلزم منه أيضاً أنه من الطبقة العليا، أو ثبت بالتواتر أن سيرته في العبادات والتقرب إلى الله أكمل من سير سائر المسلمين، ويتحلَّى بالخصال الحميدة والمقامات العليّة والأحوال السنيّة والكرامات القويّة، وسائر الأوصاف التي يلزم وجودها عند الصوفية في هذه الأيام، وكما بيّنها صاحب «قوت القلوب»[1] وغيره في مؤلفاتهم، مستدلّين عليها بالأحاديث والآثار.

ويلزم من هذه الأمور كونه من الصديقين والشهداء، ولزوم هذا المعنى في الخليفة من جهة أن تكون الرئاسة الظاهرة مقرونةً بالرئاسة الباطنة، ويحصل له تشبه كامل بالنبيِّ ﷺ، ويدخل تحت قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ﴾ [الفتح: ٢٩]، وتحت قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]، حيث وردت أحاديث نبوية كثيرة في هذا المعنى.

منها: حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ عَلَى أُحُد هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعَلِيٌّ وَعُثْمَانُ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ فَتَحَرَّكَتِ الصَّخْرَةُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**اهْدَأْ إِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ**» أخرجه **مسلم**[2] **والترمذي**.

= وقيل: مصيبون إذا ظنوا فكأنهم حُدِّثوا به. انظر: «مجمع بحار الأنوار» (١/ ٤٥١).

(١) انظر: الفصل الرابع إلى الفصل الثاني عشر من كتاب: «قوت القلوب» على سبيل المثال.

(٢) «صحيح مسلم» (ح: ٢٤١٧)، «سنن الترمذي» (ح: ٣٦٩٦).

ومنها: حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ: أَنَّ رسول الله ﷺ صَعِدَ أُحُداً وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ، فَرَجَفَ بِهِمْ، فَقَالَ: «**اثْبُتْ أُحُدُ! فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ**» أخرجه **البخاري**[1]، **وأبو داود والترمذي**.

ومنها: حديث عثمان مثل حديث أنس، وفي آخره: «**شهدَ مَعَهُ رجالٌ**» أخرجه **النسائي**[2].

ومنها حديث أبي هريرة ﷺ: «**أَمَا إِنَّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي**» أخرجه **أبو داود**[3].

• وحديث **جابر**: «**يا أبا بكر أعطاك الله الرضوان الأكبر**» فقال بعض القوم: ما الرضوانُ الأكبرُ يا رسول الله؟ قال: «**يتجلَّى اللهُ لعبادِهِ في الآخرةِ عامّةً، ويتجلَّى لأبي بكرٍ خاصّةً...**» أخرجه **الحاكم**[4] ونُوْزِع في صحته، والحق مع الحاكم.

• وحديث **ابْنِ عُمَرَ**: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ: «**أَنْتَ صَاحِبِي عَلَى الْحَوْضِ، وَصَاحِبِي فِي الْغَارِ**»[5].

ومنها: حديث: «**جَعَلَ اللهُ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ**»[6]، رُوِي ذلك الحديث عن ابن عمر، وأبي ذرّ، وعلي بن أبي طالب.

---

(١) «صحيح البخاري» (ح: ٣٦٧٥)، «سنن أبي داود» (ح: ٤٦٥١)، «سنن الترمذي» (ح: ٣٦٩٧).

(٢) «سنن النسائي» (٦/ ٢٣٥) رقم: (٣٦٠٨ ـ ٣٦٠٩)، ليس هكذا في «النسائي»، بل فيه: «فانتشد له رجال».

(٣) «سنن أبي داود» رقم: (٤٦٥٢).

(٤) «المستدرك» (٣/ ٨٣) رقم: (٤٤٦٣)، وقال الذهبي: وأحسب أن محمد بن خالد البجلي وضعه.

(٥) أخرجه الترمذي رقم: (٣٦٧٠).

(٦) أخرجه أبو داود رقم: (٢٩٦١)، والترمذي رقم: (٣٦٨٢).

ومنها: حديث: «لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ فَإِنَّهُ عُمَرُ»(١)، وهو يُروى عن **أبي هريرة، وعائشة**.

• ومثله حديث **عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ كَانَ بَعْدِي نَبِيٌّ لَكَانَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ**»(٢).

• ومثله حديث: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكاً فَجّاً إِلَّا سَلَكَ فَجّاً غَيْرَ فَجِّكَ**»(٣)، رُوي هذا الحديث عن **سعد بن أبي وقّاص، وأبي هريرة، وعائشة، وبُريدَة الأسلمي**.

• وحديث موافقةُ رأي عمر الفاروق الوحيَ، المرويُّ عن **عمر، وابن عمر، وابن مسعود**.

• ومنها حديث: «**هَذَانِ سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ إِلا النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ**»(٤)، رُوي هذا الحديث عن **علي بن أبي طالب، وأنس وأبي جُحيفة**.

• وحديث: «**إِنَّ أَهْلَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى لَيَرَاهُمْ مَنْ تَحْتَهُمْ كَمَا تَرَوْنَ النَّجْمَ الطَّالِعَ فِي أُفُقِ السَّمَاءِ، وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ مِنْهُمْ وَأَنْعَمَا**» أخرجه **الترمذي**(٥) **وابن ماجه**.

• وحديث: «**أَلا أَسْتَحِيي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِيي مِنْهُ الْمَلائِكَةُ**»؛ يعني: عثمان أخرجه **مسلم**(٦).

---

(١) أخرجه الترمذي رقم: (٣٦٨٦). (٢) أخرجه الترمذي رقم: (٣٦٨٦).
(٣) أخرجه البخاري رقم: (٣٢٩٤)، ومسلم رقم: (٢٣٩٦).
(٤) أخرجه الترمذي رقم: (٣٦٦٥).
(٥) «سنن الترمذي» رقم: (٣٦٥٨)، و«سنن ابن ماجه» رقم: (٩٦).
(٦) «صحيح مسلم» رقم: (٢٤٠١).

• وحديث: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ رَفِيقٌ، وَرَفِيقِي** ـ (يَعْنِي: فِي الْجَنَّة) ـ **عُثْمَانُ**» أخرجه **الترمذي**[١].

• وحديث: «**أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى**»[٢]، رُوي هذا الحديث عن **سعد بن أبي وقاص، وجابر** وغيرهما.

• وحديث: «**لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَداً رَجُلاً يُفْتَحُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ**»[٣] رواه جماعة من الصحابة.

وقال علي بن أبي طالب ﵁: قال النبي ﷺ: «**إنَّ كلَّ نبيٍّ أُعطيَ سبعةَ نُجباءَ أو نُقباءَ**[٤]**، وأُعطيتُ أنا أربعةَ عشرَ**»، قلنا: مَنْ هم؟ قال: «**أنا، وابناي، وحمزة، وأبو بكر، وعمر، ومصعب بن عمير، وبلال، وسلمان، والمقداد، وأبو ذر، وعمار، وعبد الله بن مسعود**»[٥].

وسننقل في الفصل الآتي مزيداً من أحوال الخلفاء الأربعة كما ثبت في الأحاديث المستفيضة.

٤ ـ من لوازم الخلافة الخاصة: أن يكونَ النبيُّ ﷺ قد عامله مرَّات وكرَّات معاملة الملك لولي عهده قولاً وفعلاً، **ولهذه المعاملة صور شتى:**

الأول: أن يُبيِّن النبيُّ ﷺ استحقاقُه الخلافةَ، ويذكر فضائله باعتبار حسن معاملته الأمةَ.

---

(١) «سنن الترمذي» رقم: (٣٦٩٨).
(٢) أخرجه البخاري رقم: (٣٧٠٦).
(٣) أخرج البخاري رقم: (٣٠٠٩) واللفظ له، ومسلم رقم: (٢٤٠٤)، والترمذي رقم: (٣٧٢٤).
(٤) ورد في الأصل الفارسي «نجباء رفقاء»، وفي متن «تحفة الأحوذي» (١٠/١٩٨): «نجباء رفقاء أو قال: رقباء»، «نجباء» جمع نجيب، وهو الفاضل من كل حيوان، «رفقاء» جمع رفيق، وهو المرافق، «رقباء»؛ أي: حفظة يكونون معه وهو جمع رقيب. انظر: «تحفة الأحوذي».
(٥) أخرجه الترمذي رقم: (٣٧٨٥).

والثاني: أن يقيم النبيُّ ﷺ بعضَ القرائن، يَفْهَمُ منها فقهاءُ الصحابة أنه لو كان مستخلِفاً لاستخلَفَ فلاناً.

ويعرفون منها أنّ: «أحبَّ الناسِ إلى رسول الله ﷺ فلان».

ويقولون: توفِّي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ.

مثل هذا الكلام وما أشبه ذلك يصدر منهم.

والثالث: أن يكون ﷺ قد أسند إليه في حياته مسؤوليةَ القيامِ بالأعمال التي تتعلّق بذاته الشريفة ﷺ من حيث النبوَّة، ولزوم هذا المعنى في الخلافة الخاصة من جهة أن يحصلَ للناسِ الوثوقُ بخلافة الخليفة من قبل الشرع.

لذلك فإنّ الشيخين (أبا بكر وعمر) إذا أرادا أن يوكِّلا أحداً على أيّ أمر نظرا هل وكَّله النبي ﷺ على أمر من أمور المسلمين أم لا؟ فإن كان كذلك وكَّلاه وإلا توقَّفا.

وبلغ مثل هذه الوقائع حَدَّ التواتر، وسنفصّل هذا في الفصل الآتي إن شاء الله تعالى.

فعلى هذا واجبٌ أن يُنسَبَ قيامُ الخليفة في الأمور الدينية إلى النبي ﷺ كمثل: بنى الأمير المدينة، نسب فيه عمل المحكوم إلى الحاكم.

وأما ذكر النبي ﷺ أحوال الخلفاء الراشدين بصفات تدل على أنّهم يستحقون الخلافةَ في أحاديث مناقب الصحابة، وفي ذكر مناقبهم فرداً فرداً.

وهذا البيان النبوي وثيقةٌ للخلافة، كما يكون لرواية الحديث والتدريس والإفتاء وثيقة الإجازة.

كما في زماننا اختار العلماء جماعة من تلاميذهم يقومون مقامهم فيما بعدُ، ويصرّحون بذلك، كذلك النبي ﷺ بيّن أمر الخلافة لكبار الصحابة وفضلائهم.

• ومن تلك الأحاديث حديث **أبي سعيد الخدري** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أرحمُ أُمّتي بها أبو بكر، وأقواهم في دينِ اللهِ عمرُ، وأصدقُهم حياءً عثمانُ، وأقضاهم عليُّ بنُ أبي طالبٍ...**» إلخ، أخرجه **أبو عمر** في أول «الاستيعاب»[١].

• وحديث شيخ من الصحابة يقال له: **أبو محجن** ـ أو محجن بن فلان ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَرْأَفُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي**»[٢] فذكر الحديث.

• وحديث **أنس بن مالك** رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**أرحمُ أُمّتي بأُمّتي أبو بكر**»، فذكر مثله[٣].

• ومنها: حديث **ابن مسعود** وحديث **حذيفة**: «**إِنِّي لَا أَدْرِي مَا بَقَائِي فِيكُمْ، فَاقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي**»[٤].

• ومنها حديث **علي وحذيفة**: «**إِنْ تُؤَمِّرُوا أَبَا بَكْرٍ** رضي الله عنه **تَجِدُوهُ أَمِيناً زَاهِداً فِي الدُّنْيَا، رَاغِباً فِي الْآخِرَةِ، وَإِنْ تُؤَمِّرُوا عُمَرَ** رضي الله عنه **تَجِدُوهُ قَوِيّاً أَمِيناً، لَا يَخَافُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، وَإِنْ تُؤَمِّرُوا عَلِيّاً** رضي الله عنه ـ **وَلَا أُرَاكُمْ فَاعِلِينَ ـ تَجِدُوهُ هَادِياً مَهْدِيّاً، يَأْخُذُ بِكُمُ الطَّرِيقَ الْمُسْتَقِيمَ**»[٥].

ومنها: سُئِلَتْ **عائشة** رضي الله عنها: مَنْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُسْتَخْلِفاً لَوِ

---

(١) «الاستيعاب» (١/ ٦ و٢٢)، رقم الترجمة: (٦).

(٢) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٦/ ٣٢٦).

(٣) أخرجهما أبو عمر في «الاستيعاب» (١/ ٦).

(٤) أخرجه الترمذي رقم: (٣٦٦٣).

(٥) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم: (٨٥٩).

اسْتَخْلَفَهُ؟ قَالَتْ: أَبُو بَكْرٍ، فَقِيلَ لَهَا: ثُمَّ مَنْ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ؟ قَالَتْ: عُمَرُ، ثُمَّ قِيلَ لَهَا: مَنْ بَعْدَ عُمَرَ؟ قَالَتْ: أَبُو عُبَيْدَةَ[1].

ومنها قول عمر ﷺ: ما أَحَدٌ أَحَقَّ بِهَذَا الأَمْرِ مِنْ هَؤُلَاءِ النَّفَرِ الَّذِينَ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ، فَسَمَّى عُثْمَانَ، وَعَلِيّاً، وَطَلْحَةَ، وَالزُّبَيْرَ، وَعَبْدَ الرَّحْمَـٰنِ بْنَ عَوْفٍ وَسَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ[2].

• ومنها حديث **أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا لَهُ وَزِيرَانِ مِنْ أَهْلِ السَّمَاءِ، وَوَزِيرَانِ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَأَمَّا وَزِيرَايَ مِنْ أَهْلِ السَّمَاءِ فَجِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ، وَأَمَّا وَزِيرَايَ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ فَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ**» أخرجه **الترمذي** [3].

وللحديث طرق عند الحاكم[4] وغيره، وقال: «**مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ**»[5] أخرجه جماعة.

إلى هنا الأحاديث المذكورة تدل على معاملته ﷺ الخلفاءَ الأربعةَ قولاً كمعاملة الملك لولي عهده.

• وأما معاملته ﷺ الخلفاءَ الأربعةَ فعلاً، فوردت فيها أيضاً أحاديثُ كثيرةٌ، بلغت حدَّ التواتر بالمعنى.

منها: تفويض الإمامةِ الصدّيقَ على الصلاة عند ما ذهب إلى قبيلة عمرو بن عوف.

---

(١) أخرجه مسلم رقم: (٢٣٨٥).
(٢) أخرجه البخاري رقم: (١٣٩٢).
(٣) «سنن الترمذي» رقم: (٣٦٨٠).
(٤) ذكر الحاكم لهذا الحديث طريقين في «مستدركه» (٢/ ٢٩٠)، وأخرجه ابن عساكر في «تاريخه» (٤٤/ ٦٣) عن ابن عباس ﷺ، والذهبي في «تاريخ الإسلام» (١/ ٤٠٨) عنه أيضاً.
(٥) أخرجه الترمذي رقم: (٣٧١٣).

ولمّا خرجت جنود المسلمين من المدينة في غزوة تبوك أسند إليه النبيُّ ﷺ مسؤوليةَ تفقّد العسكر، وإقامة الصلاة.

وتفويضُ إمامة الصلاة إليه في آخر مرضه متواتر بالمعنى.

وكذلك جَعْلُه أمير الحج في السنة التاسعة من الهجرة.

وإرساله في الغزوات عدة مرّات.

ودوام مشاورته ﷺ الشيخين في أمور المسلمين.

• ومعاملته ﷺ عُمَرَ رضي الله عنه تشهد على ذلك، بأن جعله أميراً في بعض الغزوات، وقرره عاملاً على أخذ الصدقات في المدينة المنورة.

• ومعاملته ﷺ عثمانَ رضي الله عنه تشهد على ذلك بأن جعله رسولاً إلى أهل مكة في صلح الحديبية.

• ومعاملته ﷺ عليّاً رضي الله عنه تشهد على ذلك بأن جعله أميراً على اليمن، ودعا له بأن يجعل اللهُ عملَ القضاء سهلاً وهيِّناً عليه. وهذه الأحاديث من حيث المجموع متواترة بالمعنى.

٥ ـ **ومن لوازم الخلافة الخاصة**: أن يتمَّ بعضُ الأمور التي وعد بها اللهُ النبيَّ ﷺ على يد الخليفة، وهذه العلامات تعرف بعد انعقاد الخلافة لا قبلها، بخلاف الأمارات الأخرى؛ لأنها تُعرَفُ قبلها.

ووجود هذا المعنى في الخلفاء الأربعة ثابت متحقّق، حيث إن آية: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ...﴾ [الحج: ٤١]، تشتمل على ذكر إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وآية: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ...﴾ [النور: ٥٥]، ذكر فيها أن التمكين للدين والتقوية له تمّ على أيديهم حسب سعيهم، ويحصل الأمن من الكفار، وفي آية: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ﴾ [الفتح: ٢٩]، إشارة إلى فتح البلدان، وشيوع الإسلام في الأقاليم المعمورة، وفي آية:

﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة: ٣٣]، إشارة إلى غلبة الإسلام على اليهودية والنصرانية والمجوسية، وكان ذلك في عصور الخلفاء الثلاثة، وفي آية: ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ...﴾ [المائدة: ٥٤]، مذكور فيها قتال المرتدّين، وهذا أيضاً علامة الخلافة الخاصة، وقع ذلك في عصر أبي بكر الصدَّيق رضي الله عنه وفي آية: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ...﴾ [الفتح: ١٦]، إشارة إلى جمع العساكر للنفير العام لقتال أهل فارس والروم، وتحقق ذلك في عصور الخلفاء الثلاثة، وفي آية: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ [القيامة]، إشارة إلى جمع القرآن في المصاحف، وقع ذلك في عصور الخلفاء الثلاثة.

• وقد جاء في الحديث القدسي: «**إنّ اللهَ نظرَ إلى أهلِ الأرضِ فمقتَهم عربَهم وعجمَهم...**»[(١)]، وفيه إشارة إلى قتال العجم، وقد وقع ذلك في عصر الخلفاء الثلاثة.

• وفي حديث: «**إذا هلكَ كسرى فلا كسرى بعدَه، وإذا هلكَ قيصرَ فلا قيصرَ بعده**»[(٢)]، وفي حديث: «**لتُفْتَحَنَّ كنوزُ كسرى...**»[(٣)]، فيهما إشارة إلى فتح فارس والروم، وحصل ذلك في عهد الخلفاء الثلاثة.

• وفي حديث قتال الخوارج: «**لئن أدركتُهم لأقتلنَّهم قتل عادٍ...**»[(٤)]، وورد في حديث آخر لفظ: «**يلي قتلهم أولى الفرقتين**»[(٥)]، وقع ذلك في عهد علي المرتضى.

---

(١) أخرجه مسلم رقم: (٢٨٦٥)، والنسائي في «السنن الكبرى» رقم: (٨٠٧٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٢/ ٤٢٢) رقم: (٦٥٣).

(٢) أخرجه البخاري رقم: (٣١٢٠)، ومسلم رقم: (٢٩١٨)، والترمذي رقم: (٢٢١٦)، واللفظ للبخاري والترمذي.

(٣) أخرجه البخاري رقم: (٣٥٩٥)، وأحمد في «مسنده» برقم: (٢٠٩٨٧).

(٤) أخرجه البخاري رقم: (٣٣٤٤)، ومسلم رقم: (١٠٦٤)، وأبو داود رقم: (٤٧٦٤).

(٥) أخرجه مسلم رقم: (١٠٦٤)، ولفظه: «**يلي قتلهم أولاهم بالحق**»، والنسائي في =

٦ ـ **ومن لوازم الخلافة الخاصة**: أن يكونَ قولُ الخليفةِ حجّةً في الدِّين، ليس معنى ذلك أنَّ تقليدَ عامَّة المسلمين له واجباً؛ فإنَّ هذا المعنى من لوازم الاجتهاد، وتقدَّم ذكره في مبحث الخلافة العامَّة[١]، ولا على معنى أنَّ الخليفةَ واجبُ الطاعةِ في نفسه من غير استنادٍ إلى تنبيه من النبي ﷺ؛ لأنّ واجبَ الإطاعة في نفسه لم يتيسَّر إلا للنبيِّ ﷺ، بل المراد بذلك هنا أنّ قول الخليفةِ منزلةٌ بين المنزلتين[٢].

وتفصيل هذ الإجمال أنَّ النبيَّ ﷺ إذا فوّض بعضَ الأمور إلى شخصٍ بذكر اسمه، فيجب على المسلمين اتباعه، كما يجب طاعة أمراء الجيوش بأمر النبيِّ ﷺ، ووجود هذه الصفة في الخلفاء الراشدين كتقديم قول زيد بن ثابت في علم الفرائض على أقوال المجتهدين الآخرين، وقول عبد الله بن مسعود في القراءة والفقه، وقول أُبيّ بن كعب في القراءة على أقوال الآخرين، وقول أهل المدينة[٣] ـ عند اختلاف الأمة ـ على أقوال غيرهم، وقد علم رسول الله ﷺ بتعليم أنّه سيكون في الأمة اختلافٌ كثيرٌ بعده، وتكون الأمّةُ في بعض المسائل في حَيْرةٍ، فاقتضت رحمته الكاملة الكائنة على الأمة أن يقومَ بتعيين المخرج من هذا المأزق، وأن يقيمَ الحجّة في هذا الباب على الأمة، فإنه ﷺ قد قام بذلك، وهذه الصفة ثابتةٌ للخلفاء الأربعة؛ إذ إنّ الله تبارك وتعالى قال: ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ [النور: ٥٥].

= «خصائص علي» (١/ ١٣٥)، ولفظه: «**يلي قتلهم أولى الطائفتين**».

(١) انظر هذا المبحث في: (ص٩١).

(٢) يعني: ألّا يكون الخليفة من عامة المجتهدين، بل يكون مجتهداً من نوع آخر، لوجود تنبيه النبيِّ ﷺ إلى وجوب طاعته، فتلك هي منزلة بين المنزلتين؛ أي: النبوّة والاجتهاد المجرّد عن تنبيه النبي ﷺ إلى وجوب الطاعة.

(٣) كما هو مذهب الإمام مالك من بين أئمة الفقه.

فالمستفاد من هذه الآية: أنَّ كلَّ ما يمكن ويشيع ويشتهر من دين مرضيٌّ، وكل ما اشتهر من الخلفاء من الدين يُنْسَبُ إلى الشرع، قال تعالى: ﴿إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ...﴾ [الحج: ٤١]، أفاد فيها أن الطريق الذي ظهر منهم الصلاة والزكاة والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر هو الطريق المرضي عند الله.

• وفي حديث **العرباض بن سارية**: **«عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي»**[١]، وفي حديث **ابن مسعود وحذيفة**: **«اقتدوا باللَّذين مِنْ بعدي أبي بكر وعمر»**[٢]، ورُوي هذا المعنى عن أكابر الصحابة.

• أخرج الدارمي عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ أَبِي يَزِيدَ قَالَ: كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِذَا سُئِلَ عَنِ الأَمْرِ فَكَانَ فِي الْقُرْآنِ أَخْبَرَ بِهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْقُرْآنِ وَكَانَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَخْبَرَ بِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَعَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ قَالَ فِيهِ بِرَأْيِهِ[٣].

والمجتهدون من التابعين وأتباع التابعين أخذوا بهذا الأصل، وإلى هذا ذهب أهلُ المذاهب الأربعة، ومن أمعن النظر في «الموطأ»، وفي «كتاب الآثار» لمحمد بن الحسن الشيباني يعرف علم اليقين أنّه حق، وإن تردد فيه بعض الأصوليين من الشافعية في هذا الباب، ومنشأ تردّدهم غالباً أنَّ بعض السلف لم يأخذوا ببعض آثار الخلفاء.

والتحقيق في هذا الباب: أنّ تقديم بعض الأدلّة الشرعية على بعض عند التعارض لا ينفي حجّية دليل آخر، كما يترك خبر الواحد عند

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٣/ ١٦٣) رقم: (١٥٠٢٢).
(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤/ ١٤٠) رقم: (٣٨١٦).
(٣) أخرجه الدارمي في «سننه» (١/ ٧١) رقم: (١٦٦).

التعارض بالحديث المشهور والإجماع، (ولا يلزم من هذا أن خبر الواحد ليس بحجة)، ولمآخذ الفقه طبقات، ولكل طبقة حكم خاص بها، وفي هذا المقام ننقل هنا كلام الشافعي بلفظه ومعناه:

قال البيهقي في «السنن الصغرى»: أخبرنا أبو سعيد بن أبي عمرو، قال: حدثنا أبو العباس، قال: أخبرنا الربيع قال: قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما كان الكتاب أو السُّنَّة موجودين فالعذر على مَنْ سمعهما مقطوعٌ إلا باتباعهما، فإذا لم يكن ذلك صرنا إلى أقاويل أصحاب النبيِّ ﷺ أو واحدهم، ثم كان قول الأئمة: أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، [قال في القديم: وعلي رضي الله عنه[1]] إذا صرنا إلى التقليد أحبّ إلينا، وذلك إذا لم نجد دلالةً في الاختلاف تدلّ على أقرب الاختلاف من الكتاب والسُّنَّة، فنتبع القول الذي معه الدلالة»[2].

ثم بسط الكلام في ترجيح قول الأئمة إلى أن قال: «فإذا لم يوجد عن الأئمة (أبي بكر وعمر وعثمان) فأصحاب رسول الله ﷺ في الدين في موضع الأمانة أخذنا بقولهم، وكان اتباعهم أولى بنا من اتباع مَنْ بعدهم».

قال: «والعلم طبقات:

الأولى: الكتاب والسُّنَّة إذا ثبتت السُّنَّة.

ثم **الثانية**: الإجماع فيما ليس فيه كتاب ولا سُنَّة.

والثالثة: أن يقول بعض أصحاب النبي ﷺ، ولا نعلم له مخالفاً منهم.

والرابعة: اختلاف أصحاب النبي ﷺ.

---

(١) زاد في الأصل الفارسي.

(٢) انظر: «المدخل إلى السنن الكبرى» (١/ ٢٣)، و«معرفة السنن والآثار» (١/ ٧٣) واللفظ له.

والخامسة: القياس على بعض هذه الطبقات، ولا يصارُ إلى شيء غير الكتاب والسُّنَّة وهما موجودان، وإنَّما يؤخذ العلم من أعلى[١].

٧ ـ **ومن لوازم الخلافة الخاصة**: أن يكون الخليفةُ أفضلَ الأمة في زمن خلافته نقلاً وعقلاً، ولذلك ذكرتُ في النكتة الأولى أنَّ الخلافة الظاهرة إذا وافقت الخلافة الباطنة حصل وضع الشيء في محله.

ثم ها هنا نكتة وهي: «أنّ غير أخصّ الخواصّ لا يجدر برئاسة الخواصّ»، فخلافة غير الأخص لا تعمّ الجمع، (ولهذا أصحابُ النبيِّ ﷺ هم خواص الأمة، يليق أَنْ يحكمَ عليهم مَنْ هو أخصُّ الخواص؛ يعني: يكون أفضلهم).

واستخلاف غير الأخص حكمه حكم الرخصة بالنسبة إلى العزيمة، والرخصة لا تخلو عن الضعف، ولا يستحقُّ المدحَ على الإطلاق؛ لأنَّ المطلوب في الخلافة الخاصة تمكين الدين من كل وجه، وهذا لا يمكن إلا أن يكون الخليفة أفضل الأمة، كما قال علي ﷺ حين استخلف الحسن: «إن يردِ اللهُ بالناسِ خيراً فسيجمعهم بعدي على خيرِهم...»[٢]، خلافاً للخلافة العامّة؛ لأن تمكينِ الدين فيها مطلوب من وجه دون وجه، لا من كل الوجوه.

إنما قلنا: إنّ الخليفة يجبُ أن يكون أفضل الأمة لأسباب:

الأول: أنّ الخلافة الخاصة لها شَبَهٌ بالنبوّة، كما ورد في حديث خلافة على منهاج النبوة، وورد في حديث آخر: «**إنّه بدأ هذا الأمرُ نبوةً ورحمةً، ثم كائنٌ خلافةً ورحمةً**»[٣]، فالخلافة كالنبوة تشمل الرئاسة

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٨٤).

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٨٤).

(٣) «مجمع الزوائد» (٥/ ١٨٩).

الظاهرة والباطنة للدين والدنيا، فكما أنَّ كون الشخص نبيّاً يدل على أنه أفضلُ الأمة؛ لأنّ الله جلَّ ذكره هو الذي اختاره نبيّاً، كذلك كون الشخص خليفة يدل على أنه أفضل من غيره.

الثاني: استعمالُ غيرِ الأفضل خيانةٌ، كما رُوي عن **ابن عباس** رضي الله عنهما قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**مَنِ استعملَ رَجُلاً مِنْ عصابةٍ وفي هذه العصابةِ مَنْ هُوَ أرضى للهِ مِنْهُ، فقد خانَ اللهَ، وخانَ رسولَهُ، وخان المؤمنينَ**»[(١)].

وعن **أبي بكر الصديق** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ وَلِيَ من أمرِ المسلمينَ شيئاً، فأمّر عليهم أحداً محاباةً، فعليه لعنةُ اللهِ، لا يَقْبَلُ اللهُ منه صَرْفاً ولا عَدْلاً حتَّى يُدخِلَه جهنَّم**»[(٢)].

ومن هنالك تظهر خُطورةُ مكانةِ الخلافة الكبرى، نعم، لا حرج في سلوك الرخصة عند تزاحم المشكلات والفتن، واختلاط الخير بالشرِّ، وعدم قيام الأمر على ما يُرام.

الثالث: أن الصحابة رضي الله عنهم **جعلوا ـ** عند وقت المشاورة **ـ مدار الاستخلاف «الأفضلية»**، وقالوا: (أحقّ بهذا الأمر).

وأما الذين ناقشوا استخلافَ أبي بكر لمّا تبيَّن لهم خطؤهم اعترفوا بأنَّ أبا بكر أفضل الأمة، وهذا مبني على أنَّ الخلافة على حسب الأفضلية، كذلك **ثبتت أفضليةُ الخلفاء الأربعة على حسب ترتيب خلافتهم لأدلة**، وهنا أكتفي بذكر **ثلاثة مسالك**:

المسلك الأول: أنّ استخلافَ هؤلاء ثابتٌ بالنصّ والإجماع، وهذا يستلزِمُ الأفضلية لهم كما مرّ تقريره.

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ١٠٤).

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ١٠٤).

المسلك الثاني: هناك أحاديث كثيرة دالّة على أفضليتهم نصّاً.

منها: حديث **ابن عمر**: «كنا نخيّرُ في زمانِ رسولِ اللهِ ﷺ فنقول: أبو بكرٍ خيرُ هذه الأمة، ثم عمرُ، ثم عثمانُ»(١).

ومنها الحديث: «**هَذَانِ سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ**»(٢).

وبعضها يدلّ على أفضليتهما تلويحاً مثل حديث: «**مَنْ رأىٰ مِنْكُم رؤيا؟**»، فقال رجل: «أنا رأيتُ كأنَّ ميزاناً نزلَ من السماءِ، فوزنتَ أنتَ وأبو بكر، فرجحتَ أنتَ بأبي بكر، ووُزِنَ عمرُ وأبو بكر فرجحَ أبو بكر، ووُزِنَ عمرُ وعثمان فرجحَ عمُر»(٣)، المروي عن **أبي بكرة، وعرفجة**.

وحديث **أبي هريرة**: «**أما إنّكَ يا أبا بكر أوّلُ مَنْ يدخلُ الجنّةَ**»(٤).

وحديث **جابر**: «**يتجلّى اللهُ لعبادِهِ في الآخرةِ عامّةً، ويتجلّى لأبي بكرٍ خاصّةً**»(٥).

وحديث: «**إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَون أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ مِنَ الأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ**». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ؟ قَالَ: «**بَلَى، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِين...**»(٦).

المسلك الثالث: أجمع الصحابة ﷺ على أنّ الخلفاء أفضل إجمالاً وتفصيلاً، وهذه قصّة يطول ذكرها.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم: (٣٦٥٥)، وفيه: «كنّا نخيّرُ بينَ الناسِ في زمنِ النبيِّ ﷺ، فنخيّر أبا بكر، ثم عمرَ بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان ﷺ».

(٢) أخرجه الترمذي رقم: (٣٦٥٦). (٣) أخرجه الحاكم (٣/ ٧٤).

(٤) أخرجه أبو داود رقم: (٤٦٥٢).

(٥) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٨٣).

(٦) أخرجه مسلم رقم: (٢٨٣١).

بالجملة: فإنّ لفظ: «**خير هذه الأمة**» و«**أحقّ بهذا الأمر**»، ومثلهما في شأن الخلفاء مرويةٌ عن كل صحابي فقيه، كما قال سيدنا عمر الفاروق عند مبايعته لأبي بكر الصدِّيق: «أنتَ أفضلُ منّي»(١)، وقال أبو عبيدة: «أتأتوني وفيكم ثالثُ ثلاثةٍ»(٢)، أشار فيه إلى آية: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ﴾.

وكما أنّ أبا بكر الصدِّيق قال عند استخلافه عمر واشتكاء الناس إليه بقولهم: «لو قد وَلِيَنا كان أفظَّ وأغلظ»، قال: «أبربّي تخوّفوني، أقول: اللَّهُمَّ استخلفتُ عليهم خيرَ خلقِكَ»، أخرج أبو بكر بن أبي شيبة كل ذلك(٣).

---

(١) انظر: «طبقات ابن سعد» (٣/ ٢١١).

(٢) انظر: «مصنَّف ابن أبي شيبة» (٨/ ٥٧٣) رقم: (٣٨٢٠٦)، والرواية بكاملها هكذا: «عن محمد، عن رجل من بني زريق قال: لمّا كان ذلك اليوم، خرج أبو بكر وعمر حتى أتيا الأنصارَ، فقال أبو بكر: يا معشرَ الأنصارِ! إنّا لا ننكرُ حقَّكم، ولا ينكِرُ حقَّكم مؤمنٌ، وإنّا واللهِ ما أصبنا خيراً إلا ما شاركتمونا فيه، ولكن لا ترضى العربُ ولا تقرّ إلّا على رجلٍ من قريشٍ؛ لأنّهم أفصحُ الناسِ ألسنةً، وأحسنُ الناسِ وجوهاً، وأوسطُ العربِ داراً، وأكثرُ الناسِ شُجْنةً في العرب، فهلمُّوا إلى عمرَ فبايعوه، قال: فقالوا: لا، فقال عمرُ: لِمَ؟ فقالوا: نخافُ الأثرةَ، قال عمر: أمّا ما عشتُ فلا، قال: فبايعوا أبا بكر، فقال أبو بكر لعمر: أنتَ أقوى منّي، فقال عمر: أنتَ أفضلُ منّي، فقالاها الثانية، فلما كانتِ الثالثةُ، قال له عمر: إنَّ قوتي لك مع فضلك، قال: فبايعوا أبا بكر، قال محمد: وأتى الناسُ عند بيعة أبي بكر أبا عبيدة بن الجراح، فقال: أتأتوني وفيكم ثالث ثلاثة؛ يعني: أبا بكر، قال ابن عون: فقلت لمحمد: مَنْ ثالثُ ثلاثةٍ؟ قال: قول الله: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ﴾.

(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٨/ ٥٧٤)، والرواية بكاملها هكذا: عن زبيد بن الحارث أنّ أبا بكرٍ حين حضره الموتُ أرسل إلى عمر يستخلفه، فقال الناسُ: تستخلف علينا فظّاً غليظاً، ولو قد وَلِينا كانَ أفظَّ وأغلظَ، فما تقولُ لربِّكَ إذا لقيته، وقد استخلفتَ علينا عمر، قال أبو بكر: أبربِّي تخوّفونني، أقول: اللَّهُمَّ استخلفتُ عليهم خير خلقك، ثم أرسل إلى عمر فقال: إني موصيك بوصيةٍ إنْ أنتَ حفظتها: إنّ لِلَّهِ حقّاً بالنهارِ لا يقبلُه بالليل، وإنّ للهِ حقّاً بالليلِ لا يقبله بالنهارِ، وإنّه لا يقبلُ نافلةً حتى تُؤدَّىٰ الفريضةُ، وإنّما ثقلت موازينُ...».

ولكنّ أكثر هذه الشهادات صراحةً هي شهادةُ عليٍّ كرَّم الله وجهه، ذاك أنّه قد ثبت عنه بسندٍ صحيح أنّه كان يقولُ وهو على منبرِ الكوفةِ: «خيرُ هذه الأمةِ أبو بكر، ثم عمر»[١].

وقد روى ذلك عنه محمد ابن الحنفية، وأبو جُحَيْفة، وعلقمة، ونزَّال بن سَبُرَة، وعبد الخير، وحكم بن حَجَل وغيرهم، وروي من طرق متعددة[٢] عن كلٍّ منهم.

وقد روي ذلك عن علي بسندٍ مستفيضٍ أنّه كان يقول: سَبَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَصَلَّى أَبُو بَكْرٍ، وَثَلَّثَ عُمَرُ، ثُمَّ خَبَطَتْنَا فِتْنَةٌ، رواه **عبد الله بن أحمد** في «زوائد المسند»[٣] **والحاكم** وغيرهما.

وأيضاً رُوي بسندٍ مستفيض أنّ عليّاً شهد جنازة عمر وقال: ما مِنَ النّاسِ أحدٌ أحبُّ إليَّ أَنْ ألقى اللهَ بما في صحيفته مِنْ هذا المسجَّى، أخرجه **الحاكم**[٤] من طريق سفيان بن عُيينة، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر، وأخرجه **محمد بن الحسن**، عن أبي حنيفة، عن أبي جعفر الباقر، عن عليّ مرسلاً[٥]. وأيضاً رُوي من طريق **أبي جحيفة، وعبد الله بن عمر**، وغيرهما.

---

(١) انظر: «مصنف عبد الرزاق» (٣/ ٤٤٧)، و«تاريخ دمشق» (٤٤/ ٢١٢).

(٢) لقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في «منهاج السُّنَّة» بصدد هذا الحديث: وقد روى بضعة وثمانون نفساً عن علي أنّه قال: خيرُ هذه الأمةِ بعدَ نبيِّها أبو بكر، ثم عمر، رواها البخاري في «الصحيح» عن علي رضي الله عنه، وهذا هو الذي يليقُ بعليٍّ رضي الله عنه، فإنَّه من أعلم الصحابة بحقّ أبي بكر وعمر، وأعرفهم بمكانهما من الإسلام، وحسن تأثيرهما في الدين، حتّى إنّه تمنّى أن يلقى الله بمثل عمل عمر رضي الله عنهم أجمعين. انظر: «منهاج السُّنَّة»، لابن تيمية (٧/ ٢٨٤) ط: دار النشر، مؤسسة قرطبة ط١: ١٤٠٦هـ.

(٣) انظر: «مسند أحمد» (١/ ١٣٢) برقم: (١١٠٧) واللفظ له، و«المستدرك» للحاكم (٣/ ٧١).

(٤) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ١٠٠).

(٥) انظر: «كتاب الآثار»، لمحمد (ص١٩١) رقم: (٨٦٩).

وثبت عنه بطريق مستفيض أنه كان يروي مرفوعاً: «**هَذَانِ سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ**»[١].

كما رواه أولاد الحسن والحسين:

قال أبو داود: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مِسْكِينٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ ـ يَعْنِي: الْفِرْيَابِيّ ـ قَالَ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ يَقُولُ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ عَلِيّاً ﷺ كَانَ أَحَقَّ بِالْوِلَايَةِ مِنْهُمَا، فَقَدْ خَطَّأَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارَ، وَمَا أُرَاهُ يَرْتَفِعُ لَهُ مَعَ هَذَا عَمَلٌ إِلَى السَّمَاء[٢].

وأخرج البيهقي، عن الشافعي بطرق متعدّدة أنه اضطرّ الناس بعد رسولِ اللهِ ﷺ فلم يجدوا تحت أديمِ السماءِ خيراً من أبي بكر الصدِّيق، فولَّوه رقابهم[٣].

وليُعلم ضمن هذه المسألة أنَّ الفضائلَ التي هي مدارُ أفضلية الخلفاء في الشرائع ليست من الأمورَ العرفيةَ التي يتطاول بها الشعراء ومَنْ هم على شاكلتهم، مثل علوِّ النسب، وقوة الفصاحة، وزيادة الشجاعة، وكمال الصباحة، والسخاوة وما إلى ذلك ـ ولو أنَّ الشرع قد استحسن هذه الأخلاق النبيلة في الجملة ـ ولا العلومَ الغريبةَ من الرمل، والجفر، والقيافة، ولا تلك الأمورَ التي لم يصرَّح بها في الشرع، مثل معرفة وحدة الوجود ومراتب التنزّلات الستة.

ولمَّا كانت هذه الأمور مما لم يهتمّ بها الشرعُ فكيف يصحُّ بناء الأفضلية عليها، وفي المثل السائر: «ثبِّتِ العَرْشَ أولاً ثم انقُشْ»، بل المراد في هذا الموضع تلك الصفات والخصال التي ذُكِرَتْ في القرآن

---

(١) أخرجه الترمذي رقم: (٣٦٦٥). (٢) أخرجه أبو داود رقم: (٤٦٣٠).
(٣) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١/ ٩٢) رقم: (٧٢).

العظيم والأحاديث النبوية الصحيحة بكونها «أعظمَ درجةً» و«أكثرَ ثواباً» أو مثلهما، كما قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ﴾ [الحديد: ١٠]، وقال تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾﴾ [النساء]، وقال رسول الله ﷺ: «**فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ**»[١]، وقال ﷺ: «**من أفضلِ المسلمين أهل بدر**»[٢]، أو كما قال.

فينبغي لك التأمّل في جميع ما سبقَ من الأمور، ثم وجِّه نظرك من الصفات الجزئية إلى الكليات، ومن المقدِّمات إلى مقاصدها[٣] حتّى يتضح لك أنّ أفضلية الخلفاءِ بعضهم على بعض إنّما هو من ناحية زيادة الشبّه بالأنبياء ﵈ فيما للأنبياء من صفات وفضائل بحكم نبوَّتهم، أو باعتبار زيادة الصفات التي شرحناها في مبحث الخلافة الخاصّة، أيّاً ما شئت فقل.

ثم اعلم أنَّ المكمِّلات والمقدِّمات للقيام بأمور الخلافة الخاصّة كثيرةٌ جداً، والمقصود الحقيقي هو مطالبُ الخلافة، لا الطرق الموصلة

---

(١) أخرجه الترمذي رقم: (٢٦٨٥).

(٢) أخرجه البخاري رقم: (٣٩٩٢)، والرواية بكاملها هكذا: عن معاذ بن رفاعة بن رافع الزُّرقيّ، عن أبيه، وكان أبوه من أهل بدر، قال: جاء جبريلُ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: ما تعدّون أهل بدرٍ فيكم؟ قال: «**مِنْ أفضلِ المسلمين**» أو كلمةً نحوها، قال: وكذلك مَنْ شهدَ بدراً من الملائكةِ.

(٣) وقد وردت ـ مثلاً ـ في الآيات القرآنية المذكورة سابقاً فضيلةُ الإنفاق والجهاد قبل الفتح، وهذه فضيلة جزئية، فما هي كليتها؟ هي نصرةُ الدّين عند الغربةِ، ثم المرادُ من الانتقالِ من المقدّمات إلى مقاصدِها إنّما هو ملاحظة: مَنِ الذينَ وقع منهم نصرةُ الدِّينِ عند الغربة أكثر.

إليها، فإذا تحقّقت مطالبُ الخلافة فلا ينبغي النقاشُ حول المقدِّمات والمكمِّلات.

وأضرب لكم مثالاً لذلك، وهو أنّه إذا مسّت الحاجةُ وتأكّدت إلى قتلِ عدوٍّ لرفع المظالم والشرور عن الدنيا، فقام فتًى موفورُ الشبابِ وقضى عليه بحيلةٍ ما، فقام سفيهٌ يقول: لو كان قتله بالسيف لكان أدلّ على الشجاعة من قتله بالسهم، أو يقول: لو كان خشبُ الرمحِ من شجرة كذا لكان أفضل.

• فليعلم **أنّ أقوى وجوه الفضيلة هو: كمالُ التمكين في الأرض، وظهور الدين المرضي المختار على يد الخليفة، إذ إنَّ ذلك هو أصل الأصول في ثبوت الخلافة العامة والخاصّة، وهو المدار والمرجع في مسائل الخلافة، وهذه الفضيلة في الخلفاء الثلاثة أظهر وأشرق.**

• وأيضاً من **أقوى وجوه الفضيلة في الخلفاء هو: نصُّ الشريعة على استخلافهم**، وهذه الصفةُ في الخلفاء الثلاثة أجلى وأوضح، ذلك لأن في معظم أحاديث الخلافة جاء ذِكْرُ الخلفاء الثلاثة فقط.

• وأيضاً **من أقوى وجوه الفضيلة: قيامُهم بأمور موعودةٍ للنبيِّ ﷺ نفسِه.**

ومثال ذلك: أنّ الإعصارَ يُثير الغبارَ، ويطيّره، ثم يجعل منه دوامة كالقبّة الخياليّة لا تكاد تُبقي ولا تذر، (هذا هو حال الإسلام في عهد النبي ﷺ) فحرّكت إرادةُ الله تعالى نفسَ النبيِّ ﷺ كذلك، فصنع بعض الأعمال، وأحدثَ بعض الأمور، حتى توفّاه الله عن بعضها، وبقي الكثيرُ المنتظَرُ للإكمال والإنجاز حتّى تُحْكَمَ بجهود وتدبير الخلفاء مِنْ بعده.

ومن حيث إنّه ﷺ هو تسبّب في تلك الأمور فقد نُسِبَتْ إليه، وإن كانت في الظاهر منسوبةً إلى الخلفاء.

وفي الحقيقة **إنّ عهد الخلافة الراشدة كان تتمّةَ عهد النبوة**، والفرق بينهما أنّ الوحيَ بعدَ النبوّةِ قد انقطعَ، وهذه الفضيلةُ أيضاً ظاهرةٌ في الخلفاء الثلاثة.

• ومن أقوى وجوه الفضيلة: **مؤازرتهم النبيَّ ﷺ، وإعانتهم له في تحمّل أعباء النبوة**، وذلك عن طريق المخاصمة والجهاد والإنفاق في سبيل الله، قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ...﴾ [الحديد: ١٠]، ولا يخفى أنّ النبيَّ ﷺ كان وحيداً فريداً في بداية أمره، فلمَّا أرادَ الله ظهورَ أمره ألقى في خواطر أذكياء عصره أن ينصروه، ويؤازروه، حتّى يستحقّوا تلك الرحمة الربانية التي نزلت بالنبيِّ ﷺ، وهذه الصفة في الشيخين ـ خصوصاً ـ قبل الهجرة أظهر.

• وأيضاً من أقوى وجوه الأفضلية: **وجود التشبّه في الشيخين بالنبيِّ ﷺ في تأليف قلوب الناس على الإسلام**، واتّصافُ الشيخين بهذه الصفة أوضح.

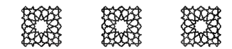
• وأيضاً من أقوى وجوه الأفضلية **أنّهم واسطة بين النبيِّ ﷺ وأمته في نشر علوم القرآن والسُّنَّة**، وهذه الصفة في الشيخين أكثر وضوحاً.

• وأيضاً من أقوى وجوه الأفضلية هو: **جهاد العرب والعجم**، وهذا المعنى في الخلفاء الثلاثة أظهر.

وانتهينا الآن من بيان صفات الخلافة الخاصّة، فاعلم أنّ جمعاً كبيراً من الصحابة ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ اكتسبوا من هذه الصفات والخصال ما تيسّر لهم بفضل صحبة النبي ﷺ، وتبوّؤوا منصب الخلافة في بعض هذه الأمور المختصة، مثل: **عبد الله بن مسعود في القراءة والفقه، ومعاذ بن جبل في القضاء، وزيد بن ثابت في علم الفرائض.**

ومنهم من استحقّ الخلافة المطلقة، حيث اجتمعت فيهم شروط الخلافة فكانوا مهيئين بفضل إلٰهي لمن يعطى هذا المنصب، فاختار فضلُ اللهِ هؤلاء الخلفاء الأربعة للخلافةِ المطلقةِ، وجعل غيرَهم من المستحقين تابعينَ لهم، وذلك فضلُ اللهِ يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

واعلم أنّ هذا الفصل مأخوذٌ من القرآن والحديث النبوي وأقوال كبراء الأمة وعظماء أهل السُّنَّة، لكنّ تنقية هذا الموضوع من الزوائد والحشو والاستنباط من الجزئيات إلى الكليات كلُّ ذلك دراسة لهذا العبد الضعيف، وهذا من أثر نور التوفيق الذي أشرتُ إليه في بداية الكتاب، والحمد لله رب العالمين.





الفصل الثالث

[في تفسير الآيات الدالّة على خلافة الخلفاء الراشدين وعلى لوازم الخلافة الخاصّة]

❁ الآية الأولى:

قال الله تعالى بأسلوب بديع في سورة النور، التي جعل فاتحةَ أمرها: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ [النور: ١]، قال فيها: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور]؛ يعني: وعد الله الذين آمنوا ـ ممّن كانوا وقت نزول هذه الآية من أصحاب رسول الله ﷺ ـ وعملوا الصالحات أن يستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم من قوم سيدنا موسى عليه السلام؛ يعني: استخلف سبحانه وتعالى يوشع بن نون من بعد موسى عليه السلام، واستخلف داود وسليمان بعد انقضاء مدة طويلة من عهد موسى عليه السلام.

كذلك وعدهم بتقوية دينهم الذي اختاره لهم، وترسيخ أساسه وأركانه، وتمكين سطوتهم وسلطتهم، وإخراجهم من جوّ الخوف من الكفار والمشركين إلى جوّ الأمن والسلام.

تحقيق كلمة الاستخلاف:

وحقيقة «الاستخلاف» في العرف القديم والجديد أن يُجعل أحد خليفةً أو مَلِكاً، قال الله تعالى: ﴿يَدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [ص: ٢٦]، وقال ﷺ: «**مَا مِنْ نَبِيٍّ وَلَا خَلِيفَةٍ**...»[١]، وقال: «**يَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي خَلِيفَةٌ يَحْثُو الْمَالَ**...»[٢].

ومعنى ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾: ليستخلفنَّ جمعاً منهم، كما تقول العرب: استُخْلِف بنو العباس، وأثرى بنو تميم، مع أنَّ بني العباس كلَّهم لم يُسْتَخْلَفُوا، وبني تميم كلّهم لم يُثْروا، بل المراد أنَّ واحداً منهم صار خليفة وذا ثروة في كل زمان.

إن هاتين النكتتين اللتين بيَّنتُهما ليستا تأويلاً، بل هما غالب الاستعمال في اللغة العربية، وإن قمتَ باستقراء أمثال هذه الكلمات في كلام العرب وجدتهَا مطابقةً لذلك المعنى في مئة موضع[٣]، ومخالفةً له في عشرة مواضع، وهذا هو الميزان لمعرفة التأويل والمعنى الظاهر.

وجوب طاعة الخلفاء الراشدين:

ثم مفاد قوله تعالى: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾ أنه أوجبَ طاعة الخلفاء في

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/ ٢٨٩)، والحديث بكامله هكذا: عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النّبيّ ﷺ قال: «**ما من نبيّ ولا خليفة**»، أو قال: «**ما من نبيّ إلا وله بطانتان: بطانةٌ تأمره بالمعروف، وتنهاه عن المنكر، وبطانةٌ لا تألوه خبالاً، ومن وُقِي شرَّ بطانةِ السّوء فقد وُقِي** ـ يقولها ثلاثاً ـ **وهو مع الغالبة عليه منهما**».

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ٣١٧)، وفي النسخة الفارسية الأصلية: «**في آخر الزمان**»، مكان: «**في آخر أمتي**».

(٣) كذا في الأصل الفارسي، ولعلَّ الصواب هو: «في تسعين موضعاً»؛ إذ إن الفقرة التالية إنما هي: «ومخالفةً له في عشرة مواضع»، فالمعقول أنه إذا خالف الاستعمالُ المعنى المرادَ في عشرة مواضع فلم يبق للموافقة إلا تسعون موضعاً، لا مئة موضع.

الأمور التي تجبُ فيها طاعتهم، كما أنَّ النبيَّ ﷺ إذا قال في حقِّ أحد: «**أمّرته عليكم**»، كذلك لو قال الخليفةُ مثلاً: «جعلتُ فلاناً قاضياً عليكم، أو ولّيته القضاء عليكم» فهذا القولُ يدلُّ على أنّ له حقّاً، كما يكون للأمير على السرية، أو يكون له حق كما يكون للقاضي على الرعية، فكأنَّ هذه الكلمة تدلُّ على إيجاب جميع الحقوق التفصيلية للخلافة بالإجماع، ولا فرق بين أن تقولَ: استخلفتُ فلاناً عليكم، وبين أن تقول: وعدتُ فلاناً أن أستخلفه عليكم غداً، فإذا جاء الغد أنجز الموعود.

سُنَّة الله في نصب الخليفة:

ثم معنى ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾: أنّ الله هو مستخلفهم، وهذا الاستخلافُ منسوبٌ إليه، وحقيقة ذلك أنّ الله تعالى هو مدبِّر السماوات والأرض ولطيف لما يشاء، وفي الوقت الذي يرى للعالم خيراً بتعيين الخليفة يُلقي في قلوب الأمة أن يستخلفوا الرجل الذي اقتضت حكمةُ اللهِ أن تجعله خليفة، والحقُّ أنّ جميعَ الحوادث والأمور التي تجري في العالم منسوبة إلى الحق تبارك وتعالى، ولا تنسب إليه عادة بل إلى الأسباب، وإنّما تنسب إليه الأمور التي وقعت بالإلهام الرباني لتحقق الخير بها أو يكون فيها تأييد من الله ﷻ خرقاً للعادة، أو يكون فيها مزيد خصوصية لله تعالى، وعلى هذا القياس المعاني التي خصِّصت نسبتها إلى الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]، فنسبته تعالى للاستخلاف إلى نفسه لإظهار غاية تكريمهم وتشريفهم، وبيان أنَّ هذا الاستخلافَ نعمةٌ عظيمة، وأمرٌ راسخُ البنيان والحقيقة، كما أنّ لفظ: «عبادي» و«بيت الله»، و«نفخت فيه من روحي» تدلّ على غاية التكريم والرضا.

ذكر الخلفاء الراشدين في آية الاستخلاف لا خلفاء بني أمية وبني العباس:

وقوله: ﴿مِنكُمْ﴾ تحتمل معنيين:

أحدهما: من الأمة المحمدية.

وثانيهما: من الحاضرين عند نزول الآية.

والمعنى الثاني أقوى وأقرب عند التحقيق، فإن في أخذ المعنى الأول يلزم التكرار بدون فائدة، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ...﴾، يغني عن ذلك.

فلمّا عُلِمَ أنَّ المراد هم الحاضرون عند نزول سورة النور خرج من عموم الآية معاوية وبنو أمية وبنو العباس.

وقوله: ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ...﴾ [النور: ٥٥]، يدلّ على معنيين:

أحدهما: أنَّ هؤلاء الخلفاء الموعود لهم بالخلافة، متى ينجِزُ اللهُ لهم وعدَه يظهِرُ الدينُ على أكملِ وجهٍ.

وثانيهما: أنّ كلَّ ما يظهر في عصورهم من العقائد والعبادات والمعاملات والمناكحات وأحكام الخراج وما يسعون إليه في إقامتها وتنفيذها هو غاية اهتمامهم وعنايتهم[١] كان ديناً مرضيّاً، فإذا قضوا في مسألة أو أفتوا في حادثة كان دليلاً شرعيّاً يتمسّك به المجتهد، فإنّ ذلك دين مرضي مختار وقع تمكينه، وأنَّ اجتهاد كل مجتهد ـ ولو كان صحابياً ـ يحتمل الخطأ، والذين قالوا: (إنّ كلَّ مجتهدٍ مصيبٌ) يمكن أن تكون عندهم أجوبة مختلفة في كلِّ مسألة، والذين قالوا: (إنَّ المصيبَ واحدٌ والآخر على خطأ وهو معذور)؛ لأنّه يجعلُ احتمال الخطأ في كلِّ

---

(١) كعناية عمر بن الخطاب رضي الله عنه بإقامة صلاة التراويح، واهتمام عثمان بن عفان رضي الله عنه بإقامة الأذان الثاني للجمعة.

جانب، ولكنّ الخلفاء هم المجتهدون، فيحتمل الخطأ فيما تصدر عنهم من القضايا والفتاوى، لكن هذه الظنون لا تقضي على أحقِّية الأحكام التي صدرت وشاعت في عهد الخلفاء بسعيهم وجهودهم.

المختصر: يتضح أنَّ الدّينَ يظهر في عهد الخلفاء الراشدين على أكمل وجه.

على كل، فإنّ أقوالهم أقوى من قياس الآخرين واستنباطهم، خلافاً للشيعة الإمامية الذين قالوا: إنَّ الدين المرضي لا يزال مستوراً وخافياً، وما زال أئمة أهل البيت مضطرِّين إلى التقية، ولم يتمكّنوا من إظهار دينهم، بل تبيّن من هذه الآية أنَّ الدين المستتر غير مرضيّ وباطل؛ إذ لو كان مرضيّاً لظهر على أكمل وجه، ومكنه الله كما وعد.

قيام الأمن في الخلافة الموعودة:

وقوله تعالى: ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ﴾ [النور: ٥٥] يدلّ على أنّ المستخلفين وسائر المسلمين يكونون مطمئنين وآمنين في وقت إنجاز الموعود، لا يخافون من الكفَّار من مختلف الديانات ولا فيما بينهم، خلافاً للإمامية الذين يظنون أنّ أئمة أهل البيت ما زالوا خائفين من المسلمين، مضطرّين إلى التقية، وما زالوا يظنون أنهم يلقون من المسلمين الأذى والمهانة، ولم يحصل لهم نصر من الله.

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ يدلّ على أنَّ الطائفة التي وعدهم الله تعالى بنعمة الاستخلاف يكونون متصفين بالإيمان الكامل والعمل الصالح.

وقوله: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ لا يستعمل عرفاً في شأن الرجل إلا إذا فاق عامة المسلمين بالعمل الصالح.

والمراد بقوله تعالى: ﴿كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٥]: أن باباً من التوراة يشتمل على وعدٍ بفتوح بلاد الشام، وأحكام البلاد المفتوحة، ولحكمة من الله تبارك وتعالى لم يتحقّق هذا الوعد في زمن موسى ﵇، واستخلف سيدنا موسى ﵇ يوشع بن نون لإنجاز هذا الوعد ففتح يوشع بن نون ثمانين مدينة من بعد وفاة موسى ﵇، وجعلهم مطمئنين، وقسّم هذه المدن بين بني إسرائيل طبقاً لوصية موسى ﵇.

وهكذا وعد الله نبيَّنا محمداً ﷺ بفتح بلاد الشام والعجم، قال الله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة: ٢٨]، وهذا الوعد لم يتحقّق أيضاً في زمن النبيِّ ﷺ لحكمة من الله تعالى، فاستخلف اللهُ الخلفاء الراشدين الأربعة لإتمام هذه الأمور، كما استخلف الله داود وسليمان ﵉ بعد غلبة العمالقة، وتفرُّق قبائل بني إسرائيل، قال الله تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [صٓ: ٢٦]، وأقنعا بني إسرائيل وطمأناهم، كذلك خلفاء نبيّنا النبي ﷺ بعد وفاته وبعد ارتداد أهل العرب جعلوا المسلمين مطمئنين.

وبالجملة: فإن هذا التشبيه عبارة عن بيان أن خلافتهم تكون خلافةً راشدةً ومرضيةً عند الله تعالى، وتظهر منها آثار خير وصلاح.

استقرار الإسلام في عهد الخلافة الراشدة:

وقوله: ﴿لَهُمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ﴾ يدلّ على أحد المعنيين:

أحدهما: أن يكون تمكين دين الله على أيدي هؤلاء الخلفاء، وهم بتوفيق الله تعالى يبذلون قُصارى جهودهم في هذا الباب، ويكون نصر الله حليفهم، وقد تحقّق كل ما أرادوه واهتمّوا به بفضل الله تعالى حسب

أمنيتهم وإرادتهم في حياتهم، وذلك بوضوح ووفور موافقاً لقوله تعالى: ﴿أَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ...﴾ [الحج: ٤١].

ثانيهما: أن تكون عنايتُهم مركَّزةً على تمكين دين الله في الأرض وهم يدعون الله تعالى ذلك دائماً، حتّى إذا مكّن الله الدين ينتفعون به، ويستفيدون منه، ويفرحون به، وهذه النعمة العظيمة تمَّت على يد هؤلاء الخلفاء وسعدوا بها، والحقّ أن كلا المعنيين تحقّق، والله أعلم.

ثم إنّ قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ﴾ [النور: ٥٥] يدلّ على أنّ هذا الوعدَ يُنْجَز بعد انتقال النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى، ويبقى ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾[1] على معناه الحقيقي.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ فيه تأكيد وتحقيق لاستخلافهم، وتفيد أنّ استخلافَ هؤلاء الخلفاء نعمة عظيمة تستوجب الشكر لله، وأول من كفر هذه النعمة العظيمة وأعرض عن الشكر عليها هم قتلة أمير المؤمنين سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم الفرقة الإمامية من بعدهم، الذين يتّهمون بأنهم اغتصبوا الخلافة من أهلها، ويظنون أنّ بلاء عظيماً نزل من السماء وهو أنَّ الصحابة كلّهم خالفوا وصية النبي ﷺ، وعصوا مَنْ نصَّ على خلافته، سبحانك هذا بهتان عظيم.

قول علي رضي الله عنه في هذه الآية:

وأوّلُ مَنْ فهم من مفسِّري الصحابة هذه الآية على هذا المعنى وعدّ

(١) لو كان إنجاز الوعد في حياته ﷺ فيكون هذا الوعد له، أو لو كان هذا الوعد يتم في حياته ﷺ لكان فيه إشارة إلى ذلك، كما قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ﴾ [النور: ٥٥] إحدى الطائفتين و﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً﴾ [الفتح: ٢٠]، ولا يمكن أن يقال: أن يتم بعد وفاته ﷺ، بل لفظ ﴿وَعَدَكُمُ﴾ يدل صراحة على أن النبي ﷺ يراد مع المسلمين في هذا اللفظ، والوعد الذي جاء في آية الاستخلاف لم يتم في حياة النبي ﷺ، هذه حقيقة تاريخية، وهذا الاستدلال يدل على دقة المؤلف، جزاه الله خيراً.

هذا الوعد مُنْجَزاً في زمن سيدنا عمر الفاروق رضي الله عنه هو علي المرتضى كرَّم الله وجهه، إذ إنّ عمر الفاروق رضي الله عنه لما استشار من الصحابة في ذهابه إلى العراق تمسّك علي رضي الله عنه بهذه الآية، ومنعه عن ذلك، فعُلم من هنالك بداهةً أنّ خلافة سيدنا عمر الفاروق هي من جملة الاستخلاف الموعود من الله تبارك وتعالى.

وقول علي رضي الله عنه قد روي بأسانيد متعددة في كتب أهل السُّنَّة والشيعة، وذكر في «نهج البلاغة»: «أنّ هذا الأمرَ لم يكن نصرته، ولا خذلانه لا بكثرة ولا قلّة، وهو دين الله الذي أظهره، وجنده الذي أعزّه وأيّده، حتّى بلغ ما بلغ، وطلع حيث طلع، نحن على موعود من الله[1] حيث قال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ...﴾ [النور: ٥٥]، فاللهُ منجِزُ وعدِه وناصرُ جندِه»[2]، إلى آخر ما قال، لا كما يقول الشيعة: إن هذا الوعد يتحقّق في زمن الإمام المهدي، أو تحقّق في زمن النبي ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ [النور: ٥٥]، وقوله: ﴿يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ [النور: ٥٥]، فيهما بيان علّة غاية الاستخلاف، كما قال عزَّ من قائل: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ [الفتح: ٢٩]، كأنه يقول: غاية استخلافهم تمكين

(١) هذه الجملةُ أدرجَها بعضُ شرّاح «نهج البلاغة»، ولكن المُلَّا فتح الكاشاني نقل هذه الجملة في شرحه وقال: إنَّ عليَّ بن أبي طالب قد أشار إلى هذه الآية.

(٢) انظر: «شرح نهج البلاغة» (٩/ ٥٧)، و«البداية والنهاية» (٧/ ١٠٧)، و«التذكرة الحمدونية» (١/ ٤١٠)، قد نقل هذا الكلام عن علي المرتضى عند غزوة الروم لما أراد عمر رضي الله عنه أن يشارك في هذه المعركة بنفسه وشاور الصحابة، وقال علي بن أبي طالب مخاطباً له: قد توكل الله لأهل هذا الدين بإعزاز الحوزة وستر العورة... إلخ، «نهج البلاغة»، وقال الميثم البحراني (ت٦٩٩هـ): استنبط عليٌّ رضي الله عنه هذا الحكم من قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ...﴾ (ش).

دين الله في الأرض، وإعلاء كلمة الله، وإظهار الدين على سائر الأديان كلها.

❁ الآية الثانية (وهي آية التمكين):

وقال الله تعالى في سورة الحج: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ۝٣٨﴾ [الحج]؛ يعني: ـ من سُنَّة الله تعالى ـ أنه يدفع عن المؤمنين ضرر أعدائهم وكيدهم، وقال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ۝٣٩﴾ [الحج]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠﴾ [الحج]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ۝٤١﴾ [الحج].

حكمة الإذن بالجهاد:

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ﴾ [الحج: ٣٨] المقصود منه إذن الجهاد، ولكن فيه أعلى نوع من البلاغة والفصاحة؛ يعني: أن سُنَّة الله المستمرّة هي دفع شر الكفار عن المسلمين، وهذا المعنى يوجد في الجهاد، ثم قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ۝٣٨﴾ [الحج] فيه إشارة إلى معنى آخر، وهو أن سُنَّة الله المستمرّة هي دفع شرّ الكفار عن المسلمين؛ لأنه تعالى لا يحبّ الخوّان الكفور، ويحبّ المتديِّن الشاكر الخاضع له، ولما أن الكفار متصفون بالخيانة وكفران النعمة، وأن الموحِّدين المؤمنين هم متصفون بالتديُّن والشكر، فاقتضت سُنَّته المستمرّة أن ينصر، الموحِّدين، ويكبتَ دابر الكافرين، ويُبطِلَ كيدَ الكائدين.

أسباب الإذن بالجهاد:

وقوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ﴾ [الحج: ٣٩] فيه بيان لسبب إذن الجهاد؛ يعني: أنهم ـ المسلمين المهاجرين ـ مظلومون، ومن سُنَّة الله تعالى أنه ينصر المظلومين ويرحمهم، ويبطش بالظالمين ويكبتهم، وشُرِع للمظلوم دفع الظلم عن الظالم في جميع الملل والنحل، ثم توصيف المسلمين بالموصول الذي صلته ﴿يُقَـٰتَلُونَ﴾ يُشير إلى أن هؤلاء الكفار هم أشدّ ظلماً، وأكبر عدواناً، لأجل قتالهم لهؤلاء الضعفاء والمساكين من المسلمين، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الحج]، بدلاً من «والله لأنصرنّهم على الظالمين»، إذ إنَّ في تسهيل الوعيد تهديداً عظيماً، وفي تسهيل الوعد بشارةً عظيمةً؛ لأن الكناية أبلغ من التصريح، ومن أقوال الملوك والسلاطين أنهم يقولون عند شدَّة الغضب والغيظ: ألسنا بقادرين على إهلاكك، ويقولون عند غاية العطف والشفقة: ألسنا بقادرين على تكريمك وإنعامك، ذلك لأنَّ كلامَهم الموجزَ أنفعُ من كلام طويل لغيرهم.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم...﴾ [الحج: ٤٠] بدل من ﴿لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ﴾ [الحج: ٣٩]، يُشير إلى بيان نوع آخر من ظلم الكفار؛ يعني: هو أنّهم يقاتلونهم ويقهرونهم تارةً، ثم يخرجونهم من ديارهم من غير جرم ومعصية تارةً أخرى، و﴿إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ﴾ [الحج: ٤٠] تهكّم عجيب؛ يعني: عجباً من هؤلاء الجهلة التائهين أنهم يعتقدون التوحيد الذي يستحقّ التعظيم والتكريم جرماً ومعصية ويعاملون الموحِّدين معاملة العصاة المجرمين.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ...﴾ [الحج: ٤٠]، فيه بيان سببٍ آخرَ للإذن بالجهاد، كما أن على المظلوم أن يدفع شر الظالم عن عرضه

وماله ونفسه، وذلك أمر مهم ومحمود، كما قال تعالى: ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ۝٣٣﴾ [الإسراء] توجد في الجهاد مصلحة دينية كذلك، وهي أن حكمة الله تقتضي أن يظهر الدين الحقّ في كلِّ زمان بجهود الأنبياء وخلفائهم، والكفار يعضّون الأنامل من الغيظ على غلبة الإسلام دائماً، يمتلئون غيظاً عند سلطة المؤمنين، فلولا أنَّا جعلنا الموحِّدين بمنزلة أعضائنا، ودفعنا بهم شرّ الكفار لخربت معابد جميع الأديان، وانعدمت بيئة ذكر الله تعالى والتقرُّب إلى جنابه.

وقوله: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [الحج: ٤٠] فيه إشارة إلى شرط الخليفة الذي يجعله الله مثل الجارحة، وينصر الله الدين على يده؛ يعني: لا يستحقّ المرء أن يُحقِّق الله نصرتَه على يده ويجعله كالجارحة، ويجعله خليفة النبي ﷺ في تحمُّل مسؤولية الجهاد، وإعلاء دين الحق، ورفع كلمة الإسلام حتى يقومَ هو نفسُه ـ بقلبه وقالبه ـ بإعلاء كلمة الله، ويشمِّر عن ساعد الجدّ والعمل لهذه المهمة.

هزار نكته باريك تر از مو اينجاست   نه هر كه سر بتراشد قلندري داند

الترجمة: هاهنا ألفُ نكتةٍ أدقُّ من الشَّعْرِ، ليس كلُّ مَنْ حلَق الرأسَ قلندرياً[(١)].

وعد التمكين في الأرض:

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ...﴾ [الحج: ٤١]، بدلاً من قوله: ﴿لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾، و﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم﴾ [الحج: ٤٠].

والمراد بقوله: ﴿إِن مَّكَّنَّٰهُمْ﴾؛ أي: إن مكَّنَّا بعضهم، مثل ما

---

(١) **القلندرية:** جماعة من الصوفية، والمراد: أن المؤلف ما ذكر من الأسرار لا يمكن معرفته بمطالعة الكتب فحسب.

يقال: واستخلف بنو العباس وأثرى بنو تميم؛ إذ إن تمكين جميع المهاجرين أو تمكين جماعة كبيرة منهم مستحيل عادةً، ولا يتبادر الذهن إلى ذلك، ولعلَّك قرأت في مئة موضع في الحديث: «قالت الأنصار كذا، وفعل بنو تميم كذا»، ويكون المراد به: زعماؤهم ورؤساؤهم، ليس كل فرد فرداً منهم.

وقوله: ﴿إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ﴾ [الحج: ٤١] علَّق الله تعالى جزءاً من الخلافة بجزء آخر منها؛ لأن الخلافة الشرعية عبارة عن التمكين في الأرض مع إقامة الدين؛ يعني: إن حصل لهم التمكين في الأرض، وصاروا خلفاء، لا شك أنّ ذلك التمكينَ يكونُ مع إقامة الدين، وهذه هي الخلافة الراشدة.

تمكين الدين في عهد الخلفاء:

فالخلفاء الراشدون من المهاجرين الأولين الذين قال الله في شأنهم: ﴿يُقَٰتَلُونَ﴾، وقال: ﴿وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ﴾، وفي هذا إذن الجهاد لهم قطعاً، وثبت لهم التمكين أنهم يقيمون الدين بمقتضى هذا التعليق بالقطع.

والخلاصة: أنهم هم الخلفاء الراشدون بلا شك؛ فإن معنى الخلافة الراشدة عبارة عن التمكين، وإقامة الدين.

وقوله: ﴿أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [الحج: ٤١] فيهما إشارةٌ إلى إقامة أركان الإسلام، و﴿وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ يتضمّنُ إحياءَ علوم الدين، و﴿وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ﴾ يشمَلُ القتالَ مع الكفّار، وأخذ الجزية منهم؛ لأنَّ الكفرَ أقبحُ المنكرات، وأشدّ النهي عن المنكر القتال، ويشمل كذلك إقامة الحدود والتعزيرات على عصاة المسلمين.

ثم المفهوم من ﴿أَقَامُواْ﴾ و﴿وَءَاتَوُاْ﴾ و﴿وَأَمَرُواْ﴾ و﴿وَنَهَوۡاْ﴾: أن كل

ما يظهر من قِبَل الممكَّنين من الخلفاء في أيام تمكينهم في هذه الأبواب (أي: من إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر)[1] له اعتبار في الشرع.

ثم إنّ كلمة ﴿إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ﴾ بمعنى «إذا مكنَّاهم»؛ لأنّ فيها إخباراً بتمكين هؤلاء في المستقبل، لا مجرَّد تعليق التالي بالمقدَّم بدون ضمان تحقّق المقدَّم في المستقبل، والقرينةُ على ذلك ما سبق من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ...﴾ [الحج: ٣٨]، و﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ...﴾ [البقرة: ٢٥١].

وكلمة ﴿وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج]؛ معناها: أننا نعلم عواقبَ الأمور، ونعلمُ ما يقعُ في المستقبل من حوادث ووقائع، ولذلك أذِنَّاهم بالجهاد، وهذا الجهاد يفضي إلى مدافعة شرّ الكفار.

المقارنة بين مدلول آية الاستخلاف وآية التمكين:

فإذا فهمتَ معنى الآيتين لغةً وشرعاً فحان الوقت أن تفهمَ نكتةً أخرى، وهي: أنّ كلتا الآيتين؛ أي: آية الاستخلاف وآية التمكين[2] تدلَّان على شيء واحد، فالمقصود واحد والتعبير مختلف، وينبغي أن تفهمَ أنّ هذه النكتة من فروع الآية الكريمة: ﴿كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا مَّثَانِىَ﴾ [الزمر: ٢٣]، ألا ترى أنه تعالى قال في موضع: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا

---

(١) كما كان إقامة صلاة التراويح في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأخذها المسلمون أنها من الشرع.

(٢) المراد من آية الاستخلاف هو قول الله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ﴿ءَامَنًا﴾ [النور: ٥٥]، والمراد من آية التمكين هو قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ...﴾ [الحج: ٤١]، وآية الاستخلاف أيضاً تحتوي على وعد التمكين، كما قال تعالى: ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ [النور: ٥٥].

ﭐسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ﴾ [النور: ٥٥]، وبيَّن «التمكين في الأرض» مع إقامة الدين في موضع آخر[1].

والحاصل أنّ الاستخلاف والتمكين بمعنًى واحد، ورد هنا لفظ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ...﴾ [النور: ٥٥]، وفي مكان آخر: ﴿إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ...﴾ [الحج: ٤١]، بعد قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ...﴾ [الحج: ٣٨]، وقوله: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ﴾ [الحج: ٤٠]، (وكلاهما بمعنى واحد).

وورد هنا لفظ: ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ...﴾ [النور: ٥٥]، وهناك: ﴿أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ...﴾ [الحج: ٤١]، ورد هنا ما يتعلَّق بالاستخلاف، وهناك ما يتعلَّق بالتمكين في الأرض.

ورد هنا: ﴿يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ﴾ [النور: ٥٥]، وفي مكان آخر: ﴿أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ...﴾ [الحج: ٤١]، وذكر الله هنا تحسين أعمالهم، والاعتداد بإقامتهم للحدود والتعزيرات شرعاً من لفظ: ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ﴾ [النور: ٥٥]، وهناك يفهم هذا المعنى من لفظ: ﴿أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ...﴾ [الحج: ٤١]، قيل هنا: ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ﴾ [النور: ٥٥]، وهناك: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ﴾ [الحج: ٣٨] و﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ﴾ [الحج: ٤٠]، وجاء في موضع ﴿مِنكُمۡ﴾؛ أي: من الحاضرين عند نزول الآية، وفي موضع آخر: ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم﴾ [الحج: ٣٨]، وفي معنى كلتا الكلمتين عموم وخصوص من وجه؛ إذ إن بعض المهاجرين من الصحابة استشهدوا في بدر وأُحد، وأنّهم لم يدركوا زمان نزول آية الاستخلاف، وهناك طائفة من الصحابة لم يكونوا من المهاجرين الأوَّلين، ولكنّهم أدركوا زمان نزول آية الاستخلاف، علم من الجمع بين هاتين الآيتين أنّ

(١) هو: قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ...﴾ [الحج: ٤١].

الخلافةَ تكون في الذين يتّصفون بصفتين؛ يعني: أنهم يكونون من المهاجرين الأولين، ويدركون نزول آية الاستخلاف.

وها هنا قاعدة كلية في الأصول، إذا عبِّر عن معنيين في عبارتين مختلفتين فيكون ظاهر إحدى العبارتين يحكم من نصِّ العبارة الأخرى، وما يفهم من النصّ في الظاهر هو الذي ينبغي أن يراد بها، كذلك إذا كان هناك عام وخاص يخصص العام، وإذا كان مطلقاً في آية يقيد من آية أخرى بما يفهم من المقيد هو الذي يراد به من المطلق.

❁ دلالة الآيتين على خلافة الخلفاء:

بعد أن تمّ بيانُ ذلك نتوجَّه إلى أصل غرضنا، وهو أنّ هاتين الآيتين اللتين هما متحدتان في المعنى، ومختلفتان في العبارة، تدلّان على خلافة الخلفاء؛ لأنّ وعد الله حقٌّ، ولا بدّ أن يتحقّق في الخارج، فثبت ـ باليقين ـ أنّ الاستخلاف والتمكين في الأرض للمهاجرين الأولين وللحاضرين عند نزول آية الاستخلاف، ولو لم يكن هؤلاء الخلفاء مصداق هذه الخلافة، فكأَنَّ وعد الله لم يتمَّ بعدُ، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً؛ ذلك لأن الصحابة لم يَعِشْ أحدٌ منهم بعد مئة سنة من وفاة النبي ﷺ، فضلاً عن المهاجرين الأولين والحاضرين عند نزول آية الاستخلاف، فإن لم يحقّق الاستخلافُ الوعدَ المذكور خلال هذه المدة لم يتم إلى يوم القيامة؛ لأننا أثبتنا أن الوعد للمهاجرين والحاضرين عند نزول آية الاستخلاف فلا بدّ أن يتم في حياتهم، وفي هذه المدة لم يحصل الاستخلاف والتمكين إلا لهؤلاء السعداء، فظهر أنّهم مستخلفون وممكنون في الأرض قطعاً.

بطلان نسبة الغصب إلى الخلفاء الراشدين:

وأما ما يقوله الجهال: إنّ الخلافةَ اغْتُصِبَتْ من أهلها، وسُلِّمت

إلى غيرِهم، فإنّهم يكذّبون الله ورسوله ﷺ، فإنّ مخالفة الأمر التشريعي قد يحصل، ومثال ذلك أنّ زيداً أمرَ بإقامة الصلاة ولم يُصلِّ، فهو مخالِفُ الأمر، ولا يخالف الوعدَ الإلٰهي، فالأصل في هاتين الآيتين وعد وإخبار وبيان تشريع استخلافهم في ضمن هذا الوعد، وبعد هذا التكريم والتصويب لا تكونُ خلافتهم غير ماضية، فإذا تمّ ذلك الوعد صار ذلك الاستخلاف في حكم الصريح، كما يقال: استخلفت عليكم فلاناً ثم فلاناً، ويجب علينا الانقياد لهؤلاء الخلفاء، فالظاهر وعد، والباطن إيجاب الانقياد، نستطيع أن نقول على سبيل الافتراض والمثال ـ مع أن هؤلاء الخلفاء يتعالون عمّا نقول عنهم علوّاً كبيراً ـ: لو أن الله تعالى قال في شأن شخص: إنِّي وعدتُ خطيبَ هذه الجمعة بأن نمنحه كذا وكذا من النعم، أو يقول: خطيبُ هذه الجمعةِ يكونُ عالماً قارئاً صالحاً، ثم وقع تنافسٌ وتنازعٌ بين خطيبين، حتى آل الأمر إلى المصارعة والمصادمة بينهما، فغلب أحدُهما على الآخر، وربط رجله ويده، وصعد على المنبر وخطب، فهو الذي يستحقّ الكرامة والإنعام ليس المصروع والمدفوع.

فكذلك لو سُلِّم قولُ أولئك الجهلة: أنّ الخلفاء تولّوا منصب الخلافة بالجبر والقهر لا يلزم منه عدم كونهم خلفاء[1]، وليست خلافة النبيِّ ﷺ أمراً كُلِّف بها الناس، فإن عملوا بحسب الأمر كانوا مطيعين، وإن عصوا استحقّوا العقوبة، بل كان هذا الوعدُ منزَّلاً من فوق العرش، مستحيلاً تخلُّفُه؛ فإنّ الله لا يخلِفُ الميعاد، ولا علاقة في هذا الوعد لإجبار واختيار من أحد، نعم كانت أذهان المسلمين تذهب إلى مذاهب شتى ما لم يتمكن الأشخاص المعينون على الخلافة مثل ما وقع في

(١) هذا على سبيل المثال.

خيبر، لما قال النبيُّ ﷺ: «**لأُعْطينَّ هذه الرَّايَةَ غداً رَجُلاً يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْه، يُحبُّ اللهَ ورسولَه، وَيُحِبُّه الله ورسولُه**»[١]، تيقّن المسلمون أن الذي يُعطى الرايةَ هو محبّ لله، ومحبوب إليه، ولكنّهم لم يكونوا يعرفوا بالتعيين أيُّهم يسعد بهذه النعمة الجليلة، فلمّا أعطاها النبي ﷺ عليّاً كرّم الله وجهه في اليوم التالي تحقَّق أنّ هذا الرجل الموصوف إنّما هو علي المرتضى رضي الله عنه.

فكذلك عُلم بالقطع بمقتضى هذه الآيات أنّ طائفةً من المسلمين سوف يُسْتَخْلَفون ويُمَكَّنون، ولكن بقي غموض وصعوبة في تعيين هؤلاء الأشخاص، فلمّا انكشفَ الأمرُ، وتجلّت الحقيقة، وتحقّقت خلافة أشخاص معيَّنين بعناية جماعة من المسلمين، وتحقَّقت كذلك فتوح البلاد، وتمكين دين الله، وإعلاء كلمة الله على أيدي الخلفاء، علمنا باليقين أنّ الوعدَ كان لهؤلاء الخلفاء أنفسهم، وأصابت قرعةُ الاستخلاف والتمكين في الأرض بأسمائهم.

فإذا حاك ذلك في صدرك لأجل قول الإمام البغوي في تفسير ﴿كَمَا ٱسْتَخْلَفَ﴾، قال: قال قتادة: «كما استُخْلِفَ داودُ وسليمان وغيرهما من الأنبياء عليهم السلام، وقيل: كما استخلف الذين من قبلهم؛ يعني: بني إسرائيل حيث أهلك الجبابرة بمصر والشام، وأورثهم أرضهم وديارهم»[٢].

الاستخلاف على قول قتادة بمعنى: جعل الرجل خليفة، ولكن على القول الآخر هو بمعنى: إقامة قوم مقام قوم آخرين، وهكذا يحتمل أن يكون المراد من الآية تمكين كافّة المهاجرين الأولين وحينئذٍ لا يصحّ الاستدلال على خلافة الخلفاء بهذه الآية.

---

(١) أخرجه البخاري رقم: (٣٧٠١ و٤٢١٠).

(٢) «تفسير البغوي» (٦/٥٨).

نقول لرفع التردد: التعليل الأول يوافق استعمال العرب وتفسير النبي ﷺ، فحينئذٍ لا يُلتفَتُ إلى القول الثاني، وعلى تقدير التسليم، فإنّه لا يُتصوَّر استخلاف جماعة عظيمة وتمكينها بدون خليفة فإنّها محالٌ عادةً، بل استقرار المسلمين وتمكُّن المهاجرين عبارة عن نصب الخليفة وتمكين رئيسهم في الحقيقة، فَوَعْدُ الاستخلاف وتمكين كافّة المسلمين يرادف ـ في الحقيقة ـ وَعْدَ خليفة ممكّن في الأرض.

وعد الحفظ للقرآن الكريم:

نذكر هنا مقدمةً كثيرةَ الفوائدِ، لقد وعد الله بحفظ القرآن على مرّ الدهور، قال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر]، ثم بيّن في الآية الأخرى صورة حفظه فقال: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧﴾ [القيامة]، فَوَعْدُ الله حقّ، وحفظه لا بدّ أن يتحقق، ولكنّ حفظ الله تعالى ليس كحفظ بني آدم أشياءهم، ولا كالنقش على الحجر مثلاً بأن يظهر، بل صفة ظهور حفظه ﷻ في الخارج أنّه ألهم في قلوب الصالحين من الأمة المرحومة أن يسعوا في جمعه بين الدفّتين، وأن يجتمع المسلمون بجميع فئاتهم وطبقاتهم على هذه النسخة الوحيدة، وأن تشتغِلُ جماعاتٌ عظيمةٌ من القراء خصوصاً، ومن سائر المسلمين عموماً بقراءته ومدارسته؛ لكي لا ينقطع التواتر والتواصل، بل يزداد ويتضاعف يوماً فيوماً، وأن تقوم جماعات أخرى بتفسير معانيه وشرح غريبه وبيان أسباب نزوله، وذلك ببذل أقصى السعي، حتى لا تزال جماعةٌ قائمةٌ بأمر التفسير والتوجيه في كل عصر، هذه صورة الحفظ التي رضي الله بها، لا كمثل النقش على الحجر، فلما تمّ ذلك الوعد علمنا أن ما فاته الحفظ من أجزاء القرآن ليست تلاوته[1] فرضية، فلذلك ذهب العلماء المحققون إلى أنه لا يجوز

(١) نسخ جزء من القرآن، فالنسخ وقع على ثلاثة أقسام: **الأول**: منسوخ التلاوة ومنسوخ =

في الصلاة وغيرها إلا القراءات المتواترة، والقراءة المتواترة ما وجد فيها شرطان:

الأول: أن يكون إسنادها عن الثقات إلى الصحابة الكرام رضوان الله عليهم جميعاً، لا أن يكون مجرد احتمال رسم الخطّ.

الثاني: أنْ توافقه رسم المصحف العثماني؛ وذلك لأنه قد تبيّن أنّ من صور الحفظ، التدوين بين اللوحين، واجتماع الأمة عليه، فعلم أنّ ما كان غير ذلك لم يحفظ، والذي لم يحفظ ليس بقرآن؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر]، وقال: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧﴾، علم من هذا أنّ قراءة «والذكر والأنثى» بدلاً من ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣﴾ [الليل] شاذّة، لا تصحُّ تلاوتها في الصلاة، وإن وجدت في رواية ابن مسعود وأبي الدرداء رضي الله عنهما صحيحتين، وكان يناقش ابن عباس رضي الله عنهما بعض الصحابة في تلفظ بعض الآيات عند انتساخ المصحف العثماني من أصل الشيخين، فمثلاً: «وصّى ربّك» مكان ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ [الإسراء: ٢٣]، و«أولم يتبيّن» مكان ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ﴾ [الرعد: ٣١].

وبالجملة: فإنّ الجماعة لم تلتفت إلى قوله وتلفظه، بل كتبوا ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ و﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ﴾، وانتشرت هذه النُّسَخُ في الآفاق، وبذلك عرفنا أنّ قول الجماعةِ صحيحٌ، وتحرِّي ابن عباس كان من باب خطأ المعذور.

وطائفة من الصحابة ممن تنافسوا في جمع القرآن رتّبَ كل منهم مصحفاً بمفرده، وكل واحد في ذلك العصر كتب السور القرآنية بلغته

= الحكم، **الثاني**: أن يكون منسوخ التلاوة، **الثالث**: منسوخ الحكم، لم يكتب في القرآن الكريم القسم الأول والثاني، وهذا هو الجزء الذي لم يحفظ في القرآن؛ لأنهما منسوخان.

على غير لغة قريش، فقام سيدنا عثمان رضي الله عنه بمحو هذه المصاحف بالإلهام الربّاني، وجمع كل واحد منهم مصحفاً على لغة قريش، فانفتح باب المنازعات و«قيل وقال»، وظهرت بعضُ الظنون والأوهام في الجانبين، فلمّا اتفق العالم الإسلامي والأقاليم الإسلامية على المصاحف العثمانية، تيقّنّا أنَّ المحفوظَ هو ما في هذه المصاحف العثمانية لا غير، وأمّا غيرها من المصاحف فما أريد حفظها ـ من الله ـ البتة، ولو كان مطلوبَ الحفظ لما مُحِيَ قطّ.

ولا يعتبر عاقلٌ من الحِفَاظ أن يكون القرآن محفوظاً عند إمام موهوم الوجود ومستور الحال، سبحانك هذا بهتان عظيم، أو المراد: أن يكتب أحدٌ في كتاب نادر على وجه التعجب أنّ فلاناً قال: كذا، وكتب فلان كذا، وعند المقارنة يكون الصواب في جانب، وخطأ المعذور جانب آخر، فارتفع اللثامُ عن وجه الحقيقة، وظهر الحقُّ كفلق الصبح، ولم يعدْ هناك مجال للخلاف، فمن خالف فهو زنديق يجب قتله.

نكتة لطيفة حول الإلهام:

فإذا كان لديك أذن صاغية وقلب واعٍ فاستمع إلى نكتة لطيفة، وهي أنّ الله يُدبِّرُ العالَمَ بإلهامِ أمورِ الحقِّ في قلوب عباده الصالحين لأجل إمضاءِ مراده، وتحقيق موعودِه، كما بيّنه الله في قصّة موسى والخضر عليهما السلام (إنَّ اللهَ أرادَ أن يقتلَ غلاماً، فألهمَ الخَضِرَ فقتله)، وكان في أيّامِ النبوة ينزلُ الوحي على قلبِ النبيِّ ﷺ، ولم يكن مجال للشك والشبهة إطلاقاً، ولكن حين اختُتِمَتِ النبوة، وانقطع الوحي، كان دخول عباد الله الصالحين في مقاصد الله إمّا بالفكر أو الاجتهاد، أو بنوع من الرؤيا والإلهام والفراسة، والحكمُ الثابت كان مشروعاً، وكان الناس مكلّفين به، وأمّا الإلهام والرؤيا فلم يكونوا مكلّفين بالحكم الثابت به،

ولمَّا تمَّ الأمرُ، وتبيَّن للناس أحقيَّة ذلك الحكم، وتقرر عند أهل التحقيق، وجب أن يكون معتبراً، هذا كما وقع بين عمر وأبي بكر ﵄ في قتال المرتدّين: «فعرفتُ أنّه الحقّ»[١]، والأسبابُ والدواعي التي كانت تنشأ في قلوب الخلفاء كانت من هذا القبيل.

عهد الخلافة من بقايا عهد النبوّة:

كانت أيّامُ الخلافة من بقية عهد النبوة، فكأنَّ النبيَّ ﷺ كان ينطق بلسانه في أيام نبوته صراحةً، أمّا في عهد الخلافة فكان ساكتاً، ولكن بيَّن الأمور بالإشارات والكنايات، وفَهِمَ ذلك مَنْ فَهِمَ، وأخطأ مَنْ أخطأ.

التعريف الصحيح للإجماع:

و«الإجماع» الذي سمعته على لسان العلماء، ليس معناه: أن يتّفقَ جميعُ المجتهدين في عصر واحد على مسألة من غير أن يظهرَ شذوذٌ من أحد منهم؛ إذ إنّ مثل هذه الصورة لم تقع، بل وقوعها لم يكن عادةً، إنّما العادةُ أن يأمِرَ الخليفةُ بشيء بعد مشاورته لذوي الرأي أو غير ذلك وإنفاذه حتى يشيعَ وينتشرَ ويتمكَّنَ في العالم، وإلى هذه النكتة أشار النبيُّ ﷺ بقوله: «**عليكم بسُنَّتي وسُنَّةِ الخلفاءِ الراشدينَ مِنْ بعدي...**»[٢] الحديث.

وبعد أن عُلِمَتْ هذه المقدمةُ ينبغي أن يُعْلَمَ أنّ الله تعالى وعد ـ والله لا يخلف الميعاد ـ أنْ يستخلفَ المهاجرين الأولين، وهم السابقون الأولون في ميدان الإيمان والعبادة، وتظهر على أيديهم بعض الأمور

---

(١) «مسند أحمد» (١٦/ ٤٨٩) رقم: (١٠٨٤٠).

(٢) أخرجه الترمذي رقم: (٢٦٧٦)، وابن ماجه رقم: (٤٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٨/ ٢٤٦) واللفظ له.

المعلومة، والسبيل إلى ظهور هذا الوعد الإلٰهي أن يتولّى الخلافة واحد بعد واحدٍ من هذه الطائفة بالتوالي، فإنَّ غلبة قوم بدون نصب الخليفة فيهم مستحيلٌ عادةً، قال رسول الله ﷺ: «**وَإِنَّمَا الإِمَامُ جُنَّةٌ يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ**»[1]، وقال قائلهم:

لا يَصْلُحُ الناسُ فوضًى لا سُراةَ لَهُمْ ... ولا سُـرَاةَ إذا جُـهّـالُـهـم سَـادُوْا

وعد الخلافة في حق المهاجرين الأولين:

هذا القدر معلومٌ بالقطع، ولكن كان في ذلك الوقت نوعٌ من الغموض والإشكال في تعيين الخليفة، ومن الذي يستحق الخلافة؟ وكم مدتها؟ وكيف يكون ترتيب خلافتهم؟ إذ إنَّ ذلك الوقت كان وقت المشاورة فيمن تخرج له قرعة الاختيار، وفي انتظار نزول قضاء الله لمن تسلّمَ هذه السعادة العظمى من المهاجرين الأولين، فلمّا ألهم الله تعيين الخلفاء واحداً بعد واحدٍ تقبّلَ بعضُ الناس ذلك الإلهام على الفور، واهتموا بإتمامه، وكذلك بعض الذين أطاعوا بعد القيل والقال والبحث والنقاش، ثم لمّا انكشفَ لهم أنَّ الأوصاف المذكورة للخلفاء تنطبق عليهم تيقّن جميعُ الناسِ أنّ ما وقع هو الحقُّ، وتبيَّن لهم أنَّ هذا الأمر لم يكن من فعل الصحابة، بل وعدٌ مِنَ اللهِ الذي تجلّى من خلال الحجاب، وألهمهم هذه الأفكار والأقيسة:

كارِ زلفِ تست مشك أفشاني أما عاشقان ... مصلحت را تهمتـے بر آهو چين بسته اند

وعد الخلافة في حق الخلفاء الراشدين:

فإن كان في قلبك تردّدٌ حتّى الآن من أنّ وعد الله حقٌّ فكيف نعلم باليقين أنّ إنجازَ وعده تبارك وتعالى ينطبق على هؤلاء الأشخاص

---

(١) أخرجه البخاري رقم: (٢٩٥٧)، ومسلم رقم: (١٨٤١).

المعيَّنين، ولفظ «منكم» يحتمل التأكيد لا التأسيس[١]، ولإزالة هذا التردد أذكر حكاية[٢] فاستمع إليها:

وهي أنَّ من أدلّة نبوة النبيِّ ﷺ إخبار الأنبياء السابقين ونصوص التوراة والإنجيل وسائر الكتب السماوية، وهذا بابٌ واسعٌ، وروى الصحابة والمؤمنون من أهل الكتاب في هذا الباب شيئاً كثيراً، والمتأخِّرون من المتكلِّمين أوردوا إشكالاتهم على هذا الدليل، ولمّا عجزوا عن الجواب ذهبوا إلى ضعفه.

وحاصل الإيراد: أنها إذا كانت صفة من صفات النبي ﷺ وذكرت في الكتب السماوية فينتقل ذهن السامع إلى شخص غير معين؛ إذ إنَّ «فرداً ما من الكلّي المنتزع من هذه الأوصاف الكلية» سيكون نبيّاً؛ لأن الأوصاف الكلية لا تصل بالمرء إلى فرد خاص بدون الإشارة الحسّية أبداً، فإن جمعت هذه الأوصاف الكلية تكون نتيجة أيضاً كلّيةً، بل لا يلزم انتقال الذهن إلى نبوّة شخص غير معيّن بعنوان النبوّة أيضاً؛ لأن الكتب السماوية ذكرت فيها الإشارات فقط، ليس فيها ذكر النبوة، ولا بيان لجميع المشخَّصات، فلا يلزم من الإشارات إلى أوصافه في نصوص

---

(١) التأكيد عبارة عن تقرير وإثبات المضمون بتكرار اللفظ أو بطريق آخر، والتأسيس عبارة عن مضمون جديد أو نكتة جديدة، فإذا كانت لفظة: «منكم» للتأكيد، كان معنى الآية: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ...﴾ سواء كانوا من الصحابة الذين كانوا عند نزول هذه الآية أو من غيرهم من المسلمين المتولِّدين إلى يوم القيامة، وإذا كانت للتأسيس يكون المراد منها الصحابة الذين أدركوا زمن نزول هذه الآية حصراً.

(٢) وتشتمل هذه القصةُ على تحقيقٍ مفيدٍ جدّاً، تتفرّع عنه نتائج غالية، منها أنَّ بعض الناس يقولون: إنَّ أسماءَ الخلفاء ما وردت في القرآن، فكيف يلزم قبول خلافتهم في ضوء القرآن، ولو سلَّمنا ذلك على سبيل الافتراض للزم هؤلاء أن يصدِّقوا من يقولون: لا يجب الإيمان بمحمد ﷺ في ضوء الكلام الوارد في التوراة والإنجيل في شأنه ﷺ بدون صريح اسمه ﷺ، وذلك إنكار صريح القرآن.

الكتب السماوية التكليف بإقرار نبوة شخص معين، هذا هو خلاصة إيراد المتكلمين المتأخرين.

ذكر هذا الإيراد القاضي العضد[١] في «المواقف»:

«**فإن قيل**: إنْ زعمتم مجيء صفته مفصّلاً أنّه يجيء في السَّنَةِ الفلانية في البلدة الفلانية وصفته كيت وكيت، فاعلموا أنّه نبيٌّ، فباطل؛ لأنا نجد التوراة والإنجيل خاليين عن ذلك، وأمّا ذكره مجملاً فإن سُلِّمَ فلا يدلّ على النبوة، بل على ظهورِ إنسانٍ كاملٍ، أو نقول: لعلَّه شخصٌ آخر لم يظهر بعدُ

قلنا: المعتمد ظهورُ المعجزةِ على يده، وهذه الوجوه[٢] الأخرى للتكملةِ وزيادةِ التقرير»[٣]. انتهى.

يقول الفقير إلى رحمة الله ـ عفا الله عنه ـ: إنّ هذه زلّةُ قدمٍ وقعت من المتكلِّمين المتأخِّرين عفا الله عنَّا وعنهم، وعلى جمهور المسلمين أنْ لا يلتفتوا إليها، وعلى العلماء أن يُنكروا عليهما أشدَّ إنكار، واتفق العلماءُ على أنَّ اجتهاد مجتهد أو قضاء قاض إذا كان مخالفاً لصريح القرآن أو صريح السُّنَّة أو السُّنَّة المشهورة، أو صريح الإجماع أو صريح القياس الجلي أنه لا ينفذ ولا يجوز تقليده، قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾﴾ [الشعراء]، ويقول: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة].

---

(١) هو: عضد الدين عبد الرحمٰن بن أحمد الإيجي المطرزي، المعروف بالعضد الشيرازي الشافعي، كبير القضاة المالكية ببلاد الشرق، ولد سنة ٦٨٠هـ، وتوفي مسجوناً في سخط صاحب كرمان ٧٥٥هـ. انظر ترجمته في: «السلوك لمعرفة دول الملوك» (٢/ ٢٢٢).

(٢) يعني: البيان الإجمالي لصفات النبيِّ ﷺ في التوراة والإنجيل.

(٣) «المواقف» (٣/ ٣٨٧).

وعلم من هذه الآيات بالقطع أنَّ علماء أهل الكتاب كانوا مكلَّفين بالإيمان بالنبيِّ ﷺ لأجل معرفة أوصافه المذكورة في التوراة والإنجيل، وقامت عليهم حجّةٌ شرعيةٌ، فالقول بأنّ أخبار الكتب السماوية ليست حجّةً على نبوته ﷺ مخالفاً للقرآن، والتحقيق في ذلك أنَّ ما جاء في الكتب السماوية من أوصافه ﷺ قامت به الحجَّة وثبت به التكليف بنبوته ﷺ.

ثبوت نبوة محمد ﷺ بالحدس:

وليعلم أنَّ اليقينَ يحصلُ بأمرين:

أحدهما: القياسُ، سواء كان اقترانياً أو استثنائياً[(١)]، بشرط أن تكون مقدِّماته من اليقينيات، وشكله منتجاً.

والآخر: الحدس، الذي لا يُذكر فيه جميع المقدِّمات، بل يمكن فيه حصولُ اليقينِ ببعض المقدِّمات إلى النتيجة على طريق الطفرة[(٢)]، كما نعرِفُ أنَّ نورَ القمرِ مستفادٌ من نور الشمس، وذلك برؤية اختلاف أحوال

---

(١) القياس الاقتراني والقياس الاستثنائي هما نوعا القياس المنطقي، وهو قولٌ مؤلَّفٌ من قضايا متى سُلِّمت لزم عنه لذاته قولٌ آخر، وهو النتيجة؛ فإن كان اللازمُ أو نقيضُه مذكوراً فيه بالفعل فهو الاستثنائي، وإلا فالاقتراني، فالاستثنائي نحو: إن كان النبيذ مسكراً فهو حرام، لكنّه مسكرٌ ينتج فهو حرام، أو إن كان النبيذ مباحاً فهو ليس بمسكر، لكنّه مسكرٌ، ينتج فهو ليس بمباح، والاقتراني نحو: كلُّ نبيذٍ مُسْكِرٌ، وكلُّ مُسْكِرٍ حرامٌ، ينتجُ كلُّ نبيذٍ حرامٌ، وهو مذكورٌ فيه بالقوة لا بالفعل، وسُمِّي القياسُ استثنائياً: لاشتماله على حرف الاستثناء لغة، وهو لكن، واقترانياً: لاقتران أجزائه. انظر: «غاية الوصول في شرح لب الأصول» (١/ ١٤٨)، و«حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع» (٥/ ٣٣٩).

(٢) **الطَّفْرَةُ**: الوثب في ارتفاع كما يطفر الإنسان حائطاً؛ أي: يثبه كالطُّفُورِ بالضّمّ، طَفَرَ يَطْفِرُ طَفْراً وطُفُوراً، وطفر الحائط: وثبه إلى ما وراءَه. انظر: «تاج العروس» (١/ ٣١٠٩).

القمر باختلافِ القُرْبِ والبُعْدِ من الشمس، **والحدس على قسمين**:

الأول: ما لا يحسّه إلا قليل من الناس لغموض مآخذه، والله ﷻ لا يكلِّف العبادَ بهذا القسم.

وثانيهما: ما يحسّه أكثر الناس، بسبب إدراك مأخذه، مثل أنَّ وجود الليل والنهار على طلوع الشمس وغروبها، على هذا النوع الذي يقع به التكليفُ الشرعيُّ، وتقوم به الحجَّةُ، وكلُّ ما ورد من النصوص في الكتب السماوية في شأن الرسول ﷺ آخر الزمان أنها لا تَعْيِيْنَ من القياس الاقتراني ولا الاستثنائي على فرد خاص أنّه أفضل البشر، ولكن الحدس قريبُ المأخذ يوصلُ الذهنَ إلى تعيين شخص، بهذا يكلف كل من يعرف هذه النصوص أن يؤمن بنبوته، ولا شك أنّ جامع هذه الأوصاف الموعودةِ بعد مدّةٍ طويلةٍ يكون شخصاً واحداً، فإذا وجدت هذه الأوصافُ في شخصٍ واحدٍ فيرتكز الحدسُ على أنَّ هذا هو الشخص الموعود، ويكون اليقينُ بنبوته.

ثبوت خلافة الخلفاء الراشدين بالحدس:

ثم ليعلمَ بعد انتهاء هذه الحكاية أنّ الآيات الواردة في شأن خلافة الخلفاء، وإن وجد فيه شيء من الغموض في البداية، لكن لمَّا ظهر فتحُ بلاد العجم والشام من عهد آدم عليه السلام إلى أيامنا هذه، وتمّت هذه الفتوحاتُ على أيديهم، ووجد تأليفُ قلوب المسلمين والاطمئنان، وتمكين الدين، لم يوجد عُشْرُ معشارِها في زمنٍ من الأزمنةِ، وملّةٍ من المللِ، حتّى غلبَ على ظننا أيّ عهد يكون مصداق الاستخلاف من عهد الخلافة الراشدة، واقترنت به بعض القرائن أيضاً حتى ظهر حدس قريب المأخذ أنَّ في هذه الآيات بشارةٌ لهؤلاء الخلفاء لا لغيرهم، وقام التكليف الشرعي على الناس، ووجب عليهم الاعتراف بهؤلاء الخلفاء،

وهذا الكلام في تفسير هذه الآيات خاصٌّ بالذين لم يتتبعوا كتبَ الحديث، وإلا فإن النبي ﷺ هو المفسِّر للقرآن العظيم، لهذا لو وقع تردّدٌ في فهم مراد القرآن الكريم لوجب الرجوعُ إلى أحاديث الرسول ﷺ، قال الله تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

بعدما شرحنا هذه الأمور نريدُ أن نرجعَ إلى جانبٍ آخرَ من هذا الموضوع.

تعيين الخلفاء، وترتيب الخلافة ومدتها:

لمّا نزلت الآياتُ التي فيها ذكر الخلافة، ولم يكن هاهنا غموض، ولكن كان هناك شيءٌ من الغموض في تعيين الخلفاء الموعود بهم، وترتيب خلافتهم ومدتهم، نظر النبي ﷺ إلى عالم الغيب لنزول الوحي عليه، فأراه الله ﷻ رؤيا لحلِّ هذه المشكلة، فرأى هو نفسه ﷺ بعضَ الرؤيا، ورأى بعضَها أصحابُه ـ رضوان الله عليهم جميعاً ـ، فعبرها النبيُّ ﷺ بالتأويل؛ كقصّة «رؤيا الأذان»، و«رؤيا ليلة القدر».

• قال رسولُ اللهِ ﷺ: **«بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي عَلَى قَلِيبٍ عَلَيْهَا دَلْوٌ، فَنَزَعْتُ مِنْهَا مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ، فَنَزَعَ بِهَا ذَنُوباً أَوْ ذَنُوبَيْنِ، وَفِي نَزْعِهِ ضَعْفٌ[1]، وَاللهُ يَغْفِرُ لَهُ ضَعْفَهُ[2]، ثُمَّ اسْتَحَالَتْ**

---

(١) هذه إشارةٌ إلى قِصَرِ مدّةِ خلافة أبي بكر رضي الله عنه، وإلى أنَّه يباشِرُ بعضَ الأعمال والأمور الجليلة المهمة من غير أن يكملَها وينجِزَها؛ إذ إنَّ وفاتَه رضي الله عنه تحول دونه ودونها، وكأنَّ هذا نوعٌ من الاستعارة عن كلِّ ذلك.

(٢) هذه كلمةُ خيرٍ ودعاءٍ لا غيرَ، ومثل ذلك عامٌّ مطردٌ في كلام العرب؛ يعني: الله يتدارك نقصان مدة خلافته، والخسارة الناشئة من أجل وفاته بإقامة رجل مقامه يكمِلُ كلَّ ما بدأه، وينجز جميعَ ما توفِّي عنه من إقامة دين وإحياء علوم وجهاد في سبيل الله وتوسيع نطاق الحكومة الإسلامية، وكذلك وقع في الخارج، وخلفه سيدنا عمر الفاروق رضي الله عنه خيرَ خلافةٍ.

غَرْباً، فَأَخَذَهَا ابْنُ الْخَطَّابِ، فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيّاً مِنَ النَّاسِ يَنْزِعُ نَزْعَ عُمَرَ، حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ بِعَطَنٍ». أخرجه **الشيخان**[١] من حديث **أبي هريرة**، **والترمذي** من حديث **ابن عمر**.

• وأخرج **ابن مردويه**[٢] عن **ابن عمر** قال: خرجَ علينا رسولُ اللهِ ﷺ ذاتَ غداةٍ بعدَ طلوع الشمس، فقال: «**رأيتُ قُبيلَ الفجرِ كأنِّي أُعطيتُ المقاليدَ والموازينَ، فأمَّا المقاليدُ فهذه المفاتيحُ، وأمَّا الموازينُ فهي التي تَزِنُون بها، فوضعتُ في كفّةٍ، ووضعتْ أُمّتي في كفّةٍ، فوزنت بهم فرجحتُ، ثم جِيْء بأبي بكرٍ، فَوُزِنَ بهم فَوَزَنَ، ثم جِيْءَ بعمرَ، فَوُزِنَ فَوَزَنَ، ثم جِيْءَ بعثمانَ، فَوُزِنَ بهم، ثم رُفِعتْ**»[٣].

وأخرج **أبو داود** عن **أبي بكرة** أنّ رجلاً قال لرسولِ اللهِ ﷺ: رأيتُ كأنَّ ميزاناً نزل من السماءِ، فوزنتَ أنتَ وأبو بكر فرجحتَ أنت بأبي بكرٍ، ووُزِنَ عمرُ وأبو بكر، فرجحَ أبو بكر، ووُزِنَ عمرُ وعثمان فرجحَ عمرُ، ثم رُفِعَ الميزانُ، قال: فاستاءَ لها رسولُ اللهِ ﷺ؛ يعني: فساءه ذلك، فقال: «**خلافةُ نبوةٍ، ثم يؤتي اللهُ المُلْكَ مَنْ يشاءُ**»[٤]، وأخرج **أبو عمر** عن **عرفجة** نحوه[٥].

وأخرج **أبو داود** عن **جابر بن عبد الله** أنّه كان يحدّث: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**أري الليلةَ رجلٌ صالحٌ أنَّ أبا بكرٍ نِيْطَ** ـ معناه علق ـ **برسولِ اللهِ ﷺ، ونِيْطَ عمرُ بأبي بكر، ونِيْطَ عثمانُ بِعُمَرَ**»، قال جابر:

---

(١) أخرجه البخاري رقم: (٣٦٦٤)، ومسلم رقم: (٣٢٩٢)، والترمذي رقم: (٢٢٨٩).

(٢) ما وقفنا على كتب ابن مردويه إلا على «أماليه» ولا توجد فيها هذه الرواية.

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٧٦) رقم: (٥٤٦٩)، والآجري في «الشريعة» (٣/ ٤٦٥).

(٤) «سنن أبي داود» رقم: (٤٦٣٤).

(٥) في «الاستيعاب» (١/ ٣٢٧) رقم الترجمة: (١٧٩٧).

فلمّا قمنا من عند رسولِ اللهِ ﷺ قلنا: أمّا الرجلُ الصالحُ فرسولُ اللهِ ﷺ، وأمّا تنوّطُ[١] بعضهم ببعضٍ فهم ولاةُ هذا الأمر الذي بعثَ الله به نبيَّه ﷺ[٢].

• وأخرج **أبو داود** عَنْ **سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ** أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنِّي رَأَيْتُ كَأَنَّ دَلْواً دُلِّي مِنَ السَّمَاءِ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ، فَأَخَذَ بِعَرَاقِيهَا، فَشَرِبَ شُرْباً ضَعِيفاً[٣]، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ، فَأَخَذَ بِعَرَاقِيهَا، فَشَرِبَ حَتَّى تَضَلَّعَ، ثُمَّ جَاءَ عُثْمَانُ فَأَخَذَ بِعَرَاقِيهَا، فَشَرِبَ حَتَّى تَضَلَّعَ، ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَخَذَ بِعَرَاقِيهَا، فَانْتَشَطَتْ، وَانْتَضَحَ عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ[٤].

العَراقي: جمع عرقوة، وعرقوة الدلو: هي الخشبةُ المعترضةُ على فم الدلو. انتشطت: انحلّت.

• وعن **ابن عباس** قال: كان **أبو هريرة** يحدّث أنَّ رجلاً أتى إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقال: إنِّي أرى الليلة ظلةً ـ الظلة كل ما أظلك من فوقك وعلاك، وهنا المراد بها السحابة ـ ينطفُ؛ أي: يقطر منها السمن والعسل، فأرى الناس يتكفّفون بأيديهم فالمستكثِرُ والمستقلِّ، وأرى سبباً واصلاً من السماء إلى الأرض، فأراكَ يا رسول الله أخذتَ به، فعلوتَ به، ثم أخذَ به رجلٌ آخر، فعلا به، ثم أخذَ به رجلٌ آخر، فعلا به، ثم أخذَ به رجلٌ آخر فانقطعَ، ثم وصل، فعلا به.

قال أبو بكر: بأبي وأمي لتدعني فَلأَعْبُرَنَّهَا فقال: «**اعبرها**».

قال: أمّا الظلةُ فظلة الإسلام، وأمّا ما ينطِفُ من السمن والعسل،

---

(١) في الأصل الفارسي: «نوط بعضهم ببعض».
(٢) أخرجه أبو داود رقم: (٤٦٣٦).
(٣) قد مرَّ تأويله في (ص١٦٥)، إشارة إلى قصر مدة خلافته.
(٤) أخرجه أبو داود رقم: (٤٦٣٧).

فهو القرآنُ لينه وحلاوته، وأمّا المستكثر والمستقل فهو المستكثر من القرآنِ والمستقلّ منه، وأمّا السببُ الواصلُ من السماء إلى الأرض، فهو الحقُّ الذي أنتَ عليه تأخذُ به، فيعليكَ اللهُ، ثم يأخذُ به بعدكَ رجلٌ، فيعلو به، ثم يأخذُ به رجلٌ آخرٌ، فيعلو به، ثم يأخذُ به رجلٌ آخر فينقطعُ، ثم يوصَلُ له، فيعلو به؛ أي رسول الله! لتحدّثني أصبتُ أم أخطأتُ، فقال: «**أصبتَ بعضاً وأخطأتَ بعضاً**»، فقال: أقسمتُ يا رسولَ اللهِ! لتحدثنّي ما الذي أخطأتُ؟ فقال النبيُّ ﷺ: «**لا تُقْسِمْ**»، أخرجه **البخاري**[1]، **ومسلم والدارمي، وأبو داود، والترمذي**.

قوله: «**أخطأتَ بعضاً**» اختلف العلماء في بيان وجه الخطأ، والذي جاء في قلب هذا **الفقير** هو عدمُ ذكر أسماء الخلفاء، فعبر عنه بلفظ الخطأ استعارة.

• وعن **الحسن** قال: قال أبو بكر: يا رسول الله! ما أزال أراني أطأ في عذرات الناس، قال: «**لتكوننَّ مِنَ الناس بسبيلٍ**»، قال: ورأيتُ في صدري كالرقمتين، قال: «**سَنَتَيْنِ**»، معزواً إلى **ابن سعد**[2].

تعيين الخلفاء الراشدين بطريق الفراسة:

إنَّ النبيَّ ﷺ فهمَ مِنَ الفراسةِ أنّ الخلفاء الموعود لهم هم الخلفاء الراشدون.

• أخرج **الحاكم** عن **سفينة** قال: لمّا بنى النبيُّ ﷺ المسجدَ وضع حجراً، ثم قال: «**ليضعَ أبو بكرٍ حجرَه إلى جنبِ حجري، ثم ليضعَ عمرُ**

---

(١) «صحيح البخاري» رقم: (٧٠٤٦)، «صحيح مسلم» رقم: (٢٢٦٩)، و«سنن الدارمي» (٢/ ١٧٢) رقم: (٢١٥٦)، «سنن أبي داود» رقم: (٤٦٣٢) واللفظ له، «سنن الترمذي» رقم: (٢٢٩٣).

(٢) «طبقات ابن سعد» (٣/ ١٧٦).

حجرَه إلى جنبِ حجرِ أبي بكر»، ثم قال: «**ليضعَ عثمانُ حجرَهُ إلى جَنْبِ حَجَرِ عمر**»، فقال رسول الله ﷺ: «**هؤلاءِ الخلفاءُ مِنْ بعدي**»[(١)].

• أخرج **أبو يعلى والحاكم** عَنْ **عَائِشَةَ** قَالَتْ: لما أَسَّسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ، جَاءَ بِحَجَرٍ فَوَضَعَهُ، وَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ بِحَجَرٍ فَوَضَعَهُ، وَجَاءَ عُمَرُ بِحَجَرٍ فَوَضَعَهُ، وَجَاءَ عُثْمَانُ بِحَجَرٍ فَوَضَعَهُ، قَالَتْ: فَسُئِلَ رَسُولُ الله ﷺ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: «**هَذَا أَمْرُ الْخِلافَةِ مِنْ بَعْدِي**»[(٢)].

• وأخرج **البزَّار والطبراني** في «الأوسط»، **والبيهقي** عن **أبي ذر** يقول: لا أذكر عثمانَ إلّا بخيرٍ بعد شيءٍ رأيتُه، كنتُ رجلاً أتتبَّع خلوات رسولِ اللهِ ﷺ، فرأيتُه يوماً جالساً وحدَه، فاغتنمتُ خلوته، فجئتُ حتّى جلستُ إليه، فجاء أبو بكر فسلَّمَ، ثم جلسَ عن يمينِ رسولِ اللهِ ﷺ، ثم جاء عمرُ فسلَّمَ فجلسَ عن يمين أبي بكر، ثم جاء عثمانُ فسلَّم، ثم جلس عن يمينِ عمرَ، وبين يدي رسولِ اللهِ ﷺ سبعَ حصياتٍ ـ أو قال: تسع حصيات ـ فأخذهنَّ، فوضعهنَّ في كفِّه، فسبَّحنَ، حتى سمعتُ لهنّ حنيناً كحنينِ النحلِ، ثم وضعهنَّ فخرسنَ، ثم أخذهنَّ فوضعهنَّ في يد أبي بكر، فسبَّحنَ حتّى سمعتُ لهنَّ حنيناً كحنين النحل، ثم وضعهنَّ فخرسنَ، ثم تناولهنَّ فوضعهنَّ في يدِ عمرَ، فسبَّحنَ حتّى سمعتُ لهن حنيناً كحنين النحلِ، ثم وضعهنَّ فخرسنَ، ثم تناولهنَّ فوضعهنَّ في يد عثمانَ، فسبَّحنَ، حتى سمعتُ لهن حنيناً كحنين النحل، ثم وضعهن فخرسنَ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**هذه خلافةُ النبوّةِ**»[(٣)].

---

(١) «المستدرك» (٣/ ١٠٣)، «دلائل النبوة» للبيهقي (٢/ ٤٣٦) واللفظ له.

(٢) «مسند أبي يعلى» (٨/ ٢٩٥) رقم: (٤٨٨٤) واللفظ له، «المستدرك» (٣/ ١٤).

(٣) «البحر الزخار ـ مسند البزّار» (٩/ ٤٠٥)، «المعجم الأوسط» للطبراني (٩/ ٣٠٠) رقم: (٤٢٤٧)، «دلائل النبوة» للبيهقي (٦/ ٢٠٧) رقم: (٢٣١٤) واللفظ له.

• وأخرج **ابن عساكر** عن **أنس بن مالك** أنَّ النبيَّ ﷺ أخذَ حَصياتٍ في يده، فسبَّحن حتّى سمعنا التسبيحَ، ثم صيَّرهنّ في يد أبي بكر، فسبَّحنَ حتّى سمعنا التسبيحَ، ثم صيَّرهنّ في يدِ عمرَ فسبَّحنَ حتّى سمعنا التسبيحَ، ثم صيَّرهن في يدِ عثمانَ، فسبَّحنَ حتّى سمعنا التسبيحَ، ثم صيَّرهن في أيدينا رجلاً رجلاً فما سبَّحتْ حصاةٌ منهنَّ[١].

تعيين النبي ﷺ لمدة الخلافة ومكانها:

ولمّا امتلأ قلبُ النبي ﷺ بهذه الإفاضات الغيبية ظهر بعضُها على لسانه المبارك أمام الناس منها: ١ ـ تعيين مدة الخلافة، ٢ ـ ومكانها، ٣ ـ وأخبر بأنّهم سيقومون بأمر الملة من بعده.

• وفي حديث **سفينة**: «**الخلافة بعدي ثلاثون سنة**»[٢]، وفي حديث **ابن مسعود**: «**تَدُورُ رَحَى الإِسْلَامِ لِخَمْسٍ وَثَلَاثِينَ...**»[٣]، ولا تعارض بين الحديثين، إذ إنّ عليّاً المرتضى رضي الله عنه إذا عددناه من الخلفاء بالنظر إلى قوة سوابقه الإسلامية، وأفضليته بين الناس في زمن خلافته كانت مُدّةُ الخلافةِ ثلاثين سنة، وإذا لم نعدّه[٤] منهم بالنظر إلى عدم استقرار خلافته بالأمن والنظام، تنقطع الخلافةُ الخاصّةُ بموت عثمان رضي الله عنه، وردت أحاديث كثيرة في هذا المعنى.

---

(١) «تاريخ دمشق» (٣٩/ ١٢٠).

(٢) أخرجه ابن حبان (١٥/ ٣٩٢) رقم: (٦٩٤٣).

(٣) أخرجه أبو داود رقم: (٤٢٥٤).

(٤) حديث ابن مسعود ليس يدلّ ـ بصراحة ـ على بقاء الخلافة ووجودها إلى المدة المذكورة فيه، بل المرادُ فيه: إنّما هو تقدّم الإسلام، وسعة دائرة مملكته، وازدهاره، وعدم تفرّق جماعة المسلمين لتلك المدة فحسب، ولا عَلاقة له بوجودِ الخلافة الخاصة، حتّى نضطرّ إلى عدم اعتقاد وجود خلافة سيدنا علي المرتضى، وهو من أجلّ فقهاء الصحابة، وهو جازمٌ بانعقادِ خلافته لبيعة المهاجرين والأنصار، وحديث سفينة صريحٌ في بيان مدة بقاء الخلافة، والله أعلم.

وفي حديث أبي هريرة وغيره: «**الخلافةُ بالمدينةِ**[١]**، والمُلْكُ بالشام**»[٢].

وإيراد لفظ: «الخلافة» في هذه الأحاديث والأحاديث التي تأتي، يدلُّ على أنّ المراد به: تفسير لفظ: «الاستخلاف» في الآية الكريمة، كما جاء في الحديث: «**خُذُوا عَنِّي، خُذُوا عَنِّي، قَدْ جَعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلاً**»[٣]، يدلّ على أنَّ الآيةَ الكريمةَ: ﴿أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾﴾ [النساء] بيانٌ لإنجاز وعده.

ترتيب الخلفاء الراشدين بعد النبيِّ ﷺ:

وأخرج **الحاكم** عن **أنس بن مالك** قال: بعثني بنو المصطلق إلى رسولِ اللهِ ﷺ [فقالوا: سَلْ لنا رسولَ اللهِ ﷺ[٤]] إلى مَنْ ندفعُ صدقاتنا[٥] إذا حَدَثَ لك حَدَثٌ؟ فقال: «**ادفعوها إلى أبي بكرٍ**»، فقلتُ ذلك لهم، قال: قالوا: سله إنْ حدثَ بأبي بكر حدثُ الموتِ فإلى مَنْ ندفعُ زكاتنا؟ فقلتُ له ذلك، فقال: «**تدفعونَها إلى عمرَ**»، قالوا: فإلى مَنْ ندفعُها بعدَ عمرَ؟ فقلتُ له، قال: «**ادفعوها إلى عثمانَ**»[٦].

● عن **سهل بن أبي حثمة**، قال: بايع أعرابيٌّ النبيَّ ﷺ، فقال عليٌّ للأعرابي: ائتِ النبيَّ ﷺ فسله إنْ أتىٰ عليه أجلُه مَنْ يقضيه، فأتى الأعرابيُّ النبيَّ ﷺ فسأله، فقال: «**يقضيكَ أبو بكر**»، فرجع إلى عليٍّ فأخبره، فقال: ارجع إلى النبيِّ ﷺ فسله إنْ أتى على أبي بكرٍ أجلُه من

---

(١) فيه إشارة إلى تعيينِ الخلافةِ بالمدينة كما وقعت.
(٢) أخرجه الحاكم (٣/ ٧٥).
(٣) أخرجه مسلم رقم: (١٦٩٠).
(٤) سقط ذلك من الأصل الفارسي.
(٥) وفي النسخة الفارسية الأصلية للكتاب: «زكاتنا».
(٦) «المستدرك» (٣/ ٨٢).

يقضيه، فأتى الأعرابيُّ النبيَّ ﷺ فسأله، فقال: «**يقضيكَ عمرُ**»، فقال عليٌّ للأعرابي: سله: مَنْ بعدَ عمرَ؟ فقال: «**يقضيكَ عثمانُ**»، فقال علي للأعرابيِّ: ائتِ النبيَّ ﷺ فسله إنْ أتى على عثمانَ أجلُه، فمن يقضيه، فسأله، فقال النبيُّ ﷺ: «**إذا أتى على أبي بكرٍ أجلُه وعمر وعثمان، فإنِ استطعتَ أن تموتَ فمُتْ**» أخرجه **الإسماعيلي** في «معجمه»[1].

• وأخرجه أيضاً من حديث **أبي هريرة** رضي الله عنه وفيه: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ بايعَ أعرابياً بقلائص إلى أجل، فقال: يا رسول الله! إن عجلت لك منيتُك، فمن يقضيني؟ قال: «**أبو بكر**»، قال: فإن عجلت بأبي بكر منيتُه، فمن يقضيني؟ قال: «**عمر**»، قال: فإن عجلتْ لعمرَ منيتُه، فمن يقضيني؟ قال: «**عثمان**»، قال: فإن عجلتْ بعثمانَ منيتُه فمن يقضيني؟ قال: «**إن استطعتَ أن تموتَ فمُتْ**»[2].

• وعن محمد بن جبير أن أباه **جبير بن مطعم** أخبره: أنَّ امرأةً أتت رسولَ اللهِ ﷺ فكلّمته في شيءٍ، فأمرها بأمرٍ، فقالت: أرأيتَ يا رسولَ اللهِ! إن لم أجدك؟ قال: «**إن لم تجديني فأتي أبا بكرٍ**»، أخرجه **البخاري**[3]، **ومسلم، والترمذي، وأبو داود، وابن ماجه**.

• وعن **أبي هريرة** رضي الله عنه أنّ النبيَّ ﷺ استسلفَ من يهوديٍّ شيئاً إلى الحولِ، فقال: أرأيتَ إن جئتُ ولم أجدك فإلى مَنْ أذهب؟ قال: «**إلى أبي بكر**»، قال: فإنْ لم أجِدْهُ، قال: «**إلى عمر**»، قال: فإن لم أجدْهُ، قال: «**إن استطعتَ أن تموتَ إذا ماتَ عمرُ فمُتْ**»، ذكره **المحب الطبري**

(١) «معجم أسامي شيوخ أبي بكر الإسماعيلي» (٢/ ١).

(٢) «معجم أسامي شيوخ أبي بكر الإسماعيلي» (١/ ٢٧٤).

(٣) «صحيح البخاري» رقم: (٣٦٥٩)، «صحيح مسلم» رقم: (٢٣٨٦)، «سنن الترمذي» رقم: (٣٦٧٦) واللفظ له، ولم أجد هذه الرواية في «سنن أبي داود»، و«سنن ابن ماجه».

في «الرياض» عن القلعي[١].

• أخرج **ابن سعد** عن **ابن شهاب** قال: رأى النبيُّ ﷺ رؤيا، فقصّها على أبي بكرٍ، فقال: «**يا أبا بكر! رأيتُ كأنِّي استبقتُ أنا وأنتَ درجةً، فسبقتُك بمرقاتينِ ونصف...**» قال: يا رسول الله! يقبِضُكَ الله على رحمته ومغفرته، وأعيشُ بعدك سنتينِ ونصفاً[٢].

• وأخرج **البيهقي وأبو نُعيم** عن **عبد الله بن عمرو** قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**سيكونُ فيكم اثنا عشر خليفةً: أبو بكر الصدِّيق، لا يلبثُ خلفي إلّا قليلاً، وصاحبُ رحى دارِ العربِ[٣] يعيشُ حَمِيْداً، ويموتُ شهيداً**»، فقال رجلٌ: يا رسولَ اللهِ، ومَنْ هو؟ قال: «**عمرُ بنُ الخطّاب**»، ثم التفتَ إلى عثمان، فقال: «**وأَنتَ يَسْأَلُكَ الناسُ أن تخلعَ قَمِيْصاً[٤] كساكَهُ اللهُ ﷻ، والذي بعثَنِي بالحقِّ لئن خلعتَه لا تدخلُ الجنَّةَ حتّى يدخلَ الجملُ في سَمِّ الخياطِ**»[٥].

• وأخرج **أبو يعلى** عن **أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل** عن النبي ﷺ: «**إِنَّهُ بَدَأَ هَذَا الأَمْرُ نُبُوَّةً وَرَحْمَةً، ثُمَّ كَائِنٌ خِلافَةً وَرَحْمَةً، ثُمَّ كَائِنٌ مُلْكاً عَضوضاً[٦]، ثُمَّ كَائِنٌ عُتُوّاً وَجَبْرِيَّةً وَفَسَاداً فِي الأُمَّةِ، يَسْتَحِلُّونَ الْحَرِيرَ وَالْخُمُورَ وَالْفُرُوجَ وَالْفَسَادَ فِي الأُمَّةِ، يُنْصَرُونَ عَلَى ذَلِك، وَيُرْزَقُونَ أَبَداً حَتَّى يَلْقَوا الله**»[٧].

---

(١) «الرياض النضرة» (١/ ٣٤٨). (٢) «طبقات ابن سعد» (٣/ ١٧٧).

(٣) في الأصل الفارسي: «دار الحرب» ولعلّه تصحيف.

(٤) المراد به: «الخلافة».

(٥) «دلائل النبوة»، للبيهقي (٧/ ٢٢٣).

(٦) أي: يصيب الرعية فيه عسف وظلم، «النهاية» (ص٦٢٢).

(٧) «مسند أبي يعلى» (٢/ ١٧٧) رقم: (٨٧٣).

• وعن **عليٍّ** ما خرجَ رسولُ اللهِ ﷺ من الدنيا حتّى عهد إليَّ أنَّ أبا بكر يلي الأمرَ بعده، ثم عمرَ ثم عثمانَ، ثم إليَّ، فلا يُجْتَمَعُ عليّ[(١)].

وقد ذُكرت بعض طرق هذا الحديث في «الرياض النضرة»[(٢)] وبعضها في «غنية الطالبين»[(٣)].

ويورد بعض الناس على هذا الحديث أنّ علياً رضي الله عنه لو كان يعلمُ أنّ أبا بكر أحقَّ بالخلافة، فلماذا توقّفَ عن بيعته إلى مدّة؟ ولماذا تأخّرَ في مبايعة عثمان إلى تحكيم عبد الرحمٰن حكماً؟ واحتمال النسيانِ بعيدٌ جداً.

فتقرَّر عند **هذا الفقير** أنّ معنى هذا الحديث صحيحٌ، ولا شك أنَّ النبيَّ ﷺ أخبرَ بذلك عليّاً، ولكن فيه إشارات وكنايات، وكان في أول الأمر دقة وغموض، ولم يتّضح مراده عند عليٍّ إلّا بعدَ وقوع الخلافة، وتبيّن بعد ذلك مثل فلق الصبح، ومن البعيد جداً أن لا يبلغَ عليّاً المرتضى حديثٌ من أحاديث الرؤيا التي رويت بأسانيد مستفيضة، ومن مرويات عليٍّ رضي الله عنه: «**إنْ تستخلِفوا أبا بكرٍ تجدوه...**» إلخ[(٤)]، وهذا الحديث يُشيرُ إلى خلافة الشيخين.

• وعن **ابن عباس** قال: واللهِ إنّ إمارةَ أبي بكر وعمر لفي كتاب الله: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾ [التحريم: ٣]، وقال لحفصةَ[(٥)]: «**أبوكِ وأبو عائشة أولياءُ الناسِ بعدي، فإيّاكِ أن تخبري به**

(١) «الرياض النضرة» (١/ ٢١). (٢) (١/ ٢١).

(٣) أي: «الغنية لطالبي طريق الحق»، للشيخ عبد القادر الجيلاني (ص١١١).

(٤) «طبقات الحنابلة» (١/ ٩٩).

(٥) توجد هذه الرواية في كتب الشيعة أيضاً كما جاء في «التفسير الصافي» ضمن تفسير سورة التحريم بواسطة «التفسير القمي» أنَّ النبيَّ ﷺ قال لحفصة: «**إنَّ أبا بكرٍ يلي الخلافة بعدي، ثم بعده أبوك**»، وقال المولوي احتشام الدين بهذه المناسبة فأجاد: =

أحداً»[١]، أخرجه **الواحدي**[٢]، وله طرق ذكر بعضها في «الرياض النضرة»[٣].

• وفي «غنية الطالبين»: روي عن **أبي هريرة** رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**لمّا عُرِجَ بي سألتُ ربِّي أن يجعلَ الخليفةَ مِنْ بعدي عليَّ بن أبي طالب، فقالت الملائكةُ: يا محمّدُ إنّ الله يفعلُ ما يشاءُ، الخليفةُ مِنْ بعدك أبو بكر**»[٤].

• وفي **حديث البخاري**: أنّ عمرَ سأل حذيفةَ عن الفتنة «**الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ الْبَحْرِ**» ماذا حفظ عن النبيِّ ﷺ فيها؟ فقال: ما لك ولها يا أمير المؤمنين، «إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَاباً مُغْلَقاً، قَالَ: يُفْتَحُ الْبَابُ أَوْ يُكْسَرُ؟ قَالَ: لَا بَلْ يُكْسَرُ، قَالَ: ذَاكَ أَحْرَى أَنْ لَا يُغْلَقَ أبداً»[٥]، ثم فسَّر حذيفة الباب بعُمَرَ.

• ثم أمر ﷺ بعد ذلك باقتدائهم تصريحاً وتلويحاً كما في حديث **ابن مسعود**: «**اقتدوا باللّذينِ مِنْ بعدِي، أبي بكرٍ وعُمَرَ**».

• وفي حديث **حُذَيْفَةَ** رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا جُلُوساً عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «**إِنِّي لَا أَدرِي مَا بَقَائِي فِيكُمْ، فَاقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي، وَأَشَارَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ**»[٦].

= لمّا ثبتَ في تقدير الله تعالى أنَّ أبا بكرٍ يلي الخلافةَ بعد النبيِّ ﷺ ويليها بعده عمر، فإنَّ أمرَ الصحابة بعد ذلك باستخلاف علي بلا فصل، فمعنى ذلك أنهم أمروا بتغيير قدر الله وقضائه.

(١) «الدر المنثور» (١٠/ ٥٢)، «فتح القدير» (٧/ ٢٥٥)، «تفسير الآلوسي» (٢١/ ٩٣).

(٢) «الرياض النضرة» (١/ ٣٥١). (٣) «الرياض النضرة» (١/ ٣٥٢).

(٤) «الغنية لطالبي طريق الحق» للجيلاني (ص١١١).

(٥) «صحيح البخاري» رقم: (٣٥٨٦).

(٦) أخرجه الترمذي رقم: (٣٦٦٣).

واستعمال اسم الموصول «الذين» يدلُّ على أنَّ الصحابةَ كانوا عارفين بولاية الشيخين بعد وفاة النبيِّ ﷺ، وكيف لا يعرفون؟ وقد سمعوا أحاديثَ كثيرة في تشخيص الخلفاء وتعيين الخلافة.

• وفي حديث **ابن ماجه** عن **العرباض بن سارية**: «**فمن أدركَ ذلكَ منكم، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ [الْمَهْدِيِّينَ[1]] [من بعدي[2]] عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**»[3].

وقد أشار إلى خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه في مرض وفاته ﷺ قولاً وفعلاً.

• عن **عائشة** أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال قُبيلَ مرضه: «**بَلْ أَنَا وَارَأْسَاهْ! لَقَدْ هَمَمْتُ أَوْ أَرَدْتُ أَنْ أُرْسِلَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَابْنِهِ، وَأَعْهَدَ أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُونَ أَوْ يَتَمَنَّى الْمُتَمَنُّونَ، ثُمَّ قُلْتُ: يَأْبَى اللهُ وَيَدْفَعُ الْمُؤْمِنُونَ، أَوْ يَدْفَعُ اللهُ وَيَأْبَى الْمُؤْمِنُونَ**»، أخرجه **البخاري**[4]، **ومسلم** معناه، وفيه: «**ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر**»[5].

وهذا حديث صحيح وصريح في أن استخلاف أبي بكر كان هو المراد عند النبي ﷺ، وتَرَكَ الاستخلاف المعتادَ ثقةً بوعد الله، وفوّض الإمامة إلى أبي بكر رضي الله عنه بأمرٍ، وهذه القصةُ معروفةٌ.

وبالجملة: إنّ النبيَّ ﷺ فسّر هذه الآيات، ولا بيان بعد بيانه، وسوف نذكر أكثرَ من هذه الأحاديث في مواضعه إن شاء الله تعالى.

---

(١) سقط في الأصل الفارسي.
(٢) زاد في الأصل الفارسي.
(٣) أخرجه الترمذي رقم: (٢٦٧٦)، وابن ماجه رقم: (٤٢) إلا أنه لم يوجد فيه: «فمن أدرك ذلك منكم».
(٤) «صحيح البخاري» رقم: (٥٦٦٦).
(٥) «صحيح مسلم» رقم: (٢٣٨٧).

المختصر: هذه الأحاديثُ ارتبطت بأصلِ آيةِ الاستخلاف[١]، كما أنَّ حديثَ قدر مسح الرأس في الوضوء[٢] يُلْحَقُ بآية المسح والوضوء[٣] كذلك الأحاديثُ الواردةُ في الاستخلاف ترتبِطُ بآية الاستخلاف، كأنَّ أسماء الخلفاء الراشدين مذكورةٌ في الآية، ولو كان الاستخلافُ بمعنى جعل الخليفة، فهؤلاء هم الخلفاء (الموعود بهم للخلافة)، وإن كان المرادُ بالاستخلاف استبدالُ قوم بعد قوم، فصورته تعيينُ هؤلاء الخلفاء تكميلاً للوعد، والله أعلم بالصواب.

الآية الثالثة:

قال الله تبارك وتعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء] إما يراد بـ﴿ٱلزَّبُورِ﴾ كتب الأنبياء كلها، أو عنى به المعنى الخاص، وهو زبور داود ـ عليه الصلاة والسلام ـ، ومعنى ﴿ٱلزَّبُورِ﴾ **لغة**: الكتاب، ومن

---

(١) وهي: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور].

(٢) رواه **مسلم** رقم: (٢٧٤) عن **المغيرة بن شعبة** قال: «تخلّفَ رسولُ اللهِ ﷺ وتخلّفت معه، فلمّا قضى حاجتَه، قال: «**أَمَعَكَ ماءٌ؟**» فأتيتُه بمطهرةٍ، فغسلَ كفَّيه ووجهه، ثم ذهبَ يحسِرُ عن ذراعيه، فضاق كُمُّ الجبةِ، فأخرجَ يده من تحتِ الجُبّةِ، وألقى الجبّةَ على منكبيه، وغسل ذراعيه، ومسحَ بناصيته، وعلى العمامةِ، وعلى خُفّيه، ثم ركبَ وركبتُ، فانتهينا إلى القوم، وقد قاموا في الصلاة، يصلّي بهم عبدُ الرحمٰن بن عوف، وقد ركع بهم ركعة، فلمّا أحسَّ بالنبيِّ ﷺ ذهبَ يتأخّر، فأومأ إليه، فصلّى بهم، فلمّا سلّم قام النبيُّ ﷺ وقمتُ، فركعنا الركعةَ التي سبقتنا»، وأخرجه **أبو داود** رقم: (١٤٧)، **والترمذي** رقم: (١٠٠)، **والنسائي** رقم: (١٠٨).

(٣) هي هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ﴾ [المائدة: ٦].

شأن كلام الله تعالى أن يصدِّق بعضُه بعضاً، فإنه تعالى يقول: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ﴾ [الفتح: ٢٩]، القصة واحدة في الآيتين، والعبارة مختلفة، ذكر في هذه الآية: ﴿ٱلزَّبُورِ﴾ و﴿ٱلذِّكْرِ﴾ وفي تلك: ﴿ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ و﴿ٱلْإِنجِيلِ﴾، وذكر في هذه الآية: ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا﴾ وفي تلك: ﴿أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾، وحاصلُهما واحدٌ، وهو غلبةُ دولةِ الإسلامِ، وذكر في هذه الآية: ﴿عِبَادِيَ ٱلصَّـٰلِحُونَ﴾ وفي تلك أرجع ضمير: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ﴾ إلى: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾، ومرادُهما واحدٌ.

روايات من «الخصائص الكبرى» في تفسير هذه الآية:

نقل في هذا الفصل عِدَّةَ رواياتٍ من «كتاب الخصائص» للإمام جلال الدين السيوطي.

١ ـ أخرج **ابن أبي حاتم** في «تفسيره»: عَنِ **ابْنِ عَبَّاسٍ** في آية: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ...﴾ الآية، قال: أخبرَ اللهُ سبحانه في التوراة والزبور وسابق علمه قبلَ أن تكونَ السماواتُ والأرضُ، أن يورثَ أمةَ محمّدٍ الأرضَ[1].

٢ ـ وأخرج **ابن أبي حاتم** عَنِ **أَبِي الدرداء**، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قَالَ الله تَعَالَى**: ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّـٰلِحُونَ﴾، **فنحن الصالحون**»[2].

٣ ـ قال السيوطي: وقد وقفتُ على نسخةٍ من الزبور، وهو مئة وخمسون سورةً، ورأيتُ في السورة الرابعة منه ما نصَّه:

«يا داودُ اسمعْ ما أقولُ، ومُرْ سليمانَ فليقله للناسِ مِنْ بعدِكَ: إنَّ

---

(١) «تفسير ابن أبي حاتم» (٩/ ٣٥٠). (٢) «تفسير ابن أبي حاتم» (٩/ ٣٥١).

الأرضَ أُوْرِثُها محمّداً ﷺ وأمته»[١].

٤ ـ وأخرج **ابن عساكر** عن **عبد الله بن مسعود** قال: قال أبو بكر الصدِّيق: إنّه خرجَ إلى اليمن قبل أن يُبْعَثَ النبيُّ ﷺ قال: فنزلتُ على شيخٍ من الأزدِ عالمٍ، قد قرأ الكتبَ، وعَلِمَ من عِلْمِ الناس علماً كبيراً، وأتت عليه أربعمئةً سنة إلّا عشرَ سنين، فلمّا رآني قال لي: أحسبُك حرمياً، قال أبو بكر: قلتُ: نعم، أنا من أهل الحرم، قال: وأحسبُكَ قرشياً، قال: قلتُ: نعم، أنا من قريشٍ، قال: وأحسبُكَ تيميّاً، قال: قلتُ: نعم، أنا من تيم بن مُرّة، أنا عبد الله، بن عثمان، بن كعب، بن ضمضم، بن مرة، قال: بقيت لي منك واحدة، قلت: ما هي؟ قال: تكشف لي عن بطنِكَ، قلتُ: لا أفعلُ إذ تخبرني لم ذاك؟ قال: أجدُ في العلم الصحيح الزكي الصادق أنَّ نبياً يُبعثُ في الحرم، تعاونَ على أمره فتًى[٢] وكهل[٣].

فأمّا الفتى فخوَّاضُ غمراتٍ، ودفّاعُ معضلاتٍ.

وأما الكهلُ فأبيضُ نحيفٌ، على بطنه شامةٌ، وعلى فخذِهِ اليسرى علامةٌ، وما عليكَ أن ترِيَني ما سألتُكَ، فقد تكاملت لي فيك الصفةُ إلا ما خَفِيَ عليَّ.

قال أبو بكر: فكشفتُ له عن بطني فرأى شامةً سوداءَ فوق سُرّتي.

فقال: أنتَ هو وربِّ الكعبة[٤].

٥ ـ وأخرج **ابن عساكر** عن **الربيع بن أنس** قال: مكتوبٌ في

---

(١) «البدء والتاريخ» و«الإعلام بما في دين النصارى» (١/ ٢٦٨)، «الخصائص الكبرى» (١/ ٥١).

(٢) المراد به: «سيدنا عمر بن الخطاب».

(٣) المراد به: «سيدنا أبو بكر الصدّيق».

(٤) «تاريخ دمشق» (٣٠/ ٣١).

الكتابِ الأوّل: «مَثَلُ أبي بكر الصديق مثل القَطْرِ أينما وقعَ نفعَ»[١].

٦ ـ وأخرج **ابن عساكر**[٢] عن **أبي نضرة**[٣] قال: [قال أبو بكر]: أتيتُ عمرَ وبين يديه قومٌ يأكلون، فرمى ببصره في مؤخّر القومِ إلى رجلٍ، فقال: ما تجدُ فيما تقرأُ قبلك من الكتب، قال: خليفةُ النبيِّ ﷺ صدّيقه.

٧ ـ وأخرج **الدينوري** في «المجالسة»، **وابن عساكر** من طريق زيد بن أسلم، عن أبيه **أسلم** قال: أخبرنا عمرُ بنُ الخطاب قال: خرجتُ مع ناسٍ من قريشٍ في تجارةٍ إلى الشام في الجاهلية، فلمّا خرجنا من مكةَ نسيتُ قضاء حاجةٍ، فرجعتُ فقلتُ لأصحابي: ألحقكم، فواللهِ إنِّي لفي سوقٍ من أسواقها إذا أنا ببطريق قد جاء، فأخذَ بعُنقي، فذهبتُ أنازعُه فأدخلني كنيسةً، فإذا ترابٌ متراكمٌ بعضُه على بعضٍ، فدفَع إليَّ مجرفةً وفأساً وزنبيلاً، وقال: انقل هذا الترابَ، فجلستُ أتفكَّرُ في أمري كيف أصنعُ؟ فأتاني في الهاجرة... ثم قال لي: لم أرك أخرجتَ شيئاً، ثم ضمَّ أصابعَه فضربَ بها وسطَ رأسي، فقلتُ: ثكلتْكَ أمُّكَ يا عمرُ! وبلغتَ ما أرى، فقمتُ بالمجرفة، فضربتُ بها هامته، فإذا دماغه قد انتثر، فأخذته، ثم واريتُه تحتَ التراب، ثم خرجتُ على وجهي، ما أدري أينَ أسلكُ؟

فمشيت بقيةَ يومي وليلتي ومن الغد حتّى أصبحتُ، ثم انتهيتُ إلى دير، فاستظللتُ في ظلّه، فخرجَ إليَّ رجلٌ من أهل الدير، فقال: يا عبدَ اللهِ! ما يجلِسُكَ هاهنا، قلت: أُضللتُ عن أصحابي... فجاءني بطعام وشراب، ولطف وصعّد فيَّ البصر وخفّضه، ثم قال: يا هذا! قد عَلِمَ أهلُ الكتابِ أنّه لم يبقَ على وجه الأرض أحدٌ أعلم مني بالكتاب،

---

(١) «تاريخ دمشق» (٣٠/٣٣٨).
(٢) «تاريخ دمشق» (٣٠/٢٩٦).
(٣) في الأصل الفارسي: «عن أبي بكرة».

وإنِّي أجدُ صفتَك الذي يخرجنا من هذا الدير، ويغلبُ على هذه البلدةِ، فقلتُ له: أيها الرجل! قد ذهبتَ في غيرِ مذهبٍ، قال: ما اسمك؟ قلت: عمر بن الخطاب، قال: أنتَ واللهِ صاحبُنا غيرَ شكٍّ، فاكتبْ لي على ديري وما فيه، قلتُ: أيُّها الرجلُ! قد صنعتَ معروفاً فلا تكدِّرُه، فقال: اكتب لي كتاباً في رقٍّ ليس عليكَ فيه شيءٌ، فإن تكُ صاحبنا فهو ما نريدُ، وإن تكن الأخرى فليس يضرُّكَ، قلتُ: هاتِ، فكتبتُ له، ثم ختمت عليه... فلمّا قدم عمرُ الشام في خلافته، أتاه ذلك الراهبُ ـ وهو صاحب دير العَدَس[1] ـ بذلك الكتاب، فلمّا رآه عمرُ تعجَّبَ منه، فقال: أوفِ لي بشرطي، فقال عمر: ليس لعمرَ ولا لابنِ عمرَ منه شيءٌ[2].

٨ ـ وأخرج **ابن سعد** عن **عبد الله بن مسعود** قال: ركب[3] عمرُ فرساً، فانكشف ثوبُه عن فخذِه، فرأى أهلُ نجران بفخذِهِ شامةً سوداءَ، فقالوا: هذا الذي نجدُ في كتابنا أنّه يخرجنا من أرضنا[4].

٩ ـ وأخرج **عبد الله بن أحمد** في «زوائد الزهد» من طريق أبي إسحاق عن **أبي عبيدة** قال: ركضَ عمرُ فرساً على عهد النبيِّ ﷺ، فانكشفَ فخذه من تحت القباء، فأبصرَ رجلٌ من أهل نجران شامةً في فخذِه، فقال: هذا الذي نجده في كتابنا يخرِجُنا من ديارنا[5].

١٠ ـ وأخرج **أبو نُعيم**[6] من طريق شهر بن حَوْشب، عن **كعب**

---

(١) قد ورد في النسخة الفارسية الأصلية: «دير القدس».

(٢) «تاريخ دمشق» (٦/٤٤)، «المجالسة وجواهر العلم» (١/٤٢٨).

(٣) وفي الأصل الفارسي: «ركض». (٤) «طبقات ابن سعد» (٣/٣٢٦).

(٥) «الزهد»، للإمام أحمد بن حنبل (٢/١٧٦)، «تاريخ دمشق» (٤٤/٢٧٥).

(٦) لم يخرجه أبو نُعيم في أيِّ كتابٍ من كتبه، ولكن أخرجه المحب الطبري في «الرياض النضرة».

الأحبار أنّه لقيَ عمرَ بالشام فقال له: إنّه مكتوبٌ في هذه الكتب أنَّ هذه البلاد ـ التي كانت بنو إسرائيل أهلها ـ مفتوحة على يد رجل من الصالحين، رحيم بالمؤمنين، شديد على الكافرين، سِرُّه مثل علانيته، قوله لا يخالِفُ فعلَه، القريبُ والبعيدُ سواءٌ عنده في الحكم، أتباعُه رهبانٌ بالليلِ، وأُسْدٌ بالنهار، متراحمون، متواصلون، قال عمر: أحقّ ما تقول؟ فقلتُ: إيْ والذي يسمعُ ما أقولُ، فقال: الحمدُ للهِ الذي أعزَّنا، وكرَّمنا، وشرَّفنا، ورحمنا بنبيِّنا محمد، ورحمته التي وسعتْ كلَّ شيءٍ[1].

١١ ـ وأخرج **ابن عساكر**، عن عبيد بن آدم، وأبي مريم، وأبي شعيب أنّ عمر بن الخطاب كان بالجابيةِ، فقدم خالدُ بنُ الوليد إلى بيت المقدس، فقالوا له: ما اسمُك؟ قال: أنا خالد بن الوليد، قالوا: وما اسمُ صاحبك؟ قال: عمر بن الخطاب، قالوا: انعته لنا، فنعته، قالوا: أمّا أنتَ فلست تفتحُها، ولكن عمر، فإنّا نجدُ في الكتب: كلُّ مدينة تفتح قبل الأخرى، وكلُّ رجل يفتحها بنعته، وإنّا نجدُ في الكتاب أنَّ «قيسارية» تفتح قبل بيت المقدس، فاذهبوا فافتحوها، ثم تعالوا بصاحبكم[2].

١٢ ـ وأخرج **الطبراني وأبو نُعيم** في «الحلية» عن **مغيث الأوزاعي** أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أرسل إلى كعب، فقال له: يا كعبُ كيفَ تجدُ نعتي في التوراة؟ قال: خليفة قِرْنٌ من حديد، أميرٌ شديدٌ، لا يخافُ في اللهِ لومةَ لائمٍ، ثم خليفةٌ تقتله أمته ظالمينَ له، ثم يقعُ البلاءُ بعده[3].

---

(١) «الرياض النضرة» (١/ ١٥٢).
(٢) «تاريخ دمشق» (٦٦/ ٢٨٦).
(٣) «حلية الأولياء» (٢/ ٤٦٥).

١٣ ـ وأخرج **ابن عساكر** عن **الأقرع** مؤذّن عمر أنَّ عمر دعا الأسقُفَ فقال: هل تجدونا في شيء من كتبكم؟ قال: نجدُ صفتكم وأعمالكم، ولا نجد أسماءكم، قال: كيف تجدوني؟ قال: قِرناً من حديدٍ، قال: ما قِرْنٌ من حديدٍ؟ قال: أميرٌ شديدٌ، قال عمرُ: الله أكبر! فالذي مِنْ بعدي؟ قال: رجلٌ صالحٌ يؤثِرُ أقرباءه[1]، قال: يرحمُ الله ابنَ عفّان، فالذي مِنْ بعده؟ قال: صدعٌ مِنْ حديدٍ، قال: فقال عمرُ وألقى شيئاً في يده، وجعل يقول: وادفراه! وادفراه![2] قال: فقال: مهلاً يا أمير المؤمنين! فإنّه رجلٌ صالحٌ، ولكن تكونُ خلافته في هراقة من الدماء والسيفُ مسلولٌ[3].

١٤ ـ وأخرج **ابن عساكر** عن ابن سيرين قال: قال **كعب [الأحبار]**[4] لعمر [بن الخطاب[5]]: يا أميرَ المؤمنين! هل ترى في منامك شيئاً؟ قال: فانتهره، فقال: إنّا نجدُ رجلاً يرى أمرَ الأمةِ في منامه[6].

١٥ ـ وأخرج **ابن راهويه** في «مسنده» بسندٍ حسن عن أفلح مولى أبي أيوب الأنصاري عن **أبيه**، قال: كان عبدُ اللهِ بنُ سلام قبل أن يأتيَ أهل مصر يدخل على رؤوس قريش، فيقول لهم: لا تقتلوا هذا الرجل؛ يعني: عثمان، فيقولون: واللهِ ما نريدُ قتله فيخرج وهو متكىء على يديه،

---

(١) ليس معنى ذلك أنه يؤثر أقرباءه ظلماً وغصباً لحقوق الآخرين، هذا ينافي كلَّ ما ورد في مناقبه وفضائله عن النبي ﷺ، بل المعنى الأوجه في ذلك أنه **يفضِّل أحد المتساويين في الاستحقاق** لأيِّ منصب من مناصب الحكومة والخلافة الذي **هو أقرب إليه نسباً**.

(٢) **وادفراه:** أي: وانتناه من هذا الأمر، وقيل: أراد: واذُلّاه، «النهاية» (ص٣٠٨).

(٣) «تاريخ دمشق» (٣٩/ ١٨٩).

(٤) سقط في الأصل الفارسي.

(٥) زاد في الأصل الفارسي.

(٦) «تاريخ دمشق» (٤٤/ ٩٥).

يقول: واللهِ لتقتلنّه، ثم قال لهم: لا تقتلوه، فواللهِ ليموتنَّ إلى أربعين يوماً، فأبوا، فخرجَ عليهم بعد أيام، فقال لهم: لا تقتلوه، فوالله ليموتنَّ إلى خمسَ عشرةَ ليلةً[١].

١٦ ـ وأخرج **ابن سعد وابن عساكر** عن **طاوسٍ** قال: سئل عبد الله بن سلام حين قُتل عثمان: «كيف يجدون صفة عثمان في كتبهم؟» قال: نجده أميراً يومَ القيامةِ على القاتل والخاذل[٢].

١٧ ـ وأخرج **ابن عساكر** من طريق محمد بن يوسف [بن عبد الله بن سلام[٣]] [عن جده **عبد الله بن سلام**[٤]] قال: [جاء عبدُ اللهِ حتّى[٥]] [إنه[٦]] دخل على عثمان في آخر ما دخل عليه الناسُ، فقال: ما ترى في القتالِ والكفِّ؟ قال: الكفُّ أبلغُ للحجةِ، وإنّا لنجدُ في كتابِ اللهِ: أنّكَ يومَ القيامةِ أميرٌ على القاتل والآمر[٧].

١٨ ـ وأخرجَ من هذا الطريق أنّ **عبد الله بن سلام** قال للمصريين: لا تقتلوا عثمان، إنّه لا يستكمِلُ ذا الحجة حتّى يأتي على أجله[٨].

١٩ ـ وأخرج **الحاكم** عن أبي الأسود الديلي عن أبيه عن **علي** رضي الله عنه قال: أتاني عبدُ الله بن سلام، وقد وضعتُ رجلي في الغرز، وأنا أريد العراقَ، فقال: لا تأتِ العراقَ، فإنّكَ إن أتيته أصابك به ذبابُ السيفِ، قال علي: وايمُ اللهِ لقد قالها لي رسولُ اللهِ ﷺ قبلك، قال أبو الأسود: فقلتُ في نفسي: يا الله! ما رأيتُ كاليوم، رجلٌ محارِبٌ يحدِّث الناسَ

---

(١) «إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة» (٨/ ٤).
(٢) «طبقات ابن سعد» (٣/ ٨١)، «تاريخ دمشق» (٣٩/ ٣٥٩).
(٣) سقط في الأصل الفارسي.
(٤) زاد في الأصل الفارسي.
(٥) سقط في الأصل الفارسي.
(٦) زاد في الأصل الفارسي.
(٧) «تاريخ دمشق» (٣٩/ ٣٥٩).
(٨) «تاريخ دمشق» (٣٩/ ٣٥٤).

بمثل هذا[١].

٢٠ ـ وأخرج **أبو القاسم البغوي** عن **سعيد بن عبد العزيز** قال: لمّا توفِّي رسول الله ﷺ قيل لذي قربات الحميري ـ وكان من أعلم يهود ـ: يا ذا قربات! مَنْ بعده؟ قال: الأمينُ؛ يعني: أبا بكر، قيل: فمَنْ بعدَه؟ قال: قِرْنٌ من حديدٍ؛ يعني: عمر، قيل: فمن بعده؟ قال: الأزهرُ؛ يعني: عثمان، قيل: فمن بعده؟ قال: الوضاحُ المنصورُ؛ يعني: معاوية[٢].

٢١ ـ وأخرج **ابن راهويه والطبراني** عن **عبد الله بن مغفل** قال: قال لي ابن سلام لمّا قُتِلَ عليٌّ: «هذا رأسُ أربعينَ سنةً، وسيكون عندها صلحٌ»[٣].

٢٢ ـ وأخرج **ابن سعد** عن **أبي صالح** قال: كان الحادي يحدو[٤] بعثمانَ وهو يقول:

إنَّ الأميرَ بَعْدَهُ عليُّ ... وفي الزُّبَيْرِ خَلَفُ مَرْضِيُّ

قال: فقال كعب: لا، [بل هو صاحبُ البغلةِ الشهباءِ، قال: يعني[٥]:] معاوية، [قال: فأتي معاويةُ فقيل له: إنَّ كعباً يقول كذا وكذا، فأتى كعباً[٦]]، فقال: يا أبا إسحاق! وأنّى يكون هذا؟ وها هنا أصحابُ محمّد: علي والزبير، قال: أنت صاحبُها[٧].

---

(١) «المستدرك» (٣/ ١٥١).
(٢) «الخصائص الكبرى» (١/ ٥٥)، «الإصابة» (١/ ٣٣٨).
(٣) «إتحاف الخيرة المهرة» (٨/ ٤).
(٤) «حدا»: أنشد شعراً تطربُ له الأسماعُ، وتخفُّ له الإبل في سيرها.
(٥) لا يوجد ذلك في الأصل الفارسي.
(٦) قد ورد في الأصل الفارسي بدلاً من ذلك: «فأخبر معاوية بذلك».
(٧) «الجزء المتمم لطبقات ابن سعد» (١/ ٤١).

معرفة الشيء بطريق الكهانة والرؤيا:

ليُعلمَ أنّ سُنَّةَ اللهِ جرت على أنّه إذا قُدِّرَ أمرٌ عظيمٌ في عالم الغيب ترتسم صورته في الملأ الأعلى، ويتلقَّى ذلك الأمرَ الملأ الأدنى، فإذا بلغ الأمر هذا المبلغ يعرفه الكهنة بكهانتهم، وأهلُ الأذهان الصافية بالرؤيا، بل ترتسم صورته في بعض الأجسام والجسمانيات أيضاً.

إخبار الكهان عن خلافة الخلفاء:

وننقل عِدّةَ روايات من كتاب «الخصائص الكبرى» في هذا الباب أيضاً:

٢٣ ـ من قول سطيح[١] بعد ذكر النبيِّ ﷺ: ثم يلي أمره الصدّيق إذا قضى صَدَقَ، وفي رَدِّ الحقوقِ لا خَرِقٌ ولا نَزِقٌ، ثم يلي أمره الحنيفُ، مجرّبٌ غطريفٌ، قد أضافَ المضيفَ، وأحكمَ التحنيفَ، ثم يلي أمره دارّع لأمره مجرب، فيجتمع له جموع وعصب، فيقتلونه نقمةً عليه وغضب، فيؤخذ الشيخُ فيذبَحُ إرْباً، فيقومُ له رجال خطباً، ثم يلي أمره الناصِرُ، يخلِطُ الرأي برأي ماكرٍ، يظهِرُ في الأرض العساكرَ[٢]، «والمراد من الناصر ههنا: معاوية بن أبي سفيان».

٢٤ ـ وأخرج **ابن عساكر** عن أبي الطيب عبد المنعم بن غلبون المقرئ بمصر، قال: لمّا فُتِحَتْ عمورية وجدوا على كنيسة من كنائسها مكتوبٌ بالذهب: شرُّ الخلفِ خلفٌ يشتمُ السلفَ، واحدٌ من السلف خيرٌ من ألفٍ من الخلف، يا صاحبَ الغارِ، نلتَ كرامةَ الافتخارِ، إذ أثنى عليكَ الملكُ الجبّار؛ إذ يقول في كتابه المنزل، على نبيِّه المرسل ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ﴾ [التوبة: ٤٠]، يا عمرُ! ما كنتَ والياً

---

(١) **سطيح**: كاهن معروف في بلاد الشام.
(٢) «الخصائص الكبرى» (١/٥٨).

بل كنتَ والداً، يا عثمانُ! قتلوكَ مقهوراً، ولم يزوروك مقبوراً، وأنتَ يا عليُّ! إمامُ الأبرار، والذّابُ عن وجه رسول الله ﷺ الكفّار، فهذا صاحِبُ الغار، وهذا أَحدُ الأخيار، وهذا غياثُ الأمصار، وهذا إمامُ الأبرار، فعلى من ينتقصهم لعنةُ الجبّار.

قال: فقلت لصاحب له ـ قد سقطت حاجباه على عينيه من الكبر ـ: منذ كم هذا على باب كنيستكم مكتوبٌ؟ فقال: من قبل أن يُبْعَثَ نبيّكم بألفي عام[(١)].

٢٥ ـ وأخرج **ابن عساكر** في «تاريخ دمشق» عن **كعب** قال: كان إسلامُ أبي بكر الصدِّيق شبيهاً[(٢)] بوحي من السماء، وذلك أنّه كان تاجراً بالشام، فرأى رؤيا، فقصَّها على بحيرا[(٣)] الراهب، فقال له: من أين أنت؟ قال: من مكة، قال: من أيّها؟ قال: من قريشٍ، قال: فأيش أنت؟ قال: تاجرٌ، قال: صدق الله رؤياك، فإنّه سيبعثُ نبيٌّ من قومك، تكونُ وزيرَه في حياته، وخليفتَه بعد موتِهِ، فأسرَّ أبو بكر حتّى بُعِثَ النبيُّ ﷺ، فجاءه، فقال: يا محمّدُ، ما الدليلُ على ما تدعي؟ قال: الرؤيا التي رأيتَ بالشام، فعانقه، وقبّلَ عينيه، وقال: [أشهد أن لا إلـه إلا الله[(٤)]] وأشهد أنّكَ رسولُ اللهِ[(٥)].

٢٦ ـ وأخرج **ابن عساكر** عن **عليٍّ** قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليلة أسري بي رأيتُ على العرش مكتوباً: «لا إلـه إلّا الله، محمّدٌ رسولُ اللهِ، أبو بكر الصدّيق، عمرُ الفاروق، عثمانُ ذو النورين»**[(٦)]».

---

(١) «تاريخ دمشق» (٣٧/ ١٨٩).

(٢) وفي الأصل الفارسي: «سببه» مكان «شبيهاً».

(٣) كذا في «مختصر ابن المنظور» (٤/ ٢٦٥)، وفي الأصل الفارسي: «بحير».

(٤) سقط في الأصل الفارسي.

(٥) «تاريخ دمشق» (٣٠/ ٣٠).

(٦) «تاريخ دمشق» (٣٩/ ٥١).

٢٧ ـ وأخرج **أبو يعلى، والطبراني** في «الأوسط» **وابن عساكر والحسن بن عرفة** في جزئه المشهور عن **أبي هريرة** قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: **«لمّا عُرِجَ بي إلى السَّماءِ، ما مررتُ بسماءٍ إلا وجدتُ فيها اسمي: محمّدٌ رسولُ اللهِ ﷺ، وأبو بكر الصديق من خلفي»**[١].

٢٨ ـ وأخرج **الدارقطني** في «الأفراد»، **والخطيب، وابن عساكر،** عن **أبي الدرداء،** عن النبيِّ ﷺ، قال: **«رأيتُ ليلةَ أسري بي في العرشِ فريدةً**[٢] **خضراءَ، فيها مكتوبٌ بنورٍ أبيضَ: لا إلـهَ إلّا اللهُ، محمّدٌ رسولُ اللهِ، أبو بكر الصديق»**، زاد الطبري[٣]: **«عمر الفاروق»**[٤].

٢٩ ـ وأخرج **ابن عساكر، وابن النجار** في «تاريخيهما» عن أبي الحسن علي بن عبد الله الهاشمي الرقي بالرملة، قال: دخلتُ في بلاد الهندِ إلى بعضِ قراها، فرأيتُ شجرَ[٥] وردٍ أسودَ، ينفتحُ عن وردة كبيرة، طيبة الرائحة، سوداء، عليها مكتوبٌ [كما تدور[٦]] بخط أبيض: «لا إلـه إلا الله، محمّد رسول الله، أبو بكر الصدِّيق، عمر الفاروق»

---

(١) انظر: «المعجم الأوسط» (٥/ ١٣٢)، و«مسند أبي يعلى» (١١/ ٤٨٨) رقم: (٦٦٠٧)، و«تاريخ دمشق» (٣٠/ ٢٠٤)، و«تحفة الصديق في فضائل أبي بكر الصدِّيق» (١/ ٩) واللفظ له، و«الرياض النضرة» (١/ ٣٣).

(٢) في الأصل الفارسي: «فرندة» مكان «فريدة»، وكذا وقع في «الرياض النضرة» (٢/ ٧٨)، ووقع في «مختصر تاريخ دمشق»: «إفرندة».

(٣) هو: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآمُلِيّ، أبو جعفر الطبري، المؤرّخ المفسّر، الإمام، صاحب التصانيف المشهورة، من مواليد سنة ٢٢٤هـ، توفي سنة٣١٠هـ. انظر ترجمته في: «تاريخ بغداد» (١/ ٢٦٤)، و«طبقات الشافعية» (١/ ٨)، و«تاريخ دمشق» (٥٢/ ١٨٨).

(٤) انظر: «تاريخ دمشق» (٣٠/ ٢٠٤)، و«تاريخ بغداد» (٥/ ١١٤)، و«مختصر تاريخ دمشق» (٣/ ٤٤٢).

(٥) في الأصل الفارسي: «شجرة».

(٦) لا يوجد في الأصل الفارسي.

فشككتُ في ذلك، وقلتُ: إنّه عملٌ معمولٌ، فعمدتُ إلى جُنْبُذة[١] لم تفتّح ففتحتُها، فكان فيها وردةٌ سوداءٌ فيها مكتوب بخط أبيض كما رأيتُ في سائرِ الوردِ وفي البلد منه شيءٌ عظيم[٢][٣].

الآية الرابعة:

قال الله تعالى في سورة المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [المائدة].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [المائدة].

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [المائدة: ٥٧].

فتنة الردة وتدبير دفعها:

والغرض من هذا الكلام أيضاً إنّما هو إخبارٌ عن الحادثة التي ستحدث عند وفاة النبي ﷺ، وتتفاقم وتشتدّ بعد وفاته ﷺ، وأيضاً فيه إعلامٌ عمّا أراده الله تعالى من التدبير ليكونوا على بصيرةٍ منها عند وقوعها، وأنْ لا يغلبهم الخوفُ ويستولي على قلوبهم اضطراب.

---

(١) في الأصل الفارسي: «حبّة»، والجُنْبُذة جمعها: جنابذ، وهي القبة، أو مثلها شيء ارتفع واستدار، «النهاية» (ص١٦٨)، «لسان العرب» (٣/ ٤٨٢).

(٢) في الأصل الفارسي: «كثير».

(٣) «تاريخ دمشق» (١٣/ ٩)، وقد أخرج السيوطي هذه الروايات كلها في مواضع مختلفة في المجلد الأول من «الخصائص الكبرى».

ظهور المدعين للنبوة:

وإذا ظهر التدبيرُ اهتمُّوا به، وبذلوا الجهد في إتمامه، واعتبروا ذلك سعادة لهم، وشرح هذه الحادثة أنَّ ثلاث فرق من العرب ارتدُّوا عن الإسلام في آخر حياة النبي ﷺ، وكان رجلٌ في كلٍّ فرقة منها يدّعي النبوةَ، فآمن به قومٌ، وثارت فتنة عظيمة.

الأول: ذو الخمار العَنْسِي، كان له باع طويل في الكهانة والشعبذة، ادَّعى النبوة في قبيلة مَذْحِجَ باليمن، فكتب النبيُّ ﷺ إلى معاذ بن جبل (لأنّه كان قاضياً في اليمن)، ومَنْ كانوا معه من المسلمين أن يتجهَّزوا لقتاله، فتصدّى لقتله فيروز الديلمي منهم فقتله، واطلع النبي ﷺ على ذلك بالوحي، وقال: فاز فيروزُ، وبلغ ذلك أبا بكر الصدِّيق في أواخر ربيع الأول فيما يظهر، وذلك أول بشارة الفتح التي استبشر بها الصدّيق رضي الله عنه.

الثاني: مسيلمة الكذّاب، يدَّعي النبوة في بني حنيفة في اليمامة[1]، وكتب إلى النبيِّ ﷺ:

«من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله، أمّا بعدُ! فإنَّ الأرض نصفُها لي ونصفُها لك»[2]، أرسل هذه الرسالة إلى النبيِّ ﷺ مع رجلين،

---

(١) هي في الإقليم الثاني طولها من جهة المغرب إحدى وسبعون درجة وخمس وأربعون دقيقة، وعرضها من جهة الجنوب إحدى وعشرون درجة وثلاثون دقيقة، وفي كتاب العزيزي أنها في الإقليم الثالث، وعرضها خمس وثلاثون درجة، وكان فتحها وقتل مسيلمة الكذاب في أيام أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه سنة ١٢ للهجرة، وفتحها أمير المسلمين خالد بن الوليد عنوةً، ثم صولحوا، وبين اليمامة والبحرين عشرة أيام، وهي معدودةٌ من نجدٍ وقاعدتُها حجر...، وكان اسمها قديماً «جَوّا»، فسميت اليمامة باليمامة بنت سهم بن طسم، «معجم البلدان» (٤/ ٣٤٥).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٧٠)، و«تفسير الرازي» (٦/ ٨٠)، و«تفسير البيضاوي» (٢/ ٨٦)، وأخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٤٢٠)، والطبري في «تاريخه» (٢/ ٣٩٩) بتعديل يسير في اللفظ.

فقال لهما رسولُ اللهِ ﷺ للرجلين: «**أتشهدانِ أنّ مسيلمةَ رسولُ اللهِ؟**» قالا: نعم، فقال النبيُّ ﷺ: «**لولا أنَّ الرسلَ لا تُقْتَلُ لضربتُ أعناقكما**»، ثم كتب إلى مسيلمة رسالةً جواباً عن رسالته: «**بسم الله الرحمٰن الرحيم، من محمّدٍ رسولِ اللهِ إلى مسيلمةَ الكذَّاب، أمّا بعدُ! فإنَّ الأرضَ للهِ يورثُها مَنْ يشاءُ والعاقبةُ للمتقين**»[1].

ثم مرض النبيُّ ﷺ بعد ذلك، وانتقل إلى الرفيق الأعلى قبل التدبير لقتله، فأرسل أبو بكر رضي الله عنه خالدَ بنَ الوليد رضي الله عنه بجيشٍ كثيرٍ إلى مسيلمة، فقتله وحشيٌّ، وتفرَّقت جماعةُ مسيلمة، وتاب بعضُهم.

الثالث: طليحة الأسدي، ادّعى النبوّة في بني أسد في حياة النبي ﷺ، فأرسل أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه من بعدِ وفاته ﷺ خالدَ بنَ الوليد إلى جماعته، فهزمهم خالدٌ هزيمةً منكرةً، وفرَّ طليحةُ هارباً، ثم أسلم، وأبلى في حرب القادسية[2] بلاءً حسناً.

فتنة الردّة وإنكار الزكاة: ثم ظهرت فتنةُ الردَّةِ في جزيرة العرب في غير الحرمين وقرية جُوَاثَىٰ[3]، وأنكرت فرقةٌ من المسلمين أداء الزكاة إلى الخليفة، فاختلف فيها فقهاءُ الصحابة، كيف نقاتِلُ أهلَ القِبْلَةِ؟ وفي شأنهم قال عمرُ رضي الله عنه: «كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

---

(١) «المنتظم» (١/ ٤١٨)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٠٠).

(٢) وقال المدائني: كانت القادسيةُ تسمّى قُدَيْساً، وبهذا الموضع كان يوم القادسية بين سعد بن أبي وقاص والمسلمين والفرس في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سنة ١٦ من الهجرة، «معجم البلدان» (٣/ ٣٥٣)، وكتب ابن بطوطة في «رحلته» (١/ ٨٠): «وكانت القادسيةُ مدينةً عظيمةً، افتتحها سعد رضي الله عنه، وخربت، فلم يبق منها إلى الآن إلا مقدار قرية كبيرة، وفيها حدائقُ النخلِ، وبها مشارعُ من ماءِ الفراتِ، «تاريخ الطبري» (٣/ ٢٥٣).

(٣) بضم أوله، وبالثاء المثلثة، على وزن فُعَالَى: مدينة بالبحرين لعبد القيس، «معجم ما استعجم» (١/ ١١٥)، «لسان العرب» (٢/ ١٢٦).

«أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فَمَنْ قَالَهَا فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ»، فَقَالَ: وَاللهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَاللهِ لَوْ مَنَعُونِي عَنَاقاً كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهَا» أخرجه **الشيخان**[(١)] وغيرهما[(٢)].

موقف أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه:

وشَرْحُ التدبيرِ الذي قدَّره الله تعالى لهذه الحادثة هو أنّه تعالى قد ألقى داعيةَ الجهادِ في قلب أبي بكر الصدِّيق باهتمامٍ بالغٍ، وهذا هو معنى قوله ﷺ في هذه الفتنة: «**العصمةُ فيها السيفُ**»[(٣)] رواه **حذيفة**، وأكثر الصحابة كانوا في قتال مانعي الزكاة[(٤)]، حتى طلبَ منه عمر الفاروق رضي الله عنه الرفقَ واللين، فردَّ عليه أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «أجبَّارٌ أنتَ في الجاهليةِ وخوّارٌ في الإسلامِ؟»[(٥)]، ودار السؤال والجواب بينهما في هذا الموضوع.

وقال **أنس بن مالك**: كره الصحابةُ قتالَ مانعي الزكاة، وقالوا: أهلُ القبلةِ، فتقلَّد أبو بكر سيفَهُ، وخرجَ وحده، فلم يجدوا بدّاً من الخروج[(٦)].

---

(١) «صحيح البخاري» رقم: (١٣٩٩ و١٤٠٠)، «صحيح مسلم» رقم: (٢٠).

(٢) أخرجه النسائي (٦/ ٥) رقم: (٣٠٩١)، وأحمد في «مسنده» (١/ ٤١٧) رقم: (٣٣٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ١٠٤) رقم: (٧١١٦).

(٣) كذا في الأصل الفارسي، وأخرج البغوي في «شرح السُّنَّة» (١/ ١٠١٠)، من حديث **حذيفة** قال: قلتُ: يا رسول الله! أيكونُ بعدَ هذا الخيرِ شرٌّ كما كان قبله شرٌّ؟ قال: «**نعم**»، قلتُ: فما العصمة يا رسول الله؟ قال: «**السيف**».

(٤) «لامع الدراري» (٥/ ١٢ و١٣).

(٥) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٣٣٩)، وابن بلبان في «تحفة الصديق» (١/ ١٢).

(٦) «تفسير البغوي» (٣/ ٦٩).

وقال **ابن مسعود**: كرهنا ذلك في الابتداء، ثم حمدناه في الانتهاء، أخرجهما **البغوي**(١) وغيره(٢).

آراء الصحابة حول إقدام أبي بكر رضي الله عنه:

إنّ داعية الجهادِ التي ألقاها الله في قلب أبي بكر كانت كالمصباح، مَنْ ظهرَ أمامه يتنوَّرُ حتّى استعدَّ جماعةٌ كبيرة من المسلمين للقتال، وبذَلوا ما في وسعهم من الاستعداد للجهاد.

قال أبو بكر ابن عياش: سمعتُ أبا حصين يقول: ما ولد بعد النبيين أفضلُ من أبي بكر، قام مقام نبيٍّ من الأنبياء في قتال أهل الردَّة، أخرجه البغوي(٣).

وذلك إشارةٌ إلى تحمُّل الداعية الإلٰهية التي ارتسمت في قلب الصدّيقِ وحدَه أولاً، ثم ارتسم أمرُ الجهاد منه في قلوب المسلمين.

• أخرج **أبو بكر**: عن القاسم بن محمد، عن **عائشة** أنها كانت تقول: توفي رسول الله ﷺ، فنزل بأبي بكر ما لو نزل بالجبال لهاضّها، اشرأبَّ النفاقُ بالمدينةِ، وارتدَّتِ العربُ، فواللهِ ما اختلفوا في نقطةٍ إلّا طار أبي بحظِّها وعَنَائِها(٤) في الإسلام.

• وكانت تقولُ مع هذا: ومن رأى عمر بن الخطاب عرفَ أنّه خُلِقَ غناءً للإسلام، كان واللهِ أحوذيّاً نسيجَ وحده، قد أعدّ للأمور أقرانها(٥).

---

(١) «تفسير البغوي» (٣/ ٦٩).
(٢) «الرياض النضرة» (١/ ٦٨).
(٣) في «تفسيره» (٣/ ٧٠) ضمن تفسير آيات قتال المرتدين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ...﴾ [المائدة: ٥٤].
(٤) في الأصل الفارسي: «بحطها غنائها».
(٥) «المصنف» (٣٨٢١٠)، وفي «سنن البيهقي» (٨/ ٢٠٠) رقم: (١٧٣٠٠): «بحظها وغنائها».

أبو بكر هو المراد في الآية:

وقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ...﴾ [المائدة: ٥٤]، ليس معنى ذلك أنْ يأتيَ بهم من العدم إلى الوجود، أو من الكفر إلى الإسلام، بل المراد: إمالةُ قلوب جماعة من المسلمين للجهاد بسبب الداعية التي ألقاها في قلب أبي بكر رضي الله عنه، وربط قلوب بعضهم إلى بعض في سلك واحد على الجِهاد، فصارت صورتُهم الاجتماعيةُ مأتياً بها من الله، وإلّا لا يمكن أن تكونَ شرارةُ الجهادِ في كلٍّ فرد منهم على السواء، وبالتالي تظهر تلك الهيئة الاجتماعية بتدبيرٍ من الله، وإلهامٍ منه، وإلقاء الهمَّة في قلوبهم.

• وقوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤].

ستّ صفات في الآية:

قد بيَّن الله سبحانه وتعالى ستَّ صفاتٍ:

صفتان منها لبيانِ علاقة بين الله وعباده، (أي: الله يحبّهم، وهم يحبّون الله).

وصفتان منها بين المؤمنين وغيرهم، فيعامِلُ الله المؤمن معاملة الأب ولده، ويعامل الكافر؛ معاملة جبرئيل لثمود عند الصيحة حتّى صارت سبباً لإتلافهم وإهلاكهم.

وصفتان منها في نصرة الملَّة والدين، **الصفة الأولى**: الجهاد، ويدخل في معناه الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر أيضاً، كما تقدّمَ في آية التمكين. **والصفة الأخرى**: القوّة الإلهامية التي لا تزولُ بكلام الناس أو القرابة وما يشاكلهما.

أكبر الغزوات بعد بدر والحديبية:

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾

[المائدة] هذه خلاصةٌ لإثبات الصفات المذكورة عظيمة القدر في تحقيق وإثباتِ هذه الخصال المذكورة وبيان منزلتها عند الله، وقد عُلِمَ من هذا رتبةُ قتالِ المرتدين بعد غزوة بدر والحديبية، وكان هذا القتال من المشاهد العظيمة القدر.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [المائدة: ٥٥] لفظة «إنما» تستعمل في كلام العرب لبيان دليل الجملة السابقة وتحقيقها وتثبيتها، فالمعنى: أيُّها المسلمون! لماذا تخافون من ارتدادِ بعض العرب والجموع الكثيرة لهم؛ فإنّ وليّكم وناصركم هو الله، الذي يلهِمُ الخيرَ والتدبيرَ لإتمام الأمور، ورسولُه أيضاً وليكم، وهو يرغِّبُ المؤمنين بالجهاد، وينصر عباده بالدعاء والتضرع إلى الله، والظاهِرُ أنّ الله تعالى جعل أهل الإيمان متّصفين بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة بخشوع وخضوع (وهم أولياؤكم)، وهم يتقبلّون الإلهام الرباني، والله ﷻ يجري بهم أعمال الخير في هذا العالم.

نزول الآية في شأن أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه:

وسببُ نزول هذه الآية ومصداقها[1] هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه رغم عموم اللفظ الذي يشمل جميعَ المؤمنين إلى يوم القيامة، ودخول الرجل الذي كان سبباً لنزول الآية في مصداقها قطعي، ولأجل الآية قال جابر بن عبد الله: نزلت في عبد الله بن سلام لَمَّا هجره قومه اليهود.

---

(١) يكون سبب النزول والمصداق مختلفين تارةً، ومتحدين تارةً أخرى، فسبب النزول عبارة عن الشخص أو الحادث الذي نزلت الآية لأجله، فإذا انطبقت ألفاظُ الآيةِ على ذلك الشخص أو الحادث كان هو المصداقُ وإلّا فلا، أمّا قول المفسِّرين: «نزلت الآية في فلان» فيكون المراد منه تارةً: أنّه سببُ نزولِ الآية، وتارةً أخرى: أنّه مصداقُ الآية، وثالثةً: يكون المرادُ منه كلا المعنيين.

• وأخرج **البغوي** عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [المائدة: ٥٥] نزلت في المؤمنين، فقيل له: [إنَّ أناساً يقولون[1]] إنَّها نزلت في عليٍّ، فقال: هو من المؤمنين[2]، ولكن ليس كما يزعمه الشيعة، ويروون قصّةً موضوعةً[3]، ويجعلون قوله: ﴿رَٰكِعُونَ﴾ حالاً من قوله: ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[4]، وقد تصدّقَ بخاتمه، ورماه إلى جانب الفقير وهو راكعٌ، وإنَّهم لم ينظروا إلى سياق الآية وسباقها، بل فرقوا بين آيات مرتبطة، فرَّق الله أعضاءهم كما فرّقوا الآيات بعضها عن بعض.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [المائدة: ٥٥]، معنى هذا الكلام: أنَّ ولايةَ المسلمين ونصرتَهم لا تليقُ إلَّا بالذين يتّصفون بصفات الكمال، ولا سيَّما في مثل هذه الحوادث العظام (كمثل فتنة الردة) لا بغيرهم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ...﴾ [المائدة: ٥٦]، فيه أمرٌ بطاعة الله والرسول ﷺ، وفيه ترغيبٌ إليه، وبيانُ أنّ غلبةَ الإسلامِ متوقفةٌ عليها، وسعادة الدارين محصورةٌ فيها.

إنجاز الوعد الإلـهي في فتنة الردّة في عهد أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه:

وبعدما ذكرنا هذه الأمور، فليعلم أنّ وعد الله حقٌّ، ولم يتمّ إنجاز

---

(١) لا يوجد في الأصل الفارسي.
(٢) «تفسير البغوي» (٣/ ٧٣).
(٣) وهي أنَّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرَّ به سائلٌ وهو راكعٌ في المسجدِ، فأعطاه خاتمه، «تفسير البغوي» (٣/ ٧٣). وقال ابن كثير: لا يصحُّ شيءٌ منها بضعف أسانيدها وبضعف رجالها (١١/ ٩٤)، قال ابنُ تيمية: هذا وضعه بعض الكذّابين، «منهاج السُّنَّة» (ص٣٠ ـ ٣٢).
(٤) والآية بكاملها: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ٥٥﴾ [المائدة].

هذا الوعد في حياة النبي ﷺ؛ إذ لم يخرج جيشٌ لقتال المرتدّين في ذلك العصر، ولم يقع قتالُ المرتدّين بعد الشيخين أيضاً خلال هذه المدة الطويلة بجمع الجيش ونصب آلات الحرب، فلا بدَّ أن يكون مصداق هذا الوعد جنود أبي بكر الصديق رضي الله عنه التي جنَّدها وجهّزها لقتال المرتدّين، ونجحت في إنجاز هذا الأمر العظيم بعون الله تعالى في أسرع وقتٍ، وأحسنِ وجهٍ، وجمعُ الرجال ونصبُ القتال مع فِرَقِ المرتدّين من لوازم الخلافة الخاصة، فإن الخلافة الراشدة عبارةٌ عن رئاسة الخلق في إقامة الدين، والقيام بالجهاد لأعداء الله، وإعلاء كلمة الله، من حيث يكون هو ومن عاونوه في إقامة الدين ممدوحين عند الله، يشملهم ثناؤه ورضاه سبحانه وتعالى، والظاهر أنَّ قتالَ المرتدين من أعلى الأعمال لإقامة الدين، وشمول رضا الله ومدحه المجاهدين ضد المرتدين ظاهر، بل أظهر من الشمس في رابعة النهار، لهذا ثبت أنَّ الخلافة الخاصة لها شرفٌ وزينةٌ بوجودِ الصدّيق رضي الله عنه.

واعلم أيضاً: أنَّ في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ...﴾، ترغيباً في تولّي الخليفة الراشد، وأبو بكر الصديق رضي الله عنه هو مورد النصّ ومصداق الآية، وأنَّه داخل فيه بالقطع، وفيه إشارة إلى وجوب الانقياد للخليفة الراشد، ودلالة على تحقّق خلافة الصديق رضي الله عنه.

إعادة النظر في الخصال الستّ:

وليُعلم أيضاً: أنَّ الله سبحانه وتعالى يشهدُ بالتأكيد أنَّ هذه الجماعة تكون عند القيام بقتال المرتدِّين محبوبةٌ ومُحِبّةٌ وكذا وكذا من الصفات، وهذه الأمور الستة معدودةٌ من صفات الكمال، وأنَّ الصدّيق لو لم يكن في خلافته على الحقِّ فالجمع الذين جاهدوا بأمره أو بايعوه أو كانوا راضين باستخلافه، لم يكونوا من المحبين والمحبوبين والمتصفين بأوصاف

الكمال، فيلزم من هذا أنَّ خلافته لم تكن على الحق، واللازم (أي: عدم كونهم متصفين بها) باطلٌ بشهادة الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ﴾ فيه: أن الإتيان بقوم سيصدر من الله ﷻ حقيقة، وفي الظاهر أنَّ جمعُ المسلمين لقتال المرتدين تم على يد أبي بكر الصديق، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾، فالرمي صدر منك كالجارحةِ، ولكنَّ الفعلَ صدر من الله حقيقة.

كذلك في هذه الآية جمعُ الناس بهذه الصفات للقتال في الواقع من الله ﷻ، لكن نُسِبَ إلى أبي بكر كالجارحة له.

أخبرني! أيّ منزلة تكون أعلى من هذه المنزلة بعد مرتبة الأنبياء عليهم السلام؟ ومن يكون كاملاً ومكمِّلاً مثل الصديق رضي الله عنه؟ ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾ [الجمعة].

وجود الخصال المذكورة في أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه:

وليُعلم أيضاً أنَّ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ...﴾ [المائدة: ٥٥]، على الرغم من أنَّ لفظه عام، لكنَّ الصديق رضي الله عنه هو مورد النصّ ومصداقه قطعاً، فلذا صار الصدّيقُ الأكبر من أولياء المسلمين وأميرهم، هذا هو معنى الخلافة الراشدة، وكان الصدّيق متّصفاً بإقامة الصلاة مع الخشوع والخضوع والزكاة وكثرة النوافل، وهذه من لوازم الخلافة الخاصة.

وليُعلمْ أيضاً: أنّ أمرَ الجهادِ والقتالِ ينسب إلى الآمر في العرف العام، بل ينبغي أن يكونَ الآمرُ أوفرَ حظّاً بهذه الصفات في جيشه حتَّى تنعكِسَ صفاتُه على قلوب الجيش، فهذه الصفاتُ كانت متحققةً[1] في

(١) انظر شرحه في: (ص١٣٢).

الصدّيق الأكبر ﷛ على أكملِ الوجوه، وذلك من لوازم الخلافة الخاصّة، بل يمكن أن تكون هذه الصفات الستّة من صفات الصدّيق فقط، ولقد أتت بصيغة الجمع تعريضاً، كما وردت في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ...﴾ [النور: ٢٢]، والمراد هنا هو أبو بكر الصدّيق وحده ﷛، لكن أورده بصيغة الجمع كما في أساليب التعريض.

ومن القرائن الدالَّة على هذا المعنى: أنّه لم تقعْ على أحد من المسلمين لومةُ لائم إلّا على الصدّيق عند قتال المرتدين، أمّا لوم الكفار فلا التفاتَ إليه، فلا بدَّ أن يكونَ مصداقُ قوله تعالى: ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍۚ﴾ خاصاً به.

ولما خالفه الصحابة في قتال مانعي الزكاة ولاموه ـ وقد تحقّقَ عند أبي بكر كفرَ هؤلاء وارتدادَهم ـ فلم يلتفت إلى خلافهم ولومهم، وبعد هذا النقاش لم يتأثّر قلبُه بخوفٍ وضعفٍ في تنفيذ رأيه، فهو مصداق قوله تعالى: ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍۚ﴾.

۞ الآية الخامسة:

وقال الله تعالى في سورة الفتح: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَۖ فَإِن تُطِيعُواْ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًاۖ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾﴾.

سبب نزول هذه الآية:

من أسباب نزول هذه الآية بإجماع المفسِّرين ودلالة سياق الآيات وسباقها وحسب معاني الأحاديث الصحيحة، أنَّ النبيَّ ﷺ أرادَ عام الحديبيةِ أن يعتمرَ، فوجّه الدعوةَ العامة إلى الأعراب وأهل البوادي أيضاً لكي يرافقوه ﷺ في هذا السَّفر لنيل السعادة؛ لأنَّه كان هناك احتمالٌ

قويٌّ أن تمنعهم قريشٌ من أن يدخلوا مكة؛ لأنّ قلوبهم مليئةٌ بالحقد، ويريدون الانتقام لقتلى بدر وأُحُد والأحزاب؛ (لأنّ أقرباءهم قتلوا بأيدي المسلمين في هذه المعارك)، فكان مقتضى العقل والسياسة في ذلك الوقت أن يستصحبَ معه جمعٌ كبيرٌ للوقاية من شرِّ قريش، ولم يلتفت كثيرٌ من الأعراب إلى دعوة النبي ﷺ، وتخلَّفوا عن هذا السفر الميمون، وتعلَّلوا بالأشغال الضرورية في الأهل والمال، ولكنّ المخلصين من المسلمين الذين ذاقوا حلاوةَ الإيمان، وامتلأت قلوبهم بالإيمان، رافقوا النبيَّ ﷺ، وصحبوه في السفر، وعدُّوا ذلك سعادةً، فلمَّا وصلوا الحديبية عارضتهم قريشٌ بحميَّة جاهلية، واستعدَّوا للقتال، حتَّى إنَّ النبيَّ ﷺ صالحهم، وتنازل بقَبول كلِّ ما ألحّت عليه قريش[1]، فرجع إلى المدينة بعد أداء دمِ الإحصارِ خارجَ مكة، ولمّا ظهرت قوةُ إخلاص المخلصين في هذا السفر، واستولى على قلوبهم الحزن والهمّ من أجل فوات العمرة[2] وبهذا الصلح، اقتضت حكمةُ اللهِ تعالى تعزيةَ قلوبهم، وإزالةَ همِّهم بمغانم خيبر التي تصيبها أيديهم عن قريب، وتخصيص غنائمها بأصحاب الحديبية، فلم يأذن لغيرهم بالخروج، ولم يشرك أحداً في مغانمها، قال الله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ [الفتح: ١٥]، وقال تعالى إخباراً برضاه عن الذين بايعوا في الحديبية: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ...﴾

---

(١) «السيرة النبوية» للندوي (ص٢٧٥).

(٢) **هي لغةً**: الزيارة، وقيل: القصد، وفي «الفتح» (٣/٥٩٧): قيل: إنها مشتقة من عمارة المسجد الحرام، **وفي الشرع**: زيارة البيت الحرام بكيفية خاصة وشروط مخصوصة، وفي «الدر المختار» (٢/٥٢٠): أي: إحرامٌ، وطوافٌ، وسعيٌ، وحَلْقٌ، أو تقصيرٌ، فالإحرامُ شرطٌ، ومعظم الطوافِ ركنٌ، وغيرُهما واجبٌ.

[الفتح: ١٨]، ولم يتخلّف أحدٌ من أهل الحديبية عن هذه البيعة غير الجدّ بن قيس المنافق فقط.

• وأخرج **البغوي**[(١)] وغيره عن **جابر** عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لا يدخلُ النارَ أحدٌ ممّن بايعَ تحتَ الشجرةِ**»، وهذا المشهد (أي: وقعة الحديبية) مشهدٌ عظيمٌ من مشاهد الخير، نال فيها الصحابةُ ﵃ مراتبَ عالية.

واقتضت حكمته سبحانه تسليةَ قلوبهم بمغانم تقع بأيديهم بعد مدَّة، مثل غنائم «حنين»، وبمغانم أخرى لم يكن العربُ قادرين عليها قطّ، وهي مغانم فارس والروم، ولم يحلمِ العربُ قط أن ينالوا غنائمهم بسبب قوتهم وشوكتهم وكثرة عددهم وعُددهم، قال الله تعالى: ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً﴾ [الفتح: ٢٠]، فالمراد منها: هو مغانم العرب مثل حنين وغير ذلك، ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾ [الفتح: ٢٠]، والمراد هنا: هو مغانم خيبر التي نالوها بعدَ الحديبيةِ على الفورِ، و﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا﴾ [الفتح: ٢١]، هنا المراد منها مغانم فارس والروم، وأيضاً اقتضت حكمة الله تعالى تهديد المتخلِّفين وفضح حالهم، فقال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ...﴾ [الفتح: ١٦]، ثم أُخْبِروا ـ في الآيات الآتية ـ بدعوتهم إلى قتال أولي بأس شديد، حتَّى يتأمَّلوا عواقبَ القبول ورفضه، ويكونوا على بصيرة من الأمر عند ظهورها، وألَّا تشوِّش أذهانهم الاحتمالاتُ العقليةُ، فذلك قوله تعالى: ﴿سَتُدْعَوْنَ...﴾ الآية.

الدعوةُ إلى الجهاد من أعظم صفات الخليفة:

قد عُلِمَ من هذه الكلمة بطريق اقتضاء النصّ أنَّ «داعياً» سيدعو

---

(١) «تفسير البغوي» (٧/ ٣٠٦)، وانظر: «سنن أبي داود» رقم: (٤٦٥٣)، و«سنن الترمذي» رقم: (٣٨٦٠).

الأعراب في المستقبل إلى قتال الكفّار، ويتحقَّق بهذه الدعوة التكليفُ الشرعي لا محالةَ، فإذا أجابوا لها أثيبوا، وإذا رفضوها وأعرضوا عنها استحقُّوا العقابَ والعذابَ، وهذا وصفٌ بيِّنٌ للخليفة الراشد؛ لأنَّ الدعوة إلى الجهاد من أعظم صفات الخليفة، ويفهم ثبوت الخلافة للداعي إلى الجهاد وإثبات خلافته.

الصفات الأربع في الآية:

نريدُ الآن التفتيش: مَن الداعي؟ وفيمن توجد هذه الصفات المذكورة؟.

فالأُولى من هذه الصفات: أن تكونَ الدعوةُ للأعراب إلى الجهاد من أهل البوادي، ولو دعوا إليه أهلَ الحواضرِ فلا بأسَ.

والثانية: أن تكون الدعوة إلى قتال كفّارٍ أولي بأسٍ شديدٍ، ومعنى ﴿أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ أن تكون تلك الجماعةُ التي يتصدّون للقتال والجهاد لها أكثرَ قوّةً وأشدَّ بأساً من جميع الجماعات التي قاتلوها من قبل؛ فإنَّ الشدّةَ والضعفَ أمرٌ نسبي، إذ إنَّ كل ضعيفٍ أقوى ممن هو أضعف منه، فلا بدّ لهما من حدٍّ، لكنّ العرفَ يقتضي أنّهم إذا كانوا أكثرَ قوةً وأوفرَ أسباباً من جميع الفئات والجماعات التي قاتلها المسلمون من قبلُ، دخلوا في مصداق قوله تعالى: ﴿أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾، وإلَّا فلا، ومعنى ﴿أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾: أن يكونوا بمقتضى القياس وبحكم العقول المفطورة في بني آدم أوفر أسباباً للغلبة وأقدر على الفتح، ولو أنَّ الله تعالى قادرٌ على أن يهزمهم بهؤلاء الضعفاء خرقاً للعادة، [وقد هزمهم].

والثالثة: أن يدعو الخليفةُ إلى قتال الكفار الذين لم يكونوا من

قريش؛ إذ إنَّ تنكير[1] ﴿قَوۡمٍ﴾ يدلّ على أنَّهم غير الأوَّلين الذين دعا إليهم رسولُ اللهِ ﷺ في الحديبية، ولو كان المرادُ بهم قريشاً لكان نظم الكلام على هذا المنوال: «ستُدعون إليهم مرةً أخرى»، وما كان ينبغي أن يقال: ﴿سَتُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ قَوۡمٍ﴾.

والرابعة: أن تكون هذه الدعوة لقتال لا ينتهي إلا بإسلام أو بقتال قوم أولي بأس شديد، وأنْ لا تكونَ الدعوةُ إلى القتال لمجرد إحكام الخلافة، وكبت البغاة من المسلمين، كما دعا سيِّدنا علي المرتضى رضي الله عنه أهلِ المدينة لإحكام الخلافة، وهزيمة أهل الجمل، وأهل الصفين، ولا أن تكون هذه الدعوةُ لإرهاب العدو، فإذا ملكتهم الهيبة والخوف امتنعوا عن القتال، كما دعا النبيُّ ﷺ أصحابه للخروج إلى الروم في تبوك، ولمّا لم يتحرَّك قيصر من مكانه انصرفوا إلى بلادهم، ولم يقع قتال هناك.

الدعاة إلى هذا الجهاد هم الخلفاء الثلاثة:

وإذا علمتَ الأمورَ المذكورة فليعلم أنّ مصداق هذا الداعي تنطبق على الخلفاء الثلاثة لا غير، ذلك أنَّ هذا الداعي لا يكونُ وفق الاحتمالات العقلية: ١ ـ إلا النبيّ ﷺ، ٢ ـ أو الخلفاء الثلاثة، ٣ ـ أو عليّاً المرتضى رضوان الله عليهم جميعاً، ٤ ـ أو بني أمية، ٥ ـ أو بني العباس، ٦ ـ أو الأتراك الذين تغلّبوا من بعد زوال سلطنة العرب، ولا يتجاوز الأمر ذلك، (يعني: أن المراد ها هنا الخلفاء الثلاثة، وهم مصداق الداعي إليه، أمّا غير ذلك من الاحتمالات فباطلة).

ولم يظهر من النبيِّ ﷺ مثل هذه الدعوة؛ إذ إنَّ هذه الآية نزلت في

(١) أي: استعمال كلمة نكرةً دون معرفة.

صلح الحديبية، وغزوات النبي ﷺ بعد الحديبية معدودةٌ معلومةٌ، لم تثبت مثل هذه الدعوة من النبي ﷺ في أيِّ غزوة منها.

فوقعت **غزوة خيبر** بعد الحديبية بزمن قريب، ولم يدعُ النبي ﷺ أحداً من الأعراب فيها، بل قد مُنع غير أصحاب الحديبية من الحضور في هذه الغزوة، كما قال تعالى: ﴿قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ [الفتح: ١٥].

ووقعت بعد ذلك **غزوة الفتح**، وقد وُجِّهت فيها الدعوة إلى بعض الأعراب ولم يكن أهل مكة قوماً أولي بأس شديد، إذ إنَّهم هم الذين قد دعوا إليهم في الحديبية، ونَظْمُ الكلامِ يدلُّ على تغاير هذين القومين؛ يعني: أنّ المراد بـ﴿قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ غير أهل مكة.

ولا يُراد بذلك **غزوة حنين** أيضاً؛ إذ إنّ هوازن كانوا أقلّ وأذلّ من أن يُذكروا بـ﴿أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾؛ لأنّه كان مع النبي ﷺ اثنا عشر ألف مقاتل من الأنصار والمهاجرين والأعراب ومسلمي الفتح(١). أما ما وقع فيها من الهزيمة أولاً، فهو بسبب إعجاب المسلمين بكثرتهم، وما وقع بهم هو تأديبٌ لهم من الله.

ولا يُراد به **غزوة تبوك** أيضاً، إذ إنّ هنالك لم يتحقّق مصداق ﴿تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ [الفتح: ١٦]؛ إذ إنّ الغاية كانت إلقاءَ الرعب والوهن في قلوب الروم في الشام، فلمّا لم يتحرّك هِرَقْلُ من مكانه، ولم يرسل جيشاً للقتال، رجع المسلمون بلا قتال.

وثبت في التاريخ أن (عليّاً رضي الله عنه أو) أحداً من بني أمية أو بني العباس أو الترك أو مَنْ بعدهم لم يدعُ أعرابَ الحجاز واليمن إلى جهاد

(١) ويدلّ على هذا المعنى قول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ [التوبة: ٢٥]؛ إذ إن إعجاب المسلمين بكثرة عددهم يدلّ على أن هوازن كانوا في قلّة وذلّة.

الكفار، وعلم علم اليقين أنّ هذه الدعوةَ المخصوصةَ المهمةَ لم تظهر خلال هذه المدّة المديدة من غير عهد الخلفاء الثلاثة.

قال الواقدي: لمّا توفيّ[(١)] رسولُ اللهِ ﷺ واستُخْلِفَ بعده أبو بكر الصديق رضي الله عنه، قُتِل في خلافته مسيلمةُ الكذَّاب [ابن القيس[(٢)]] الذي ادّعى النبوة، وقاتل بني حنيفة، وقاتل أيضاً سِجَاحَ، والأسود العنسيَّ، وهَرَب طُلَيْحةُ إلى الشام، وفَتَحَ اليمامة، وأطاعت العربُ أبا بكر الصديق رضي الله عنه، فعزم[(٣)] أن يبعث جيشَه[(٤)] إلى الشام، وصرف وجهه لقتال الروم[(٥)]، فجمع أصحاب[(٦)] رسول الله ﷺ في المسجد، وقام فيهم [خطيباً[(٧)]] فحمد الله عز وجل، [وأثنى عليه، وذكر النبيَّ ﷺ[(٨)]]، وقال: [يا] أيها الناس، [رحمكم الله تعالى] اعلموا أنَّ الله فضّلكم بالإسلام، وجعلكم من أمةِ محمّدٍ عليه الصلاة والسلام، وزادكم إيماناً ويقيناً، ونصركم نصراً مبيناً، وقال فيكم: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

واعلموا أنّ رسول الله ﷺ [كان عَوَّلَ أن يصرفَ هِمّته إلى الشام[(٩)]]، فقبضه الله إليه، واختار له ما لديه ﷺ، ألا وإنِّي عازمٌ أن أوجِّه [أبطال] المسلمين إلى الشام بأهليهم ومالهم، فإنَّ رسول الله ﷺ أنبأني[(١٠)] بذلك

(١) في الأصل الفارسي: «قبض».
(٢) لا توجد هذه العبارة في «فتوح الشام»، للواقدي، مع أنها توجد في الأصل الفارسي.
(٣) في الأصل الفارسي: «فعوَّل عند ذلك». (٤) في الأصل الفارسي: «جيوشه».
(٥) في الأصل الفارسي: «إلى قتال الروم».
(٦) في الأصل الفارسي: «الصحابة رضي الله عنهم». (٧) لا يوجد في الأصل الفارسي.
(٨) زيادة على الأصل الفارسي.
(٩) في الأصل الفارسي مكان ذلك: «كان بوجهه وهمته إلى الشام».
(١٠) في الأصل الفارسي: «أمرني».

قبل موته، وقال: «**زويتْ ليَ الأرضُ [فرأيتُ] مشارِقَها ومغارِبَها، وسيبلغُ مُلْكُ أُمّتي ما زُوِيَ لي منها**»، فما قولكم في ذلك ـ رحمكم الله ـ.

فقالوا: يا خليفة رسول الله! مُرْنا بأمرك، ووجِّهنا حيث شئتَ، فإنّ الله تعالى فرضَ طاعتك علينا، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩]، ففرح أبو بكر رضي الله عنه بقولهم، وسُرَّ سروراً عظيماً، ونزل عن المنبر، وكتب الكتب إلى ملوك اليمن، وأمراء العرب، وأهل مكة، وكانت الكتب [فيها[(١)]] نسخةً واحدةً، وهي: بسم الله الرحمٰن الرحيم، من عبد الله عتيق ابن أبي قحافة إلى سائر المسلمين: سلامٌ عليكم [أمّا بعدُ]: فإنِّي أحمدُ اللهَ الذي لا إلـٰه إلا هو، وأصلِّي[(٢)] على نبيِّه محمّد صلى الله عليه وسلم، وإنِّي قد عزمتُ أن أوجِّهكم إلى بلاد الشام لتأخذوها من أيدي الكفار والطغاة، فَمَنْ عوّلَ منكم على الجهاد والصدام، فليبادِرْ إلى طاعةِ الملكِ العلّام[(٣)]».

ثم كتب: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [التوبة: ٤١].

ثم بعث الكتاب[(٤)] إليهم، وأقام ينتظر جوابهم وقدومهم، وكان الذي بعثه بالكتب إلى اليمن[(٥)] أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم[(٦)]. انتهى كلامه.

والبرهانُ على كون أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه كالجارحة في هذه

---

(١) وفي الأصل الفارسي مكان ذلك: «كلها يومئذ».
(٢) في الأصل الفارسي بصيغة الجمع «نصلي».
(٣) وفي الأصل الفارسي: «على طاعة الله وطاعة رسوله».
(٤) وفي الأصل الفارسي: «الكتاب».
(٥) وفي الأصل الفارسي: «فكان أول من بُعث إلى اليمن».
(٦) انظر: «فتوح الشام»، للواقدي (١/ ٥).

الدعوة، وظهور سرّ الحديث القدسي الذي خاطبَ الله تعالى فيه النبيَّ ﷺ بـ: «**ابعث جيشاً نبعثُ خمسةً مثله**»[1] في هذه الوقعة هو انكشافها انكشافاً عظيماً.

وأثَّرَ هذا الكتابُ في قلوب المسلمين تأثيراً بالغاً ما يُستغرب في ميزان العقل المعاش، حتَّى اجتمع في معركة اليرموك أربعون ألف نفسٍ، وظهرت منهم محاولات عجيبة، وظهر فتحٌ عظيمٌ لم يظهر من عهد آدم إلى عصرنا هذا قطّ في طول التاريخ، وأربت النتيجةُ على مجهوداتهم أضعافاً مضاعفةً.

وصار عمل أبي بكر الصدِّيق هذا دستوراً لعمر الفاروق رضي الله عنه، إذ إنّه وجّه الدعوةَ إلى الأعراب في معركة القادسية على منواله، وورد في كتاب «روضة الأحباب» عند ذكر غزوة القادسية: «لمّا بلغَ المسلمينَ أنَّ العجمَ قد ملَّكوا عليهم (يزدجرد) وأجمعوا عليه، وتجهَّزوا تحت رايته، كتب أميرُ المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عمَّاله أن ينتخبوا كلَّ مَنْ هو أهلُ الخيلِ والسلاحِ من ذوي الرأي والنجدةِ والشجاعةِ والمقاتلةِ بكلِّ عددٍ وعتاد، وأن يبعثوه نحو المدينة بدون أيِّ تراخٍ.

---

(١) أخرجه مسلم رقم: (٢٦٦٥)، والحديث بكامله: عن عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: «**ألا إنَّ ربِّي أمرني أنْ أعلِّمَكم ما جهلتُم ممّا علّمني يومي هذا: كلُّ مالٍ نحلتُه عبداً حلالٌ، وإنِّي خلقتُ عبادي حنفاءَ كلَّهم، وإنَّهم أتتهم الشياطينُ، فاجتالتهم عن دينهم، وحرَّمت عليهم ما أحللتُ لهم، وأمرتْهُم أن يشركوا بي ما لم أنزّلْ به سلطاناً، وإنَّ الله نظرَ إلى أهلِ الأرضِ، فمقتَهم عربَهم وعجمَهم إلّا بقايا مِنْ أهل الكتابِ، وقال: إنّما بعثتُكَ لأبتليَكَ، وأبتليَ بكَ، وأنزلتُ عليكَ كتاباً لا يغسلُه الماءُ، تقرؤه نائماً ويقظانَ، وإنَّ اللهَ أمرني أنْ أحرقَ قُريشاً فقلتُ: ربِّ، إذاً يثلَغُوا رأسي، فيَدَعوه خبزةً، قال: استخرجْهُم كما استخرجوك، واغزُهم نُغْزِكَ، وأنفقْ فسنُنْفِق عليكَ، وابعثْ جيشاً نبعثْ خمسةً مثله، وقاتلْ بمنْ أطاعكَ مَنْ عصاكَ...**».

وهكذا وجّه الدعوةَ أميرُ المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى الأعرابِ عوناً ومدداً لعبد الله بن أبي سرح حين كان قد تصدّى لمقاتلة ملك في إفريقية، وذلك معروف.

فلمّا ثبت أنّ هؤلاء الخلفاء قاموا بالدعوةِ على نحو ما ورد في القرآن الكريم، تقرَّرَ أنَّهم كانوا خلفاء راشدين، وكانت دعوتُهم سببَ التكليف الشرعي، وتعلَّق الثوابُ بقبولها والعصيانُ برفضها.

الآية السادسة وتفسيرها:

وقال الله تعالى في سورة الفتح: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح].

سيق الكلامُ في هذه الآية لإظهار فضائل الذين كانوا في الحديبية مع النبي ﷺ، ولبيان بشارة غلبتهم على جميع الأمم.

قوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ﴾ لمَّا سيق الكلام لمدح هذه الجماعة لزم ذكر مدح إمامهم وقدوتهم أوّلاً، واختار الله في مدحه ﷺ على ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ﴾؛ لأنّ في هذه الكلمة فضيلةٌ جامعةٌ تشمل جميع الفضائل والمناقب، كما قيل في المثل المشهور: «كل الصيد في جوف الفرأ»[1].

---

(١) **الفرأ**: الحمار الوحشي، وهو مهموز، وجمعه فِراء، ومعناه: أنه في الناس مثل الحمار الوحشي في الوحش، انظر: «العقد الفريد» لابن عبد ربه (١/ ١٨٣)، يضرب لمن يُفَضَّل على أقرانه، وقد تمثل به رسول الله ﷺ، انظر: «نهاية الأرب في فنون الأدب»، للنويري (١/ ٢٦٣).

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ المراد منه: جماعةُ الذين رافقوا النبيّ ﷺ في الحديبية؛ إذ إنّ الكلام سيق لأجل بيان فضائلهم، وحقيقة «المعيّة» إنَّما هي الصحبةُ في مقام أو في سفر، وإذا كان المراد بالمعية: الصحبة الدينية يراد به: المعنى المجازي، ولا يُلتفتُ إليه ما دام للحقيقة مساغٌ، وقد وردت في الأحاديث المستفيضة فضائلُ أهل الحديبية.

وقوله: ﴿أَشِدَّآءُ﴾ قد بدأ ببيان فضائلهم، والفضيلة على نوعين:

أحدهما: حسنُ معاملة بعضهم بعضاً.

وثانيهما: حسن المعاملة الكائن في تهذيب النفس.

وقد جمع الله في الآية كلا النوعين من الفضائل في هؤلاء، ففي قوله: ﴿أَشِدَّآءُ﴾ و﴿رُحَمَآءُ﴾ إشارة إلى النوع الأول من الفضائل؛ يعني: أنَّهم جعلوا قوتهم الغضبية تابعة لغضب الله تعالى، وجعلوا رحمتهم ورأفتهم تابعةً لرحمة الله تبارك وتعالى، فمن كان مطروداً من الله كانوا يغضبون عليه، ومن كان مقبولاً عند الله يرحمونه، وهذه درجةٌ من كمالِ التخلُّق بأخلاق الله تعالى.

و﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ فيه إشارةٌ إلى النوع الثاني من الفضائل، وأنّهم يشتغلون بإكثار الصلوات، وتهذيب الصلة فيما بينهم وبين الله تعالى؛ فإنَّ الصلاة معراجُ المؤمنين.

وقوله: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا﴾ فيه بيانٌ لكمالِ إخلاصهم، وأنّ باطنهم وظاهرَهم سواءٌ.

وقوله: ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم﴾؛ يعني: أنَّ خشوعَهم (أي: أصحاب الحديبية) وخضوعَهم ليس أمراً طارئاً يأتي من بابٍ ويخرج من بابٍ آخر، بل هو ملكةٌ راسخةٌ قضوا في تحصيلها أعمارهم، وخالط قلوبهم حظٌّ وافرٌ من أنوار صلواتهم، وسُبِغَتْ بواطنُهم بالمناجاة، بحيث

تحيط بها حتَّى ظهرت آثارُها على وجوههم، بعد ما امتلأت قلوبُهم بها، كتموّج البحر، وتنعكس أنوارُ بواطنهم على ظواهرهم، والظاهرُ مرآةُ المؤمنِ، و«كلُّ إناءٍ بالذي فيه يَنْضَحُ».

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ﴾ [الفتح: ٢٩]، و﴿ذَٰلِكَ﴾ اسم إشارة، و﴿كَزَرْعٍ﴾ مشار إليه، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الحجر].

ذكر أربع مراحل للإسلام:

وقوله تعالى: ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ [الفتح: ٢٩] ذُكِرَتْ في هذه الآية أربعةُ أمورٍ، أوَّلها: يدلّ على بداية الأمر، والآخر: يدلُّ على كمال نموِّه، بحيث لا يُتصور نموٌّ فوقه، ولا شكّ أنَّ انتقال حاله ﷺ من حالٍ إلى حالٍ تحقَّق تدريجياً، بحيث لا يمكن حصر نموّه الهائل في أربع مراحل.

فالمرادُ هنا ـ لا محالة ـ الانتقالاتُ الكلية التي تنحصِرُ في أربعة مراحل، وهذه دلالة لفظية، وإذا تأمّلنا مصداقَ هذا الكلام نجد أنَّ الانتقالات الكلية تنحصر **في أربعة مراحل**:

الأولى: أنّ النبيَّ ﷺ بُعِثَ في مكة، وأهلُ مكة مشركون، متَّبعون لتحريفات آبائهم، وهم تصدُّوا للنبي ﷺ لمخالفته وإيذائه، وكان الإسلامُ جديداً (أي: ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾)، ولم يكن النبيُّ ﷺ قادراً على إظهاره.

الثانية: أنه ﷺ خرج من أيدي المشركين، وهاجر إلى المدينة المنورة، وقام بجهادِ أعداءِ الله، فقاتل قريشاً أصالةً وقصداً، وغيرهم تبعاً، حتَّى فتحَ مكة، ووقعت أرضُ الحجازِ تحت طاعته ﷺ وحكمه، حتَّى صارت له ﷺ صورةُ رئاسةٍ في ناحيةٍ من نواحي الأرض، [وهو المراد بقوله تعالى: ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾.

وبعد ذلك انتقل النبي ﷺ من الدنيا إلى الرفيق الأعلى.

الثالثة: أنّ الشيخين ﵄ قاتلا كسرى وقيصر اللذَين لهما قوة وشوكة على العالم، حتّى قوِّضت هاتان الإمبراطوريتان بقوّة الإسلام، ولم يبقَ لهما عينٌ ولا أثرٌ (فاستغلظَ الإسلامُ).

الرابعة: أن ملوك النواحي والأطراف ممّن كانوا تحت سيطرة «كسرى» و«قيصر» وكانوا قد حصّلوا القوة في حدّ ذاتهم، فكُسِّرت شوكتهم، ومُزِّقت دولتهم وطاقتهم، وانتشرت شرائعُ الإسلام في البلاد المفتوحة، وبنيت المساجدُ في كل مدينة، ونُصِبَ فيها القضاةُ، وسكن فيها رواةُ الحديث وأهل الفتيا، واستقرّوا ﴿فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾، فلمّا وجدنا الخبرَ موافقاً للمخبَرِ عنه في الانتقالات الكلية، علمنا أنّ المراد بالإشاراتِ في القرآن إلى هذه الانتقالات نفسها.

فليُعلم بعدَ وضوحِ هذه المقدمة أنّ الخلفاء الراشدين كانوا من جملة ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ بالقطع (أي: من أهل الحديبية)، وهذا يدل قطعاً على أنّهم متصفون بصفة ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾، وهذا الوصفُ من لوازم الخلافة الخاصة.

والمراد بالإشارة في قوله: ﴿فَٱسۡتَغۡلَظَ﴾: خلافة الشيخين ﵄.

والمراد بقوله: ﴿فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ الحروبُ الصغيرةُ التي وقعت في زمن سيدنا عثمان ﵁، والفتوحاتُ التي حصلت بذهاب المسلمين إلى كلّ مكان، أو وقعت بسبب الصلح، إما بقصد الخليفة، أو بغير قصده، أو من تدبير إلٰهي.

وعُلم من هذه الآية عظمةُ شأنِ الخلفاء الراشدين، ورسوخ أقدامهم في تأييد الإسلام، بحيث وقع بأيديهم الجهادُ ضد أعداء الله، وكذلك إعلاء كلمة الله فتقبّلَ الله سعيهم، واستحقوا رضاه، وثناءه الجميل.

وفي قوله تعالى: ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ إشارة إلى كمال رضاه ﷻ؛ إذ إنَّ «الزارع» لزرع الإسلام إنَّما هو الله تبارك وتعالى.

وضمير ﴿مِنْهُم﴾ في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم﴾ راجع إلى ما يفهم من ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ و﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾ و﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾؛ يعني: إذا غلبَ الإسلامُ، ودخل الناسُ فيه أفواجاً، فقد وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم أجراً عظيماً ونعمةً دائمةً.

الآية السابعة:

قال الله تعالى في سورة التوبة بعد أن أمر بمقاتلة أهل الكتاب حتَّى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، وبعد أن ذكر من كفرهم واتخاذهم أرباباً من دون الله ما يقتضي غضبَ اللهِ عليهم، والأمر بقتلهم، فقال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

ثم قال في سورة «الصف» بعد أن ذكر المفترين على الله ﷻ: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾.

سيق الكلامُ لأجل بيان أنَّ النصارى خصوصاً، وجميعَ أهل الأديان المنسوخة عموماً اعتقدوا أسوأ اعتقاد في الله ﷻ، وهم الذين تصدّوا لمعاداة دين الحق، الذي هو الملَّة الإبراهيمية الحنيفية، وبذلك استحقوا غضب الله عليهم، وتعلَّقت إرادة الله باستئصالهم، وكسر شوكتهم، وتقرّرت صورة كبتهم، وتشتيت شملهم في عالم الغيب من حيث إرسال الرسول بالهدى ودين الحق ليظهرَه على الدين كله.

وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ يُفسّر على وجهين:

الأول: أنهم ظنُّوا أنَّ نورَ اللهِ مثل سراجٍ ضئيلٍ أو نارٍ خفيفةٍ يطفئونها بالنفخ من أفواههم، حاشا لله! هذا نورُ الله ليس لنفخ أفواههم مجال فيه.

الثاني: أنّهم يوردون شبهات باطلة، ويلبِّسون الأمر على مَنْ هو ضعيفُ العقل والفكر، ويظنون أنّ فعلهم هذا يضرُّ بدين الحق، حاشا أن يكون ذلك؛ لأنّ هذا الدينَ هو المقبولُ عند الله، لا يستطيعُ أحدٌ إلحاق الضرر به.

اختلاف المفسِّرين في تفسير قوله: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾:

قوله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [الصف: ٩]، لم يظهر الدين الحق على سائر الأديان في عهد النبي ﷺ؛ إذ إنَّ النصارى والمجوس كانوا حينئذٍ على شوكتهم وسطوتهم، فلذا عجز أكثرُ المفسِّرين في تفسير هذه الآية.

قال الضحاك: «ذلك عند نزول عيسى عليه السلام»[١]، وقال الحسين[٢] بن الفضل: معنى الآية «ليظهره على الدين كله بالحُجَجِ الواضحة»[٣]، وللإمام الشافعي فيها قول أعدل من جميع هذه الأقوال، قال: فَقَدْ أَظْهَرَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ دِينَهُ الَّذِي بَعَثَ بِهِ رَسُولَهُ ﷺ عَلَى الأَدْيَانِ بِأَنْ أَبَانَ لِكُلِّ مَنْ سَمِعَهُ أَنَّهُ الْحَقُّ، وَمَا خَالَفَهُ مِنَ الأَدْيَانِ بَاطِلٌ، وَأَظْهَرَهُ بِأَنَّ جِمَاعَ الشِّرْكِ دِينَانِ: دِينُ أَهْلِ الْكِتَابِ وَدِينُ الأُمِّيِّينَ، فَقَهَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ

---

(١) «تفسير الخازن» (٣/ ٢٥٧).

(٢) في الأصل الفارسي: «الحسن بن الفضل» ولعلَّ هذا تصحيف، والصحيح ما أثبتناه في صلب الكتاب.

(٣) «تفسير البغوي» (٤/ ٤٠).

الأُمِّيِّينَ حَتَّى دَانُوا بِالإِسْلَامِ طَوْعاً وَكَرْهاً، وَقَتَلَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَسَبَى، حَتَّى دَانَ بَعْضُهُمْ بِالإِسْلَامِ، وَأَعْطَى بَعْضُ الْجِزْيَةَ صَاغِرِينَ، وَجَرَى عَلَيْهِمْ حُكْمُهُ ﷺ وَهَذَا ظُهُورُ الدِّينِ كُلِّهِ(١).

• **يقول الفقير** ـ عفا الله عنه ـ: حينما يقع إشكال في تفسير آية من الآيات، فلا بدّ من أمرين:

أحدهما: أن نضعَ كتابَ الله بالمعنى الذي يفسِّرون به في ميزان العقل المجرّد من الأوهام، فإذا توافقا فبها، وإلا نترك ذلك المعنى.

والآخر: أن نجعلَ حديثَ النبيِّ ﷺ إماماً، إذ إنَّه ﷺ هو المبيِّنُ للقرآن الكريم والمفسّر له.

فعلى هذه القاعدة التي ذكرتها نرجع إلى تفسير هذه الآية:

إذا وضعنا غلبةَ رسول الله ﷺ على نصارى «نجران» ومجوسَ «هجر» ويهود «خيبر» وأَخْذَ الجزية والخراج منهم في كفة، ووضعنا قوله: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ في كفةٍ أخرى، فلا يوجد هنا توافق بينهما البتةَ؛ لأنَّ الغلبة على طائفة قليلة من أهل دين لا يرادِفُ الغلبةَ على سائر الأديان، بل الغلبة على سائرها؛ يعني: استئصال أصولهم، وتشتيت شمل أعوانها وأنصارها حتَّى لا يبقى داعٍ لها، ويزول عزّها وشرفها تماماً، (لهذا نحن تركنا هذه المعاني كلها).

تفسير هذه الآية في ضوء الأحاديث النبوية الشريفة

إخبار النبي ﷺ بغلبة الإسلام:

• أمّا حديثُ النبيِّ ﷺ فقد أخرج **مسلم** عن **عياض بن حمارٍ المجاشعي**: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال ذاتَ يوم في خطبته: «**ألا إنَّ ربِّي**

---

(١) «سنن البيهقي الكبرى» (٩/ ١٧٧) رقم: (١٨٣٨٨).

أمرني أنْ أعلِّمَكم ما جهلتُم، ممّا علّمني يومي هذا، كلُّ مالٍ نحلتُه عبداً حلالٌ، وإني خلقتُ عبادي حنفاءَ كلَّهم، وإنَّهم أتتْهم الشياطينُ فاجتالتْهُم عن دينِهم، وحرَّمت عليهم ما أحللتُ لهم، وأمرتْهم أن يشركوا بي ما لم أُنَزِّلْ به سلطاناً.

وإنَّ اللهَ نظرَ إلى أهلِ الأرضِ فمقتَهم عربَهم وعجمَهم إلّا بقايا من أهلِ الكتابِ، وقال: إنَّما بعثْتُكَ لأبتليَكَ وأبتليَ بكَ، وأنزلتُ عليكَ كتاباً لا يغسِلُه الماءُ، تقرؤه نائماً ويقظان، وإنَّ اللهَ أمرني أنْ أحرقَ قريشاً، فقلتُ: ربِّ إذاً يثلغوا رأسي، فيدعوه خبزةً، قال: استخرجْهم كما استخرجوك، واغزُهم نغزِك، وأنفقْ فسننفقْ عليك، وابعثْ جيشاً نبعثْ خمسةً مثله...»[1].

• وأخرج **مسلم** عن **ثوبان** قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنّ اللهَ زَوَىٰ ليَ الأرضَ، فرأيتُ مشارقَها ومغاربَها، وإنَّ أُمتي سيبلغُ ملكُها ما زُوِيَ لي منها، وأعطيتُ الكنزينِ الأحمرَ والأبيضَ**»[2].

• وأخرج **مسلمٌ** عن **أبي هريرة**، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**هَلَكَ كسرى ثم لا يكونُ كِسْرَى بعدَه، وقيصرُ لَيُهْلَكَنَّ، ثم لا يكونُ قَيْصَرَ بعدَه، ولَتُقْسَمَنَّ كنوزُهما في سبيلِ اللهِ**»[3].

• وأخرجَ **مسلم** عن **جابر بن سَمُرة** قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**لَتَفْتَحَنَّ عصابةٌ من المسلمين ـ أو من المؤمنين ـ كنزَ آلِ كسرى الذي في الأبيضِ**»[4].

• وأخرج **الترمذي** في حديث طويل عن **عدي بن حاتم** قال: قال رسول الله ﷺ: «**فإنِّي لا أخافُ عليكم الفاقةَ، فإنَّ الله ناصرُكم ومعطيكم**

(١) «صحيح مسلم» رقم: (٢٨٦٥).
(٢) «صحيح مسلم» رقم: (٢٨٨٩).
(٣) «صحيح مسلم» رقم: (٢٩١٨).
(٤) «صحيح مسلم» رقم: (٢٩١٩).

حتَّى تسيرَ الظعينةُ فيما بين «يثربَ» و«الحيرةَ» [أو[١]] أكثر، ما تخافُ على مطيتِها السرق»، قال: فجعلتُ أقول في نفسي: فأينَ لصوص طيءٍ[٢].

وأخرج **أحمد** عن **المقداد** أنّه سمع رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**لا يبقى على ظهرِ الأرضِ بيتُ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ إلّا أدخله اللهُ كلمةَ الإسلام بعزِّ عزيزٍ، أو ذلِّ ذليلٍ، إمَّا يعزّهم الله ﷻ فيجعلَهم من أهلِها، أو يذلّهم فيدينون لها**»[٣]، قلت: فيكون الدين كله لله.

إن مقتضى هذه الأحاديث الصحيحة أن يظهر هذا الدينُ بتمامه وكماله بعد النبيِّ ﷺ، فإذا أرجعت ضمير آية ﴿لِيُظْهِرَهُۥ﴾ المنصوب المتصل إلى ﴿ٱلْهُدَىٰ﴾ و﴿دِينِ ٱلْحَقِّ﴾ يكون معناه: إنَّ إرسال الله رسوله بالهدى ودين الحق سببٌ لظهوره وغلبته على سائر الأديان، ولا يلزمُ أن يكونَ ظهورُه في حياة النبي ﷺ، بل مجرد بعثته أفضت إلى الظهور والغلبة، وإن كان تكميله قد حصل على أيدي خلفائه ﷺ.

وإذا أرجعت الضمير إلى «الرسول» فليس بعيداً أيضاً؛ لأنّ ظهورَ الدين على أيدي الخلفاء الراشدين إنَّما هو ظهور على يديه ﷺ في الحقيقة.

نكتة دقيقة:

وإذا استطعت فاستمع إلى نكتة دقيقة هاهنا، وهي أنَّ الله تبارك وتعالى، حين يبعثُ رسولاً لإصلاح العالم، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ويريد صورة مخصوصة في عالم الغيب للإصلاح حتَّى تظهرَ

---

(١) سقط في الأصل الفارسي.
(٢) «سنن الترمذي» رقم: (٢٩٥٣).
(٣) «مسند أحمد» (٦/ ٤) رقم: (٢٣٨٦٥).

هذه الصورةُ، وأنّ هذه الصورة تكونُ مضمرةً في بعثة الرسول، ثم إذا اقتضت حكمةُ الله انتقال الرسول من العالم الأدنى إلى الرفيق الأعلى قبل إتمام هذه الصورة، فيختارُ النبيُّ لتكميل مقاصد بعثته رجلاً من أمته جارحةً له، ويقوم بتربيته، ليصلحَ قلبه، تأهيلاً لنزول الإلهام الربّاني إليه، ثم يوصيه بتكميل تلك المقاصد، ويحثّه عليها، ويدعو الله له لإتمامها، كما ينيب رجلٌ عاجزٌ عن الحج ـ لعدم قوته البدنية مع أنه غنيٌّ ـ رجلاً آخر لأداء تلك الفريضة، فيكتب ذلك في الأعمال، ويثابُ عليه ثوابَ الحجِّ الكامل.

طريقة استخلاف عيسى عليه السلام:

وهذا القسم من الاستخلاف وقع في كل ملّة، كما استخلف موسى عليه السلام يوشع بن نون، وعيسى عليه السلام استخلف الحواريين، قد جاء في «الإنجيل» أنّ عيسى عليه السلام أخذ رغيفاً بيده، وقال: هذا لحمه وجلده، ثم قسمه بين الحواريين، فلمّا أكلوا هذا الرغيف ناجى عيسى ربه وقال: «اللَّهُمَّ إنِّي أسألك أن يحلَّ عيسى في أبدانهم، كما حلّ الخبزَ في أبدانهم، ربِّ انظرْ إليهم بنظرِ الرحمةِ، كما تنظر بها إليَّ حتَّى يدعوا عبادك إليك».

سُنَّة الله في إعلاء كلمة الله:

وفقاً لهذه القاعدة، لمّا امتلأَ العالمُ بسوء الاعتقاد في ذات الله تبارك وتعالى، وبعقيدة الإرجاء؛ أي: إسقاط الأعمال عن مرتبة الاعتبار، وعدم خوفهم من عواقب هذه الأمور، ممّا يخالِفُ دين الأنبياء جميعاً عليهم السلام، حقَّ غضب الله تعالى ونشأتْ إرادةُ الانتقام في عالم الملكوت، ثم قُضي أجلٌ معيّنُ المدةِ لإهلاكهم وإتلافهم كما قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأعراف]، فلمّا جاء هذا الوقتُ بعث الله أفضل أفراد البشر محمداً صلى الله عليه وسلم،

وأنزل عليه وحيه، فدعا الناسَ بأقصى الهمَّة إلى سبيل الهدى ودين الحق، فمَنْ كان فيه استعدادٌ للصلاح سعد، وأما الأشقياء فلعنوا.

وقد تضمَّنت هذه البعثة معنى إرادة الانتقام ممن اعتقدوا في ذات الله سوء الاعتقاد، فصار النبيُّ ﷺ وأصحابه في هذا الانتقام بمنزلة الجارحة مثل جبريل ﵇ في إرسال الصيحة على ثمود، لذلك فإن الحروب التي وقعت بأمر النبي ﷺ إنَّما صارت مظنّةً لنزول البركات العظيمة على الشاهدين في هذه المشاهد، والحضورُ في هذه المشاهد ساعةً خيرٌ من عبادة مئة سنةٍ في تهذيب الباطن؛ لذلك فإنَّ ثواب الجهاد في شريعتنا أفضلُ من ثوابِ سائر القربات، وفضل أهل بدر وأُحد والحديبية على غيرهم محقَّقٌ كما لا يخفى.

خلاصة الكلام: إنّ إصلاح العالم، والانتقام من أعداء الله، قد تقررت صورته الخاصة عند الله تعالى، ولم تكن هذه الصورة خسفهم في الأرض (مثل قوم قارون)، ولا إنزال حجارةٍ من السَّماء (كما وقع على قوم هود وغيره)، أو إرسال صيحةٍ (كما وقع على قوم ثمود)، وذلك لحكمة لا يعلمها إلا الله سبحانه.

وهذه الصورة الخاصة إنَّما هي ظهور دينه على سائر الأديان، وذلك عن طريق كبت حماة هذه الأديان والدعاة إليها بالدعوة والجهاد، وأخذ الخراج والجزية، وإزالة هيمنتهم، وإذلال شأنهم، وبعثةُ النبيِّ ﷺ كانت مقرونةً بهذه الصورة الخاصة ومتضمنة لها، فذلك لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة]، وقوله ﷺ: «**إنَّما بعثتُك لأبتليَك وأبتليَ بك**»[1].

(١) أخرجه مسلم رقم: (٢٨٦٥).

العالم عند بعثة النبي ﷺ:

ويعلم من تاريخ العجم والروم بداهةً أن هؤلاء كانوا على يقين على أنَّ دولتهم ستنقرِضُ قريباً، وتقوم دولةُ العرب في العالم، وقد عرف المنجِّمون هذا الأمرَ من الأوضاع الفلكية في شؤم سلطنتهم، ونشوء العداوة والبغضاء بين كواكبها، وقوة كوكب العرب وما إلى ذلك، وعرف الكهنة هذا بكهانتهم، وعامّة الناس عرفوا ذلك بالرؤيا والهواتف ـ بأصوات الغيب ـ وما أشبه ذلك، ولكنَّهم لم يدركوا أنّ إرادة الانتقام قد نزلت من فوق السماوات السبع، وقد انصبغ الملأ الأعلى والملأ الأسفل بهذه الصبغة، وهذه الأوضاع الفلكية علامة ورمز لدنوّ وقت الانتقام من هذه الجماعات، وليست مؤثِّرةً حقيقيةً بأي معنى، ولو أنهم عرفوا الداعية النازلة من عالم الغيب لتبيّن لهم الحق من الباطل.

بالجملة: فإنّ جميع أقطار الأرض كانت تحت حكم إمبراطورين عظيمين «قيصر» و«كسرى»، وكانا هما الغالبين على سائر الأديان الأخرى، ومائلين إلى الإباحية[1]، وغلبت عليهما عقيدةُ الإرجاء، وهما من حماة هذين الدينين والدعاة إليهما، قولاً وفعلاً وتسبّباً، فإنّ الناس على دين ملوكهم، فكانت بلاد «الروم» و«روسية»[2] و«الإفرنج» و«ألمانية» و«إفريقية» و«الشام» و«مصر» وبعض «بلاد المغرب» و«الحبشة» على دين النصرانية موافقةً لقيصر، وكانت بلاد «خراسان» و«توران» و«تركستان» و«زاوستان» و«باختر» وغيرها على دين المجوسية متابعةً لكسرى، وسائر الأديان من مثل دين اليهودية، ودين المشركين، ودين الهنود، ودين

---

(١) هم كمذهب مزدك عند الفرس، ومذهب أبيقور عند الروم، وكلاهما يدعوان إلى اتباع الشهوات والانغماس في الملذات.

(٢) دخل الروس في النصرانية بعد بعثة النبي ﷺ.

الصابئين، رزحت تحت سطوة هذين الملكين، وتشتّت شملُ أتباعها، وتمزّق جمعُهم.

اقتضت حكمةُ الله تعالى تدميرَ دولة «كسرى» و«قيصر»، وإظهار دين الحق، والانتقام من الكفرة الفجرة، ذلك لأنّ اختلال نظام هاتين الإمبراطوريتين وتزعزع بنيانهما عبارةٌ عن انهيار وتدمير لسائر الأديان الموجودة، وأشهرها في العالم، وإذا حلّت سلطة الإسلام محل سلطتهما ذلّت سائر الأديان بسلطة الإسلام مثلما ذلّت تحت سلطة هاتين الإمبراطوريتين من قبل.

وبعد استقرارِ دينِ الحقِّ في أرض الحجاز، التي لم تكن تحت حكم «قيصر» ولا «كسرى» لغفلتهما عنها، والغلبة مثل غلبة الملوك لم تكن متصوَّرة في غيرها من الأقطار.

استخلاف النبي ﷺ أحداً من أصحابه من مقتضيات نبوته:

ولما أراد الله أن يختار لنبيِّه ﷺ نعماً روحانية، وهذا لا يمكن إلا بلحوق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى، لهذا كان من الضروري أن يستخلف النبيُّ ﷺ خليفة لإكمال غلبة دينه، وإتمام كبتِ أعداء الله، كي تُكتبَ هذه الأعمالُ كلَّها في صحيفته ﷺ، وتُعْمِلَ إرادةُ الله الانتقامَ من الكفار التي كانت مضمرةً ببعثة النبي ﷺ.

ومَثَلُ ذلك أنَّ أحد المقربين من الملك يصيرُ في مجالس الأنس والمجالس القدسية رفيقاً للملك، ويوكِلُ إليه فتحَ بعض الحصون الذي أكّد عليه الملك فتحها فيكون من أحسن أعماله، ويزداد إكرام هذا المقرّب بعد فتح الحصن عزاً وكرامة، ويُكرمه الملك بالعطايا والجوائز.

وليُعلم بعد ذكر هذه الأمور كلِّها أنّ التوجيه الصحيح لهذه الآية الكريمة أنّ كلَّ نوع من الظهور والغلبة يتحقّق للدين إنَّما يدخل ضمن

﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾، وأعظم أنواع هذه الغلبة إنَّما هو تمزيقُ دولتي «قيصر» و«كسرى» فيدخلُ ذلك ضمن هذه الآية بالأَوْلَىٰ، وحملة لواء هذه المرتبة العليا إنَّما هم الخلفاء الراشدون ﷺ، ومساعي هؤلاء السعداء إنَّما هي من مقتضيات بعثة النبي ﷺ، ومندرجة فيها، وهم بمنزلة الأعضاء والجوارح لتدبير الله في ظهورها، وهذا هو معنى **الخلافة الخاصة**.

الفارق بين أهل السُّنّة والبدعة:

المراد من قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة: ٣٣] إنَّما هو أنَّ الهُدى ودين الحق الذي أُرْسِلَ به النبيُّ ﷺ يكونُ ظاهراً وغالباً، وجلياً ومشهوراً، لا مخفياً ومستوراً، وهذه الآيةُ حَكَمٌ بين أهل السُّنَّة والبدعة، ذاك أنَّ الله تبارك وتعالى أنزل الهدى ودين الحق إلى النبيِّ ﷺ وبلَّغه النبيُّ ﷺ إلى الصحابة، وفهمَ الصحابةُ مرادَ رسول الله ﷺ وبلَّغوه إلى التابعين، وهلمّ جراً... ولم تكن إرادةُ اللهِ مجرَّدَ تعليمِ النبيِّ ﷺ ولا خروجه ﷺ عن فرض التبليغ فحسب، لو لم يفهم السامعون مراده ﷺ، بل المقصود ظهور دين الله وغلبته على سائر الأديان قرناً بعد قرن، فأما من قال: إنَّ النبيَّ ﷺ بلَّغَ هذا الدين إلى الصحابة، لكنَّهم لم يفهموا مراد كلامه، أو فهموه، لكن حثَّتهم الأغراض النفسانية على كتمان الدين فهو مبتدع.

وأما المعتزلة والشيعة الذين يقولون في حديث: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ**....» الحديث[1]: معنى ذلك أنكم ستعلمون علم اليقين بوجود الله، ولكنَّ الصحابة لم يفهموا معناه لغموضه.

والشيعة الذين يقولون: إنَّ النبيَّ ﷺ نصّ على خلافة سيدنا عليّ

(١) «صحيح البخاري» رقم: (٤٨٥١).

المرتضى، ولكنَّ الصحابة كتموه للأغراض النفسانية، وعصوا أمرَ النبيِّ ﷺ، فهم مبتدعون، ولما كان مراد الله إنَّما هو ظهور الدين وغلبته فلا رادَّ له ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ [النور].

الآية الثامنة:

قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران].

شرح ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ﴾:

قوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ يُفسَّر بوجهين:

أحدهما: أنكم متَّصفون بهذه الصفة في هذا الوقت.

والثاني: أنَّكم كنتم متصفين بهذه الصفة في علم الله تعالى.

وقوله: ﴿أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، ليس هذا عبارةً عن الإخراجِ من العدم إلى الوجود، أو من مكان ضيّق إلى مكان واسع، بل المراد بذلك أنَّ قلبَ النبيِّ ﷺ قد امتلأ بداعية إصلاح الناس وتهذيب نفوسهم، وانبثق من قلبه الشريف ﷺ شعاعٌ من نور ذلك الحرص، فتنوّر به مَنْ كان أهلاً لقبوله، ونفسُ هذه الداعية قد جاشت في قلوبهم، واختصّوا بهذه النعمة حتَّى صاروا قوماً أخرجهم الله للناس.

وقوله: ﴿لِلنَّاسِ﴾ يدل على أنَّ من التدبير الإلـٰهي لإصلاح العباد تتنوّرُ جماعةٍ كبيرة بواسطتهم وتتأدب بهم.

• وأخرج **البغوي**[1] وغيره[2] عن **أبي سعيد الخدري** رضي الله عنه عن

---

(١) «تفسير البغوي» (٢/ ٩٠).

(٢) «تفسير الخازن» (١/ ١٠٨).

النبيِّ ﷺ: «**أَلا وَإِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ تُوفِي سَبْعِينَ أُمَّةً هِيَ أخيرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ ﷻ**».

• وأخرج **البغوي** عن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جدِّه، أنه سمع النبيَّ ﷺ يقول في قوله تبارك وتعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، قال: «**إِنَّكُمْ تُتِمُّونَ سَبْعِينَ أُمَّةً، أَنْتُمْ خيرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ**»[1].

• وأخرج **أبو عمر** في «الاستيعاب» عن **عبد الله بن مسعود** قال: إنَّ الله نظرَ في قلوبِ العبادِ، فوجدَ قلبَ محمّدٍ ﷺ خيرَ قلوب العباد، فاصطفاه، وبعثه برسالته، ثم نظرَ في قلوبِ العبادِ بعد قلبِ محمّدٍ ﷺ فوجد قلوبَ أصحابه خيرَ قلوبِ العبادِ، فجعلهم وزراء نبيِّه، يقاتلون عن دينه[2].

• وأخرج **أبو عمر** عن **أبي هريرة** في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ [بمعنى: أنتم خير أمة أخرجت للناس[3]]، قال: خيرُ الناسِ للناسِ، يجيئون بهم في السلاسل، يدخلونهم في الإسلام[4].

قوله: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ استئنافٌ لبيان وجه الخيريّة، قال مجاهد: كانوا خيرَ الناسِ على الشرط الذي ذكره الله تعالى: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ الآية.

وقد ذُكر هنا وصفان:

أحدهما: فيما بينهم وبين الناس، وهو الأمرُ بالمعروف، والنهيُ عن المنكر.

والثاني: فيما بينهم وبين الله، وهو الإيمان الذي يتضمّنُ بضعةً وسبعين شعبةً.

---

(١) «تفسير البغوي» (٢/ ٩٠).
(٢) «الاستيعاب» (١/ ٥).
(٣) لا يوجد في الأصل الفارسي.
(٤) «الاستيعاب» (١/ ٤).

وقوله: ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، يبيِّن سببَ بعثة هذه الأمة، وأنَّ أهلَ الكتاب كانوا في وقتٍ ما مصداقاً لقوله تعالى: ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، ولمّا تغيّرت أحوالُهم، اقتضت حكمةُ الله إخراجَ أمةٍ من دونهم في أرض العرب.

قال البغوي: روي عن عمر رضي الله عنه، قال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، تكون لأوَّلنا، ولا تكون لآخرنا[1].

وقال أبو عمر: جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنَّه قال: مَنْ سرّه أن يكونَ من تلك الأمةِ فليؤدِّ شرطَ الله فيها[2].

ولا تعارض بين هذين القولين، إذ إنَّ مفهوم الآية عامٌّ شامل لكلِّ من نُفخت في قلبه روحٌ داعيةٌ إصلاح العالم، سواء كان من أول هذه الأمة أو آخرها، لكنَّ مصداقَ هذه الصفات في الواقع هو أوائل هذه الأمة فقط، ذلك لأنَّ سُنَّة الجهاد والأمرَ بالمعروف والنهيَ عن المنكر قد اندرست فيما بعد ـ أي: بعد القرن الأول ـ.

دخول الخلفاء الراشدين في مصداق هذه الآية:

وليُعلم بعد بيان هذه الأمور كلّها أنَّ الخلفاء الراشدين كانوا داخلين في تلك الأمة التي وصفها الله تعالى في شأنها ﴿أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ...﴾، وذلك من جهة ما ثبتَ من أحوالهم بالتواتر أنَّهم متَّصفين بهذه الأوصاف المذكورة في الآية، وأيُّ فضلٍ أعلى من هذا أنَّ جماعاتٍ عظيمةً من المسلمين قد اتَّحدت بقوة همتهم، وفتحوا الأقاليم الواسعة، ودخل الناسُ في دين الله أفواجاً بسعيهم، فثبت أنَّهم خيرَ أمة أخرجت للناس، وهو المرادُ من الآية هنا.

---

(١) «تفسير البغوي» (٢/ ٨٩).
(٢) «الاستيعاب» (١/ ٤).

الآية التاسعة:

قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُولَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحديد].

التفاوت بين مراتب الصحابة:

تدل هذه الآية على أنَّ جميع الصحابة ليسوا في مرتبةٍ واحدةٍ، فبعضهم أفضل من بعض من جهة التقدّم والتأخّر في الإنفاق والقتال.

أخرج الحفّاظ من حديث **أبي سعيد الخدري** ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تسبّوا أصحابي، فوالذي نفسي بيدِهِ لو أنَّ أحدَكُم أنفقَ مثل أُحدٍ ذهباً ما أدركَ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه**»(١).

ما المراد بالفتح؟

﴿مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ﴾ يُفَسَّر بمعنيين:

المعنى الأول: فتح مكة، وهو قول أكثر المفسِّرين.

والمعنى الثاني: صلح الحديبية وهذا المعنى هو الموافق لفضائل الحديبية، وهذا الخلافُ مبنيٌّ على تفسير ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾﴾ [الفتح]، وتفسير هذه الآية على وجهين أيضاً، وهذه الآيةُ تدلُّ بمنطوقها على تفضيل الجماعة الذين آمنوا وأنفقوا وقاتلوا قبل الفتح على الذين أنفقوا وجاهدوا بعد الفتح، يفهم بطريق المفهوم الموافق أن الذين أنفقوا وقاتلوا كثيراً هم أفضل وأقدم.

والقتال الذي وقع بمكة كان باليد والعصا، والقتال الذي حدث من بعد الهجرة كان بالسيف والرمح، وكلاهما يعبَّر عنهما بالقتال لغة.

---

(١) أخرجه الترمذي رقم: (٣٨٦١).

نزول هذه الآية في شأن أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه:

• قال العلماء: إنَّ هذه الآية نزلت في شأن أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه.

• قال البغوي: وروى محمد بن فضيل، عن **الكلبي** أنَّ هذه الآية نزلت في أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه، فإنَّه أوّلُ من أسلمَ، وأوّلُ مَنْ أنفقَ في سبيل الله عز وجل[1].

• قال **عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه: أوّلُ من أظهرَ إسلامَه بسيفِه النبيُّ صلى الله عليه وسلم وأبو بكر[2].

• وروي عن **ابن عمر** رضي الله عنه، قال: كنتُ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعنده أبو بكر الصدِّيق، وعليه عباءةٌ، قد خلَّها في صدره بخلالٍ، فنزل عليه جبريل عليه السلام، فقال: يا محمّدُ! ما لي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خلَّها في صدره بخلال؟ فقال: «**يا جبريل! أنفقَ مالَه عليَّ قبل الفتح**»، قال: فإنَّ الله يقرأ عليكَ السلام، ويقول لك: قل له: أراضٍ أنتَ عنِّي في فقرِكَ هذا أم ساخِطٌ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يا أبا بكر! إنَّ اللهَ يَقْرَأُ عليكَ السلامَ، ويقولُ لكَ: أراضٍ أنتَ عنِّي في فقرِكَ هذا أم ساخِطٌ؟**» فقال أبو بكر: أسخطُ على ربي؟! أنا عن ربي راضٍ، أنا عن ربِّي راضٍ، أنا عن ربِّي راضٍ، ثلاثاً[3].

• أخرج **الحاكم** وأبو عمر عن هشام بن عروة عن **أبيه** قال: أسلم أبو بكر وله أربعون ألفاً أنفقها كلَّها على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل الله[4].

---

(١) «تفسير البغوي» (٨/ ٣٣). (٢) «الرياض النضرة» (١/ ٣٦).
(٣) «الرياض النضرة» (١/ ٦٠)، و«شرح مذاهب أهل السُّنَّة»، لابن شاهين (١/ ١٧٩).
(٤) «الاستيعاب» (١/ ٢٩٥)، رقم الترجمة: (١٦٣٣)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٢).

❁ جهاد أبي بكر رضي الله عنه في أوائل الإسلام:

• وفي «الرياض النضرة» عن **عائشة** قالت: لمّا اجتمعَ أصحابُ رسول الله ﷺ وكانوا تسعة وثلاثين رجلاً أَلَحَّ أبو بكر على رسول الله ﷺ في الظهور، فقال: «**يا أبا بكر! إنّا قليلٌ**»، فلم يزل يلحُّ على رسول الله ﷺ حتَّى ظهرَ رسولُ اللهِ ﷺ، وتفرّق المسلمون في نواحي المسجد، وقام أبو بكرٍ في الناس خطيباً، ورسولُ اللهِ ﷺ جالسٌ، وكان أوَّلَ خطيب دعا إلى الله عز وجل وإلى رسوله ﷺ.

وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين، فضربوهم في نواحي المسجد ضرباً شديداً، ووُطئ أبو بكر، وضُرِبَ ضرباً شديداً، ودنا منه الفاسِقُ عتبة بن ربيعة، فجعل يضربه بنعلين مخصوفين، ويحرفهما لوجهه، وأثّرَ ذلك حتَّى ما يُعْرَفُ أنفُه من وجهه.

وجاءت بنو تيم تتعادى، فأجلوا المشركينَ عن أبي بكر، وحملوا أبا بكر في ثوبٍ حتَّى أدخلوه بيته ولا يشكّون في موته، ورجع بنو تيم، فدخلوا المسجد وقالوا: واللهِ لئنْ ماتَ أبو بكر لنقتلنَّ عتبةَ، ورجعوا إلى أبي بكر، فجعل أبو قحافة وبنو تيم يكلِّمون أبا بكر حتَّى أجابهم، فتكلّم آخر النهار: «ما فعل رسولُ اللهِ ﷺ؟» فنالوه بألسنتهم، وعذلوه، ثم قاموا، وقالوا لأم الخير بنت صخر: انظري أن تطعميه شيئاً أو تسقيه إياه، فلمَّا خلَتْ به، وألَحَّت، جعل يقول: «ما فَعَلَ رسولُ اللهِ ﷺ؟» قالت: واللهِ ما أعلمُ بصاحبك، قال: فاذهبي إلى أُمِّ جميلٍ بنت الخطاب، فاسأليها عنه.

فخرجت حتَّى جاءت إلى أمِّ جميل فقالت: إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله، قالت: ما أعرفُ أبا بكرٍ ولا محمّدَ بنَ عبد الله، وإن تحبِّي أَنْ أمضيَ معك إلى ابنكِ فعلتُ، قالت: نعم.

فمضت معها حتَّى وجدت أبا بكر صريعاً دنفاً، فدنت منه أُمُّ جميلٍ، وأعلنت بالصياح، وقالت: إنَّ قوماً نالوا منك هذا لأهلُ فسقٍ، وإنِّي لأرجو أن ينتقمَ الله لك، قال: «ما فعلَ رسولُ اللهِ ﷺ؟» قالت: هذه أمَّكَ تسمعُ، قال: فلا عينَ عليك منها، قالت: سالمٌ صالح، قال: فأينَ هُوَ؟ قالت: في دار الأرقم، قال: فإن للهِ عليّ أليةً أنْ لا أذوقَ طعاماً ولا شراباً أو آتي رسول الله ﷺ.

فأمهلتا حتَّى إذا هدأت الرجلُ، وسكن الناسُ، خرجتا به يتكئُ عليهما، حتَّى دخلتا على النبي ﷺ، قال: فانكبَّ عليه، فقبّله، وانكبّ عليه المسلمون، ورقّ له رسول الله ﷺ رقةً شديدةً، فقال أبو بكر: بأبي أنت وأمي ليس بي إلا ما نال الفاسِقُ من وجهي، هذه أُمِّي برةٌ بوالديها وأنتَ مباركٌ، فادعها إلى الله، وادع الله ﷻ لها، عسى أن يستنقذها بك من النار، فدعاها رسول الله ﷺ، فأسلمت، فأقاموا مع رسول الله ﷺ شهراً وهم تسعة وثلاثون رجلاً، وكان إسلام حمزةَ يوم ضُرِبَ أبو بكر[(١)].

• وأخرج **البخاري** عن عروة بن الزبير قال: سألت **عبد الله بن عمرو** عن أشدِّ ما صنع المشركون برسول الله ﷺ، قال: رأيتُ عقبةَ بن أبي معيط جاء إلى النبيِّ ﷺ وهو يصلّي، فوضع رداءه في عنقه، فخنقه به خنقاً شديداً، فجاء أبو بكر حتَّى دفعه عنه، فقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [غافر: ٢٨][(٢)].

• وأخرج **الحاكم** عن **أنس** رضي الله عنه قال: لقد ضربوا رسولَ اللهِ ﷺ حتَّى غُشِيَ عليه، فقام أبو بكر رضي الله عنه، فجعل ينادي ويقول: ويلكم!

---

(١) «الرياض النضرة» (١/ ٣٠)، و«البداية والنهاية» (٣/ ٣٦).
(٢) «صحيح البخاري» رقم: (٣٦٧٨ و٤٨١٥)، «صحيح مسلم» رقم: (٢٣٨٩).

أتقتلون رجلاً أن يقولَ ربِّيَ الله؟ قالوا: مَنْ هذا؟ قالوا: هذا ابن أبي قحافة المجنون[١].

• وقال ابن إسحاق: حدَّثني نافع عن **عبد الله بن عمر** قال: لمّا أسلم عمرُ بن الخطاب قال: أيُّ قريشٍ أنقل للحديث؟ قيل له: جميل بن معمر الجُمَحِي، قال: فغدا عليه، قال عبد الله: وغدوتُ أتبع أثره، أنظر ما يفعل، وأنا غلامٌ، ـ وجميل بن معمر هو جدّ نافع بن عمر بن جميل بن معمر الجمحي ـ أعقلُ كلَّ ما رأيتُ، حتَّى جاءه فقال: أما علمتَ يا جميلُ! أنِّي قد أسلمتُ ودخلتُ في دين محمد ﷺ؟ قال: فوالله، ما راجعه حتَّى قامَ يجرُّ رجليه، واتبعه عمر، واتبعت أبي، حتَّى إذا قام على باب المسجد صرخَ بأعلى صوته: يا معشرَ قريش! وهم في أنديتهم حول الكعبة ألا إنَّ عمرَ قد صبأ.

قال: يقول عمر من خلفه: كذبَ، ولكن قد أسلمتُ وشهدتُ أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمّداً عبدُه ورسولُه.

قال: وثاروا إليه، قال: فما برحَ يقاتلهم ويقاتلونه حتَّى قامت الشمسُ على رؤوسهم، قال: وطلع[٢] فقعد، وقاموا على رأسه وهو يقول: افعلوا ما بدا لكم، فأحلفُ باللهِ لو كنّا ثلاثمئة رجل لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا.

قال: فبينا هم على ذلك إذ أقبل شيخٌ من قريش، عليه جبةٌ حَبْرَةٌ، وقميص قومس، حتَّى وقفَ عليهم فقال: ما شأنكم؟ قالوا: صبأ عمرُ بنُ الخطاب، قال: فمه، رجلٌ اختارَ لنفسِهِ أمراً، فماذا تريدون؟ أترون بني عدي بن كعب يسلمونَ لكم صاحبَهم هكذا؟ خلُّوا عن الرجلِ، قال:

---

(١) «المستدرك» (٣/ ٧٠) رقم: (٤٤٢٤).

(٢) في الأصل الفارسي: «بلح».

فواللهِ لكأنّما كانوا ثوباً كُشِطَ عنه، قال عبدُ اللهِ: فقلتُ لأبي بعدَ أنْ هاجرَ إلى المدينةِ: يا أبتِ، مَنِ الرجلُ الذي زجرَ القومَ عنك[1] بمكةَ يوم أسلمتَ وهم يقاتلونَكَ؟ قال: ذاك العاص بن وائلٍ السهمي[2].

فضيلة أبي بكر رضي الله عنه على جميع المسلمين:

نقول بعد ذكر هذه الأمور: إنَّ أفضلية الشيخين على الذين أسلموا بعدَ الفتح ثبتت من منطوقِ الآية، وأفضليتهما على الذين أسلموا قبل الفتح من مفهومها الموافق، فلا شكَّ أنّ خلافتهم خلافةٌ راشدة، ومن أحد لوازم الخلافة الخاصة ـ كما مرَّ ـ أن تكون أفضليةُ الخليفةِ ثابتةٌ على عامة المسلمين كليّاً، وعلى خواصِّهم الذين يستحقّون الخلافة أو عاملهم النبي ﷺ معاملة الملك لولي عهده جزئياً قريباً من الكلي، ولا سيّما في أمور تناسب بالرئاسة والخلافة، والله أعلم.

الآية العاشرة:

قال الله تعالى في سورة الحجر: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾.

الآية الحادية عشرة:

وقال في سورة القيامة: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩﴾.

- أخرج **مسلم** في حديث **عياض بن حمار** عن النبيِّ ﷺ عن ربه

---

(١) في الأصل الفارسي: «فيك».

(٢) انظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٣٤٨)، و«البداية والنهاية» (٣/ ١٠٢)، و«تاريخ الإسلام»، للذهبي (١/ ٤٣)، و«فضائل الصحابة»، لأحمد بن حنبل (١/ ٣٦٢) إلا أن فيه: «كشف عنه» مكان «كشط عنه».

تبارك وتعالى: «**وأنزلتُ عليكَ كتاباً لا يَغْسِلُه الماءُ**»[١].

وهذا كنايةٌ عن أنَّ مساعي بني آدم في محو القرآنِ لا تنجحُ، بل اللهُ يحفظه، وذلك هو التفسيرُ لحفظ القرآن الكريم، ثم بيَّن الله في الآية الأخرى طريق حفظه ـ وهو جمعه في المصاحف، وانجذابُ قلوب الناس إلى تلاوته وتفسيره ـ.

● أخرج **البخاري** عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ١٦﴾، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً، وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ١٧﴾، قَالَ: جَمْعُهُ له فِي صَدْرِكَ وَتَقْرَأَهُ، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ١٨﴾، قَالَ: فَاسْتَمِعْ لَهُ وَأَنْصِتْ، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ١٩﴾، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ تَقْرَأَهُ، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام اسْتَمَعَ، فَإِذَا انْطَلَقَ جِبْرِيلُ عليه السلام قَرَأَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا قَرَأَهُ[٢].

هذا القدر من الحديث مرفوعٌ في هذا الحديث هو قصة النبي ﷺ وحده، وتفسير «جمعه» بـ«جمعه له في صدرك» هو تفسير ابن عباس.

ويقول الفقير عفا الله عنه: في هذا التفسير نظر، إذ إنَّ حمل الكلم الثلاث[٣] على المعاني المتقاربة بعيدٌ من حيث البلاغة، إلَّا أنْ يصحَّ ذلك التقرير في تفسير ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ٦﴾ [الأعلى]، ثم حمل قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ١٩﴾ على معنى «قد حصل بدون تراخٍ» بعيد من شأن البلاغة ـ لأنَّ لفظة (ثم) تستعمل في كلام العرب للتأخير ـ.

---

(١) «صحيح مسلم» (ح: ٢٨٦٥). (٢) «صحيح البخاري» (ح: ٥).

(٣) المراد بها: الجمع والقرآن والبيان، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ١٩﴾ [القيامة].

الفرق بين معاني الجمع والقرآن والبيان:

والأَوْجَهُ في تفسير هذه الآية أنَّ معنى ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾ عليَّ الوفاء بوعد جمع القرآن في المصاحف، و﴿وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ ونوفِّق قرّاء أمة محمد ﷺ وعوامَّهم لتلاوته لئلّا تنقطع سلسلة التواتر، كأنَّ الله تعالى قال للنبيِّ ﷺ: لا تخفْ أن يغيبَ القرآنُ عن قلبك، ولا تتحمّل مشقة لحفظه ـ فإنَّ علينا جمعه في المصاحف، وكان من معجزاته ﷺ أنه يحفظه بدون المشقة التي يعانيها عامة المسلمين في حفظ القرآن الكريم، وكان يتمكّن في قلبه المبارك بمجرَّدِ تبليغ جبريل عليه السلام القرآنَ إلى النبيِّ ﷺ ـ لا تفكّر يا محمّدُ؛ لأنني قد ألزمتُ نفسي أنَّ القرآن يجمع في المصاحف بعد أداء ما عليك من الفريضة لتبليغ القرآن، وهو جمعُ القرآن في المصاحف، وتلاوة القرآن من خواصّ الأمة وعوامّها، فلا تشغل قلبك بمشقة حفظه، بل إذا تلا عليك جبريل فاستمع له.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾؛ يعني: عليَّ توضيحُ معاني القرآن في كلِّ عصر، بأن نوفِّق طائفةً من العلماء لشرح غريب القرآن وبيان أسباب نزوله، حتَّى يُبيِّنوا مصداقَ أحكامه، وذلك بعد أيامٍ كثيرةٍ من حفظك وتبليغك له بمراتب.

وبما أنَّ الآيات القرآنية متشابهةٌ، يصدِّقُ بعضها بعضاً، ومع ذلك فالنبيُّ ﷺ إنَّما هو مبيِّنٌ القرآن العظيم ومفسّره، وحفظ القرآن موعود من الله بحيث إنَّ الناس يجمعونه في المصاحف، ويوفق المسلمين لتلاوته شرقاً وغرباً، ليلاً ونهاراً، وذلك هو المراد من: «**لا يَغْسِلُه الماءُ**».

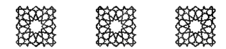
ثم اعلموا أنَّ استعمال الواو في قوله: ﴿جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾، واستعمال «ثُمَّ» في قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [القيامة]، يشير إلى أنَّ تلاوة

القرآن تجري مع جمعه في المصاحف، وأمَّا علم التفسير فيظهر فيما بعد، ووقع في الخارج هكذا.

فإنَّ حفظ القرآن وإقراءَه شُرِعَ منذ خلافة عمر على يدي أُبي بن كعب وعبد الله بن مسعود، وظهر علمُ التفسير على يدي ابن عباس رضي الله عنه بعد انقضاء أيام الخلافة الراشدة.

تحقُّق الوعد بجمع القرآن وحفظه في خلافة الشيخين:

فبعد أن أوردنا كلَّ ذلك ينبغي أن يُعلم أنَّ جمع الشيخين للقرآن الكريم في المصاحف هو تحقُّق للحفظ الذي تكفَّل الله نفسه به، ووعد به في الحقيقة، فصار هذا الجمعُ في الواقع فعلَ الله تبارك وتعالى وإنجازَه لوعده، الذي ظهر على أيدي الشيخين، وذلك من لوازم الخلافة الخاصة.






خاتمةُ الفصل ببيانِ نكتةٍ دقيقةٍ

والآن نختم هذا الفصلَ بنكتة دقيقة، وهي أنَّ النبوةَ ليست أمراً كسبيّاً يحصل بالرياضة النفسانية والبدنية، وليس هو أمرٌ جِبِلّي من حيث جُبِلت نفسُ النبيِّ على القدسية، فتصدر منها بالضرورة الجبلية أقوالٌ وأعمال مناسبة للقدسية، بل الواقع أنَّ أحوالَ العالم إذا كانت على وجه تقتضي حكمةُ الله فيه من فوق سبع سماوات إصلاحَ بني آدم وتقويمَ عوجهم، وذلك بإلقاء داعيته في قلب أزكى بني آدم وأسمحهم وأعدلهم، ليرشدهم إلى التمسك بالعلوم والأعمال التي فيها صلاحُهم، ويلزم عليهم بالحجة والبرهان، فإذا قبلوا منه فبها ونعمت، وإن لم يفعلوا يخاصمهم ويقاتلهم حتَّى يتبيَّنَ السعداءُ من الأشقياءِ ويتنوَّر العالَمُ بنور الهداية.

واقتضاءُ العالم لهذه الكيفية المخصوصة كمثل اجتماع الصغرى والكبرى في قلب إنسان، الذي يقتضي إفاضةَ النتيجةِ في قلب صاحبه، أو كتسخين الماء، الذي يقتضي تحوَّله إلى بخار، فإذا اقتضت أحوال العالم ذلك يتوجّه قضاء الله تعالى من فوق سبع سماوات إلى الملأ الأعلى، والملأ الأعلى كلّه ينصبغ بهذه الصبغة، وتفيض بركاتٌ من الملأ الأعلى على هذا القلب القدسي، ويتمثّل له الملأ الأعلى بصور مناسبة، ويُلقوُن من العلوم الشرعية والإحسانية وغيرها في قلبه، ويطّلع هذا النفس القدسي على تدبير الله المجرَّد، الذي ينزل من فوق سبع سماوات إلى سدرة المنتهى بصورة الأحكام المثالية المعهودة في الملأ الأعلى النازلة إلى الأرض، ثم ينزل مرةً ثانيةً في قالب الألفاظ

والحروف على قلب هذا النبي، بواسطة الوحي المتلوّ أو غير المتلوّ من العالم المجرّد بمعيّة هذه الإرادة الإلـٰهية بصورة مناسبة للملأ الأعلى، وفي هذا الوقت يقال بلسان الشرع: «بعثَ اللهُ فلاناً نبيَّاً، وأمره بتبليغِ الأحكامِ وأوحى إليه».

❁ حقيقة النبوة:

بالجملة: فإنّ النبوةَ أمرٌ يحدث بسبب تعلُّق إرادة الله لبعثة هذا النبي لإصلاح العالم، وليس أمراً جبلِّياً، ولا شيئاً مكتسباً بالرياضة والجهد، غير أنَّه ﷻ لا يمنح هذه النعمة إلّا مَنْ كان قدسياً في أصل جبلّته، معدوداً في الملأ الأعلى، وأن تكون قواه الملكية التي تندمجُ فيه في غاية الظهور والغلبة، وأن تكون طهارته وصلاحه وسعادته ومزاجُ بدنه في غاية الاعتدال، وأن تكون طبيعته في غايةِ القوّةِ، ولكنها منقادةٌ للقلب، وأن يكون قلبه في منتهى المتانة والشهامة، ولكنّه منقادٌ للعقل، وأن يكون عقله في كمال الجودة والاستقامة ولكنّه منقادٌ للملأ الأعلى، بل هو فرد منهم ومرآة لهم بأن تكون قوته العاقلة شبيهة بإدراك الملأ الأعلى، لذلك يصلح لقبول الوحي، وقوته العاملة في غاية الصلاح، لذلك فإنَّه يتّصف بالعصمة، وهذه الأمور إنَّما هي من أعظم لوازم النبوّة.

وجرت سُنَّة الله على أن لا يعطي النبوّةَ إلَّا مَنْ خلقه بهذه الصفات والخلال، ورُبَّ رجلٍ يملك نفساً قدسياً يتوافر فيه بعض هذه الصفات أو أكثرها، ولكن لا يكونُ له نصيبٌ من النبوة، كما قال الشاعر العربي:

ولا كُلُّ مَنْ يَسْعَىٰ يَصِيْدُ غَزَالةً   لكنّ مَنْ صادَ الغَزَالَةَ قد سَعَىٰ

وقال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

حقيقة الخلافة الخاصة:

وكما أنَّ النبوّة ليست أمراً مكتسباً ولا جبلِّيّاً، كذلك الخلافة الخاصة للنبي ليست أمراً مكتسباً ولا خلقياً، نزلت إرادةُ الله من فوق سبع سماوات لتمشية إرشاد النبي في الناس، وإتمام نوره، وإظهار دينه على سائر الأديان، إنجاز موعوده له، فيُحدِث داعيةً في قلب الخليفة، وليست هذه الداعيةُ كسبيةً ولا خلقيةً، وربّما كان حواريو النبيّ على كثرة عددهم الذين ألقيت في قلوبهم داعية نصرة دينه من قبل الإفاضات الغيبية، لكن الخليفة يكون منهم بمنزلة القلب من الجسد، وتلك الجماعة تكون بمنزلة الأعضاء والجوارح كاليد والرجل، وأوّل محل لنزول الداعية الإلـٰهية هو قلب الخليفة، ثم ينبثق منه إلى قلوب الآخرين، كنور المصباح الذي ينعكس في المرآة المنصوبة في الجدران، وكل ذلك يدرك بحدس قريب المأخذ، كأنه أمر بديهي يدرك بحاسَّة البصر.

تعريف النبي وخليفته:

النبي: «هو مَنْ أُمِرَ بتبليغِ شريعةِ اللهِ» هذه الألفاظُ لها ظهر وبطن، أمَّا ظهرها فهو تبليغ شريعة الله إلى الناس، وأمَّا بطنُها فهو الداعية القوية الجيَّاشة في داخل فؤاده.

الخليفة: «هو مَنْ ينشر شريعةَ النبيِّ في الناس، ويظهر على يده موعودُ الله لنبيِّه» هذه الكلمات لها ظهر وبطن أيضاً، أما ظهرها فهو صورة نشر شريعة النبي في الناس، وأما بطنها فهو الداعية القوية التي تمكّنت في قلبه بواسطة النبي ﷺ، بل لا تزال تجيشُ في جذر قلبه بفضل صحبة النبي ﷺ، وإذا كانت هذه الداعية لم تجش في قلبه فلا يسمّى خليفةً خاصة ـ وإن ظهرت منه خدمات جليلة ـ.

وإذا كان فاجراً فهو مصداق قوله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ**

بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ»[(١)]، وإذا لم يكن فاجراً فهو كالحجر والخشب يحرِّكه قضاء الله تعالى في تحقيق مطالبه، وليست له فضيلة فيه، ووجود هذه الداعية في الخليفة الخاص يثبت بحدسٍ قريبِ المأخذ، هو بمنزلة الأشياء البديهية أو المحسوسة، وربّما يحتمل ـ عقلاً ـ أن يكون شخصٌ قد أسلم في أواخر أيام حياة النبي ﷺ وتجيشُ هذه الداعية من قلبه، لكنّ هذا الاحتمال لم يَقع في الخارج، وهذه من سُنَّة الله تعالى: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ [فاطر].

ولا يلهم الله سبحانه هذه الداعية القوية النازلة من فوق سبع سماوات المُشْرَفَةَ بعناية الملأ الأعلى إلا في قلب مَنْ كان جوهرُ نفسِه شبيهاً بجوهر نفس الأنبياء، وأودعَ الله في قوته العاقلةِ شبيهاً بالوحي، وذلك هو **المحدَّثية**، وفي قوته العاملة شيئاً شبيهاً بالعصمة، وهذا هو **الصدِّيقية**، ومن آثارها: «**فرارُ الشيطانِ مِنْ ظلِّه**»[(٢)]، إلا أن استعداد نفسه كالنائم لا يستيقظ من نومه إلا بإيقاظ النبي، وكذلك قابليةُ نفسه بالقوة، ولا تدخل بالفعل، ولا تكون بالفعل إلا بتأييد النبيِّ ـ فللخليفة قابليةٌ لكن بالقوة، وللنبيِّ قابلية بالفعل أيضاً ـ، وهذا بحث بيَّنته بالإجمال، وأما شرحُه فيتطلّبُ بسطاً وتفصيلاً لا مجال له في هذا المقام.

عمرے باید که یار آید بکنار   این دولت سرمد که هم کس راندهند[(٣)]

صفات الخليفة الخاصَّة:

من صفاته أن يكون قد قضى مدةً طويلةً في صحبة وتربية النبي ﷺ،

---

(١) «سنن الدارمي» (٢/ ٣١٤) رقم: (٢٥١٧).

(٢) «سنن الترمذي» رقم: (٣٦٩١).

(٣) معناه: لا بد من عمر طويل لوصول المحبوب إلي، لا تعطى هذه الثروة السرمدية لكل شخص؛ يعني: هذه الأسرار التي ذكرتها لم يمكن لكل شخص من الوصول إليها، ذلك من فضل الله يؤتيه من يشاء.

وغيَّرت أنانيته مرآة نفس النبي القدسي مرَّات وكرَّات وأخرجتها من قلبه، ويحصل مع الرسول ﷺ حُبٌّ عظيم، كما جاء في الحديث النبوي: «**لا يؤمِنُ أحدُكم حتَّى أكونَ أحبَّ إليه من نفسِهِ، ومالِهِ، وولدِهِ، والماءِ الزُّلالِ للعطشانِ**»(١).

ومنها أن يكون سبق في مساعدة النبيِّ بالمال والنفس، وبلغ تقليده للنبيِّ ﷺ في تنفيذ أعباء الجهاد رتبةَ التحقيق، ويكون شريكه في الشدائد والمكاره، فكأنَّه تحمّل تلك المصائب أصالةً عن نفسه، ويتحقق للنبي ﷺ على سبيل التجربة مرات عديدة أنَّ النفسَ لا تصدر منها إلا أعمال منجية، وتكون نفسه مجتنبة ألواناً من أعمال الخسيسة والمهلكة والأخلاق غير المرضية، وبشَّره النبي ﷺ مراراً بالجنة وبالدرجات العالية، وبيَّن أوصافه الحسنة، ودرجاته العالية، وظهر شرف عظمته وصلاحيته للخلافة من قول النبيِّ ﷺ وعمله، فالرجل المتّصفُ بهذه الصفات كلِّها يكون أهلاً ومستعداً لقبول الداعية النازلة من فوق سبع سماوات بعد انصباغه بشكل الملأ الأعلى، ويقوم لأجل هذه الداعية بنشر دين النبي، وإنجاز موعوده، ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ﴾ [المائدة: ٥٤].

وهذه الخلافة الخاصة من بقية أيام النبوّة، وهذه الخلافة الخاصة إنَّما هي نوع من أنواع الولاية أشبه بكمالات الأنبياء، ويصدق عليها بالأصالة «التشبُّه بالنبيِّ من حيث هو نبي» على هذا النوع.

وهذه الأوصافُ كلُّها التي ذكرناها من أعمِّ لوازم الخلافة الخاصة، ويمكن أن يكون هناك رجل عظيم القدر، يتّصف بتلك الصفات كلها، مما أشير إليه فيما تقدّم، لكن لم تتعلق الإرادة الإلٰهية باستخلافه، ولن

(١) «صحيح البخاري» (ح: ١٤)، «صحيح مسلم» (ح: ٤٤) إلى «ولده».

يتعلق التدبير الغيبي بتمكينه في سدة الحكم، والسبب في تخصيص إرادة الله لبعض الكاملين ليس مما يحيط به علوم البشر، مثل تخصيص بعض المفهمين[١] بالنبوة دون بعض، إذ إنَّه ليس مما يستوعبه إدراك العامة، إلا أنَّ هذا الشخصَ الذي استُخْلِفَ يَفْضُلُ على سائر رعيته بنوعين:

أحدهما: يعلم بعد استخلافه؛ إذ إن الله فوّض إليه رئاسة العالم لا إلى غيره من بين الناس وجعله خليفة النبي دون غيره.

والثانية: يعلم قبل استخلافه؛ لأن فعل الحكيم لا يخلو عن الحكمة، وهي أنَّ له فضيلة كلية على سائر الناس الذين ليست فيهم استعداد للخلافة، وفضيلة جزئية على المستحقِّين للخلافة، وهذه الفضيلة قريبة من الكلية، وهم صفوة من أصحاب النبيِّ ﷺ.

وإذا لم تكن في الشخص ـ الذي مكَّنه الله على الخلافة ـ صفةٌ ما خلا حسن السياسة والقوة الكاملة لتأليف قلوب المسلمين، ويقع ذلك كثيراً، ذلك لأنَّ وجودَ الداعية الإلـٰهية في قلبه وظهور إعلاء كلمة الله على يده أصلٌ في الخلافة الخاصة، واللوازم الأخرى فروع، إذ وجدت الأوصافُ المعتبرةُ كلها من لوازم الخلافة في شخص لا يستحقّ الخلافة الخاصة إذا لم يُلْقِ اللهُ في قلبه هذه الداعية، ولم يوفق لإجراء أحكام دين الحقّ على يده، وإذا ألقاها الله في قلب شخص، وتمّ ظهور الدين على يده، ويتَّصفُ بهذه اللوازم بقدر ما يلزم لنزول الداعية فهو مستحق للخلافة، ومثله كمثل من قتل مجرماً شريراً مطلوباً قتلُه عند السلطان بخنق أو بضرب الحجر فاستحقّ الإجلال والتكريم على ذلك في حضرة

(١) المفهمين جمع المفهم، الرجل الذي توجد فيه صفات لاختياره للنبوّة.

الملك، فاعترض عليه سفيه قائلاً: إنَّ فلاناً أعلمُ منه بالرماية والفروسية، فأجابه: إنَّ الشجاعة المطلوبة في قتل المجرم الشرير تتوافر فيَّ ولا حاجة لي إلى أكثر من ذلك، بل المقصود ليس قتل أحد عندي، ولا إظهار الشجاعة والقوة، بل مقصودي الأعلى إنَّما هو نيل رضا السلطان وقد حصل.

ولعلَّك عندما قرأتَ هذه المقدمة مع النكات المذكورة في كتب علم الكلام بهذا الإطناب والتفصيل، أن تدخل في قلبك وحشة، فلذلك نريد هنا إيراد الأحاديث التي تقع شواهدَ على ما قلنا في هذا الموضع، وقد بيَّنَّا فيما تقدَّم أنَّ هيئات بني آدم من الجهل والغواية وسوء اعتقادهم في الله وما أشبه ذلك تقتضي بعثة الأنبياء، وذلك من أجلّ بديهيات الدين، قال الله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ [يسٓ: ٦]، وفي حديث عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: «**أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ، مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْداً حَلَالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً، وَإِنَّ اللهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَقَالَ: إِنَّما بَعَثْتُكَ لِأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِيَ بِكَ**» أخرجه مسلم[١].

وبيَّنَّا كذلك فيما تقدَّم أن قضاء الله ينزل ـ أولاً ـ في الملأ الأعلى، ومن شواهد ذلك:

- حديث إلقاء المحبة الذي أخرجه **مالك** عن **أبي هريرة** أنَّ

---

(١) «صحيح مسلم» رقم: (٢٨٦٥).

رسول الله ﷺ قال: «**إذا أحبَّ اللهُ العبدَ قال لجبريلَ: قد أحببتُ فلاناً فأحبّه، فيحبُّه جبريلُ، ثم ينادي في أهل السّماءِ: إنَّ اللهَ قد أحبَّ فلاناً فأحبُّوه، فيحبُّه أهلُ السماءِ، ثم يُوْضَعُ له القَبُوْلُ في الأرضِ**»[١].

وبيَّنَّا أن الأنبياء ﷺ يمتازون في الأخلاق الجبلِّية على غيرهم، وهذا أيضاً من بديهيات الدين، وإنَّه لا يخفى على مَنْ له اطلاع على قوانين الحكمة الخلقية بالضرورة أنَّ تواجُدَ الأخلاق الجميلة بذلك الانتظام الذي ظهر في الأنبياء ﷺ لا يتيسَّرُ بدون انقياد النفس للقلب، والقلب للعقل، **فمن شواهد ذلك:**

• حديث **أنس** ﷺ قال: «كان النبيُّ ﷺ أحسنَ الناس، وأشجعَ الناسِ، وأجودَ الناس» أخرجه **الشيخان**[٢].

• وأخرج **البخاري** عن محمد بن جبير بن مطعم عن **أبيه** [أنَّه[٣]] بينما يسيرُ هو مع رسول الله ﷺ، ومعه الناس مَقْفَلُه من حنينٍ فعلقت الأعرابُ يسألونه، حتَّى اضطرّوه إلى سَمُرَةٍ، فخطفت رداءه، فوقف النبيُّ ﷺ فقال: «**أعطوني ردائي، لو كانَ لي عددُ هذه العضاهِ نعماً لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كَذُوباً ولا جباناً**»[٤].

• وأخرج **الدارمي** عن **الزهري** قال: إنَّ جبريلَ قال: ما في الأرض أهلُ عشرةِ أبياتٍ إلا قلبتهم، فما وجدتُ أحداً أشدَّ إنفاقاً لهذا المال من رسول الله ﷺ[٥].

---

(١) «موطأ مالك» رقم: (٣٥٠٦).

(٢) «صحيح البخاري» (ح: ٢٨٢٠) واللفظ له، و«صحيح مسلم» (ح: ٢٣٠٧).

(٣) سقط في الأصل الفارسي.

(٤) «مشكاة المصابيح» (ح: ٥٨٠٧)، وانظر: «صحيح البخاري» (ح: ٢٨٢١)، «باب الشجاعة في الحرب»، و«باب ما كان النبي ﷺ يعطي».

(٥) «سنن الدارمي» (١/ ٤٨) رقم: (٧٣).

• وأما أن غير الأنبياء أيضاً يتشبَّهون بالأنبياء في أصل جوهر نفوسهم، **فشاهده:**

• أن رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**رؤيا المؤمنِ جزءٌ من ستّةٍ وأربعينَ جزءاً من النبوّةِ**»، أخرجه **البخاري**[(١)].

• وقال: «**السَّمْتُ الصَّالِحُ جُزْءٌ مِنْ خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءاً مِنَ النُّبُوَّةِ**» أخرجه **مسلم**[(٢)].

• وأمَّا أنَّ الخلفاء كانوا يُشبهون الأنبياء في جوهرهم، **فشاهده:**

• ما أخرجه **أبو عمر** عن **عبد الله بن مسعود** قال: إنَّ الله نظرَ في قلوبِ العبادِ، فوجدَ قلبَ محمّدٍ ﷺ خيرَ قلوبِ العبادِ، فاصطفاه لنفسِهِ، فابتعثه برسالته، ثم نظرَ في قلوبِ العبادِ بعدَ قلبِ محمّدٍ، فوجدَ قلوبَ أصحابه خيرَ قلوبِ العبادِ، فجعلَهم وزراءَ نبيِّه يقاتلون على دينه[(٣)].

• وأخرج **أبو عمر** عن **ابن عباس** في قول الله ﷻ: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل: ٥٩]، قال: «أصحابُ محمّدٍ ﷺ»، قاله السدّي، والحسن البصري، وابن عُيينة، والثوري[(٤)].

• وأخرج **البخاري ومسلم** عَنْ **أَبِي هُرَيْرَةَ** رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ مُحَدَّثُونَ**[(٥)]، **فَإِنْ يَكُ فِي**

---

(١) «صحيح البخاري» رقم: (٦٩٨٨).

(٢) ولم يخرجه مسلم لا بلفظه ولا بمعناه، لكن أخرجه مالك في «الموطأ» رقم: (٣٥٠٨) بلفظ: «**حسن السمت**» بدلاً من «**السمت الصالح**».

(٣) «مسند أحمد» (١/ ٣٧٩) رقم: (٣٦٠٠)، واللفظ له، و«الاستيعاب» (١/ ٥).

(٤) «الاستيعاب» (١/ ٥).

(٥) قال الخطابي: المحدث: الملهم الذي يلقى الشيء في رُوعه كأنه قد حُدّث به، يظن فيصيب. انظر: «فتح الباري» (٧/ ٥٠).

أُمَّتِي أَحَدٌ فَإِنَّهُ عُمَرُ»[١].

• وأخرج **الترمذي** عن **عائشة** قالت: كان رسول الله ﷺ جالساً، فسمعنا لغطاً، وصوتَ صبيان، فقام رسولُ اللهِ ﷺ، فإذا حبشيةٌ تزفُنُ، والصبيانُ حولها، فقال: «**يا عائشةُ! تعالَيْ فانظري**»، فجئتُ، فوضعتُ لِحْيَيَّ على منكبِ رسولِ اللهِ ﷺ، فجعلتُ أنظرُ إليها ما بين المنكبِ إلى رأسه، فقال لي: «**أما شَبِعْتِ؟ أما شَبِعْتِ؟**» قالت: فجعلتُ أقول: لا، لأنظرَ منزلتي عنده، إذ طلع عمر، قال: فارفضَّ الناسُ عنها، قالت: فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إنِّي لأنظرُ إلى شياطينِ الإنسِ والجنِّ قد فرّوا من عمر**»، قالت: فرجعت[٢].

• وأما أن الأنبياء يُرزقون داعية قوية لهداية الأمة، **فشاهدُه الحديث:**

• «**فوالذي نفسي بيدِهِ لأقاتلنَّهم على أمرِي هذا حتَّى تنفردَ سالفتي، وليُنْفِذَنَّ اللهُ أمرَه**»[٣]، هذه هي الكلمة نفسها التي قالها النبيُّ ﷺ لأبي طالب[٤] في مكة، ولأبي سهيل[٥] في الحديبية.

---

(١) «صحيح البخاري» رقم: (٣٦٨٩) واللفظ له، «صحيح مسلم» رقم: (٢٣٩٨).

(٢) «سنن الترمذي» رقم: (٣٦٩١). (٣) «صحيح البخاري» رقم: (٢٧٣١).

(٤) ما هذا الذي قاله النبيُّ ﷺ لأبي طالب في مكة، بل الذي قاله هو: «**يا عماه! لو وضعوا الشَّمْسَ في يميني، والقمرَ في يساري، على أنْ أتركَ هذا الأمرَ حتَّى يظهِرَهُ اللهُ، أو أهلِكَ فيه ما تركتُه**» ثم استعبرَ رسولُ اللهِ ﷺ فبكى. انظر: «تاريخ الطبري» (٢/ ٦٧)، و«سيرة ابن هشام» (١/ ٢٦٦).

(٥) لم يقل النبيُّ ﷺ هذه الكلمة عند الحديبية لأبي سهيل، بل قالها لبُدَيْلِ بن ورقاء الخزاعي، الذي جاء النبيَّ ﷺ وهو في الحديبية يخبره ﷺ بإرادةِ كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا أعدادَ مياه الحديبية لقتاله ﷺ وصدِّه عن البيتِ، فقال له النبيُّ ﷺ: «**إنّا لم نجئْ لقتالِ أحدٍ، ولكنّا جئنا معتمرين، وإنَّ قريشاً قد نهكتْهم الحروبُ، وأضرّتْ بهم، فإن شاؤوا مادتُهم مدةً، ويخلّوا بيني وبين الناسِ، فإنْ أظهر** =

• وأمَّا أنَّ هذه الداعية تظهر في قلوب حواري النبي، فشاهده:

• قول الله تعالى: ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ﴾ [الصف: ١٤]، وتلك إشارةٌ إلى ظهور داعية النصرة في قلوبهم.

• وأمَّا وجودُ الدواعي القوية في الشيخين لأجل تمشية وتبليغ دين الحق فهو أغنى عن أيِّ شاهدٍ ودليلٍ، ومن أجلِّ البدهيات أن لا تظهر من شخصٍ أفعالٌ متقاربة مترتبة ليلاً ونهاراً لمدّة لا يستهان بها إلا أن تكون في نفسه داعية قوية لذلك، وهل يصدِّق عاقلٌ أنَّ «الخواجه حافظ»[1] قام بتدوين «ديوانه» بغير بصيرة في فنِّ الشعر، وبغير صرف همة بالغة إلى نظم الأبيات والقصائد، وهل قام أبو علي[2] بتأليف «كتاب القانون»، بدون البصيرة في فنِّ الطبّ، وبدون جمع همته في

= **فإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخلَ فيه الناسُ فعلوا، وإلا فقد جَمُّوا، وإنْ هم أبوا فوالذي نفسِي بيدِهِ لأقاتلنّهم على أمري هذا حتّى تنفردَ سالفتي، ولينفذنَّ اللهُ أمرَه»**

وأمّا الذي تمّ على يده خطة الصلح فلم يكن يسمّى أبا سهيل، بل هو سهيل بن عمرو، يرجع لذلك إلى «باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب» في «صحيح البخاري» (ح: ٢٧٣٢).

(١) من كبار شعراء إيران، اسم أبيه بهاء الدين، كان جده من أهالي أصفهان، انتقل إلى شيراز في عهد أتابك شيراز وسكنها، توفي حافظ شيرازي سنة ٧٩٣هـ. انظر: «شعر العجم» (٢/ ١٤٥).

(٢) هو: الحسين بن عبد الله بن سينا، أبو علي، شرف الملك، الفيلسوف الرئيس، صاحب التصانيف في الطب، والمنطق، والطبيعيات، والإلٰهيات، أصله من بلخ، ومولده في إحدى قرى بخارى سنة ٣٧٠هـ، ونشأ وتعلّم في بخارى، وطاف البلاد، وناظر العلماء، واتسعت شهرته، وتقلّد الوزارة في همذان، وثار عليه عسكرُها، ونهبوا بيته، فتوارى، ثم صار إلى أصفهان، وصنّف بها أكثر كتبه، وعاد في أواخر أيامه إلى همذان، فمرض في الطريق، ومات بها سنة ٤٢٨هـ. انظر: «الأعلام»، للزركلي (٢/ ٤١).

تحقيق وترتيب مسائل هذا الفنّ «سبحانك هذا بهتان عظيم».

ولو لم تكن الداعية في قلب الشيخين فكيف تظهر هذه الأفعال المتقاربة منهما إلى مدة متطاولة، ولو كانت داعية الدنيا، فكيف يجري مدحُهم على لسان النبيِّ ﷺ حتَّى يبلغَ التواتر، ولو كانت داعيةً ملتئمة متركّبة من القوى النفسانية غير نازلة من فوق سبع سماوات لما ظهرت هذه البركاتُ كلُّها التي ظهرت على أيدي الشيخين رضي الله عنهما، ولا تظهر النتيجة فوق الجهد والمحاولة.

وأما قولنا: «إنَّ مجرَّد تعلُّق الإرادة الإلـٰهية بالخلافة قبل وقوعها يُثْبِتُ الفضيلةَ لصاحبها»، **فمن شواهده حديث أبي ذر** رضي الله عنه.

• أخرج **الدارمي** عن **أبي ذر الغفاري** قال: قلتُ: يا رسول الله! كيفَ علمتَ أنَّكَ نبيٌّ حين استُنْبِئْتَ؟ فقال: «**يا أبا ذر! أتاني ملكانِ، وأنا ببعض بطحاء مكة، فوقع أحدُهما على الأرضِ وكان الآخر بين السماء والأرض، فقال أحدُهما لصاحِبه: أهوَ هوَ؟ قال: نعم، قال: فَزِنْهُ بِرَجُلٍ، فَوُزِنْتُ به، فَوَزَنْتُهُ، ثم قال: فَزِنْهُ بِعَشَرَةٍ، فَوُزِنْتُ بهم فَرَجَحْتُهم، ثم قال: زِنْهُ بمئةٍ، فَوُزِنْتُ بهم فَرَجَحْتُهم، ثم قال: زِنْهُ بألفٍ فَوُزِنْتُ بهم فَرَجَحْتُهم، كأنِّي أَنظرُ إليهم ينتثرونَ عليَّ مِنْ خِفَّةِ الميزان، قال: فقال أحدُهُما لصاحبه: لو وَزَنْتَهُ بِأُمَّتِهِ لَرَجَحَها**»[1].

• وأخرج **الدارمي** من حديث **عتبة بن عبد السلمي** قصةً طويلةً فيها شقُّ صدره ﷺ عند ظِئْرِهِ حليمة، قال أحدهما لصاحبه: اجعله في كفة واجعل ألفاً من أمته في كفة، قال رسول الله ﷺ: «**فإذا أنا أنظرُ إلى الألفِ فوقي أشفِقُ أن يخرَّ عليَّ بعضُهم، فقال: لو أنَّ أُمَّتَهُ وُزِنَتْ به لمَالَ**

(١) «سنن الدارمي» (١/ ٢١) رقم: (١٤).

بهم، ثم انطلقا وتَرَكاني»[١].

• وأخرج **أحمد** عن **ابن عمر** قال: خرجَ علينا رسولُ اللهِ ﷺ ذاتَ غداةٍ بعد طلوعِ الشّمسِ، قال: «**رأيتُ قبلَ الفَجْرِ كأنّي أُعْطِيْتُ المقاليدَ والموازينَ، فأمَّا المقاليدُ فهي المفاتيحُ، وأمَّا الموازينُ فهذه التي يُوْزَنُ**[٢] **بها، فوُضِعْتُ في كفّةٍ، ووضعتْ أُمّتي في كَفّةٍ، فَوُزِنْتُ بهم، فَرَجَحْتُ، ثم جِيْءَ بأبي بكر، فَوُزِنَ بهم فَرَجَحَ، ثم جِيْءَ بِعُمَرَ، فَوُزِنَ بهم فَرَجَحَ، ثم جِيْءَ بعثمانَ فَوُزِنَ بهم فرجحَ، ثم رُفِعَتْ**»[٣].

عرف النبيُّ ﷺ نبوته بوزنه بأمته ورجحانه عليها، وهذا الوزنُ والرجحانُ يدلّان على أفضليته فضلاً كلّياً معتبراً عند الله تعالى، وذلك من لوازم النبوة، وهذه الرؤيا نفسها رآها النبي ﷺ في شأن الخلفاء الراشدين، فعُلِم من هنالك أنّ أفضلية الخلفاء الراشدين على رعيتهم عند الله، ورجحانهم عليهم في علم الله، من لوازم الخلافة الخاصة، كما أنَّ حقيقة الاستخلاف تثبتُ بمجرّد تعلق الإرادة الإلـٰهية، وهناك أمورٌ أخرى هي مِنْ لوازم وجود الخلافة حسب سُنَّة الله تعالى.

يَثْبُت هذا النوعُ من الأفضلية كذلك بمجرَّد الإرادة الإلـٰهية ضمن الاستخلاف، ومعها أفضليةٌ تثبت بالسوابق الإسلامية، أو الأوصاف الجبلّية، من حسن السياسة وغيرها، وهي أمر عادي، والله أعلم بحقيقة الحال، وليكن هذا آخرَ الفصل الثالث.

والحمد لله رب العالمين

***

(١) «سنن الدارمي» (١/ ٢٠) رقم: (١٣).

(٢) ووقع في «مسند أحمد»: «تزنون بها».

(٣) انظر: «مسند أحمد» (٢/ ٧٦) رقم: (٥٤٦٩)، و«الرياض النضرة» (١/ ٢٤) واللفظ له.



الفصل الرابع

في روايات الأحاديث والآثار الدالة على خلافة الخلفاء الراشدين وعلى إثبات لوازم الخلافة الخاصة بهم سواء كان تصريحاً أو تلويحاً

• قبل أن نشرع في المقصود، ينبغي أن يُعلمَ أنَّ العلماء أكثروا التصنيف في إثبات خلافة الخلفاء، وكلٌّ وُفِّق لبيانها بأسلوب خاص، وخطر لهذا الفقير ـ الكثير التقصير ـ: أن يُوزِّع أحاديثَ هذا الباب على مسانيد الصحابة، ويذكر موقوفَ كلَّ صحابي تحت مرفوعه[١]، حتَّى يعلمَ الخاصّةُ والعامةُ أنَّ ما اشتهر من أنَّ خلافة الخلفاء ثابتةٌ بالإجماعِ، ووَصِيَّةِ الخليفة السابق أمرٌ محقَّق.

• لكن ليس معنى الإجماع أن يُبديَ كلُّ شخص رأيه بناءً على المصلحة المتعلقة بالزمان من غير دليل شرعي، بل نعني به أن يكونَ كلٌّ منهم قد استنبط خلافتهم بدليل شرعي مبنيٍّ على السُّنَّة السنيَّة، إما بتصريحاته ﷺ تارةً، وإما بتلويحاته تارة أخرى، حتَّى قد يوقنَ كل منهم بقَبول خلافتهم، ولمّا أجمع مجتهدو القرن الأول على خلافتهم ثبت الإجماع، ولا يجوز لأحد بعده أن يخالفهم فيه.

---

(١) المرفوع ما نسبه الصحابي إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، والموقوف ما كان من كلامه هو، فإن لم يكن من المسائل الاجتهادية فهو في حكم المرفوع.

❁ تلويحات النبي ﷺ بخلافة الخلفاء:

• وأمّا تلويحاته ﷺ بخلافتهم فيؤول أمرُها: إمَّا إلى إثبات لوازم الخلافة العامَّة، وإما إلى لوازم الخلافة الخاصّة:

فمتى ما قال ﷺ ـ مثلاً ـ: «**آتوا الزكاة أبا بكر مِنْ بعدي...**» أثبتَ له بعضَ لوازم **الخلافة العامّة**؛ إذ إنَّ ذلك عبارةٌ عن حفظ بيت المال، وأخذ الزكاة من المسلمين، وحينما قال: «**أبو بكر صدِّيق وعمرُ شهيدٌ**».

أو بيّن أعلى درجاتهم في الجنة، أو بشّرهم بالجنة، ولا سيّما إذا كان ذلك على ترتيب خلافتهم، أو قال: «**هم أفضل الأمة...**» وما أشبه ذلك، أثبت لوازم **الخلافة الخاصة** لهم.

ففي مثل هذه الأحاديث تلويحٌ وإشارةٌ منه ﷺ إلى أنَّ خلافتَهم راشدةٌ.

* إزالة شبهة:

• **وإذا قلت**: إنَّ اللازم المساوي يدل على وجود الملزوم، ولا نسلّم دلالة اللازم العامّ على وجود الملزوم، وهذه الأوصافُ كلُّها من أنواع اللازم العامّ للخلافة الخاصة، ربما يُوجد بعضُ هذه الصفات في غير الخليفة الخاصّ أيضاً.

أقول: إنَّ التعريض قسمٌ من أقسام البيان، ويحصل به التفهيم والتفهّم، كما أخرج **مالك**(١) عن **عمرة بنت عبد الرحمٰن**: «أنَّ رجلين تسابا في زمان عمر بن الخطاب، فقال أحدهما للآخر:

---

(١) «الموطأ» رقم: (٣٠٦٤).

واللهِ ما أبي بزانٍ ولا أمي بزانيةٍ، فاستشارَ في ذلك عمرُ بنُ الخطاب أهلَ الرأي، فقال قائلٌ: مدحَ أباه وأمه، وقال آخرون: قد كان لأبيه وأمه مدحٌ غيرُ هذا، نرى أن تجلدَه الحدَّ، فجلدَه عمر الحدَّ ثمانين».

ومن هنا فإنَّ التعريضَ الجلي في حكم التصريح.

دلالة التعريض بانضمام القرائن إليه:

• والتحقيقُ في شأن التعريض أنَّه لا يدلّ بمجرد لفظه، بل يدلّ بالقرائن، ولا شكَّ في أنَّ القرائن تدلّ دلالةً إما قطعيةً وإما ظنيةً، مثل دلالة الدخان على النار، ودلالة السحاب والريح المرسلة على نزول المطر، ولذلك يدلّ اللفظُ على معناه المنطوق، ففي التعريض يجتمع معاً (اللفظ والقرينة)، ويرفع البعض إبهام بعض، وهكذا التحقيق عند الفقير في دلالة الإيماءات والفحوى وغيرهما، إذ إنَّ الدلالة ليست هناك باللفظ وحدَه، بل الدلالة باللفظ مع انضمام القرائن، والقرائنُ تكونُ خفيةً مرةً، وجليةً أخرى.

• والميزانُ في استنباط المعاني من أمثال هذه الدلائل إنَّما هو فهمُ أهل اللغة في مثل هذه المواقع، ولذلك يتوقَّف مفهوم الوصف على بعض الشروط عند الإمام الشافعي الذي هو إمامٌ من أئمة المجتهدين والمستنبطين، وتوجد قرائن المعنى المقصود على قدر توافر هذه الشروط، إذ إنَّ دلالة اللازم العام على وجود ملزومه الخاص ليس ببعيد ولا غريب.

والآن نخوض في أصل المقصود بعد بيان هذه المقدمة:




مسند أبي بكر الصدِّيق[(١)] رضي الله عنه

۞ الروايات حول شروط الخلافة:

• أخرج الدارمي عن حية بنت أبي حية عن أبي بكر الصدِّيق في قصةٍ، قالت: ذكرتُ غزونا خثعماً، وغزوة بعضنا بعضاً في الجاهلية، وما جاء الله به من الأُلفة وأطناب الفساطيط، وشبَّك ابن عون أصابعه، ووصفه لنا معاذ وشبَّك أحمد، فقلتُ: يا عبدَ الله! حتَّى متى ترى أمرَ الناس هذا؟ قال: ما استقامت الأئمةُ، قلتُ: ما الأئمةُ؟ قال: أما رأيتَ

---

(١) هو: عبد الله بن عثمان بن عامر، أمير المؤمنين أبو بكر الصدِّيق ابن أبي قحافة، وهو صاحب رسول الله ﷺ في الغار، وفي الهجرة، والخليفة بعده، روى عن النبي ﷺ، وروى عنه عمر، وعثمان، وعلي، وعبد الرحمٰن بن عوف، وابن مسعود، وابن عمر، وابن عباس، وغيرهم، كان أبو بكر من رؤساء قريش في الجاهلية، محبَّباً فيهم، مألفاً لهم، وكانت إليه الأشناق (والأشناق: الديات)، فلمّا جاء الإسلام سبق إليه، وأسلم على يده جماعةٌ لمحبّتهم له، وميلهم إليه، حتى إنّه أسلم على يده خمسة من العشرة، وقد ذهبَ جماعةٌ من العلماء إلى أنّه أوّلُ من أسلم، منهم ابن عباس، شهد أبو بكر بدراً، وأُحداً، والخندق، والحديبية، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، ودفع رسول الله رايته العظمى يوم تبوك إلى أبي بكر، وكان فيمن ثبتَ مع رسول الله ﷺ يوم أُحد، ويوم حنين، حين ولّىٰ الناسُ، خليلُ سيدنا رسول الله ﷺ وولي الإسلام بعد النبي ﷺ كما يدلّ عليه قوله: «أينقصُ الدِّينُ وأنا حيٌّ»، وكافل المسلمين اليتامى بعد وفاة النبي ﷺ، ولد أبو بكر بعد الفيل بثلاث سنين، ومات بعد النبي ﷺ بسنتين وأشهر بالمدينة، وهو ابن ثلاث وستين سنة، وتوفي سنة ١٣هـ، صلّى عليه عمر بن الخطاب، فكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليالٍ، وكلامه من خطب ورسائل وصايا مرآةٌ لسيرته وخُلُقِهِ، صِدْقٌ مع عزيمة، ورِفْقٌ في غير ضعف. انظر: «أسد الغابة» (٣/ ٢٠٥).

السيّدَ يكونُ في الحِوَاء فيتبعونه ويطيعونه، فما استقامَ أولئك[١].

• وأخرج **الدارمي** عن **قيس بن أبي حازم** قال: دخل أبو بكر على امرأة من أحمس يقال لها: زينب، قال: فرآها لا تتكلّم، فقال: ما لها لا تتكلّم؟ قالوا: نوت حَجَّةً مُصْمِتَةً، فقال لها: تكلَّمي، فإنّ هذا لا يحلُّ، هذا من عمل الجاهلية، قال: فتكلَّمت، فقالت: مَنْ أنتَ؟ قال: أنا امرؤ من المهاجرين، قالت: من أيِّ المهاجرين؟ قال: مِنْ قريش، قالت: فمن أيِّ قريش أنت؟ قال: إنَّكِ لسؤولٌ، أنا أبو بكر، قالت: ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح الذي جاء الله به بعد الجاهلية؟ فقال: بقاؤكم عليه ما استقامت بكم أئمتُكم، قالت: وأي ما الأئمة؟ قال: أما كان لقومكِ رؤساءُ وأشرافٌ يأمرونهم فيطيعونهم؟ قالت: بلى، قال: فهم مثل أولئك على الناس[٢].

وقوله: «**ما استقامت**» شاملٌ للعلم والعدالة والكفاية والشجاعة وغير ذلك.

❁ الخلافة في قريش:

• وأخرج **البخاري** في حديث **عمر** الطويل: أنَّ أبا بكر قال للأنصار: ما ذكرتم فيكم من خيرٍ فأنتُم له أهل، ولن يُعْرَفَ هذا الأمرُ إلَّا لهذا الحيّ من قريش، هم أوسط العربِ نسباً وداراً[٣].

• وأخرج **أبو بكر بن أبي شيبة** في حديث طويل، فقال أبو بكر: «على رِسْلِكم...» فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «يا معشرَ الأنصار! إنَّا

(١) «سنن الدارمي» (١/ ٨١) رقم: (٢١٠).
(٢) «سنن الدارمي» (١/ ٨٢) رقم: (٢١٢).
(٣) «صحيح البخاري» رقم: (٦٨٣٠).

والله ما ننكرُ فضلَكم، ولا بلاءكم في الإسلام، ولا حقّكم الواجب علينا، ولكنّكم قد عرفتُم أنَّ هذا الحي من قريش بمنزلةٍ من العرب ليس بها غيرُهم، وأنَّ العربَ لن تجتمع إلَّا على رجلٍ منهم، فنحنُ الأمراءُ، وأنتم الوزراءُ، فاتقوا الله، ولا تَصْدَعُوا الإسلامَ، ولا تكونوا أوّلَ مَنْ أحدث في الإسلام»[1].

وقد أجمع أهل السُّنَّة والجماعة على اشتراط كون الخليفة من قريش.

• وأخرج **البخاري ومسلم والدارمي** وغيرهم عن **ابن عباس**: كان أبو هريرة يحدِّث: أنَّ رجلاً أتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله! إنِّي أرى الليلةَ ظلَّة تنطِفُ السمنَ والعسلَ، فأرى الناسَ يتكفَّفون منها بأيديهم، فالمستكثِرُ والمستقِلُّ، وأرى سبباً واصلاً من السماء إلى الأرضِ، فأراكَ أخذتَ به فعلوتَ، ثم أخذَ به رجلٌ من بعدك فَعَلا به، ثم أخذ به رجلٌ آخر فَعَلا به، ثم أخذَ به رجلٌ آخرُ فانقطع به، ثم وُصِلَ له فَعَلا به. فقال أبو بكر: يا رسول الله! بأبي أنتَ واللهِ لتدعنِّي فلأعبرنَّها، قال رسول الله ﷺ: **«اعبرها»**، قال أبو بكر: أما الظلَّة فظلَّة الإسلام، وأمَّا الذي ينطِفُ من السمن والعسل فالقرآن، حلاوته ولينه، وأمَّا ما يتكفَّف الناسُ من ذلك، فالمستكثِرُ من القرآن والمستقلّ، وأما السبب الواصل من السماء إلى الأرض فالحقُّ الذي أنتَ عليه، تأخذ به فَيُعْلِيْكَ اللهُ به، ثم يأخذُ به رجلٌ من بعدكَ فيعلو به، ثم يأخذُ به رجلٌ من بعدِكَ فيعلو به، ثم يأخذُ به رجلٌ آخرِ فينقطِعُ به، ثم يُوْصَلُ له فيعلو به، فأخبرني يا رسول الله! بأبي أنتَ، أصبتُ أم أخطأتُ؟ قال رسول الله ﷺ: **«أصبتَ بعضاً وأخطأتَ بعضاً»**، قال: فواللهِ يا رسول الله!

---

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٨/ ٥٧١).

لتحدّثني ما الذي أخطأتُ؟ فقال النبي ﷺ: «**لا تُقْسِمْ**»[١].

عُلِم من هذا الحديث أنَّ أبا بكر الصدِّيق رضي الله عنه كان يعرفُ أنَّ الخلافة ينالها ثلاثةٌ من الصحابة على الترتيب، يكونون على منهاج النبوة، ويموتون عليه كذلك، وأمَّا إذا كان وقعَ ذلك موافقاً لتعبير أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه في الخارج، فما هو الخطأ فيه؟ ولِمَ قال ﷺ: «**أخطأتَ بعضاً**».

يقول الفقير: إنَّ سكوته رضي الله عنه عن تسميةِ هؤلاء الأشخاص رغم قدرته عليها نُسِبَ إلى الخطأ عن طريق المشاكلة، وكان الصدّيق رضي الله عنه يعرِفُ هؤلاء الأشخاص بأعيانهم، والدليل على ذلك بعض الآثار الواردة في «كتاب الخصائص»[٢] للسيوطي، **وهي فيما يأتي**:

• أخرج **ابن عساكر** عن **كعب** قال: كان إسلام أبي بكر الصدِّيق شبيهاً بوحي من السماء، وذلك أنه كان تاجراً بالشام، فرأى رؤيا، فقصّها على بحيرا الرّاهب، فقال له: من أين أنت؟ قال: من مكة، قال: من أيِّها؟ قال: من قريش، قال: فأيش أنت؟ قال: تاجر، قال: صدَّق الله رؤياك، سَيُبْعَثُ نبيٌّ من قومك تكون وزيرَه في حياته، وخليفتَه بعد موته، فأسرَّ أبو بكر حتَّى بُعِثَ النبيُّ ﷺ فجاءه، فقال: يا محمد! ما الدليل على ما تدَّعي؟ قال: «**الرؤيا التي رأيتَ بالشّام**»، فعانقه، وقبَّل عينيه، فقال: أشهدُ أن لا إلـهَ إلَّا الله وأشهدُ أنّكَ رسولُ اللهِ[٣].

• وأخرج **ابن عساكر** عن **عبد الله بن مسعود** قال: قال أبو بكر الصدِّيق: إنَّه خرجَ إلى اليمن قبل أن يُبْعَثَ النبيُّ ﷺ، قال: فنزلتُ على

---

(١) «صحيح البخاري» (ح: ٧٠٤٦)، «صحيح مسلم» (ح: ٢٢٦٩) واللفظ له، «سنن الدارمي» (٢/ ١٧٢) رقم: (٢١٥٦)، و«سنن أبي داود» (ح: ٤٠١٦).

(٢) أي: «الخصائص الكبرى»، للسيوطي. (٣) «تاريخ دمشق» (٣٠/ ٢٩ ـ ٣٠).

شيخٍ من الأزدِ عالمٌ، قد قرأ الكتبَ [وعَلِمَ من عِلْم النَّاسِ علماً كبيراً]، وأتت عليه أربعمئةُ سنةٍ إلَّا عشرَ سنين، [فلمَّا رآني] قال لي: أحسبُكَ حرمياً، قال أبو بكر: قلت: نعم، أنا من أهل الحرم، قال: وأحسبُكَ قرشياً، قال: قلت: نعم، أنا من قريشٍ، قال: وأحسبُك تيمياً، قال: قلت: نعم، أنا من تيم بن مرَّة، أنا عبد الله بن عثمان بن كعب بن ضمضم بن مرَّة، قال: بقيتَ لي منكَ واحدةٌ، قلت: ما هي؟ قال: تكشِفُ لي عن بطنِكَ، قلت: لا أفعلُ إذ تخبرني لِمَ ذاك؟ قال: أجدُ في العلم الصحيح الزكي الصادق أنَّ نبياً يُبْعَثُ في الحرم، تَعَاوَنَ على أمره فتًى وكهلٌ، فأمّا الفتى فخوَّاضُ غمراتٍ، ودفَّاعُ معضلاتٍ، وأمَّا الكهل فأبيضُ نحيفُ، على بطنِهِ شامةٌ وعلى فخذِهِ اليسرى علامةٌ، وما عليكَ أن تُرِيَني ما سألتُكَ، فقد تكاملت لي فيك الصفة إلا ما خَفِيَ عليَّ، قال أبو بكر: فكشفتُ له عن بطني، فرأى شامةً سوداءَ فوقَ سُرَّتي، فقال: أنت هو وربُّ الكعبةِ[(١)].

● وأخرج **ابن سعد** عن **الحسن** قال: قال أبو بكر: يا رسول الله! ما أزال أراني أطأ في عذرات الناس، قال: لتكونَنَّ من الناسِ بسبيلٍ، قال: ورأيتُ في صدري كالرقمتين، قال: سنتينِ[(٢)].

توقُّف أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه عند البيعة الأولى:

● **وإن قال قائل**: لو كان الصدّيقُ رضي الله عنه يعلمُ كونه مُبَشَّراً بالخلافة، فلماذا توقّف عند البيعة؟ ولماذا أشار إلى عمر الفاروق وأبي عبيدة رضي الله عنهما قائلاً: بايعوا أحدَ هذين[(٣)].

---

(١) «تاريخ دمشق» (٣٠/ ٣١).
(٢) «تاريخ الخلفاء» (١/ ٢٤).
(٣) «صحيح البخاري» رقم: (٦٧٣٠)، ولفظه: «**وقد رضيتُ لكم أحدَ هذينِ الرجلينِ، فبايعوا أيهما شئتم**».

قلنا: ليس حصولُ البشارةِ بشيءٍ أن يُطْلَبَ في الواقع، كما أنَّ النبي ﷺ علمَ أنَّ عائشةَ رضي الله عنها ستكونُ من زوجاته ﷺ، لكن مع ذلك لم يَسْعَ ﷺ أن يتزوّجَها، بل قال: «**إِنْ يَكُنْ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ يُمْضِهِ**»[1].

وأحوالُ أهل الله في مثل هذه المسألة تختلفُ، تارةً يسعون لنيل ما بُشِّروا به وثوقاً بحصوله، وتارة يتوقَّفون وينتظرون تدبيرَ الغيب: بأيِّ طريق يُتِمُّ اللهُ تلك البشارة؟ وفي أيِّ قالب ينفخ هذه الروح المُبَشَّر بها، ولهذا اختار الصدّيقُ رضي الله عنه التوقفَ، ليكون بعيداً عن حظّ النفس، أو بسبب آخر يشبه ذلك.

إثبات أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه خلافة نفسه بالسوابق الإسلامية:

- وأما إثباته رضي الله عنه خلافته بالسوابق الإسلامية:

- فقد أخرج **الترمذي** عن **أبي سعيد** قال: قال أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه: ألستُ أحقَّ الناس بها؟ ألستُ أوّلَ مَنْ أسلم؟ ألستُ صاحِبَ كذا؟ ألستُ صاحِبَ كذا؟[2].

- وأما استدلاله رضي الله عنه على منع توقّف الناس عن بيعته عقب البيعة العامّة يلزمُ شقّ عصا المسلمين.

فقد أخرج **الحاكم** عن **أبي سعيد** في قصة طويلة: فلمّا قعد أبو بكر على المنبر نظر في وجوه القوم، فلم يرَ علياً فسأل عنه، فقام ناسٌ من الأنصار فأتوا به، فقال أبو بكر: ابن عمِّ رسول الله ﷺ وخِتْنِهِ! أردتَ أن

---

(١) «صحيح البخاري» رقم: (٣٨٥٩، ٥٠٧٨، ٥١٢٥)، «صحيح مسلم» رقم: (١٤٢٢، ٢٤٣٨)، والرواية بتمامها بلفظ مسلم: عن عائشة أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**أُريتُكِ في المنام ثلاثَ ليالي، جاءني بك الملكُ في سَرِقةٍ من حرير، فيقول: هذه امرأتُكَ، فأكشفُ عن وجهِك، فإذا أنتِ هيَ، فأقول: إنْ يكُ هذا مِنْ عندِ اللهِ يُمْضِهِ**».

(٢) «سنن الترمذي» رقم: (٣٦٦٧)، «مسند البزّار» (١/ ٩٤) واللفظ له.

تشقَّ عصا المسلمين؟ فقال: لا تثريبَ يا خليفةَ رسولِ اللهِ ﷺ! فبايعه، ثم لم يرَ الزبيرَ بنَ العوّام، فسأل عنه حتَّى جاؤوا به، فقال: ابنَ عمّةِ رسول الله ﷺ وحواريه! أردت أن تشقَّ عصا المسلمين؟ فقال مثل قوله: لا تثريبَ يا خليفةَ رسولِ اللهِ ﷺ! فبايعاه(١).

إثبات أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه خلافة عمر بأفضليته:

• وأما إثباته رضي الله عنه خلافة عمر الفاروق بأفضليته:

• فقد أخرج **الترمذي** عن **جابر بن عبد الله** قال: قال عمرُ لأبي بكر: يا خيرَ النّاسِ بعد رسولِ اللهِ ﷺ!

فقال أبو بكر: أما إنَّك إنْ قلتَ ذاك فلقد سَمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**ما طلعتِ الشمسُ على رجلٍ خيرٌ من عمرَ**»(٢).

• وأخرج **أبو بكر بن أبي شيبة** عن **زبيد بن الحارث** أنَّ أبا بكر حين حضره الموتُ أرسل إلى عمر يستخلفه، فقال الناسُ: تستخلِفُ علينا فظاً غليظاً، ولو قد وَلِينَا كانَ أفظَّ وأغلظَ، فما تقولُ لربِّكَ إذا لقيتَه، وقد استخلفتَ علينا عمرَ.

قال أبو بكر: أبربي تُخَوِّفونني، أقول: اللَّهُمَّ استخلفتُ عليهم خيرَ خلقك... الحديث(٣).

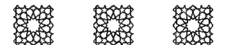
• وأخرج **أبو بكر بن أبي شيبة** عن **محمد** عن **رجل من بني زريق**، في قصة طويلة، قال أبو بكر لعمر: أنتَ أقوى منِّي، فقال عمر: أنتَ أفضلُ منِّي(٤).

ولا شك أن الذي ينظر بعين الإنصاف في هذه الآثار يتأكد عنده

---

(١) «المستدرك»، للحاكم (٣/ ٨٠).
(٢) «سنن الترمذي» رقم: (٣٦٨٤).
(٣) «مصنف ابن أبي شيبة» (٨/ ٥٧٤).
(٤) «مصنف ابن أبي شيبة» (٨/ ٥٧٣).

القبول بأنَّ هذه الأوصاف المذكورة لها تأثيرٌ خاص في إثبات **الخلافة الخاصة**، التي وجدت في الطبقة الأولى من هذه الأمة، وإلا لكانَ ذكرُ هذه الكلمات في مبحث إثبات الخلافة لغواً، وخارجاً عن قاعدة البيان والكلام.






مسند عمر بن الخطاب(١) رضي الله عنه

روايات في شروط الخلافة:

• أما شروط الخلافة:

• فقد أخرج أبو يوسف عن أبي المليح بن أبي أسامة الهذلي قال: خطب عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه فقال: أيّها الناس! إنَّ لكم علينا حقَّ النصيحةِ بالغيبِ، والمعونةِ على الخيرِ، أيُّها الرعاء! إنَّه ليسَ من حلمٍ أحبَّ إلى الله، ولا أعمَّ نفعاً من حلمِ إمامٍ ورِفْقِه، وليس من جهلٍ أبغضَ إلى اللهِ، وأعمَّ ضرراً من جهل إمامٍ وخرقه، وإنَّه مَنْ يأخذ بالعافيةِ فيما بين ظهرانيه يعطَ العافيةَ مِنْ فوقه(٢).

• وأخرج أبو يوسف عن عثمان بن عطاء الكلاعي عن أبيه قال: خطب عمرُ الناسَ، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: أما بعدُ: فإنِّي

(١) هو: أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، معجزةٌ من معجزات الرسول ﷺ، ومن بدائع العالم في رجاحة العقل، وحصافة الرأي، وحسن السياسة، إلى العبقرية والعصامية، إلى الدين والتقوى، والمثل الكامل للحاكم العادل، والجمع بين الدين والدنيا، كان من فتوحه العلم والفقه، ومن جنوده الخطابة والبلاغة، ولد بعد عام الفِجَار الأعظم بأربع سنين، وذلك قبل المبعث النبوي بثلاثين سنة، وقيل بدون ذلك، ذكر خليفة بن خياط بسندٍ له أنّه ولد بعد الفيل بثلاث عشرة سنة، وكانت إليه السفارة في الجاهلية، وكان عند المبعث شديداً على المسلمين، ثم أسلم، فكان إسلامه فتحاً على المسلمين، قال عبد الله بن مسعود: وما عبدنا الله جهرةً حتى أسلم عمر، وتوفي شهيداً سنة ٢٣هـ. انظر: «الإصابة» (٢/ ٥١٨).

(٢) «كتاب الخراج»، لأبي يوسف (١/ ١٣).

أوصيكم بتقوى الله الذي يبقى، ويهلكُ مَنْ سواه، الذي بطاعته ينفع أولياؤه، وبمعصيته يضرُّ أعداؤه، فإنَّه ليس لهالكٍ هَلَك معذرةٌ في تعمُّدِ ضلالةٍ حسبها هُدًى، ولا في تركِ حقٍّ حسبَه ضلالةً.

وإنَّ أحقَّ ما تعاهدَ الراعي من رعيته تعاهدُهم بالذي للهِ عليهم في وظائف دينهم، التي هداهم الله لها، وإنَّما علينا أن نأمرَكم بما أمرَكم الله به من طاعته، وأنْ ننهاكم عمَّا نهاكم الله عنه من معصيته، وأن نقيمَ أمرَ الله في قريبِ الناسِ وبعيدِهم، ولا نبالي على مَنْ كان[(١)] الحق.

ألا وإنَّ اللهَ فرضَ الصلاةَ، وجعل لها شروطاً، فمن شروطها: الوضوءُ، والخشوعُ، والركوعُ، والسجودُ.

واعلموا أيها الناس! أنَّ الطمع فقرٌ، وأنَّ اليأسَ غنًى، وفي العزلةِ راحةٌ من خلطاءِ السوءِ.

واعلموا أنَّه مَنْ لم يرَض عن الله فيما كَرِهَ من قضائه لم يؤدِّ إليه فيما يحبُّ كُنْهَ شُكْرِهِ.

واعلموا أنَّ لله عباداً يميتونَ الباطلَ بِهَجْرِهِ، ويُحْيُون الحقَّ بِذِكْرِهِ، رُغِّبوا فرغِبوا، ورُهِّبوا فرهبوا، إن خافوا فلم يأمنوا، أبصروا من اليقين ما لم يعاينوا، فخلصوا بما لم يزايلوا، أخلصهم الخوفُ فهجروا ما ينقطِعُ عنهم، الحياةُ عليهم نقمة[(٢)]، والموتُ لهم كرامةٌ[(٣)].

• وأخرج **أبو يوسف** عن **الزهري** قال: جاء رجلٌ إلى عمر بن الخطاب ﵁، فقال له: يا أميرَ المؤمنين! لا أبالي في اللهِ لومةَ لائم خيرٌ لي، أمْ أقبل على نفسي؟.

---

(١) في الأصل الفارسي: «قال» مكان «كان».

(٢) في الأصل الفارسي: «نقمة» مكان «نعمة».

(٣) «كتاب الخراج»، لأبي يوسف (١/ ١٣ ـ ١٤).

فقال: أمَّا مَنْ تولَّى من أمر المؤمنين شيئاً فلا يخفْ في اللهِ لومةَ لائم، ومَنْ كان خلواً من ذلك فليقبل على نفسِهِ، ولينصحْ لولي أمرِهِ"[١].

وأخرج **أبو يوسف** عن **سعيد بن أبي بُردة** قال: كتب عمر بن الخطاب ﷺ إلى أبي موسى: أما بعدُ، فإنَّ أسعدَ الرعاةِ عندَ الله من سعدت به رعيته، وإنَّ أشقى الرعاةِ عندَ الله من شقيت به رعيتُه، وإيَّاك أن ترتعَ فترتعَ عمّالك، فيكونَ مثلُك عندَ الله مثل البهيمةِ! نظرتْ إلى خُضْرَةٍ من الأرض، فرتعتْ فيها، تبتغي بذلك السِّمنَ، وإنَّما حتفها في سمنها، والسلام[٢].

• وأخرج **أبو يوسف** عن رجل عن عمر ﷺ قال: لا يقيمُ أمرَ الله إلَّا رجلٌ لا يضارِعُ، ولا يصانِعُ، ولا يتّبع المطامعَ. ولا يقيمُ أمرَ اللهِ إلَّا رجلٌ لا ينتقصَ غَرْبَه، ولا يكظم في الحق على حزبه[٣].

• وقال **أبو يوسف**: حدّثني محمد بن إسحاق قال: حدثني من سمع **طلحة بن معدان** اليعمري قال: خطبنا عمر بن الخطاب ﷺ فحمد الله، وأثنى عليه، ثم صلّى على النبي ﷺ، وذكر أبا بكر الصدِّيق فاستغفر له، ثم قال: أيُّها الناسُ! إنَّه لم يبلغْ ذو حقٍّ في حقِّه أن يطاعَ في معصيةِ اللهِ، وإنِّي لم أجد في هذا المال مصلحةً إلا خلالاً ثلاثاً: أن يُؤْخَذَ بالحقِّ، ويُعطى في الحقِّ، ويُمنع من الباطلِ، وإنَّما أنا ومالكم كولي اليتيم، إنِ استغنيتُ استعففتُ، وإن افتقرتُ أكلتُ بالمعروف، ولستُ أدعُ أحداً يظلمُ أحداً، ولا يعتدي عليه، حتَّى أضع خدَّه على

---

(١) «كتاب الخراج» لأبي يوسف (١/ ١٥).
(٢) «كتاب الخراج» لأبي يوسف (١/ ١٥).
(٣) «كتاب الخراج» لأبي يوسف (١/ ١٥).

الأرض، وأضعَ قدمي على الخدِّ الآخر حتَّى يذعنَ للحقِّ[١].

ولكم عليَّ أيُّها الناس! خصالٌ أذكُرها لكم فخذوني بها: لكم عليّ أنْ لا أجتبي شيئاً من خراجكم، ولا ما أفاء الله عليكم، إلا من وجهه، ولكم عليّ إذا وقع في يدي أن لا يخرجَ منِّي إلّا في حقِّه، ولكم عليّ أن أزيدَ أعطياتكم وأرزاقكم إن شاء الله وحدَه، وأسدَّ لكم ثغورَكم، ولكم عليّ أن لا أُلقيَكم في المهالك ولا أجمِّركم[٢] في ثغورِكُم، وقد اقتربَ منكم زمانٌ، قليلٌ الأمناءِ، كثيرٌ القرّاءِ، قليلٌ الفقهاءِ، كثيرُ الأملِ، يَعْمَلُ فيه أقوامٌ للآخرة يطلبون به دنيا عريضة، تأكل دينَ صاحِبِها، كما تأكلُ النارُ الحطبَ، ألا فمن أدركَ ذلك منكم فليتّقِ اللهَ ربَّه وليصبرْ.

يا أيُّها الناس! إنَّ الله عظّم حقَّه فوق حقّ خلقه، فقال فيما عظم من حقه: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آل عمران]، ألا وإنِّي لم أبعثكم أمراء ولا جبارين، ولكنْ بعثتُكم أئمةَ الهدى، يُهتدى بكم، فَأَدِرُّوا على المسلمين حقوقهم، ولا تضربوهم فتُذلُّوهم، ولا تحمدوهم فتفتنوهم، ولا تغلقوا الأبواب دونهم، فيأكل قويُّهم ضعيفَهم، ولا تستأثروا عليهم فتظلموهم، ولا تجهلوا عليهم، وقاتلوا بهم الكفّارَ طاقتهم، فإذا رأيتُم بهم كلالةً، فكُفُّوا عن ذلك، فإنَّ ذلك أبلغُ في جهادِ عدُّوكم.

أيها الناس! إني أشهدكم على علماء الأمصار أني لم أبعثهم إلا ليفقِّهوا الناس في دينهم، ويقسموا عليهم فيئهم، ويحكموا بينهم، فإن أشكلَ شيءٌ رفعوه إليَّ.

---

(١) في الأصل الفارسي: «بالحق».

(٢) تجمير الجيش: جمعهم في الثغور وحبسهم عن العدو لأهلهم. انظر: «النهاية» (١/ ٢٨٦).

قال: وكان عمرُ بنُ الخطاب ﷺ يقول: لا يصلحُ هذا الأمرُ إلَّا بشدّةٍ في غير تجبُّر، ولينٍ في غير وَهنٍ[١].

• وأخرج **أبو يعلى** عن **عمر** قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبِرُكم بخيارِ أئمتِكم من شرارِهم؟ الذين تحبُّونهم ويحبُّونكم، ويدعون لكم وتدعون لهم، وشرارُ أئمتِكُم الذين تبغضونَهم ويبغضونَكم، وتلعنونهم ويلعنونكم**»[٢].

ضلال الطاعنين في الخلافة الخاصة:

• وأخرج **مسلم وأبو يعلى** وغيرهما؛ أن عمر بن الخطاب ﷺ خطب يوم جمعة، فذكر نبيَّ الله ﷺ، وذكر أبا بكر، فقال: إنِّي رأيتُ كأنَّ ديكاً نقرني نقرةً أو نقرتين، وإنِّي لا أُراه إلا لحضورِ أجلي، وإنَّ أقواماً يأمرونني أن أستخلفَ، وإنَّ الله لم يكن لِيُضيّعَ دينَه، ولا خلافتَهُ، ولا الذي بعثَ به نبيَّه ﷺ.

وإني قد علمتُ أن أقواماً سيطعنون في هذا الأمر، أنا ضربتهم بيدي هذِهِ على الإسلامِ، فإن فعلوا فأولئك أعداء الله الكفار الضلال، فإن عجل بي أمر، فالخلافةُ شورى بين هؤلاء النفر الذين توفِّي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض[٣]، الحديث.

قوله: و«**إن الله لم يكن ليضيّع دينه**» هذا فيما أرى في الخلافة الخاصّة فقط، وإلا ففي أيام **الخلافة العامة** قال: «قد اقتربَ منكم زمانٌ قليل الأمناء...» إلخ.

---

(١) «كتاب الخراج» لأبي يوسف (١/١٣٩).

(٢) «مسند أبي يعلى» (١/١٤٨) رقم: (١٦١).

(٣) «صحيح مسلم» رقم: (٥٦٧)، «مسند أبي يعلى» (١/١٧٤) رقم: (١٧١).

قوله: «**إن أقواماً سيطعنون في هذا الأمر**» هذا فيما أرى إشارةٌ إلى انتقال الخلافة الخاصة إلى العامة، وأن يتصدَّى لها مَنْ ليس من المهاجرين الأولين.

وقوله: «**أولئك أعداء الله الضلال**» تهديدٌ وتخويفٌ، فلم يُرِدْ حقيقةَ الكفر، والله أعلم.

• وأخرج **البخاري**[(١)] **وأبو يعلى** وغيرهما عن **عبد الرحمٰن بن أبي ليلى** قال: خرجتُ مع عمر بن الخطاب ﷺ إلى مكة، فاستقبلنا أميرُ مكة نافع بن علقمة [وسمي بعم له يقال له: نافع[(٢)]].

فقال: من استخلفت على مكة؟

قال: استخلفت عليها عبد الرحمٰن بن أبزى.

قال: عمدت إلى رجل من الموالي فاستخلفته على مَنْ بها من قريشٍ وأصحاب رسول الله ﷺ؟

قال: نعم، وجدته أقرأهم لكتاب الله، ومكةُ أرضٌ محتضرةٌ، فأحببت أن يسمعوا كتابَ اللهِ من رجل حسن القراءة.

قال: نِعْمَ ما رأيتَ، إنَّ اللهَ يرفعُ بالقرآنِ أقواماً، ويضعُ بالقرآنِ أقواماً، وإنَّ عبد الرحمٰن بن أبزى ممَّن رفعه الله بالقرآن[(٣)].

وفي رواية: فغضب عمرُ حتَّى قام في الغرز، فقال: أتستخلفُ على آلِ اللهِ عبدَ الرحمٰن بن أبزى؟ قال: إنِّي وجدته أقرأهم لكتابِ الله، وأفقههم في دين الله، فتواضعَ لها عمرُ حتَّى اطمأنَّ على رحلِهِ، فقال:

---

(١) لم أجد هذه الرواية في «صحيح البخاري»، ولكن وجدتها في «صحيح مسلم» رقم: (٨١٧)، و«سنن ابن ماجه» رقم: (٢١٨).

(٢) لا يوجد في الأصل الفارسي.

(٣) «مسند أبي يعلى» (١/ ١٨٦) رقم: (٢١١)، و«تهذيب الآثار» للطبري (٣/ ١٢٢).

لئن قلتَ ذاك، لقد سمعتُ رسول اللهِ ﷺ يقول: **«إنَّ اللهَ سيرفعُ بهذا الدِّينِ أقواماً، ويضعُ به آخرينَ»**[(١)].

❁ أفضلية أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه ثابتة من أقوال عمر رضي الله عنه بالتواتر:

• أفضليةُ الصدّيقِ ثابتةٌ بأقوال عمرَ بالتواتر، منها حديث عائشة.

• فقد أخرج **البخاري** عن **عائشة** رضي الله عنها في قِصّةِ الاتفاق على أبي بكر: ثم تكلَّم أبو بكر، فتكلَّمَ أبلغَ الناس، فقال في كلامه: نحنُ الأمراءُ، وأنتم الوزراء، فقال حُبابُ بن المنذر: لا واللهِ لا نفعلُ، منّا أميرٌ، ومنكم أميرٌ، فقال أبو بكر: لا ولكنّنا الأمراءُ، وأنتم الوزراءُ، هم أوسطُ العربِ داراً، وأعربهم أحساباً، فبايعوا عمرَ أو أبا عبيدة بن الجراح، فقال عمرُ: بل نبايعك أنتَ، فأنت سيدُنا وخيرُنا وأحبُّنا إلى رسول الله ﷺ، فأخذ عمرُ بيده، فبايعه وبايعه الناس[(٢)].

• وأخرج **الحاكم** عن هشام بن عروة عن أبيه عن **عائشة** رضي الله عنها عن عمر رضي الله عنه قال: كان أبو بكر سيّدنَا وخيرَنا وأحبَّنا إلى رسول الله ﷺ[(٣)].

• ومن حديث ابن عباس أخرج **البخاري** عن **ابن عباس** قول عمر رضي الله عنه في قصة الاتفاق على أبي بكر: ثم إنَّه بلغني أنَّ قائلاً منكم يقول: والله لَوْ مَاتَ عُمَرُ بَايَعْتُ فُلَاناً، فَلَا يَغْتَرَّنَّ امْرُؤٌ أَنْ يَقُولَ: إنَّما كَانَتْ بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ فَلْتَةً وَتَمَّتْ، أَلَا وَإِنَّهَا قَدْ كَانَتْ كَذَلِكَ، وَلَكِنَّ اللهَ وَقَى شَرَّهَا، وَلَيْسَ مِنْكُمْ مَنْ تُقْطَعُ الأَعْنَاقُ إِلَيْهِ مِثْلُ أَبِي بَكْرٍ.

---

(١) «مسند أبي يعلى» (١/ ١٨٥) رقم: (٢١٠).

(٢) «صحيح البخاري» رقم: (٣٦٦٨). (٣) «المستدرك» (٣/ ٦٩).

وفي هذا الحديث أيضاً قال أبو بكر: وَقَدْ رَضِيتُ لَكُمْ أَحَدَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ، فَبَايِعُوا أَيَّهُمَا شِئْتُمْ، فَأَخَذَ بِيَدِي وَبِيَدِ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ وَهُوَ جَالِسٌ بَيْنَنَا، فَلَمْ أَكْرَهْ مِمَّا قَالَ غَيْرَهَا، كَانَ وَاللهِ أَنْ أُقَدَّمَ فَتُضْرَبَ عُنُقِي لَا يُقَرِّبُنِي ذَلِكَ مِنْ إِثْمٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَأَمَّرَ عَلَى قَوْمٍ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ تُسَوِّلَ إِلَيَّ نَفْسِي عِنْدَ الْمَوْتِ شَيْئاً لَا أَجِدُهُ الْآنَ[(١)].

• ومن حديث أنس أخرج **البخاري** عن **أنس بن مالك** ﷺ؛ أنه سمع خطبةَ عمر الآخرة، حين جلس على المنبر، وذلك الغد من يوم تُوفِّي النبي ﷺ، فتشهّدَ وأبو بكر صامتٌ لا يتكلّم، قال: كنتُ أرجو أن يعيشَ رسولُ اللهِ ﷺ حتّى يَدْبُرَنا، يريدُ بذلك أن يكون آخرَهم، فإن يكُ محمّدٌ ﷺ قد مات، فإن الله تعالى قد جعلَ بين أظهركم نوراً تهتدون به بما هدى الله محمّداً ﷺ وإنَّ أبا بكر صاحبُ رسول الله ﷺ وثاني اثنين، فإنَّه أولى المسلمين بأموركم، فقوموا فبايعوه، وكانت طائفةٌ منهم قد بايعوه قبل ذلك في سقيفة بني ساعدة، وكانت بيعةُ العامّةِ على المنبر[(٢)].

• ومن حديث شيبة، أخرج **البخاري** عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ: جَلَسْتُ مَعَ **شَيْبَةَ** عَلَى الْكُرْسِيِّ فِي الْكَعْبَةِ، فَقَالَ: لَقَدْ جَلَسَ هَذَا الْمَجْلِسَ عُمَرُ ﷺ فَقَالَ: لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ لَا أَدَعَ فِيهَا صَفْرَاءَ وَلَا بَيْضَاءَ إِلَّا قَسَمْتُهُ، قُلْتُ: إِنَّ صَاحِبَيْكَ لَمْ يَفْعَلَا، قَالَ: هُمَا الْمَرْءَانِ أَقْتَدِي بِهِمَا[(٣)].

• ومن حديث **رجل من بني زريق** في قصة الاتفاق على أبي بكر، أخرج **أبو بكر بن أبي شيبة**، قال عمر: فبايعوا أبا بكر، فقال أبو بكر لعمر: أنت أقوى مني، فقال عمر: أنت أفضلُ مني، فقالاها الثانية، فلمّا كانت الثالثة، قال له عمر: إنّ قوتي لكَ مع فضلك، قال:

---

(١) «صحيح البخاري» رقم: (٦٨٣٠).
(٢) «صحيح البخاري» برقم: (٧٢١٩).
(٣) «صحيح البخاري» برقم: (١٥٩٤).

فبايعوا أبا بكر[١].

• ومن حديث جابر بن عبد الله، أخرج **الترمذي** عن **جابر بن عبد الله** قال: قال عمر لأبي بكر: يا خيرَ الناسِ بعد رسول اللهِ، فقال أبو بكر: أما إنّك إن قلتَ ذاك فلقد سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**ما طلعتِ الشمسُ على رجلٍ خيرٌ من عُمَرَ**»[٢].

• ومن حديث **علقمة بن قيس وقيس بن مروان**، أخرج **أبو يعلى** عن **علقمة وقيس بن مروان** كليهما في فضائل عبد الله بن مسعود عن عمر، قال: فغدوتُ إليه لأبشِّره، فوجدت أبا بكر قد سبقني إليه فبشَّره، ولا واللهِ ما سابقته إلى خيرٍ قطّ إلا سبقني إليه[٣].

• وفي «**مشكاة المصابيح**» عن عمر: ذُكِر عنده أبو بكر فبكى وقال: وددتُ أن عملي كلّه مثل عمله يوماً واحداً من أيامه، وليلةً واحدةً من لياليه.

أما ليلته فليلة سار مع رسول الله ﷺ إلى الغار، فلما انتهيا إليه قال: واللهِ لا تدخله حتَّى أدخلَ قبلك، فإن كان فيه شيءٌ أصابني دونك، فدخلَ، فكسحه، ووجد في جانبه ثُقباً، فشقّ إزاره وسدَّها به، وبقي منها اثنان فألقمهما[٤] رجليه.

ثم قال لرسول الله ﷺ: ادخل، فدخل رسول الله ﷺ ووضع رأسه في حجره ونام، فلُدِغَ أبو بكر في رجله من الجحر، ولم يتحرّك مخافةَ أن ينتبه رسولُ اللهِ ﷺ، فسقطت دموعُه على وجه رسول الله ﷺ، فقال: «**ما لَك يا أبا بكر؟**» قال: لُدِغْتُ ـ فداك أبي وأمي ـ فتفلَ رسولُ اللهِ ﷺ

---

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٨/ ٥٧٣). (٢) «سنن الترمذي» برقم: (٣٦٨٤).

(٣) «مسند أبي يعلى» (١/ ١٧٢) رقم: (١٩٤).

(٤) في الأصل الفارسي «فألقمها»، ولعلّه تصحيف.

فذهبَ ما يجده[١]، ثم انتقضَ عليه، وكان سببَ موته.

وأما **يومه**، فلمَّا قُبِض رسول الله ﷺ ارتدَّت العربُ، وقالوا: لا نؤدِّي زكاة، فقال: **لو منعوني عقالاً لجاهدتهم عليه**، فقلت: يا خليفة رسول الله ﷺ! تألَّفِ الناسَ، وارفقْ بهم، فقال لي: أجبَّارٌ في الجاهليةِ، وخوَّار في الإسلام؟ إنّه قد انقطعَ الوحيُ، وتمَّ الدِّينُ، أيُنقص وأنا حيّ؟ رواه **رزين**[٢].

۞ استدلال عمر رضي الله عنه على خلافة أبي بكر رضي الله عنه بإمامة الصلاة:

• وأما استدلاله على خلافة الصديق رضي الله عنه بتفويض النبي ﷺ إمامةَ الصلاة إليه.

• فقد أخرج **الحاكم وأبو بكر** عن عاصم عن زِرّ عن **عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه قال: لمّا قُبِضَ رسولُ اللهِ ﷺ قالت الأنصار: مِنّا أميرُ ومنكم أميرٌ، قال: فأتاهم عمرُ رضي الله عنه، فقال: يا معشرَ الأنصار! ألستُم تعلمونَ أنَّ رسول الله ﷺ قد أمرَ أبا بكر يؤمُّ الناسَ، فأيُّكم تطيبُ نفسُه أن يتقدّم أبا بكر رضي الله عنه؟ فقالت الأنصارُ: نعوذُ باللهِ أن نتقدّمَ أبا بكر[٣].

• وأخرج **أحمد** عن **رافع الطائي** رفيق أبي بكر في غزوة السلاسل قال: وسألتُه عمَّا قيل من بيعتهم، فقال وهو يحدّثه عما تكلّمتْ به الأنصارُ، وما كلَّمهم به، وما كلَّم به عمرُ بنُ الخطاب الأنصارَ، وما ذكَّرهم به من إمامتي إياهم بأمر رسول الله ﷺ في مرضه، فبايعوني

---

(١) في الأصل الفارسي: «ما يجد» بدون «ه».

(٢) «مشكاة المصابيح» (٣/ ٣١٣) رقم: (٦٠٢٥).

(٣) «المستدرك» (٣/ ٧٠)، «مصنف ابن أبي شيبة» (٨/ ٥٧٢).

لذلك، وقبلتُها منهم، وتخوَّفتُ أن تكونَ فتنةً تكون بعدَها ردَّةٌ[(١)].

❁ استدلاله على خلافة أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه بسوابقه الإسلامية:

• وأما استدلاله على خلافة الصدّيق بسوابقه الإسلامية:

• فقد أخرج **أبو بكر** عن **ابن عباس** في قصّةِ الاتفاق على أبي بكر، قال: ثم قلتُ[(٢)]: يا معشر الأنصار! يا معشر المسلمين! إنّ أولى الناس بأمر رسول الله ﷺ من بعده ثاني اثنين إذ هما في الغار

(١) «مسند أحمد» (١/٨) رقم: (٤٢).

(٢) القائل هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهذه الرواية قطعةٌ من رواية طويلةٍ وهي بكاملها هكذا: عن **ابن عباس** قال: كنتُ أختلفُ إلى عبد الرحمٰن بن عوف ونحن بمنًى مع عمر بن الخطاب، أعلم عبد الرحمٰن بن عوف القرآن، فأتيتُه في المنزلِ فلم أجدْه فقيل: هو عند أمير المؤمنين، فانتظرته حتّى جاء فقال: معشرَ قريش! منّا أمير ومنكم أمير، فقام الحُبابُ بنُ المنذر فقال: أنا جَذِيلُها المحكَّكُ، وعذيقُها المرجَّبُ، إن شئتم واللهِ رددناها جذعةً، فقال أبو بكر: على رِسْلِكم، فذهبتُ لأتكلّم فقال: أنصت يا عمرُ! فحمدَ الله، وأثنى عليه ثم قال: يا معشرَ الأنصار! إنّا واللهِ ما ننكر فضلَكم، ولا بلاءكم في الإسلام، ولا حقّكم الواجبَ علينا، ولكنّكم قد عرفتُم أنّ هذا الحيَّ من قريشٍ بمنزلةٍ من العرب ليس بها غيرُهم، وأنَّ العربَ لن تجتمعَ إلا على رجلٍ منهم، فنحن الأمراء، وأنتم الوزراءُ، فاتّقوا اللهَ ولا تصدِّعوا الإسلامَ، ولا تكونوا أول من أحدثَ في الإسلام، ألا وقد رضيتُ لكم أحدَ هذين الرجلينِ لي ولأبي عبيدة بن الجراح، فأيُّهما بايعتُم فهو لكم ثقةٌ، قال: فواللهِ ما بقيَ شيءٌ كنت أحبُّ أنْ أقولَه إلا وقد قاله يومئذٍ، غيرَ هذه الكلمة، فواللهِ لأنْ أقتلَ ثم أحيا ثم أقتلَ ثم أحيا في غير معصيةٍ أحبُّ إليَّ من أن أكونَ أميراً على قومٍ فيهم أبو بكر، قال: ثم قلتُ: يا معشرَ الأنصار! يا معشرَ المسلمين! إنَّ أولى الناسِ بأمر رسولِ اللهِ ﷺ من بعده ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ أبو بكر، السبّاقُ المبينُ، ثم أخذَتُ بيده، وبادرني رجلٌ من الأنصار فضربَ على يده قبل أن أضربَ على يدِهِ، ثم ضربتُ على يده، وتتابع الناسُ، ومِيْلَ علَى سعد بن عبادة، فقال الناسُ: قُتِلَ سعدٌ، فقلت: اقتلوه قتله الله، ثم انصرفنا وقد جمعَ اللهُ أمرَ المسلمين بأبي بكر، فكانت لعَمْرُ اللهِ كما قلتم، أعطى اللهُ خيرَها، ووقى شرّها، فمن دعا إلى مثلها فهو للذي لا بيعةَ له، ولا لمن بايعه. انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/٤٣١) رقم: (٣٧٠٤٣).

أبو بكر السبّاق المبين، ثم أخذت بيده، وبادرني رجلٌ من الأنصار، فضربَ على يده قبل أنْ أضربَ على يده ثم ضربتُ على يده وتتابعَ الناسُ[١].

استدلاله على الخلافة الخاصة للخلفاء لظهور الإسلام فيها:

• وأمّا فهمه للخلافة الخاصّة للخلفاء لوقوع خلافتهم في أيام ظهور الإسلام وقوته:

• فقد أخرج **أبو يعلى** عن **علقمة بن عبد الله المُزني** عن رجل قال: كنتُ بالمدينةِ في مجلسٍ فيه عمر بن الخطاب، فقال لبعض جلسائه: كيف سمعتَ رسولَ اللهِ ﷺ يصفُ الإسلام؟ فقال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**إنَّ الإسلامَ بَدَأَ جَذْعاً**[٢]**، ثم ثَنِياً**[٣]**، ثم رُباعِياً**[٤]**، ثم سديساً**[٥]**، ثم بازلاً**»[٦]، فقال عمر: فما بعدَ البزولِ إلا النقصان[٧]، وهذا موافق لمعنى الآية ﴿أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ﴾ [الفتح: ٢٩].

---

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٤٣١) رقم: (٣٧٠٤٣).

(٢) هو من الإبل ما تمّ له أربع سنين، ومن البقر والمعز ما تمّ له سنة، وقيل: من البقر ما له سنتان، ومن الضأن ما تَمّت له سنة، «مجمع بحار الأنوار» (١/ ٣٣٤).

(٣) هو من الغنم ما دخل في السنة الثالثة، ومن البقر والإبل ما دخل في السادسة، «مجمع بحار الأنوار» (١/ ٣٠٨).

(٤) هو من الإبل ما طلعت رباعيته، وكذا الرباع والأنثى رباعية فهو بخفة ياء وذا إذا دخلا في السنة السابعة، «مجمع بحار الأنوار» (٢/ ٢٨٣).

(٥) هو من الإبل ما دخل في السنة الثامنة، وذلك إذا ألقى السنَّ التي بعد الرباعية، «مجمع بحار الأنوار» (٣/ ٥٦).

(٦) هو من الإبل ما تمَّ له ثمان سنين، وحينئذٍ يطلع نابه، وتكمل قوته، ثم يقال بعد ذلك: بازلُ عامٍ وبازلُ عامين، «مجمع بحار الأنوار» (٣/ ١٨٠).

(٧) «مسند أبي يعلى» (١/ ١٧١) رقم: (١٩٢).

❁ استدلاله على الخلافة الخاصة للخلفاء بحديث القرون الثلاثة:

• وأما فهمه للخلافة الخاصة للخلفاء بحديث القرون الثلاثة:

• فقد أخرج **الترمذي** عن **ابن عمر** قال: خطبنا عمرُ بالجابيةِ فقال: يا أيها الناس! إنِّي قمتُ فيكم كمقام رسولِ اللهِ ﷺ فينا، فقال: «**أوصيكم بأصحابي، ثم الذين يلونَهم، ثم الذين يلونَهم، ثم يفشو الكَذِبُ حتَّى يحلفَ الرجلُ ولا يُستحلفُ، ويشهدُ الشاهِدُ ولا يُستشهَدُ**»[(١)].

❁ استدلاله على الخلافة الخاصة لنفسه لعدم وقوع الفتنة في عهده:

• وأما فهمه للخلافة الخاصّةِ لنفسه لعدم وقوع الفتنة في حياته، فقد أخرجَ **البخاريُّ** عن شقيق سمعتُ حذيفةَ يقول: بينا نحنُ جلوسٌ عند عمر رضي الله عنه إذ قال: أيُّكم يحفظُ قول النبيِّ ﷺ في الفتنة؟ قال: قلتُ: فتنة الرجلِ في أهلِهِ ومالِهِ وولدِه وجارِه، تكفِّرها الصلاةُ والصدقةُ والأمرُ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ، قال: ليس عن هذا أسألك، ولكن التي تموجُ كموجِ البحرِ، قال: ليس عليكَ منها بأسٌ يا أميرَ المؤمنين! إنَّ بينك وبينها باباً مغلقاً، قال عمرُ: أيُكسر البابُ أم يُفتَحُ؟ قال: لا، بل يُكسَرُ، قال عمر: إذاً لا يُغلق أبداً، قلت: أجل، قلنا لحذيفة: أكان عمر يعلمُ البابَ؟ قال: نعم، كما أعلمُ أنَّ دون غدٍ ليلةٌ، وذلك أني حدَّثته حديثاً ليسَ بالأغاليط، فهبنا أن نسأله مَنِ البابُ؟ فأمرنا مسروقاً، فسأله فقال: مَنِ البابُ؟ قال: عمر[(٢)].

---

(١) «سنن الترمذي» رقم: (٢١٦٥).

(٢) «صحيح البخاري» رقم: (٧٠٩٦).

۞ استدلاله على خلافته بمحدَّثيته:

• وأما استدلاله على خلافته بمحدَّثيته، وموافقة الوحي لرأيه:

• فقد أخرج **مسلم** عن **ابن عمر** قال: قال عمر: وافقتُ ربِّي في ثلاثٍ[(١)]: في مقام إبراهيم، وفي الحجابِ، وفي أسارى بدرٍ[(٢)].

بيان أفضليته في عهد خلافته:

• وأما بيان أفضليته في زمان خلافته:

• فقد أخرج **محمد** في «الموطأ» عن **سالم بن عبد الله** قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لو علمتُ أنَّ أحداً أقوى على هذا الأمر منِّي لكان أن أقدَّمَ فيضربَ عنقي أهونُ عليَّ، فمن ولي هذا الأمرَ بعدي، فليعلمْ أن سيردَّه عنه القريب والبعيد، وايم اللهِ إن كنت لأقاتِلُ الناس عن نفسي[(٣)].

• وأخرج **مسلم** عن **سماك** عن عمر في قصة الإيلاء: وقلّما تكلَّمتُ ـ وأحمدُ الله ـ بكلامٍ إلّا رجوتُ أن يكونَ اللهُ يصدِّق قولي الذي أقول، الحديث[(٤)].

---

(١) لا تنحصِرُ موافقةُ رأي عمرَ للوحي الرباني في هذه الثلاث، بل هناك مناسباتٌ عديدةٌ وافقَ فيها رأيُ عمر الوحيَ الربانيَّ، ومن جملةِ هذه المناسبات نهي صلاة الجنازة على المنافقين، وحرمة الخمر، وقال العلماء: إنَّ المواضع التي وافق فيها رأيُ عمر وحيَ السماء هي خمسة عشر موضعاً، وكلُّ ذلك يوجد في روايات مختلفة متناثرة في كتب السُّنَّة. انظر: «صحيح البخاري» بحاشية السهارنفوري (ح: ٤٧٩٠).

(٢) «صحيح مسلم» رقم: (٢٣٩٩).

(٣) «موطأ مالك» برواية محمد بن الحسن (٣/ ٤٨٦) رقم: (٩٧٧).

(٤) «صحيح مسلم» رقم: (١٤٧٩).

جعل عمر رضي الله عنه الخلافة من بعده شورى بينهم:

• وأما بيان الخلافة مِنْ بعدِه، وحصر الشورى بين ستة نفر من أصحاب رسول الله ﷺ:

• فقد أخرج البخاري في قصة مقتل عمر، والاتفاق على عثمان من حديث **عمرو بن ميمون**، عن عمر، فقالوا: أوصِ يا أميرَ المؤمنين! استخلفْ، قال: ما أجدُ أحداً أحقُّ بهذا الأمر من هؤلاء النفر ـ أو الرهط ـ الذين تُوفِّي رسولُ اللهِ ﷺ وهو عنهم راضٍ، فسمّى علياً وعثمانَ، والزبيرَ، وطلحةَ، وسعداً، وعبدَ الرحمٰن، الحديث[1].

---

(١) «صحيح البخاري» رقم: (٣٧٠٠).




ومن مسند عثمان بن عفان[١] رضي الله عنه

استدلاله على الخلافة الخاصة للمشايخ الثلاثة:

• وأما الاستدلال على **الخلافة الخاصة** للمشايخ الثلاثة بكونهم من السابقين الأولين:

• فقد أخرج **الترمذي** عن **عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ** قَالَ: لَمَّا حُصِرَ عُثْمَانُ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ فَوْقَ دَارِهِ، ثُمَّ قَالَ: أُذَكِّرُكُمْ بِاللهِ، هَلْ تَعْلَمُونَ؟ أَنَّ حِرَاءَ حِينَ انْتَفَضَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اثْبُتْ حِرَاءُ! فَلَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ**» قَالُوا: نَعَمْ[٢].

---

(١) ولد بعد عام الفيل بست سنين على الصحيح، وكان ربعةً، حسنَ الوجهِ، رقيقَ البشر، عظيمَ اللحية، بعيدَ ما بين المنكبين، وأسلمَ قديماً، قال ابن إسحاق: كان أبو بكر مؤلفاً لقومه، فجعل يدعو إلى الإسلام مَنْ يثقُ به، فأسلم على يده فيما بلغني الزبيرُ وطلحةُ وعثمانُ، وزوَّج النبيُّ ﷺ ابنته رُقيّة من عثمان، وماتت عنده أيّامَ بدر، فزوَّجه بعدُ أختَها أمَّ كلثوم، فلذلك يلقَّب ذا النورين، جاء من أوجهٍ متواترةٍ أنّ رسول الله ﷺ، بشَّره بالجنة، وعدّه من أهل الجنة، وشهد له بالشهادة، روى عن النبي ﷺ، وعن أبي بكر، وعمر، وروى عنه أولاده عمرو، وأبان، وسعيد، وابن عمه مروان بن الحكم بن أبي العاص، ومن الصحابة ابن مسعود، وابن عمر، وابن عباس وغيرهم، وهو أول من هاجر إلى الحبشة، ومعه زوجته رُقية، قال ابن إسحاق: قُتِلَ على رأس إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهراً واثنين وعشرين يوماً من خلافته، فيكونُ ذلك في ثاني وعشرين من ذي الحجة سنة ٣٥هـ، وقتل وهو ابن اثنتين وثمانين سنة. انظر: «الإصابة» (٢/ ٤٦٢).

(٢) «سنن الترمذي» رقم: (٣٦٩٩).

وأخرج **الترمذي** عن **ثمامة بن حزن القشيري** في قصة طويلةٍ، قال عثمان: أنشدكم بالله والإسلام، هل تعلمونَ أنَّ رسول الله ﷺ كان على ثَبِيْر[١] مكة، ومعه أبو بكر وعمر وأنا، فتحرَّك الجبلُ حتَّى تساقطت حجارتهُ بالحضيضِ؟ قال: فركضَهُ برجلِه، وقال: «**اسكنْ ثَبِيْرُ! فإنَّما عليكَ نبيٌّ وصدّيقٌ وشهيدان؟**»، قالوا: اللَّهُمَّ نعم، قال: الله أكبر، شهدوا لي وربِّ الكعبة أني شهيدٌ ثلاثاً[٢].

• وأخرج **البخاري** عن **عبيد الله بن عدي** بن الخيار في قصة، قال عثمانُ: **أما بعدُ**، فإنَّ اللهَ بعثَ محمّداً ﷺ بالحقِّ، فكنتُ ممّن استجابَ لله ولرسوله، وآمنتُ بما بُعِثَ به، وهاجرتُ الهجرتين كما قلتُ[٣]، وصحبت رسولَ اللهِ ﷺ وبايعته، فواللهِ ما عصيتُه ولا غششتُه حتَّى توفَّاه الله ﷻ، ثم أبو بكر مثله، ثم عمر مثله، ثم استُخلفتُ، أفليس لي من الحقِّ مثل الذي لهم؟ قلتُ: بلى، قال: فما هذه الأحاديث التي تبلغني عنكم، (الحديث)[٤].

❁ استدلاله على منع الخروج عليه بسوابقه الإسلامية:

• وأما استدلاله على منع الخروج عليه بسوابقه الإسلامية، فقد ثبتَ عن التواترِ، وقد رواه عنه جمعٌ كثير من الناس.

• فمن رواية أبي إسحاق عن **أبي عبد الرحمٰن السلمي** عنه:

• أخرج **الترمذي** عن **أبي عبد الرحمٰن السلمي** قال: لما حُصرَ[٥]

---

(١) بفتح مثلثة وكسر موحدة، وهو جبلٌ عظيمٌ بمزدلفة، يسار الذاهب إلى منًى، وبمكة خمسةُ جبالٍ تسمّى ثبير، «مجمع بحار الأنوار» (١/ ٢٨٥).

(٢) «سنن الترمذي» رقم: (٣٧٠٣).

(٣) في الأصل الفارسي: «كما قلته».

(٤) «صحيح البخاري» رقم: (٣٦٩٦).

(٥) في بيته، راجع الأسباب: «الكوكب الدري» (٤/ ٤١٢).

عثمانُ أشرف عليهم فوق داره، ثم قال: أذكِّركم باللهِ هل تعلمونَ أنَّ حِراءَ حين انتفضَ، قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**اثبت حِرَاءُ! فَليسَ عليكَ إلّا نبيٌّ أو صدِّيقٌ أو شهيدٌ**؟» قالوا: نعم، قال: أذكِّركم بالله هل تعلمونَ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال في جيشِ العُسرةِ[١]: «**مَنْ يُنْفِقْ نفقةً متقبلةً**»، والناسُ مُجْهَدُونَ مُعْسِرونَ، فجهَّزتُ ذلك الجيش؟ قالوا: نعم، ثم قال: أذكِّركم بالله هل تعلمون أنَّ بئر رُوْمةَ[٢] لم يكن يشربُ منها أحدٌ إلا بثمنٍ، فابتعتُها فجعلتُها للغني والفقير وابن السبيل؟ قالوا: اللَّهُمَّ نعم، وأشياءَ عددها[٣].

• ومن رواية أحنف بن قيس:

• أخرج **النسائي** عن **الأحنف بن قيس** قال: خرجنا حُجّاجاً، فقدمنا المدينة، ونحن نريد الحجَّ، فبينا نحن في منازلنا نضعُ رحالنا؛ إذ أتانا آتٍ، فقال: إنَّ الناسَ قد اجتمعوا في المسجد وفزعوا، فانطلقنا، فإذا الناسُ مجتمعون على نفرٍ في وسط المسجد، وإذا عليٌّ والزبيرُ وطلحةُ وسعدُ بن أبي وقاص، فإنَّا لكذلك، إذ جاء عثمانُ بنُ عفّان عليه ملاءةٌ صفراءُ، قد قنّعَ بها رأسَه، فقال: أهاهنا عليٌّ؟ أهاهنا طلحة؟ أهاهنا الزبير؟ أهاهنا سعد؟ قالوا: نعم، قال: فإنِّي أنشدكم بالله الذي لا إلـه إلا هو، أتعلمون أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**مَنْ يبتاع مربد بني فلان[٤] غفر الله له**» فابتعته بكذا وكذا، ...[٥] فأتيتُ رسولَ اللهِ ﷺ،

---

(١) وذلك في غزوة تبوك.

(٢) بضم راء، بئر بالمدينة ليهودي يبيع للمسلمين ماءها فاشتراها عثمان بعشرين ألف درهم، وهو رغب فيها بقوله ﷺ: «**من يشتريها فيجعل دلوه مع دلاء المسلمين**» وسبّلها. «مجمع بحار الأنوار» (٢/ ٤٠٠).

(٣) «سنن الترمذي» رقم: (٣٦٩٩).

(٤) في الأصل الفارسي: «من يدي بني فلان» وهو تصحيف.

(٥) كذا وفي الكلام سقط.

فقلت: قد ابتعتُها بكذا وكذا، قال: اجعلها سقايةً للمسلمين وأجرُها لك، قالوا: اللَّهُمَّ نعم.

قال: فأنشدكم بالله الذي لا إلـه إلا هو، أتعلمون أنَّ رسول الله ﷺ نظر في وجوه القوم، فقال: «**من جهَّز هؤلاء غفر الله له**»؛ يعني: جيش العسرة فجهَّزتهم، حتَّى ما يفقدون عِقالاً ولا خِطاماً، قالوا: اللَّهُمَّ نعم، قال: اللَّهُمَّ اشهد، اللَّهُمَّ اشهد[١].

• ومن رواية ثُمامة بن حزن القشيري عنه:

• أخرج **الترمذي والنسائي** وهذا لفظ النسائي عن **ثُمامة بن حزن القشيري**، قال: شهدتُ الدارَ حين أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ عُثْمَانُ، فَقَالَ: أَنْشُدُكُمْ بِاللهِ وَبِالْإِسْلَامِ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدِمَ الْمَدِينَةَ وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ يُسْتَعْذَبُ غَيْرَ بِئْرِ رُومَةَ، فَقَالَ: «**مَنْ يَشْتَرِي بِئْرَ رُومَةَ فَيَجْعَلُ فِيهَا دَلْوَهُ مَعَ دِلَاءِ الْمُسْلِمِينَ بِخَيْرٍ لَهُ مِنْهَا فِي الْجَنَّةِ**»، فَاشْتَرَيْتُهَا مِنْ صُلْبِ مَالِي، فَجَعَلْتُ دَلْوِي فِيهَا مَعَ دِلَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَأَنْتُمْ الْيَوْمَ تَمْنَعُونِي مِنَ الشُّرْبِ مِنْهَا، حَتَّى أَشْرَبَ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ، قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ.

قَالَ: فَأَنْشُدُكُمْ بِاللهِ وَالْإِسْلَامِ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنِّي جَهَّزْتُ جَيْشَ الْعُسْرَةِ مِنْ مَالِي، قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ.

قَالَ: فَأَنْشُدُكُمْ بِاللهِ وَالْإِسْلَامِ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الْمَسْجِدَ ضَاقَ بِأَهْلِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ يَشْتَرِي بُقْعَةَ آلِ فُلَانٍ، فَيَزِيدُهَا فِي الْمَسْجِدِ، بِخَيْرٍ لَهُ مِنْهَا فِي الْجَنَّةِ**»، فَاشْتَرَيْتُهَا مِنْ صُلْبِ مَالِي، فَزِدْتُهَا فِي الْمَسْجِدِ وَأَنْتُمْ تَمْنَعُونِي أَنْ أُصَلِّيَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ.

---

(١) «سنن النسائي» (٦/ ٢٣٤) رقم: (٣٦٠٧).

قَالَ: أَنْشُدُكُمْ بِاللهِ وَالْإِسْلَامِ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ عَلَى ثَبِيرٍ؛ ثَبِيرِ مَكَّةَ؛ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَأَنَا، فَتَحَرَّكَ الْجَبَلُ، فَرَكَضَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِرِجْلِهِ، وَقَالَ: «**اسْكُنْ ثَبِيرُ! فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ**»، قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ شَهِدُوا لِي وَرَبِّ الْكَعْبَةِ؛ يَعْنِي: أَنِّي شَهِيدٌ[١].

- ومن رواية أبي سلمة بن عبد الرحمٰن بن عوف:

- أخرج **النسائي عن أبي سلمة بن عبد الرحمٰن** أنَّ عثمان أشرفَ عليهم حين حصروه، فقال: أنشد بالله رجلاً سمعَ من رسولِ اللهِ ﷺ يقول يومَ الجبلِ حين اهتزّ، فركلَه[٢] برجلِه وقال: «**اسكن، فإنَّه ليسَ عليك إلا نبيٌّ أو صدّيقٌ أو شهيدان**» وأنا معه، فانتشدَ له رجالٌ.

ثم قال: أنشد بالله رجلاً سمع رسول الله ﷺ يوم بيعة الرضوان يقول: «**هذه يدُ اللهِ، وهذه يدُ عثمانَ، فانتشدَ له رجال**»[٣].

ثم قال: أنشد بالله رجلاً سمع رسول الله ﷺ يوم جيش العسرة يقول: «**مَنْ ينفقُ نفقةً متقبَّلةً**» فجهَّزتُ نصفَ الجيش من مالي، فانتشد له رجال.

ثم قال: أنشد بالله رجلاً سمع رسول الله ﷺ يقول: «**من يزيدُ في هذا المسجدِ ببيتٍ في الجنّةِ**»، فاشتريته من مالي، فانتشد له رجال.

ثم قال: أنشد بالله رجلاً شهد رومة تباع فاشتريتها من مالي، فأبحتُها لابنِ السبيلِ، فانتشد له رجالٌ[٤].

---

(١) «سنن الترمذي» رقم: (٣٧٠٣)، و«سنن النسائي» (٦/ ٢٣٥) رقم: (٣٦٠٨).
(٢) أي: رفس.
(٣) أي: أجابوه. «ذخيرة العقبى في شرح المجتبى» (٣٠/ ٧٦).
(٤) «سنن النسائي» (٦/ ٢٣٦) رقم: (٣٦٠٩).

❁ دفاعه عن القدح في سوابقه الإسلامية:

• وأما إجابته عن القدح في سوابقه الإسلامية:

• فقد أخرج **أحمد** عن عاصم عن **شقيق** قال: لقي عبد الرحمٰن بن عوف الوليدَ بن عُقبة، فقال له الوليد: ما لي أراكَ قد جفوتَ أمير المؤمنين عثمان، فقال له عبد الرحمٰن: أبلغه أنِّي لم أفرَّ يومَ عَيْنَيْنِ ـ قال عاصم: يقول: يوم أُحد ـ ولم أتخلّف يومَ بدرٍ، ولم أترك سُنَّةَ عمرَ.

قال: فانطلق فخبَّر ذلك عثمان، قال: فقال: أمَّا قوله: إنِّي لم أفرّ يوم عينين، فكيف يعيِّرني بذنب وقد عفا الله عنه، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْۗ﴾ [آل عمران: ١٥٥]، وأما قوله: إني تخلَّفت يومَ بدرٍ، فإنِّي كنتُ أمرِّضُ رُقَيّةَ بنت رسول الله ﷺ حين ماتت، وقد ضرب لي رسول الله ﷺ بسهمي، ومن ضرب له رسول الله ﷺ بسهمه فقد شَهِدَ، وأما قوله: إني لم أترك سُنَّة عمر، فإني لا أطيقُها ولا هو، فأته فحدِّثه بذلك(١).

❁ معرفته بالقطع أنه من أهل الجنة:

• وأما أنه كان يعرف بالقطع أنه من أهل الجنة:

• فقد أخرج **أحمد** عن **زيد بن أسلم** عن أبيه قال: شهدتُ عثمان يومَ حُوصِرَ في موضع الجنائز، ولو ألقي حجر لم يقع إلا على رأس رجل، فرأيتُ عثمانَ أشرف من الخوخة التي تلي مقام جبريل عليه السلام، فقال: أيها الناسُ! أفيكم طلحة؟ فسكتوا، ثم قال: أيها الناس! أفيكم طلحة؟ فسكتوا، ثم قال: يا أيها الناس! أفيكم طلحة؟ فقام طلحة بن عُبيد الله، فقال له عثمان: ألا أراك هاهنا، ما كنتُ أرى أنك تكون في

(١) «مسند أحمد» (١/٦٨) رقم: (٤٩٠).

جماعةٍ تسمع ندائي آخر ثلاث مرات ثم لا تجيبُني، أنشدك الله يا طلحة! تذكَّر يومُ كنتُ أنا وأنتَ مع رسول الله ﷺ في موضع كذا وكذا، ليس معه أحدٌ من أصحابه غيري وغيرك، قال: نعم، فقال لك رسول الله ﷺ: **«يا طلحةُ! إنَّه ليس من نبيٍّ إلا ومعه من أصحابه رفيقٌ مِنْ أُمَّته معه في الجنة، وإنَّ عثمانَ بنَ عفّانَ هذا - يعنيني - رفيقي معي في الجنةِ»**، قال طلحة: اللَّهُمَّ نعم، ثم انصرف[1].

معرفته بالقطع أن البلوى تصيبه:

• وأما أنَّه كان يعلمُ باليقين أنَّ هذه البلوى تصيبه:

• فقد أخرج **الترمذي والحاكم** عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم حدَّثني **أبو سهلة**، قال: قال عثمان يوم الدار: إنَّ رسول الله ﷺ قد عهد إليَّ عهداً فأنا صابر عليه[2].

• وأخرج **الحاكم والترمذي** عن **عائشة** ﵂ أن النبي ﷺ قال: **«يا عثمانُ! إنه لعلَّ الله يقمصك قميصاً، فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه لهم»**[3].

وصحّ من حديث أبي موسى قوله ﷺ: **«بشّره بالجنة على بلوى تصيبه»**[4].

معرفته بالقطع أنه يكون على الحق:

• وأمَّا أنه كان يعرف بالقطع أنه على الحق:

• فقد أخرج **الترمذي** من حديث مرة بن كعب أن رسول الله ﷺ

---

(١) «مسند أحمد» (١/ ٧٤) رقم: (٥٥٢).

(٢) «سنن الترمذي» رقم: (٣٧١١)، «المستدرك» (٣/ ١٠٦).

(٣) «سنن الترمذي» رقم: (٣٧٠٥)، «المستدرك» (٣/ ١٠٦).

(٤) «سنن الترمذي» رقم: (٣٧١٠).

ذكر الفتن فقرّبها، فمرَّ رجل مقنَّع في ثوب، فقال: هذا يومئذٍ على الهدى، فقمتُ إليه، فإذا هو عثمان بن عفان، قال: فأقبلتُ عليه بوجهه، فقلتُ: هذا؟ قال: نعم[١].

• وأخرج **الترمذي** عن **ابن عمر** قال: ذكر رسولُ اللهِ ﷺ فتنةً، فقال: «**يُقتل فيها هذا مظلوماً**»، لعثمان[٢].

• وأخرج **الحاكم** عن أبي هريرة قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**إنَّها ستكونُ فتنةٌ واختلافٌ، أو اختلافٌ وفتنةٌ**»، قال: قلنا: يا رسول الله! فما تأمرنا؟ قال: «**عليكم بالأميرِ وأصحابِهِ، وأشارَ إلى عثمان**»[٣].

• وأخرج **الحاكم**[٤] عن **كثير بن الصلت**، قال: أغفي عثمان بن عفان في اليوم الذي قُتل فيه فاستيقظ، فقال: لولا أن يقولَ الناسُ تمنّى الفتنة لحدَّثتكم، قال: قلنا: أصلحك الله فحدِّثنا، فلسنا نقول ما يقول الناس، فقال: إني رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ في منامي هذا، فقال: «إنك شاهدٌ معنا الجمعة»[٥].

• وأخرج **أحمد** عن **نائلة بنت الفرافصة** امرأة عثمان بن عفان، قالت: نعس أمير المؤمنين عثمان، فأغفي، فاستيقظ، فقال: ليقتلنني القوم قلت: كلا، إن شاء الله لم يبلغ ذاك إن رعيتك استعتبوك، قال: إني رأيت رسول الله ﷺ في منامي وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما، فقالوا: تفطر عندنا الليلة[٦].

❁ ❁ ❁

---

(١) «سنن الترمذي» رقم: (٣٧٠٤).
(٢) «سنن الترمذي» رقم: (٣٧٠٨).
(٣) «المستدرك» (٣/ ١٠٥).
(٤) وفي النسخة الفارسية الأصلية: «أحمد»، ولكن أحمد ما أخرجه في مسنده بهذا اللفظ، وقد أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ١٠٦).
(٥) «المستدرك» (٣/ ١٠٦).
(٦) «مسند أحمد» (١/ ٧٣) رقم: (٥٣٦).




مسند علي بن أبي طالب رضي الله عنه[(١)]

❁ شروط الخلافة:

• أما **شروط الخلافة**، فقد أخرج **أحمد** عن عبد الملك بن عمير عن عمارة بن رويبة عن **علي بن أبي طالب** رضي الله عنه، قال: سمعتْ أذناي ووعاه قلبي عن رسولِ اللهِ ﷺ: **«الناسُ تبعٌ لقريشٍ، صالحُهم تبعٌ لصالحِهم، وشرارُهم تبعٌ لشرارِهم»**[(٢)].

• وأخرج **أبو يعلى** عن **عليٍّ** أنَّ رسول الله ﷺ خطب الناسَ ذات يوم، فقال: **«ألا إنَّ الأمراءَ من قريشٍ، ألا إنَّ الأمراء من قريشٍ، ألا إنَّ الأمراءَ من قريشٍ، ما أقاموا بثلاثٍ: ما حكموا فعدلوا، وما عاهدوا**

---

(١) هو: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه ورضي الله عنه، حكيم الإسلام وخطيبه وفارسه، ووارثُ رسول الله ﷺ في الأدب والبلاغة والعلم بلا خلاف، وإمامته في ذلك لم تنازعْ قط، أخطبُ المسلمين، وإمام المنشئين، وأحد أصحاب الأساليب والمذاهب في الإنشاء، وآثاره الأدبية من خطب وكتب وحكم ـ ما صحّ منها ـ جمال اللغة العربية وبدائع النثر العربي وموضوع دراسة الأديب والباحث، ولد قبل البعثة بعشر سنين على الصحيح، فربّي في حجر النبي ﷺ ولم يفارقه، وشهد معه المشاهد إلا غزوة تبوك، ومناقبه كثيرة، حتى قال الإمام أحمد: لم ينقل لأحد من الصحابة ما نقل لعلي، قال غيره: كان سبب ذلك بغض بني أمية له، فكان كل من كان عنده علم من شيء من مناقبه من الصحابة يثبته، ووضع له الرافضة مناقب موضوعة هو غني عنها، روى عن النبي ﷺ كثيراً، روى عنه من الصحابة ولده الحسن والحسين وابن مسعود وأبو موسى وابن عباس وغيرهم، توفي شهيداً سنة ٤٠هـ. انظر للتفصيل: «الإصابة» (٢/ ٥٠٧).

(٢) «مسند أحمد» (١/ ١٠١) رقم: (٧٩٠).

فوفوا، وما استُرحموا فرحموا، فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنةُ اللهِ والملائكةِ والناسِ أجمعين»[(١)].

❁ بيان علي ﵁ لأفضلية الشيخين:

• وأما بيانه ﵁ لأفضلية الشيخين، فقد ثبت بالتواتر مرفوعاً وموقوفاً، مهما يكن هذا مذهبُ جميع أهل الحق، لكن لم يُبيّنه أحد من الصحابة أصرح وأحكم من علي بن أبي طالب ﵁، أما مرفوعه فحديث أبي بكر وعمر: «**سيدا كهول أهل الجنة**»[(٢)]، روي بطرق متعددة عنه، ومن طريق الشعبي عن الحارث عن علي.

• أخرج **الترمذي** وابن ماجه عن النبي ﷺ قال: «**أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين ما خلا النبيين والمرسلين لا تخبرهما يا علي**»[(٣)].

• **ومن طريق ولد الحسن بن علي:**

• أخرج **عبد الله بن أحمد** في «زوائد المسند» عن **الحسن بن زيد** بن حسن قال: حدثني أبي عن أبيه عن علي ﵁، قال: كنتُ عند النبيِّ ﷺ فأقبل أبو بكر وعمر ﵄، فقال: «**يا عليُّ! هذان سيدا كهولِ أهل الجنة وشبابِها بعدَ النبيين والمرسلين**»[(٤)].

• **ومن طريق ولد حسين بن علي:**

• أخرج **الترمذي** عن الزهري عن **علي بن الحسين** عن علي بن

(١) «مسند أبي يعلى» (١/ ٤٢٥) رقم: (٥٦٤).
(٢) أخرجه الترمذي في «سننه» رقم: (٣٦٦٥)، وابن ماجه في «سننه» رقم: (٩٥).
(٣) «سنن الترمذي» رقم: (٣٦٦٦)، «سنن ابن ماجه» رقم: (٩٥).
(٤) «مسند أحمد» (١/ ٨٠) رقم: (٦٠٢).

أبي طالب قال: كنتُ مع رسول الله ﷺ إذ طلع أبو بكر وعمر، فقال رسول الله ﷺ: «**هذان سيدا كهولِ أهل الجنّةِ من الأولين والآخرين إلّا النبيين والمرسلين، يا عليُّ! لا تخبْرهما**»[1].

- **وقد وافق علياً رضي الله عنه غيره من الصحابة:**

- فقد أخرج **الترمذي** عَنْ **أَنَسٍ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: «**هَذَانِ سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ إِلَّا النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ، لَا تُخْبِرْهُمَا يَا عَلِيُّ**»[2].

- وأخرج **ابن ماجه** عن [عون بن] أبي جُحَيْفَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ إِلَّا النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ**»[3].

- ومن موقوفه: «**خيرُ هذه الأمة أبو بكر ثم عمر**»[4]، وروى ذلك جمعٌ كثير[5]:

- فمن رواية ابنه **محمد ابن الحنفية** عنهم:

أخرج **البخاري وأبو داود** من طريق سفيان، حدثنا جامع بن أبي راشد، حدثنا أبو يعلى عن **محمد ابن الحنفية** قال: قلتُ لأبي: أيُّ الناسِ خيرٌ بعد رسولِ اللهِ ﷺ؟ قال: أبو بكر، قلت: ثم مَنْ؟ قال: ثم

---

(١) «سنن الترمذي» رقم: (٣٦٦٥). (٢) «سنن الترمذي» رقم: (٣٦٦٤).

(٣) «سنن ابن ماجه» رقم: (١٠٠).

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» بلفظ: «**خير هذه الأمّة بعد نبيّها أبو بكر وعمر**» (٢/ ٢٢٤) رقم: (٨٨٠).

(٥) قد رواه عن عليٍّ بضعة وثمانون نفساً كما صرَّح به المؤلف الدهلوي رحمه الله تعالى في الفصل الثامن من هذا المقصد، وصرَّح به شيخ الإسلام ابن تيمية في «منهاج السُّنَّة» (٧/ ٢٨٤) كما قد مضى ذكره.

عمر، وخشيتُ أنَ يقول: عثمان، قلت: ثم أنتَ؟ قال: ما أنا إلا رجلٌ من المسلمين[١].

• ومن رواية عبد الله بن سلمة عنه:

• أخرج **ابن ماجه** عن **عبد الله بن سلمة** قال: سمعتُ علياً يقول: خيرُ الناسِ بعد رسولِ اللهِ ﷺ أبو بكر، وخيرُ الناسِ بعد أبي بكر عمرُ[٢].

• **ومن رواية علقمة بن قيس:**

• أخرج **أحمد**[٣]:

• ومن رواية **عبد الخير صاحب لواء علي عنه**، وفي طرقها العدد:

فقد روى عنه حبيب بن أبي ثابت عن عبد خير الهمداني، قال: سمعت علياً رضي الله عنه يقول على المنبر: ألا أخبرُكم بخيرِ هذه الأمةِ بعد نبيِّها، قال: فذكرَ أبا بكر، ثم قال: ألا أخبركم بالثاني، قال: فذكرَ عمرَ رضي الله عنه، ثم قال: لو شئتُ لأنبأتُكم بالثالثِ قال: وسكتَ فرأينا أنه؛ يعني: نفسَه، فقلتُ: أنتَ سمعتَه يقول هذا، قال: نعم وربِّ الكعبةِ وإلا صُمَّتا[٤].

وروى عطاء؛ يعني: ابن السائب عن عبد خير عن **علي** رضي الله عنه قال: ألا أخبرُكم بخيرِ هذه الأمةِ بعد نبيِّها ﷺ: أبو بكر، ثم خيرها بعد أبي بكر عمر رضي الله عنه، ثم يجعل اللهُ الخيرَ حيثُ أحبَّ[٥].

وروي عن المسيب بن عبد خير عن أبيه قال: قام علي فقال: خير

(١) «صحيح البخاري» رقم: (٣٦٧١)، «سنن أبي داود» رقم: (٤٦٢٩).
(٢) «سنن ابن ماجه» رقم: (١٠٦).
(٣) في «مسنده» (٢/ ٣١١) رقم: (١٠٥١).
(٤) «مسند أحمد» (١/ ١١٣) رقم: (٩٠٩) وإسناده قويّ.
(٥) «مسند أحمد» (١/ ١٢٥) رقم: (١٠٣٠).

هذه الأمة بعد نبيِّها أبو بكر وعمر، وإنّا قد أحدثنا بعدَهم أحداثاً يقضي الله تعالى فيها ما شاء[(١)].

وعن أبي إسحاق عن عبد خير عن علي: خيرُ هذه الأمة بعد نبيِّها أبو بكر وعمر[(٢)].

● ومن **رواية أبي جحيفة** عنه وفي طرقها العدد:

● عن عاصم بن أبي النجود عن زرّ ـ يعني: ابن حبيش ـ عن **أبي جحيفة** قال: سمعتُ عليّاً رضي الله عنه يقول: ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد نبيِّها؟ أبو بكر، ثم قال: ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد أبي بكر؟ عمر[(٣)].

● وعن الشعبي قال: حدّثني أبو جحيفة ـ الذي كان علي يُسمِّيه وهب الخير ـ قال: قال علي رضي الله عنه: يا أبا جحيفةُ ألا أخبرُك بأفضل هذه الأمة بعد نبيِّها، قال: قلت: بلى، قال: ولم أكن أرَ أنَّ أحداً أفضلَ منه، قال: أفضلُ هذه الأمة بعدَ نبيِّها أبو بكر، وبعد أبي بكر عمر رضي الله عنهما، وبعدهما آخر ثالث ولم يسمِّه[(٤)].

● عن أبي إسحاق عن **أبي جحيفة** قال: قال علي رضي الله عنه: خير هذه الأمة بعد نبيِّها أبو بكر، وبعد أبي بكر عمر رضي الله عنه، ولو شئت[(٥)] أخبرتكم بالثالث[(٦)].

---

(١) «مسند أحمد» (١/ ١١٥) رقم: (٩٢٦).
(٢) «مسند أحمد» (١/ ١١٥) رقم: (٩٣٢).
(٣) «مسند أحمد» (١/ ١٠٦) رقم: (٨٣٣).
(٤) «مسند أحمد» (١/ ١٠٦) رقم: (٨٣٥).
(٥) والثالث هو عثمان بن عفان رضي الله عنه كما سيأتي في رواية الحسن بن علي بن أبي طالب.
(٦) «مسند أحمد» (١/ ١٠٦) رقم: (٨٣٦).

• وعن عون بن **أبي جحيفة** قال: كان أبي من شُرَطِ علي ﷺ، وكان تحت المنبر، فحدَّثني أبي أنه صعد المنبر؛ يعني: علياً ﷺ، فحمد الله تعالى، وأثنى عليه، وصلّى على النبيِّ ﷺ وقال: خيرُ هذه الأمةِ بعدَ نبيِّها أبو بكر، والثاني عمر ﷺ، وقال: يجعل الله تعالى الخيرَ حيثُ أحبَّ(١).

• عن سُفْيَان عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ قَيْسٍ عَنْ رَجُلٍ عَنْ عَلِيٍّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ يَوْمَ الْجَمَلِ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمْ يَعْهَدْ إِلَيْنَا عَهْداً نَأْخُذُ بِهِ فِي إِمَارَةٍ، وَلَكِنَّهُ شَيْءٌ رَأَيْنَاهُ مِنْ قِبَلِ أَنْفُسِنَا، ثُمَّ اسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ ـ رَحْمَةُ اللهِ عَلَى أَبِي بَكْرٍ ـ فَأَقَامَ وَاسْتَقَامَ، ثُمَّ اسْتُخْلِفَ عُمَرُ ـ رَحْمَةُ اللهِ عَلَى عُمَرَ ـ فَأَقَامَ وَاسْتَقَامَ حَتَّى ضَرَبَ الدِّينُ بِجِرَّانِهِ(٢).

• ومن رواية مسعر بن كدام عن عبد الملك بن ميسرة عن النزَّال بن سبرة عن علي، قال: خير هذه الأمة بعد نبيِّها أبو بكر ثم عمر، أخرجه أبو عمر في «الاستيعاب»(٣).

ومن موقوفه أيضاً: سبق رسول الله ﷺ، وثنَّى أبو بكر، وثلَّث عمر(٤).

• أخرج **الحاكم** عن **قيس الحارثي**(٥) قال: سمعتُ عليّاً ﷺ يقول: سبقَ رسولُ اللهِ ﷺ، وثنَّى أبو بكر، وثلَّث عمر، ثم خبطتنا فتنةٌ،

---

(١) «مسند أحمد» (١/ ١٠٦) رقم: (٨٣٧).

(٢) «مسند أحمد» (١/ ١١٤) رقم: (٩٢١)، وقد ورد مثل هذا الكلام عن عليٍّ في شأن عمر بن الخطاب في «نهج البلاغة» في القسم الثاني (ص٢٥٣) أيضاً.

(٣) (١/ ٢٩٧)، رقم الترجمة: (١٦٣٣).

(٤) «الاستيعاب» (١/ ٢٩٧)، رقم الترجمة: (١٦٣٣).

(٥) في الأصل: «المحاربي»، وهو تحريف.

ويعفو الله عمن يشاء[١].

• وعن الشعبي عن **أبي وائل** قال: قيل لعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ألا تستخلف علينا؟ قال: ما استخلف رسول الله ﷺ، فأستخلف؟ ولكن إن يردِ اللهُ بالناسِ خيراً فسيجمعهم بعدي على خيرهم[٢].

• ومن موقوفه المشتمل على المرفوع ما أخرج **البخاري** وغيره عن **ابن أبي مليكة** أنه سمع ابن عباس يقول: وُضع عمرُ على سريره، فتكنَّفه الناس يدعون ويُصلُّون قبل أن يرفعَ، وأنا فيهم، فلم يرعني إلا رجل آخذ منكبي، فإذا علي بن أبي طالب، فترحَّم على عمر وقال: ما خلَّفْتُ أحداً أحبَّ إليَّ أن ألقى الله بمثل عمله منك، وايمُ اللهِ إن كنتُ لأظنُّ أنْ يجعلَكَ اللهُ مع صاحبيك، وحسبتُ أني كنتُ كثيراً أسمع النبي ﷺ يقول: «**ذهبتُ أنا وأبو بكر وعمر، ودخلتُ أنا وأبو بكر وعمر، وخرجتُ أنا وأبو بكر وعمر**»[٣].

• وأخرج **أحمد** عن نافع عن **ابن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: وُضع عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بين المنبر والقبر، فجاء عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتَّى قام بين يدي الصفوف فقال: هو هذا ثلاث مرات، ثم قال: رحمةُ الله عليك، ما مِنْ خلقِ اللهِ تعالى أحبُّ إليَّ مِنْ أن ألقاه بصحيفته بعد صحيفة النبيِّ ﷺ من هذا المسجَّىٰ عليه ثوبُه[٤].

• وأخرج **أحمد** عن عون بن **أبي جحيفة** عن أبيه قال: كنتُ عند عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو مسجًّى ثوبه، قد قضى نحبَه، فجاء عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فكشفَ الثوبَ عن وجهه ثم قال: رحمةُ اللهِ عليك أبا حَفْصٍ! فواللهِ ما بقي بعد

---

(١) «المستدرك» (٣/ ٧١). (٢) «المستدرك» (٣/ ٨٤).

(٣) «صحيح البخاري» رقم: (٣٦٨٥).

(٤) «مسند أحمد» (١/ ١٠٩) رقم: (٨٦٦).

رسولِ اللهِ ﷺ أحدٌ أحبُّ إليَّ أن ألقى الله تعالى بصحيفته مِنْكَ[١].

• وأخرج **الحاكم** عن سفيان بن عيينة عن جعفر بن محمد عن أبيه عن **جابر بن عبد الله** رضي الله عنهما أنَّ علياً دخلَ على عُمَرَ وهو مسجًّى، فقال: صلَّى الله عليك، ثم قال: ما مِنَ الناسِ أحدٌ أحبُّ إليَّ أن ألقى الله بما في صحيفته من هذا المسجَّى[٢].

• وأخرج **محمد** في «كتاب الآثار» عن أبي حنيفة عن **محمد بن علي** مرسلاً[٣] نحواً من ذلك[٤].

۞ بيان أنَّ من يفضِّل عليّاً على الشيخين فهو مبتدع ومستحق للتعزير:

• وأما **بيان أنَّ من يفضله على الشيخين مبتدعٌ ومستحق** للتعزير:

• فقد أخرج **أبو عمر** في «**الاستيعاب**» عن الحكم بن حجل قال: قال علي رضي الله عنه: لا يُفضِّلني أحدٌ على أبي بكر وعمر إلّا جلدته حدّ المفتري[٥].

• قال **أبو القاسم الطلحي**[٦] في «**كتاب السُّنَّة**» له: أخبرنا أبو

---

(١) «مسند أحمد» (١/ ١٠٩) رقم: (٨٦٧).

(٢) «المستدرك» (٣/ ١٠٠).

(٣) هو: أن يحذف التابعيُّ مَنْ روى عنه من الصحابة الحديث، ويقول: قال رسول الله ﷺ كذا، والمرادُ بمحمّد بن علي هو الإمام الباقر.

(٤) «كتاب الآثار» (ص١٩١) رقم: (٨٦٩)، وأخرجه أبو يوسف أيضاً في «كتاب الآثار» (٢/ ٤٧٩).

(٥) «الاستيعاب» (١/ ٢٩٧) رقم الترجمة: (١٦٣٣).

(٦) هو: الإمام العلامة الحافظ، شيخ الإسلام، أبو القاسم، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن أحمد بن طاهر القرشي التيمي ثم الطلحي الأصبهاني، المتوفى ٥٣٥هـ، «سير أعلام النبلاء» (٢٠/ ٨٠).

بكر بن مردويه قال: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا الحسن بن منصور الرماني، حدثنا داود بن معاذ، حدثنا أبو سلمة العتكي عبد الله بن عبد الرحمٰن عن سعيد بن أبي عروبة عن منصور بن المُعْتَمِر عن **علقمة** قال: بلغ علياً أن أقواماً يُفضِّلونه على أبي بكر وعمر، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناسّ! إنّه بلغني أنَّ قوماً يُفضِّلوني على أبي بكر وعمر، ولو كنتُ تقدَّمت فيه لعاقبتُ منه، فمن سمعته بعدَ اليومِ يقول هذا فهو مفترٍ، عليه حدّ المفتري، ثم قال: إنَّ خيرَ هذه الأمة بعدَ نبيِّها أبو بكر، ثم عمر، ثم الله أعلمُ بالخير بعدُ، قال: وفي المجلس الحسن بن علي فقال: والله لو سمّى الثالث لسمَّى عثمان[١].

• وأخرج **أبو القاسم** عن **عبد خير** صاحب لواء علي أنَّ علياً قال: ألا أخبركم بأوَّلِ من يدخل الجنة من هذه الأمة بعد نبيِّها، فقيل له: بلى يا أميرَ المؤمنين! قال: أبو بكر، ثم عمر، قيل: فيدخلانها قبلكَ يا أمير المؤمنين! فقال علي: إيْ والذي فلقَ الحبَّة، وبرأ النسمة ليدخلانها وإني لمع معاوية موقوفٌ في الحساب[٢].

❁ الدلالة على بشارتهما بالجنة:

• ومما يدلّ على بشارتهما بالجنة من حديثه:

• أخرج البخاريُّ من حديث الحسن بن محمد بن علي أنه سمع عبيد الله بن أبي رافع كاتب علي عن علي أنَّ النبيَّ ﷺ قال في قصّة حاطب بن أبي بلتعة: «**إنَّه شَهِدَ بدراً وما يدريكَ؟ لعلَّ الله ﷻ اطلعَ على أهلِ بَدْرٍ، فقال: اعملوا ما شِئْتُم فَقَدْ غفرتُ لكم**»[٣].

---

(١) «الحجة في بيان المحجة» (٢/ ٣٦٩).
(٢) «الحجة في بيان المحجة» (٢/ ٣٧٠). (٣) «صحيح البخاري» رقم: (٤٨٩٠).

الدلالة على كونهما من السابقين المقرّبين:

• ومما يدلّ على كونهما من السابقين المقرَّبين من حديثه:

• أخرج **الترمذي** عن **عَلِيّ بْن أَبِي طَالِبٍ** قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ كُلَّ نَبِيٍّ أُعْطِيَ سَبْعَةَ نُجَبَاءَ ـ أَوْ نُقَبَاءَ[١] ـ وَأُعْطِيتُ أَنَا أَرْبَعَةَ عَشَرَ**»، قُلْنَا: مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «**أَنَا وَابْنَايَ، وَجَعْفَرُ، وَحَمْزَةُ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَمُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَبِلالٌ، وَسَلْمَانُ، وَالْمِقْدَادُ، وَحُذَيْفَةُ، وَعَمَّارٌ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُود**»[٢].

الاستدلال على خلافة الشيخين من جهة معاملة النبي ﷺ:

• وأما الاستدلال على خلافة الشيخين من جهة أنه ﷺ كان يعامل الشيخين معاملة ولي العهد، فمن حديثه:

• فقد أخرج **الحاكم**[٣] عن أبي إسحاق عن زيد بن يسمع عن **علي** رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله! من يؤمّر بعدك، قال: إن تؤمِّروا أبا بكر رضي الله عنه تجدوه أميناً زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة، وإن تؤمّروا عمر رضي الله عنه تجدوه قوياً أميناً لا يخافُ في اللهِ لومةَ لائم، وإن تؤمّروا عليّاً رضي الله عنه ولا أراكم فاعلينَ تجدوه هادياً مهديّاً يأخذ بكم الطريق المستقيم.

الاستدلال على خلافة الشيخين من جهة التعريض الجلي:

وأما الاستدلال بحديثه على خلافة الشيخين على وجه التعريض الجلي من حديثه:

---

(١) في الأصل الفارسي: «ورقباء» مكان «أو نقباء».

(٢) «سنن الترمذي» رقم: (٣٧٨٥).

(٣) «المستدرك» (٣/ ٧٣)، ولكن فيه: «إن تولّوا» مكان «إن تؤمِّروا»، وانظر: «مسند أحمد» (١/ ١٠٨) رقم: (٨٥٩).

فقد أخرج **الترمذي** من حديث **أبي حِبّان التيمي** عن أبيه عن علي قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**رحمَ اللهُ أبا بكر زوَّجني ابنته، وحملني إلى دار الهجرة، وأعتقَ بلالاً من ماله، رحمَ اللهُ عمرَ يقولُ الحقَّ وإن كان مُرّاً، تَرَكَه الحقّ وما له صديق، رحمَ اللهُ عثمانَ تستحييه الملائكةُ، رحمَ الله عليّاً، اللَّهُمَّ أدرِ الحقَّ معه حيثُ دار**»[1].

۞ الاستدلال على خلافة الصدِّيق من جهة تفويض إمامة الصلاة إليه:

• وأما الاستدلال على خلافة الصدِّيق من جهة تفويض إمامة الصلاة إليه:

• فقد أخرج **أبو عمر** في «الاستيعاب» عن الحسن البصري عن **قيس بن عبادة**، قال: قال لي عليُّ بنُ أبي طالب: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ مرضَ ليالي وأياماً يُنادَىٰ بالصلاة، فيقولُ: «**مروا أبا بكرٍ يصلِّي بالناس**»، فلمّا قبضَ رسولُ اللهِ ﷺ نظرت فإذا الصلاة علم الإسلام وقوام الدين فرضينا لدنيانا من رضي رسول الله ﷺ لديننا، فبايعنا أبا بكر[2].

۞ ثناء علي رضي الله عنه على الصدِّيق بعد موته:

• وأما ثناؤه على الصدِّيق بعد موته فقد ذكر أبو عمر في ترجمة أَسيد بن صفوان أنَّه أدرك النبيَّ ﷺ، وروى عن علي كرَّم الله وجهه حديثاً حسناً في ثنائه على أبي بكر يوم مات، ورواه عمر بن إبراهيم بن خالد عن عبد الملك بن عمير عن أسيد بن صفوان وكان قد أدرك النبيَّ ﷺ قال: لمّا قُبِضَ أبو بكر رضي الله عنه وسُجِّيَ بثوبٍ ارتجت المدينة

---

(١) «سنن الترمذي» رقم: (٣٧١٤).

(٢) «الاستيعاب» (١/ ٢٩٧) رقم الترجمة: (١٦٣٣).

بالبكاءِ، ودُهِشَ القومُ كيوم قُبض رسول الله ﷺ، فأقبل عليٌّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه مسرعاً باكياً مسترجعاً حتَّى وقفَ على بابِ البيت، فقال: رحمكَ الله يا أبا بكر! وذكرَ الحديث بطوله[1].

ثم وجدت هذا الحديثَ في «**الرياض النضرة**» وهذا لفظه: عن **أسيد بن صفوان** وكان قد أدرك النبي ﷺ قال: لمّا قُبض أبو بكر فسُجِّي عليه، وارتجّت المدينة بالبكاءِ عليه كيوم قُبض رسول الله ﷺ، فجاء عليٌّ مسترجِعاً وهو يقول: اليومَ انقطعت خلافةُ النبوّة، حتَّى وقف على باب البيتِ الذي فيه أبو بكر وهو مسجًّى، فقال: يرحمك الله يا أبا بكر! كنت إلفَ رسولِ اللهِ ﷺ وأنسِه ومستراحِه[2] وثقتِهِ، وموضع سرّه ومشاورته، كنتَ أوّل القومَ إسلاماً، وأخلصهم إيماناً، وأشدّهم يقيناً، وأخوفهم لله، وأعظمهم غناء في دين الله، وأحوطهم على رسول الله ﷺ، وأحدبهم على الإسلام، وأيمنهم على أصحابه، وأحسنهم صحبةً، وأكثرهم مناقبَ، وأفضلهم سوابقَ، وأرفعهم درجةً، وأقربهم وسيلةً، وأشبههم برسول الله ﷺ هدياً وسَمتاً ورحمةً وفضلاً، وأشرفهم منزلةً، وأكرمهم عليه، وأوثقهم عنده، فجزاك الله عن الإسلام وعن رسوله خيراً، كنت عنده بمنزلة السمع والبصر، صدَّقت رسول الله ﷺ حين كذَّبه الناس، فسمَّاكَ الله عز وجل في تنزيلِه صدِّيقاً، فقال: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ [الزمر: ٣٣]، الذي جاء بالصدق محمد ﷺ، وصدَّق به أبو بكر، واسيته حين بخلوا، وقمتُ به عند المكاره حين عنه قعدوا، وصحبته في الشدّة أكرم الصحبة، ثاني اثنين وصاحبه في الغار، والمنزل عليه السكينة والوقار، ورفيقه في الهجرة.

---

(١) «الاستيعاب» (١/ ٣١).

(٢) في الأصل الفارسي: «ومسترجعه» هو تحريف.

خلفته في دين الله وأمته أحسنَ الخلافة حين ارتدّ الناس، وقمتَ بالأمر ما لم يقم به خليفةُ نبيٍّ، فنهضتَ حين وهن أصحابُكَ، وبرزتَ حين استكانوا، وقويتَ حين ضعفوا، ولزمتَ منهاجَ رسول الله ﷺ إذ همّوا، كنتَ خليفةً حقّاً، لم تُنَازَع، ولم تُصدَعِ برغم المنافقين، وكبتِ الكافرين، وكره الحاسدين، وغيظ الباغين. وقمتَ بالأمر حين فشلوا، وثبتَّ حين تتعتعوا[1]، ومضيت بنور الله إذ وقفوا، فاتّبعوك فهُدوا.

وكنتَ أخفضهم صوتاً، وأعلاهم فَوْقاً، وأمثلهم كلاماً، وأصوبهم منطقاً، وأطولهم صمتاً، وأبلغهم قولاً، وأشجعهم نفساً، وأعرفهم بالأمور، وأشرفهم عملاً.

كنتَ واللهِ للدين يعسوباً[2]، أولاً حين نفر عنه الناس، وآخراً حين أقبلوا، كنتَ للمؤمنين أباً رحيماً، حتّى صاروا عليك عيالاً، فحملتَ أثقال ما ضعفوا، ورعيتَ ما أهملوا، وحفظتَ ما أضاعوا، وعلمتَ ما جهلوا، وشَمَّرتَ إذ خفضوا، وصبرتَ إذ جزعوا، فأدركتَ أوتار ما طلبوا، وراجعوا رشدهم برأيك، فظفروا ونالوا بك ما لم يحتسبوا.

كنت على الكافرين عذاباً صبّاً ولهباً، وللمؤمنينَ رحمةً وأنساً وحصناً، فَطِرْتَ واللهِ بعُبَابها، وفزتَ بِحُبابِها[3] وذهبتَ بفضائلها، وأدركتَ سوابِقها، لم تَفْلُلْ حجتُك، ولم تَضْعُفْ بصيرتُك، ولم تَجْبُنْ نفسُك، ولم يرعْ قلبُك، ولم تَحِرْ، كنتَ كالجبلِ الذي لا تحرِّكه القواصفُ، ولا تزيلُه العواصف، وكنتَ كما قال رسول الله ﷺ: «**أمنّ الناسِ علينا في صحبتِك وذاتِ يدك**»، وكنتَ ـ كما قال ضعيفاً في بدنِكَ ـ

---

(١) **التتعتع**: أي: التردد.

(٢) أي: ملكة النحل، ومنه قيل للسيد: يعسوب.

(٣) في الأصل الفارسي: «بغنائها وفزت بحبائها» هو تحريف.

قوياً في أمر الله، متواضعاً في نفسك، عظيماً عند الله، جليلاً في أعين الناس، كبيراً في أنفسِهم، لم يكن لأحدٍ فيك مغمزٌ، ولا لقائلٍ فيك مهمزٌ، ولا لأحد فيك مطمعٌ، ولا لمخلوقٍ عندك هوادةٌ، الضعيفُ الذليلُ عندك قويٌّ عزيزٌ حتَّى تأخذَ بحقِّه، والقوي عندك ضعيفٌ ذليلٌ حتَّى تأخذَ منه الحقّ، القريبَ والبعيدَ عندك في ذلك سواءٌ، أقربُ الناسِ إليك أطوعُهم للهِ وأتقاهم له، شأنك الحقُّ والصدقُ والرفقُ، قولك حَكمٌ وحتمٌ، وأمرك حلمٌ وحزمٌ، ورأيك عِلْمٌ وعزمٌ، فأقلعتَ وقد نهجَ السبيلُ، وسهل العسيرُ، وأطفئتِ النيرانُ، واعتدلَ بك الدينُ، وقويَ بك الإيمانُ، وثبتَ الإسلامُ والمسلمون، وظهرَ أمرُ الله ولو كره الكافرون، فسبقتَ واللهِ سبقاً بعيداً، وأتعبتَ مَنْ بعدَك إتعاباً شديداً، وفزتَ بالخيرِ فوزاً مبيناً، فجللتَ عن البكاء، وعظمتْ رزيُتك في السماء، وهدَّت مصيبتُكَ الأنام، فإنّا للهِ وإنا إليه راجعون.

رضينا عن الله قضاءَه، وسلّمنا له أمرَه، فواللهِ لن يصابَ المسلمون بعدَ رسولِ الله ﷺ بمثلك أبداً، كنتَ للدِّين عزّاً وحرزاً وكهفاً، وللمؤمنين فئةً وحصناً وغيثاً، وعلى المنافقين غلظةً وغيظاً، فألحقك الله بنبيِّك ﷺ، ولا حرمنا أجرك، ولا أضلَّنا بعدك، فإنّا للهِ وإنّا إليه راجعون، قال: وسكتَ الناسُ حتَّى انقضى كلامه، ثم بكوا حتَّى علت أصواتُهم، وقالوا: صدقتَ يا خِتْنَ رسول الله ﷺ![1].

❁ براءة عليٍّ من قتل عثمان رضي الله عنهما:

- أمّا تبرئته على نفسه مِنْ قَتْلِ عثمانَ، والشهادة على فضله:
- فقد أخرجَ **الحاكمُ** من طريقين من حديث هارون بن إسماعيل

---

(١) «الرياض النضرة» (١/١٢٨).

الخزاز، عن قرة بن خالد عن الحسن عن **قيس بن عباد** قال: سمعتُ علياً رضي الله عنه يوم الجمل يقول: اللَّهُمَّ إنِّي أبرأُ إليك من دَمِ عثمان، ولقد طاشَ عقلي يومَ قُتِلَ عثمان، وأنكرت نفسي وجاؤوني للبيعة، فقلتُ: واللهِ إنِّي لأستحيي مِنَ اللهِ أن أبايعَ قوماً قتلوا رجلاً قال له رسولُ اللهِ ﷺ: «**ألا أستحيي ممّنْ تستحيي منه الملائكةُ**»، وإنِّي لأستحيي من الله أن أبايعَ وعثمانُ قتيلٌ على الأرضِ لم يُدفنْ بعدُ، فانصرفوا، فلمّا دفن، رجعَ الناسُ فسألوني البيعة، فقلتُ: اللَّهُمَّ إنِّي مشفِقٌ ممّا أقدمُ عليه، ثم جاءت عزيمةٌ فبايعت، فلقد قالوا: يا أميرَ المؤمنين! فكأنَّما صدعَ قلبي، وقلتُ: اللَّهُمَّ خُذْ مِنِّي لعثمانَ حتَّى ترضى[١].

• وأخرج **الحاكم** عن الأوزاعي، سمعت **ميمون بن مهران** يذكر أنَّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: ما يسرّني إن أخذتُ سيفي في قتل عثمان، وإنَّ لي الدُّنيا وما فيها[٢].

• وأخرج **الحاكم** عن إسماعيل بن أبي خالد عن **حصين الحارثي** قال: جاء عليٌّ بن أبي طالب إلى زيدِ بن أرقم رضي الله عنه يعوده، وعنده قوم، فقال علي: اسكنوا ـ أو اسكتوا ـ فواللهِ لا تسألوني عن شيءٍ إلا أخبرتكم، فقال زيدٌ: أنشدك الله، أنتَ قتلتَ عثمان؟ فأطرق علي ساعةً، ثم قال: والذي فلقَ الحبَّةَ، وبرأَ النسمةَ ما قتلتُه، ولا أمرتُ بقتله[٣].

❁ شهادة علي على أن عثمان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا...

• وأما شهادته على عثمان بأنه من الذين ﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ...﴾

---

(١) «المستدرك» (٣/ ١٠١).
(٢) «المستدرك» (٣/ ١١٢).
(٣) «المستدرك» (٣/ ١١٤).

﴿ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ...﴾ [المائدة: ٩٣]، وأنّه من أهلِ الجنّةِ ممّن قال الله تعالى فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ...﴾ [الأعراف: ٤٣].

• فقد أخرجَ **الحاكم** من حديث **الحاطبي** عبد الرحمٰن بن محمد عن أبيه عن جده قال: لمّا كان يومُ الجملِ خرجتُ أنظر في القتلى، قال: فقام عليٌّ والحسنُ بن علي وعمّارُ بن ياسر ومحمّد بن أبي بكر وزيدُ بن صوحان يدورون في القتلى، قال: فأبصرَ الحسنُ بنُ علي قتيلاً مكبوباً على وجهه، فقلبه على قفاه، ثم صرخ، ثم قال: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦﴾ [البقرة]، فرح قريش والله، فقال له أبوه: مَنْ هو يا بني؟ قال: محمّد بن طلحة بن عُبيد الله، فقال: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾، أما واللهِ لقد كان شاباً صالحاً، ثم قعدَ كئيباً حزيناً، فقال له الحسنُ: يا أبتِ! قد كنتُ أنهاكَ عن هذا المسير[1]، فغلبكَ على رأيك فلانُ وفلانُ، قال: قد كان ذاك يا بني! ولوددتُ أني مِتُّ قبل هذا بعشرين سنة، قال محمد بن حاطب: فقمتُ، فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين! إنا قادمون المدينةَ، والناسُ سائلونا عن عثمان، فماذا تقول[2] فيه؟ قال: فتكلَّم[3] عمار بن ياسر، ومحمد بن أبي بكر، فقالا وقالا، فقال لهما علي: يا عمار! ويا محمد! تقولان: إنَّ عثمانَ استأثر وأساء الإمرة، وعاقبتم واللهِ، فأسأتم العقوبةَ[4]، وسَتُقَدَّمُوْنَ على حَكَمٍ عدلٍ يحكم بينكم، ثم قال: يا محمّد بنَ حاطب! إذا قدمت المدينة وسُئلت عن عثمان، فقل: كان والله ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البقرة: ٢١٢]، ﴿ثُمَّ ٱتَّقَواْ

(١) في الأصل الفارسي: «هذا السير»، لعله تصحيف.
(٢) في الأصل الفارسي: «نقول» هو تحريف.
(٣) في الأصل الفارسي: «فاغتم».
(٤) لا علاقة لهما بمؤامرة قتل عثمان رضي الله عنه، لكن يستنبط من كلامهما الخلاف في بعض آرائه.

وَءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [المائدة]، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [آل عمران: ١٢٢، المائدة: ١١، التوبة: ٥١][١].

• وأخرج **الحاكم** من حديث هارون بن **عنترة**[٢] عن أبيه قال: رأيت علياً رضي الله عنه بالخورنق[٣] وهو على سريره، وعنده أبان بن عثمان، فقال: إنِّي لأرجو أن أكونَ أنا وأبوك من الذين قال الله عز وجل: ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر][٤].

❁ ❁ ❁

(١) «المستدرك» (٣/ ١١١).

(٢) في الأصل الفارسي: «عنزة» وهذا تصحيف.

(٣) **الخورنق**: اسمُ قصرٍ بالعراق بناه النعمان الأكبر، وهو فارسيٌّ معرّب، «مختار الصحاح» (ص١١٧)، و«معجم البلدان» (٢/ ٤٠١).

(٤) «المستدرك» (٣/ ١١٣).





من مسند أبي عبيدة بن الجراح(١) ومعاذ بن جبل(٢) رضي الله عنهما

• أمّا ما يستدلّ به من حديثهما على خلافتِهم الخاصّة من جهة وقوع خلافتِهم في مرتبةٍ سمَّاها النبيُّ ﷺ خلافةً ورحمةً:

• فقد أخرجَ **أبو يعلى** من حديث ليث، عن عبد الرحمٰن بن سابط، عن أبي ثعلبة الخشني، قال: كان أبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل يتناجيان [بينهما] بحديث، فقلتُ لهما: ما حفظتُما وصية رسول الله ﷺ بي، قال: وكان أوصاهما بي، قالا: ما أردنا أن ننتجي بشيءٍ دونَكَ، إنَّما ذكرنا حديثاً حدَّثنا رسول الله ﷺ، فجعلا يتذاكرانه، قالا: إنّه بدأ هذا الأمرُ نبوةً ورحمةً، ثم كائنٌ خلافةً ورحمةً، ثم كائنٌ

---

(١) هو: عامر بن عبد الله بن الجراح، هو مشهور بكنيته، وبعض أهل السير والتاريخ لم يذكروا بين عامر والجراح عبد الله، أحد العشرة السابقين إلى الإسلام، وهاجر الهجرتين، وشهد بدراً وما بعدها، وقال فيه النبي ﷺ: «**لكلِّ أمةٍ أمينٌ وأمينُ هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح**»، اتفقوا على أنه مات في طاعون عمواس بالشام سنة ١٨هـ، وقيل: سنة ١٧هـ وهو شاذ، وعاش ٥٨ سنة. انظر ترجمته في: «الإصابة» (٢/ ٢٥٢).

(٢) هو: أبو عبد الرحمٰن معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي، وهو أحد السبعين الذين شهدوا العقبة من الأنصار، وشهد بدراً وأُحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وكان عمره لما أسلم ثماني عشرة سنة، قال فيه النبيُّ ﷺ: «**أعلمهم بالحلال والحرام**»، توفي في طاعون عمواس سنة ١٨هـ، وقيل: ١٧هـ، والأول أصح، وكان عمره ثمانياً وثلاثين، وقيل: ثلاث، وقيل: أربع وثلاثين، وقيل: ثمان وعشرون وهذا بعيد. انظر: «أُسد الغابة» (٤/ ٤١٨).

مُلْكاً عضوضاً، ثم كائنٌ عُتوّاً وجبريةً وفساداً في الأمة، يستحلّون الحريرَ والخمورَ والفروجَ والفسادَ في الأرض[١]، يُنصرون على ذلك ويرزقون أبداً حتَّى يلقَوا الله[٢].

۞ استدلال أبي عبيدة على خلافة أبي بكر بسوابقه الإسلامية:

• وأمّا استدلال أبي عبيدة على خلافة أبي بكر رضي الله عنه بسوابقه الإسلامية:

• فقد أخرج **أبو بكر بن أبي شيبة** عن ابن عون عن محمد ـ يعني: ابن سيرين ـ في حديثٍ طويل، قال محمد: وأتى الناسُ عند بيعة أبي بكر أبا عبيدة بن الجراح، فقال: أتأتوني وفيكم ثالثُ ثلاثة؛ يعني: أبا بكر؟ قال ابنُ عون: فقلت لمحمّد: من ثالث ثلاثة؟ قال: فوالله: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ [التوبة: ٤٠][٣].

۞ ۞ ۞

---

(١) في الأصل: «الأمة».

(٢) «مسند أبي يعلى» (٢/ ١٧٧) رقم: (٨٧٣).

(٣) «مصنف ابن أبي شيبة» (٨/ ٥٧٣).




ومن مسند عبد الرحمٰن بن عوف[١] رضي الله عنه

۞ بشارة العشرة بالجنة:

أما حديثه في بشارة العشرة بالجنة:

• فقد أخرج **أبو يعلى**: حدَّثنا قتيبة بن سعيد، قال: حدَّثنا عبد العزيز بن محمد عن عبد الرحمٰن بن حميد عن أبيه عن **عبد الرحمٰن بن عوف** قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**عشرةٌ في الجنّةِ: أبو بكر في الجنّةِ، وعمرُ في الجنّةِ، وعثمانُ في الجنّةِ، وعليٌّ في الجنّةِ، وطلحةُ في الجنّةِ، والزبيرُ في الجنَّةِ، وعبدُ الرحمٰن بن عوف في الجنّةِ، وسعدُ بن أبي وقاص في الجنّةِ، وسعيد بن زيد بن عمرو في الجنّةِ، وأبو عبيدة بن الجرّاح في الجنّةِ**»[٢].

۞ رأي عبد الرحمٰن في خلافة أبي بكر رضي الله عنه:

وأما رأيه في خلافة أبي بكر رضي الله عنه:

---

(١) كنيته أبو محمد، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين أخبر عمر عن رسول الله ﷺ: أنّه توفي وهو عنهم راضٍ، ولد بعد الفيل بعشر سنين، أسلم قديماً قبل دخول دار الأرقم، وهاجر الهجرتين وشهد بدراً، وسائر المشاهد، روى عن النبي ﷺ وعن عمر، وروى عنه أولاده إبراهيم وحميد وعمر ومصعب وأبو سلمة، وابن ابنه المسور بن إبراهيم وابن أخته المسور بن المخرمة وابن عباس وابن عمر وغيرهم. انظر ترجمته في: «الإصابة» (٢/ ٤١٦).

(٢) «مسند أبي يعلى» (٢/ ١٤٧) رقم: (٨٣٥).

• فقد أخرج **الحاكم** عن موسى بن عقبة عن سعد بن إبراهيم قال: حدثني إبراهيم بن عبد الرحمٰن بن عوف: أن **عبد الرحمٰن بن عوف** كان مع عمر بن الخطاب ﵁ وأنَّ محمد بن مسلمة كسرَ سيفَ الزُّبير، ثم قام أبو بكر فخطبَ الناس، واعتذرَ إليهم، وقال: واللهِ ما كنتُ حريصاً على الإمارة يوماً ولا ليلةً قط، ولا كنتُ فيها راغباً، ولا سألتُها اللهَ ﷿ في سرٍّ ولا علانية، ولكنّي أشفقتُ من الفتنة، وما لي في الإمارةِ من راحةٍ، ولكن قُلِّدتُ[1] أمراً عظيماً ما لي به من طاقةٍ، ولا يد[2] إلا بتقوية الله ﷿، ولوددتُ أنَّ أقوى الناس عليها مكاني اليوم، فقبل المهاجرون منه ما قال، الحديث[3].

❁ رأيه في خلافة عثمان ﵁:

• وأمّا رأيه في خلافة عثمان، فقد أخرج **البخاري** في قصة مقتل عمر والاتفاق على عثمان: فلما فُرِغَ من دفنه اجتمعَ هؤلاء الرهط، فقال عبد الرحمٰن: اجعلوا أمرَكم إلى ثلاثةٍ منكم، فقال الزبير: قد جعلتُ أمري إلى علي، فقال طلحةُ: قد جعلتُ أمري إلى عثمان، وقال سعدٌ: قد جعلت أمري إلى عبد الرحمٰن بن عوف، فقال عبدُ الرحمٰن: أيُّكما تبرأَ من هذا الأمر فنجعله إليه والله عليه والإسلام لينظرنَّ أفضلهم في نفسه؟ فأُسْكِتَ الشيخان، فقال عبدُ الرحمٰن: أفتجعلونه إليَّ؟ والله عليَّ أنْ لا آلو عن أفضلِكم، قالا: نعم، فأخذَ بيد أحدهما[4]، فقال: لك قرابةٌ من رسولِ اللهِ ﷺ والقدمُ في الإسلام ما قد علمتَ، فالله عليك، لئن أمَّرتُكَ لتعدلنَّ، ولئن أمّرتُ عثمانَ لتَسمعنَّ ولتطيعنَّ، ثم خلا

(١) في الأصل الفارسي: «أقللت».
(٢) في الأصل الفارسي: «ولا يدان».
(٣) «المستدرك» (٣/ ٧٠).
(٤) هناك القصة أكثر من ذلك. انظر: «الكامل في التاريخ» (٢/ ٤٥٩).

بالآخر، فقال له مثل ذلك، فلمَّا أخذ الميثاقَ قال: ارفع يدك يا عثمانُ فبايَعه، فبايعَ له عليٌّ، وولجَ أهل الدار فبايعوه[1].

(١) «صحيح البخاري» رقم: (٣٧٠٠).




ومن مسند الزبير بن العوّام[(١)] رضي الله عنه

❁ رجوعه إلى القول بخلافة أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه بعد توقّف:

• أمّا رجوعه إلى القول بخلافة أبي بكر بعد توقُّف ما، والقول بفضله واستحقاقه للخلافة، فقد أخرج **الحاكم** من حديث إبراهيم بن عبد الرحمٰن بن عوف في حديث طويل، فقبل المهاجرون منه ما قال وما اعتذر به، قال علي رضي الله عنه والزبير: ما غضبنا إلّا لأنّا قد أخِّرنا عن المشاورة، وإنّا نرى أبا بكر أحقَّ الناسِ بها بعدَ رسولِ اللهِ ﷺ، إنه لصاحِبُ الغار، وثاني اثنين، وإنّا لنعلم بشرفه وكبره، ولقد أمّره رسول الله ﷺ بالصلاة بالناس وهو حيٌّ[(٢)].

❁ ❁ ❁

---

(١) هو: أبو عبد الله الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد القرشي الأسدي، أمه صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ، فهو ابن عمة رسول الله ﷺ، أسلم وهو ابن خمس عشرة سنة، وكان إسلامُه بعد أبي بكر رضي الله عنه بيسير، كان رابعاً أو خامساً في الإسلام، هاجر إلى الحبشة والمدينة، قال رسول الله ﷺ فيه: «**إنَّ لكلِّ نبيٍّ حوارياً وحواريّ الزُّبَيْرُ بن العوامُ**» شهدَ المشاهدَ كلَّها مع رسول الله ﷺ: أُحداً، والخندق، والحديبية، وخيبر، والفتح، وحنيناً، والطائف، وشهد فتح مصر، وجعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الستة أصحاب الشورى الذين ذكرهم للخلافة بعده وقال: هم الذين توفي رسول الله وهو عنهم راضٍ، وشهد الزبيرُ الجملَ مقاتلاً لعلي، وكان قتله يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الأولى من سنة ٣٦هـ، وكان عمره لما قتل ٦٧ سنة، وقيل: ٦٦ سنة. انظر: «أُسد الغابة» (٢/ ٩٧).

(٢) «المستدرك» (٣/ ٧٠).




ومن مسند طلحة بن عبيد الله[(١)] رضي الله عنه

❁ ثناؤه على عمر رضي الله عنه :

أما ثناؤه على عمر رضي الله عنه فذكر **المحب الطبري** عن **ابن مسعود** رضي الله عنه أنَّ عمر شاور الناسَ في الزحف إلى قتال ملوك فارس التي اجتمعت بنهاوند، فقامَ طلحةُ بن عبيد الله، وكان من خطباء الصحابة، فتشهَّد ثم قال: أما بعد، يا أميرَ المؤمنين! فقد أحكمتك الأمور، وعجنتك البلايا، وأحنكتك التجارب، فأنتَ وشأنك، وأنتَ ورأيك، إليكَ هذا الأمر، فمرنا نطعْ، وادعُنا نجِبْ، واحملنا نركبْ، وقُدنا نَنْقَد، فإنّكَ وليُّ هذه الأمور، وقد بَلَوْتَ واخْتَبَرْتَ وجَرَّبْتَ فلم ينكشف لك عن شيء من عواقب قضاء الله عز وجل إلا عن خيار، ثم جلس[(٢)].

---

(١) هو: أبو محمد طلحة بن عبيد الله بن عثمان القرشي التيمي، يُعرف بطلحة الخير وطلحة الفياض، وهو من السابقين الأولين إلى الإسلام، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد أصحاب الشورى، ولم يشهد بدراً؛ لأنه كان بالشام، فقدم بعد رجوع النبي صلى الله عليه وسلم من بدر، وشهد أُحداً وما بعدها من المشاهد، وبايع بيعة الرضوان، وأبلى يوم أُحد بلاءً عظيماً، قتل طلحةُ يومَ الجمل، وكان شهدَ ذلك اليوم محارباً لعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وكان سببُ قتل طلحة أنَّ مروان بن الحكم رماه بسهم في ركبته، وكانت وقعة الجمل لعشر خلون من جمادى الأولى سنة ٣٦هـ، وكان عمره ٦٠ سنة، وقيل: ٦٢ سنة، وقيل: ٦٤ سنة. انظر: «أُسد الغابة» (٢/ ٤٦٧).

(٢) «الرياض النضرة» (١/ ٣٠٣).

❁ حديثه في فضل عثمان:

• وأما حديثه في فضل عثمان، فقد أخرج **الحاكم** عن زيد بن أسلم عن أبيه، قال: شهدت عثمان يوم حصر في موضع الجنائز، فقال: أنشدك الله يا طلحة! أتذكر يوم كنتَ أنا وأنتَ مع رسولِ اللهِ ﷺ في مكان كذا وكذا؟ وليس معه من أصحابه غيري وغيرك، فقال لك: **«يا طلحةُ! إنّه ليسَ من نبيٍّ إلا وله رفيقٌ من أمته معه في الجنّة، وإنَّ عثمانَ رفيقي ومعي في الجنّةِ»**، فقال طلحة: اللَّهُمَّ نعم[1].

• وأخرج **أبو يعلى** عن **طلحة** بن عبيد الله قال: قال رسول الله ﷺ: **«لكلِّ نبيٍّ رفيقٌ ورفيقي عثمانُ»**[2].

❁ ❁ ❁

(١) «المستدرك» (٣/ ١٠٤).

(٢) «مسند أبي يعلى» (٢/ ٢٨) رقم: (٦٦٥).




ومن مسند سعد بن أبي وقّاص(١) رضي الله عنه

فرار الشيطان من عمر:

• أما حديث: «**ما لقيك الشيطان...**» إلخ، فقد أخرج **مسلم** من حديث ابن شهاب: أخبرني عبد الحميد بن عبد الرحمٰن بن زيد أن محمد بن سعد بن أبي وقاص أخبره أن أباه **سعداً** قال: استأذن عمرُ على رسول الله ﷺ وعنده نساءٌ من قريشٍ يكلّمنه ويستكثرنه، عاليةٌ أصواتهن، فلمّا استأذنَ عمرُ قمن يبتدرنَ الحجابَ، فأذن له رسولُ اللهِ ﷺ، ورسولُ اللهِ ﷺ يضحكُ، فقال عمرُ رضي الله عنه: أضحكَ الله سنَّكَ يا رسولَ اللهِ! فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**عجبتُ من هؤلاءِ اللاتي كنَّ عندي، فلمّا سمعنَ صوتَك ابتدرنَ الحجابَ**»، قال عمر: فأنتَ يا رسولَ اللهِ! أحقّ أن يهبنَ، ثم قال عمر: أيْ عدوَّاتِ أنفسهنَّ! أتهبنَني ولا تهبنَ رسول الله ﷺ؟ قلن: نعم، أنتَ أغلظُ وأفظُّ من رسولِ اللهِ ﷺ، قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده ما لقيكَ الشيطانُ قط سالكاً فجّاً إلا سلك فجّاً غيرَ فجِّكَ**»(٢).

---

(١) هو: سعد بن مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشي الزهري، أحد العشرة وآخرهم موتاً، روى عن النبي ﷺ كثيراً، وروى عنه بنوه: إبراهيم، وعامر، ومصعب، وعمر، ومحمد، وعائشة، ومن الصحابة: عائشة، وابن عباس، وابن عمر، ومن كبار التابعين: سعيد بن المسيب، وأبو عثمان النهدي، وقيس بن أبي حازم وغيرهم، وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله، وهو أحد الستة أهل الشورى، مات سنة ٥١هـ، وقيل: ٥٦هـ، وقيل: ٥٧هـ، وقيل: ٥٨هـ. انظر ترجمته في: «الإصابة» (٢/ ٣٣).

(٢) «صحيح مسلم» رقم: (٢٣٩٦).

• وأخرج **أبو بكر بن أبي شيبة** من حديث **أبي سلمة** قال: قال سعد: أما واللهِ ما كان بأقدمنا إسلاماً، ولا أقدمنا هجرةً، ولكن قد عرفتُ بأيِّ شيء فضلَنا، كان أزهدَنا في الدنيا؛ يعني: عمر بن الخطاب[(١)].

❁ منع سعد من الخروج على عثمان:

• أما منعه من الخروج على عثمان، فقد أخرج **أبو يعلى** عن بسر بن سعيد أن سعد بن أبي وقاص قال عند فتنة عثمان: أشهدُ لسمعتُ رسول الله ﷺ قال: «**إنّها ستكونُ فتنةٌ، القاعدُ فيها خيرٌ من القائمِ، والقائمُ فيها خيرٌ من الماشي، والماشي خيرٌ من الساعي**»، قال: أرأيتَ إن دخل علي بيتي وبسط يده ليقتلني؟ قال: «**كن كابن آدم**»[(٢)].

• وأخرج **أبو يعلى** من حديث عامر بن سعد بن أبي وقاص أن أباه حين رأى اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ وتفرُّقهم اشترى له ماشيةً، ثم خرجَ فاعتزل فيها بأهله على ماءٍ [يقال له: قَلَهِّي[(٣)]]، قال: وكان سعدٌ أحدّ الناس بصراً، فرأى ذاتَ يوم شيئاً يزولُ، فقال لمن معه: ترون شيئاً؟ قالوا: نرى شيئاً كالطير قال: أرى راكباً على بعير، ثم جاء بعد قليل عمر بن سعد على بختي أو بختية، ثم قال: اللَّهُمَّ إنا نعوذُ بكَ من شرِّ ما جاء به، فسلَّم عمر ثم قال لأبيه: أرضيت أن تتبع أذناب هذه

---

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٨/ ١٤٩).

(٢) «مسند أبي يعلى» (٢/ ٩٥) رقم: (٧٥٠).

(٣) في الأصل الفارسي: «تلها» وهي تصحيف لما أثبتناه، قال ياقوت في «معجمه» (٤/ ٣٩٣ ـ ٣٩٤): «قلهي بفتح أوله وثانيه وتشديد الهاء وكسرها: حفيرة لسعد بن أبي وقاص، بها اعتزل سعد بن أبي وقاص الناس لما قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأمر أن لا يحدث بشيء من أخبار الناس حتى يصطلحوا، وروي فيه: قَلَهَيّا».

الماشية بين هذه الجبال وأصحابك يتنازعون في أمر الأمة؟ فقال سعد بن أبي وقاص: سمعت رسول الله ﷺ: «**إنّها ستكونُ بعدي فتنٌ ـ** أو قال: **أمورٌ ـ خيرُ الناسِ فيها الغنيُّ الخفيُّ التقي**»، فإن استطعتَ يا بني! أن تكون كذلك فكن، فقال له عمر: أما عندك غير هذا؟ فقال له: لا يا بني! فوثب عمر ليركب، ولم يكن حطّ عن بعيره، فقال له سعد: أمهل حتَّى نُغَدِّيْكَ، قال: لا حاجة لي بغدائكم، قال سعدٌ: فنحلبَ لك فنسقيك، قال: لا حاجة لي بشرابكم، ثم ركب فانصرف مكانه[١].

۞ الخلافة في قريش:

• وأما ما يُستأنس به من حديثه على أنَّ الخلافةَ في قريشٍ، فقد أخرجَ **أبو يعلى** عن محمد بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ يُرِدْ هوانَ قريشٍ أهانَهُ اللهُ** ﷻ»[٢].

۞ ۞ ۞

(١) «مسند أبي يعلى» (٢/ ٩٣) رقم: (٧٤٩).
(٢) «مسند أبي يعلى» (٢/ ١١٣) رقم: (٧٧٥).




ومن مسند سعيد بن زيد[(١)] رضي الله عنه

❁ بشارة العشرة بالجنة:

• أما حديثه في بشارة العشرة بالجنة، فقد أخرج **أبو يعلى** عن عبد الرحمٰن بن الأخنس قال: خطبنا المغيرة بن شعبة، فنال من علي، فقام **سعيد بن زيد**، فقال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**النبيُّ في الجنة، وأبو بكر في الجنّةِ، وعمر في الجنّةِ، وعثمان في الجنّةِ، وعلي في الجنَّةِ، وطلحة في الجنّةِ، والزبير في الجنّةِ، وعبد الرحمٰن بن عوف في الجنّةِ، وسعد في الجنّةِ، ولو شئتُ أن أسمِّي العاشر، لسمَّيت**»[(٢)].

• وأخرج **الترمذي** عن عبد الرحمٰن بن حميد عن أبيه أن **سعيد بن زيد** حدَّثه في نفرٍ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**عشرةٌ في الجنّةِ: أبو بكر في**

---

(١) هو: أبو الأعور سعيد بن زيد بن عمرو القرشي العدوي، وابن عمّ عمر بن الخطاب، وكان صهرَ عمر، زوجَ أخته فاطمة بنت الخطاب، أسلمَ قديماً قبل عمر بن الخطاب هو وامرأته فاطمة بنت الخطاب، وهما كانا سبب إسلام عمر، وكان من المهاجرين الأولين، ولم يشهد بدراً، وضرب رسول الله ﷺ بسهمه وأجره، قال الواقدي: كان رسول الله ﷺ قد بعث قبل أن يخرج إلى بدر طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد إلى طريق الشام يتجسَّسان الأخبار، ثم رجعا إلى المدينة، فقدماها يوم الوقعة ببدرٍ، فضرب لهما رسول الله ﷺ بسهمهما وأجرهما، توفي سعيد بن زيد سنة ٥٠هـ أو ٥١هـ، وهو ابن بضع وسبعين سنة، وقيل: توفي سنة ٥٨هـ، بالعقيق من نواحي المدينة، وقيل: توفي بالمدينة والأول أصح. انظر: «أُسد الغابة» (٢/ ٢٣٥).

(٢) «مسند أبي يعلى» (٢/ ٢٥٩) رقم: (٩٧١).

الجنّةِ، وعمر في الجنّةِ، وعثمان [في الجنّةِ[١]]، وعلي [في الجنّةِ[٢]]، والزبير وطلحة وعبد الرحمٰن وأبو عبيدة وسعد بن أبي وقاص»، قال: فعدّ هؤلاءِ التسعة، وسكت عن العاشر، فقال القوم: ننشدك الله يا أبا الأعور! منِ العاشر؟ قال: نشدتموني بالله أبو الأعور في الجنة[٣].

❁ كون أبي بكر صدِّيقاً وباقي الخلفاء شهداء:

وأما بيان أن أبا بكر صدِّيق وسائرهم شهداء، فقد أخرج **أبو يعلى** عن عاصم عن زر عن **سعيد بن زيد** قال: اختبأنا مع رسول الله ﷺ فوق حِرَاءَ، فلمّا استوينا رجفَ بنا، فضربَه رسولُ الله ﷺ بكفِّه ثم قال: **«اسكنْ حِرَاءُ فإنَّه ليس عليك إلّا نبيٌّ أو صدِّيقٌ أو شهيدٌ»**، وعليه رسول الله ﷺ وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وعبد الرحمٰن، وسعيد بن زيد الذي حدَّث بالحديث[٤].

• وأخرج **البخاري** عن قيس قال: سمعت **سعيد بن زيد** بن عمرو بن نفيل في مسجد الكوفة يقول: واللهِ لقد رأيتَني وإنَّ عمر لموثقي على الإسلام قبل أن يسلمَ عمر، ولو أنَّ أُحُداً ارفضَّ للذي صنعتم بعثمانَ لكان[٥].

❁ ❁ ❁

---

(١) زاد على الأصل الفارسي.
(٢) زاد على الأصل الفارسي.
(٣) «سنن الترمذي» رقم: (٣٧٤٨).
(٤) «مسند أبي يعلى» (٢/ ٢٥٩) رقم: (٩٧٠).
(٥) «صحيح البخاري» رقم: (٣٨٦٢).




مسانيد المكثرين[(١)] من أصحاب النبي ﷺ

أوَّلها: مسند عبد الله بن مسعود[(٢)] رضي الله عنه

۞ بشارة الشيخين بالجنة:

• أما بشارة الشيخين بالجنة، فقد أخرج **الترمذي** عن عبد الله بن سلمة عن عبيدة السلماني عن **عبد الله بن مسعود** أنّ النبيَّ ﷺ، قال: **«يطلعُ عليكُم رجلٌ من أهلِ الجنّةِ»**، فاطلع أبو بكر، ثم قال: **«يَطْلُعُ عليكم رجلٌ من أهلِ الجنّة»**، فاطلع عمر[(٣)].

۞ أمر النبي ﷺ أمته بالاقتداء بالشيخين:

• وأما أمره ﷺ أمته بالاقتداء بهما، فقد أخرج **الترمذي والحاكم** من حديث سلمة بن كُهَيل عن أبي الزعراء عن **ابن مسعود** قال: قال

---

(١) **المكثرون**: الذين زاد حديثُهم على ألف، وهم ستة، ١ ـ أنس بن مالك، ٢ ـ وعبد الله بن عمر، ٣ ـ وأم المؤمنين عائشة، ٤ ـ وعبد الله بن عباس، ٥ ـ وأبو هريرة، ٦ ـ وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم، وزاد بعضهم: أبا سعيد الخدري رضي الله عنه. انظر: «فتح المغيث شرح ألفية الحديث» (٣/ ١٠٧).

(٢) هو: عبد الله بن مسعود بن غافل، أسلم قديماً، وهاجر الهجرتين، وشهد بدراً والمشاهد بعدها، ولازم النبيَّ ﷺ، وكان صاحبَ نعليه، وحدَّث عن النبي ﷺ بالكثير، وعن عمر، وسعد بن معاذ، وروى عنه ابناه عبد الرحمٰن وأبو عبيدة وابن أخيه عبد الله بن عتبة. انظر ترجمته في: «الإصابة» (٢/ ٣٦٩).

(٣) «سنن الترمذي» رقم: (٣٦٩٤).

رسول الله ﷺ: «**اقتدوا بالذين من بعدي من أصحابي أبي بكر وعمر واهتدوا بهدي عمّار، وتمسَّكوا بِعَهْدِ ابنِ مسعودٍ**»[١].

جعل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قول الخلفاء حجةً بعد حديث النبي ﷺ:

• وأما جعله قول الخلفاء إذا قضوا وأمضوا في ترتيب الأدلة بعد حديث النبي ﷺ وقبل القياس، فقد أخرج **الدارمي** عن سفيان عن **الأعمش**، عن عمارة بن عمير، عن حريث بن ظهير، عن **عبد الله بن مسعود** قال: أتى علينا زمانٌ لسنا نقضي ولسنا هنالك، وإنَّ اللهَ قد قدَّر من الأمرِ أن قد بلغنا ما ترونَ، فمن عُرِضَ له قضاءٌ بعد اليوم فليقض فيه بما في كتابِ الله عز وجل، فإن جاءه ما ليس في كتاب الله، فليقض بما قضى به رسولُ اللهِ ﷺ، فإن جاءه ما ليس في كتاب الله ولم يقضِ به رسولُ اللهِ ﷺ فليقض بما قضى به الصالحون، ولا يقل: إنِّي أخافُ، وأنِّي أرى؛ فإنَّ الحرامَ بيِّنٌ والحلالَ بيِّنٌ، وبين ذلك أمورٌ مشتبِهَةٌ، فدعْ ما يَرِيْبُكَ إلى ما لا يَرِيْبُكَ[٢].

وأخرج **الدارمي** هذا الحديث من حديث شعبة بالإسناد المذكور وفيه: فإذا سئلتم عن شيءٍ فانظروا في كتاب الله، فإن لم تجدوه في كتاب الله ففي سُنَّة رسول الله، فإن لم تجدوه في سُنَّةِ رسولِ اللهِ فما أجمعَ عليه المسلمون، فإن لم يكنْ فيما اجتمعَ عليه المسلمون، فاجتهد رأيك، ولا تقل: إنِّي أخافُ وأخشى، الحديث[٣].

---

(١) «سنن الترمذي» رقم: (٣٨٠٥)، و«المستدرك» (٣/ ٨٠).

(٢) «سنن الدارمي» (١/ ٧١) رقم: (١٦٥).

(٣) «سنن الدارمي» (١/ ٧٢) رقم: (١٦٨).

وأخرج **الدَّارمي** من حديث أبي عوانة وجرير كليهما[١] عن **الأعمش** نحواً من ذلك.

• وأخرج **الدَّارمي** من طريق **الأعمش** عن إبراهيم قال: قال **عبد الله**: كان عمر إذا سلكَ بنا طريقاً وجدناه سهلاً، فإنَّه قال في زوجٍ وأبوين: للزوجِ النصفُ وللأمِّ ثلثُ ما بقيَ[٢].

• وأخرج **الدَّارمي** من هذا الطريق أيضاً عن **عبد الله** قال: كان عمر إذا سلك بنا طريقاً اتبعناه فيه وجدناه سهلاً، وإنه قضى في امرأة وأبوين من أربعة، فأعطى المرأة الرُّبُع، والأمَّ ثُلُثَ ما بقي، والأبَ سهمين[٣].

قوله بأفضلية أبي بكر:

• أما قوله بأفضلية أبي بكر رضي الله عنه، فقد أخرج **أبو عمر** في «الاستيعاب» عن **عبد الله بن مسعود**: اجعلوا إمامَكم خيرَكم، فإنَّ رسولَ الله ﷺ جعلَ إمامَنا خيرَنا بعدَه[٤].

ثناؤه على عمر:

• وأما ثناؤه على عمرَ، وذكره سوابقَه، فقد أخرج **أبو عمر** عنه أنه قال: لأن أجلسَ مع عمرَ ساعةً خيرٌ عندي من عبادةِ سنةٍ[٥].

---

(١) لم يرو كلاهما عن الأعمش، بل يروي أبو عوانة عن سليمان وجرير عن الأعمش. انظر: «سنن الدارمي» (١/ ٧١) رقم: (١٦٥).

(٢) «سنن الدارمي» (٢/ ٤٤٣) رقم: (٢٨٦٥).

(٣) «سنن الدارمي» (٢/ ٤٤٤) رقم: (٢٨٧٢).

(٤) «الاستيعاب» (١/ ٢٩٧) رقم الترجمة: (١٦٣٣)، وفي النسخة الفارسية الأصلية: «أفضلكم» مكان «خيركم»، و«جعل أبا بكر إمامهم» مكان «جعل إمامنا خيرنا بعده».

(٥) «الاستيعاب» (١/ ٣٥٥) رقم الترجمة: (١٨٧٨)، ولفظه هكذا: «ولمجلس كنت أجلسه مع عمر أوثقُ في نفسي من عمل سنة».

• وأخرج **الحاكم** من طريق مجالد عن الشعبي عن مسروق عن **ابن مسعود** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ أعزَّ الإسلامَ بعمرَ بنِ الخطاب أو بأبي جهل بن هشام**»، فجعلَ اللهَ دعوةَ رسولِ اللهِ ﷺ لعمرَ رضي الله عنه، فبنى عليه مُلْكَ الإسلام، وهَدَمَ به الأوثانَ[١].

• وأخرج **الحاكم** من طريق المسعودي عن القاسم بن عبد الرحمٰن عن أبيه عن **عبد الله** رضي الله عنه قال: واللهِ ما استطعنا أن نصلِّيَ عندَ الكعبةِ ظاهرينَ حتّى أسلمَ عمرُ[٢].

• وأخرج **الحاكم** من طريق سفيان عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن **ابن مسعود** رضي الله عنه قال: ما زلنا أعزةً منذُ أسلمَ عمر[٣].

• وأخرج **الحاكم** عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة قال: قال **عبد الله** رضي الله عنه: إنَّ أفرسَ الناسِ ثلاثةٌ: العزيزُ حين تفرَّسَ في يوسفَ، فقال لامرأته: ﴿أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ﴾، والمرأةُ التي رأتْ موسى عليه السلام، فقالت لأبيها: يا أبتِ! استأجره، وأبو بكر حين استخلفَ عمرَ رضي الله عنهما[٤].

• وأخرج **الحاكم** من طريق زهير عن يزيد بن أبي زياد عن أبي جحيفة عن **عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه قال: إن كان عمرُ حصناً حصيناً يدخل الإسلام فيه ولا يخرج منه، فلمَّا أصيبَ عمرُ انثلم الحصنُ، فالإسلام يُخْرَجُ منه ولا يُدْخَلُ فيه، إذا ذكر الصالحونَ فحيَّهلا بِعُمَرَ[٥].

حكايته لدفع عمر الأنصار عن الخلاف بحديث إمامة الصدِّيق:

• وأما حكايته دفع الأنصار بحديث إمامة الصدِّيق رضي الله عنه، فقد

---

(١) «المستدرك» (٣/ ٨٩).
(٢) «المستدرك» (٣/ ٩٠).
(٣) «المستدرك» (٣/ ٩٠).
(٤) «المستدرك» (٣/ ٩٦).
(٥) «المستدرك» (٣/ ١٠٠).

أخرج **الحاكم** عن عاصم عن زر عن **عبد الله** رضي الله عنه قال: لما قُبض رسول الله ﷺ قالت الأنصار: منّا أمير ومنكم أمير، قال: فأتاهم عمرُ رضي الله عنه فقال: يا معشرَ الأنصار! ألستُم تعلمونَ أنَّ رسول الله ﷺ قد أمر أبا بكر يؤمَّ الناسَ؟ فأيُّكم تطيبُ نفسُه أن يتقدَّم أبا بكر رضي الله عنه؟ فقالت الأنصار: نعوذ بالله أن نتقدَّمَ أبا بكر[١].

❁ استدلاله على خلافة الصدِّيق بالإجماع:

• وأما استدلاله على خلافة الصدِّيق بالإجماع، فقد أخرج **الحاكم** عن عاصم عن زر عن **عبد الله** قال: ما رأى المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون سيئاً فهو عند الله سيئ، وقد رأى الصحابة جميعاً أن يستخلفوا أبا بكرٍ رضي الله عنه[٢].

❁ استدلاله على خلافة الصدِّيق بخطبة النبيِّ ﷺ قبل وفاته بخمس ليال:

• وأما استدلاله بخطبة النبي ﷺ قبل وفاته بخمس ليالٍ بمناقب الصدِّيق مما هو تعريض ظاهر على خلافته، وعلى هذه الطريقة اعتمد أبو عمر في «الاستيعاب»، فقد أخرج **مسلم** عن أبي الأحوص قال: سمعتُ **عبد الله بن مسعود** يحدِّث عن النبيِّ ﷺ أنه قال: **«لو كنتُ متّخذاً خليلاً لاتخذتُ أبا بكرٍ خليلاً، ولكنّه أخي وصاحبي، وقد اتخذَ اللهُ عز وجل صاحبَكم خليلاً»**[٣].

❁ ما يستدلّ به على خلافة الخلفاء:

• وأما ما يستدلّ به على خلافة الخلفاء الثلاثة من بيان المدة التي

---

(١) «المستدرك» (٣/ ٧٠).
(٢) «المستدرك» (٣/ ٨٣).
(٣) «صحيح مسلم» رقم: (٣٣٨٣).

ضربها النبيُّ رضي الله عنه لدوران رحى الإسلام ووقوع خلافتهم في تلك المدة، فقد أخرج **الحاكم** من طرق عن منصور عن ربعي بن حراش عن البراء بن ناجية قال: قال **عبد الله**: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إنَّ رحى الإسلامِ ستزولُ بعدَ خمسٍ وثلاثينَ، أو ستٍّ وثلاثينَ، أو سبعٍ وثلاثينَ سنة، فإن يهلكوا فسبيلُ مَنْ هلك، وإن بقيَ لهم دينُهم يَقُمْ سبعين**»، قال عمر رضي الله عنه: يا نبيَّ الله! بما مضى أو بما بقي؟ قال: «**لا، بل بما بقي**»[١].

• وروى **الحاكم** بأسانيدَ صحيحة من طرق متعددة أنَّ عثمان رضي الله عنه قُتِلَ في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، وكانت خلافته ثنتي عشرة سنة[٢].

الاستدلال على خلافتهم بحديث القرون الثلاثة:

• وأما ما يستدلُّ به على خلافتهم من حديث القرون الثلاثة، فقد أخرج **أحمد** عن إبراهيم عن عبيدة عن **عبد الله** قال: قال رسول الله ﷺ: «**خيرُ الناسِ قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، [ثم الذين يلونهم**[٣]**]، ثم يأتي بعدَ ذلكَ قومٌ تسبِقُ شهاداتُهم أيمانَهم، وأيمانُهم شهاداتِهم**»[٤].

وبناء هذا الاستدلال على توجيه صحيحٍ بحيث تؤيِّده معظم الأحاديث، هو أنَّ المرادَ بالقرن الأول المدة بين زمن هجرة النبي ﷺ ووفاته، وبالقرن الثاني المدة من بداية خلافة الصدِّيق رضي الله عنه إلى وفاة عمر

(١) «المستدرك» (٣/ ١٠٨).
(٢) «المستدرك» (٣/ ١٠٢).
(٣) «ثم الذين يلونهم» وردت في الأصل الفارسي مرتين فقط، وقد أحال المحقِّقُ الفاضل شعيب الأرنؤوط في هامش «مسند أحمد» (٧/ ٧٦) رقم: (٣٥٩٤) في ورودها مرتين إلى مخطوط المكتبة الظاهرية برقم: (١٤).
(٤) «مسند أحمد» (٧/ ٧٦) رقم: (٣٥٩٤).

الفاروق ﷺ، وبالقرن الثالث عهد خلافة سيدنا عثمان بن عفان ﷺ، وكل قرن يشتمل على اثنتي عشرة سنة على التقريب، والقرن يستعمل في اللغة بمعنى القوم الذين هم مماثلون في السنِّ، ويستعمل أيضاً إذا كان للقوم الذين هم متشابهون في الرئاسة والخلافة يُطلقُ ذلك توسُّعاً، ويصدقُ أيضاً تغيّر القرن إذا وقع تغيّر الخليفة والوزراء والأمراء ورؤساء الجيوش والجنود والمحاربين والذميين.

قول عبد الله بن مسعود في خلافة عثمان:

• وأما قوله في خلافة عثمان، فقد أخرج **الحاكم** من حديث **الأعمش** عن عبد الله بن يسار[1] قال: جاءت بيعة عثمان ﷺ، قال **عبد الله**: ما آلو عن أعلانا ذا فوق[2].

منعه من الخروج على عثمان:

• وأما منعه من الخروج على عثمان، فقد أخرجَ **أبو بكر بن أبي شيبة** عن أبي سعيد مولى **ابن مسعود** قال: قال **عبد الله**: لئن قتلوا عثمان لا يصيبوا منه خلفاً[3].

❁ ❁ ❁

(١) في الأصل الفارسي: «عبد الله بن بشّار» وهو تصحيف.
(٢) «المستدرك» (٣/ ١٠٤).
(٣) «مصنف ابن أبي شيبة» (٨/ ٦٨٢).




ومن مسند عبد الله بن عمر[١] رضي الله عنه

الخلافة في قريش:

• أما أنّ الخلافةَ في قريش، فقد أخرج **أحمد وأبو يعلى** وغيرهما من طرق شتَّى عن عبد الله بن عمر عن النبيِّ ﷺ قال: «**لا يزالُ هذا الأمرُ في قريشٍ ما بقيَ في الناسِ اثنانِ**»[٢].

المهاجرون الأولون أولى بالخلافة:

• وأمّا أنّ المهاجرين الأولين الذين جاهدوا مع رسول الله ﷺ قريشاً في أول الإسلام أولى بالخلافة، فقد أخرج **البخاري** من طريق معمر عن الزهري عن سالم عن أبيه حديثاً فيه: فلمّا تفرَّق الناسُ خطب معاويةُ، قال: من كان يريدُ أن يتكلَّم في هذا الأمر فليطلعْ لنا قرنه، فلنحنُ أحقُّ به منه ومن أبيه، قال حبيبُ بن مسلمة: فهلَّا أجبته؟ قال عبد الله: فحللتُ حبوتي، وهممتُ أن أقولَ: أحقُّ بهذا الأمر منك مَنْ

---

(١) وعبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي، أسلم مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم، وقد قيل: إنَّ إسلامه قبل إسلام أبيه ولا يصحُّ، وإنما كانت هجرته قبل هجرة أبيه، فظنَّ بعضُ الناسِ أنَّ إسلامَه قبل إسلام أبيه، أجمعوا على أنّه لم يشهد بدراً، استصغره النبيُّ ﷺ فردَّه، واختلفوا في شهوده أُحداً، وروى عن النبيّ ﷺ الكثير، وروى عن أبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم، مات وهو ابن ست وثمانين سنة، وقيل: أربع وثمانين، توفي سنة ٧٤هـ. انظر ترجمته: في «أُسد الغابة» (٣/٢٣٦).

(٢) «مسند أحمد» (٢/١٢٨) رقم: (٦١٢١)، «مسند أبي يعلى» (٩/٤٣٨) رقم: (٥٥٨٩).

قاتلك وأباك على الإسلامِ، فخشيتُ أن أقول كلمةً تفرِّقُ بين الجمع، وتسفكُ الدمَ، ويُحمَل عني غير ذلك، فذكرت ما أعدَّ الله في الجنان، قال حبيب: حُفِظتَ وعُصِمتَ[1].

أفضلية الخلفاء على ترتيب الخلافة:

• أما أفضلية الخلفاء على ترتيب الخلافة، فقد اشتهر عن **ابن عمر** بروايات فيها العدد والثقة، فقد أخرج **البخاري** من طريق يحيى بن سعيد عن نافع عن **ابن عمر** رضي الله عنهما قال: كنّا نخيِّر بين الناس في زمن النبيِّ ﷺ فنخيِّرُ أبا بكر، ثم عمرَ بنَ الخطاب، ثم عثمانَ بن عفانَ رضي الله عنهم[2].

• وأخرج **البخاري**[3] **وأبو داود**[4] عن عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون، عن عبيد الله، عن نافع، عن **ابن عُمَرَ** رضي الله عنهما، قَالَ: كُنَّا فِي زَمَنِ النبيِّ ﷺ لَا نَعْدِلُ بِأَبِي بَكْرٍ أَحَداً، ثُمَّ عُمَرَ، ثُمَّ عُثْمَانَ، ثُمَّ نَتْرُكُ أَصْحَابَ النّبي ﷺ لا نفاضِلُ بينهم[5].

• وأخرج **أبو داود** من حديث يونس عن ابن شهاب قال: قال سالم بن عبد الله: إن **ابن عمر** قال: كنا نقولُ ورسولُ اللهِ ﷺ حيٌّ: أفضلُ أمةِ النبيِّ ﷺ بعدَه أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان رضي الله عنهم[6].

• وأخرج **الترمذي** من طريق حارث بن عمير عن عبيد الله بن عمر

---

(١) «صحيح البخاري» رقم: (٤١٠٨).
(٢) «صحيح البخاري» رقم: (٣٦٥٥).
(٣) «صحيح البخاري» رقم: (٣٦٩٧).
(٤) «سنن أبي داود» رقم: (٤٦٢٧).
(٥) إن تتبُّعَ الأحاديث النبوية يفيد أنَّ أفضلية الشيخين بين الصحابة كان من الإجماعيات السابقة القديمة، ثم قامت عقيدة أفضلية عثمان بعدهما، وأما علي المرتضى فثبتت أفضليته عند أواخر حياة النبي ﷺ أو بعدها، لذلك، فإنّ في أكثر الأحاديث ذكر الشيخين، وفي بعضها ذكر عثمان، وذكر أفضلية علي في الأحاديث المتأخِّرة، وهي مختلَفٌ فيها بين مجتهدي الأمة.
(٦) «سنن أبي داود» رقم: (٤٦٢٨).

عن نافع عن **ابن عمر** قال: كُنّا نقولُ ورسولُ اللهِ ﷺ حيٌّ: أبو بكر، وعمر، وعثمان[١].

• وفي بعض طرق **أحمد**[٢] **وأبي يعلى** ذكر علي رضي الله عنه، فأخرج **أبو يعلى** عن عمر بن أسيد عن **ابن عمر** قال: كُنّا نقولُ على عهد رسول الله ﷺ: النبيُّ، ثم أبو بكر، ثم عمر، ولقد أعطيَ عليُّ بنُ أبي طالب ثلاثَ خصالٍ؛ لأنْ يكونَ فيَّ واحدةٌ منهنَّ أحبُّ إليَّ من حمر النعم: تزوَّجَ فاطمة، وولدت له، وغلَّق الأبواب غير بابه، ودفع الراية إليه يومَ خيبر[٣].

رؤيا القليب حجة ظاهرة في خلافة الشيخين:

• أما رؤيا القليب التي هي حجة ظاهرة في خلافة الشيخين، فقد أخرج **البخاري** من حديث عبيد الله قال: حدثني أبو بكر بن سالم عن سالم عن **عبد الله بن عمر** رضي الله عنهما: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**أُرِيتُ في المنام أنّي أنزعُ بدلوِ بكرةٍ على قليبٍ، فجاءَ أبو بكر، فنزعَ ذنوباً أو ذنوبين نزعاً ضعيفاً، واللهُ يغفِرُ له، ثم جاءَ عمرُ بنُ الخطاب، فاستحالتْ غَرْباً، فلم أرَ عبقرياً يفرِي فريه حتَّى روي الناسُ وضربوا بِعَطَنٍ**»[٤].

التعريض الظاهر على خلافة الخلفاء:

• أمّا التعريضُ الظاهر على خلافتهم من جهة ذكر فضائلهم على الترتيب، فقد أخرجَ **أبو يعلى** من طريق محمد بن عبد الرحمٰن عن أبيه عن **ابن عمر** قال: قال رسول الله ﷺ: «**أرأفُ أُمَّتِي بأُمتّي أبو بكر، وأشدّهم في الإسلام عمرُ، وأصدقُهم حياءً عثمانُ بنُ عفان، وأقضاهم**

---

(١) «سنن الترمذي» رقم: (٣٧٠٧).
(٢) «مسند أحمد» (٨/ ٤١٦) رقم: (٤٧٩٧)، إسناده ضعيف.
(٣) «مسند أبي يعلى» (٩/ ٤٥٢) رقم: (٥٦٠١).
(٤) «صحيح البخاري» رقم: (٣٦٨٢).

عليُّ بنُ أبي طالب، وأفرضُهم زيدُ بنُ ثابتٍ، وأعلمُهم بالحلالِ والحرامِ معاذِ بن جبلٍ، وأقرؤهم أُبيُّ بنُ كعبٍ، ولكلِّ أُمةٍ أمينٌ، وأمينُ هذه الأمةِ أبو عبيدةَ بنُ الجرّاح»[(١)].

بشارة الشيخين بأنهما يبعثان مع النبي ﷺ:

• أما بشارة الشيخين بأنهما يُبعثان مع النبي ﷺ، فقد أخرج **الترمذي والحاكم**، من طريق عاصم بن عمر العمري عن عبد الله بن دينار عن **ابن عمر** قال: قال رسول الله ﷺ: **«أنا أوّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عنه الأرضُ، ثُمَّ أبو بكرٍ، ثم عمرُ، ثم آتي أهلَ البقيعِ، فيحشرونَ معي، ثم أنتظرُ أهلَ مكة حتّى أحشرَ بين الحرمينِ»**[(٢)].

• وأخرج **ابن ماجه والحاكم** من طريق إسماعيل بن أمية عن نافع عن **ابن عمر** قال: خرج رسول الله ﷺ بين أبي بكر وعمر فقال: **«هكذا نُبعَثُ»**[(٣)].

❁ مناقب أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه:

• وأما مناقب الصدِّيق رضي الله عنه، فقد أخرجَ **البخاريُّ** من طريق موسى بن عقبة عن سَالِمٍ عَنْ أبيه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ أَحَدَ شِقَّيْ ثَوْبِي يَسْتَرْخِي إِلا أَنْ أَتَعَاهَدَ ذَلِكَ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنَّكَ لَسْتَ تَصْنَعُ ذَلِكَ خُيَلَاءَ»**[(٤)].

---

(١) «مسند أبي يعلى» (١٠/ ١٤١) رقم: (٥٧٦٣).
(٢) «سنن الترمذي» رقم: (٣٦٩٢)، «المستدرك» (٢/ ٥٠٥).
(٣) «سنن ابن ماجه» رقم: (٩٩)، «المستدرك» (٣/ ٧١).
(٤) «صحيح البخاري» رقم: (٣٦٦٥).

وأخرج **الترمذي** من حديث جُمَيْع بن عمير عن **ابن عمر**: أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر: «**أنت صاحبي على الحوضِ وصاحبي في الغارِ**»[١].

❁ مناقبُ عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

• وأما مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد أخرج **البخاري ومسلم** وغيرهما بطرق متعددة عن **ابن عمر** أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**بينا أنا نائمٌ شربتُ؛ يعني: اللبن حتَّى أنظرَ إلى الريّ يجري في ظفري أو في أظفاري ثم ناولتُ عمرَ**»، فقالوا: فما أوَّلته؟ قال: «**العلم**»[٢].

• وأخرج **البخاري** من طريق عمر بن محمد أن زيد بن أسلم حدَّثه عن أبيه قال: سألني ابنُ عمرَ عن بعض شأنه؛ يعني: عمر، فأخبرته، فقال: ما رأيتُ أحداً قطّ بعد رسولِ اللهِ ﷺ من حين قُبِضَ كان أجدّ وأجود حتّى انتهى من عمر بن الخطاب[٣].

• وأخرج **الترمذي** من طريق خارجة بن عبد الله الأنصاري عن نافع عن **ابن عمر** أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**اللَّهُمَّ أعزَّ الإسلامَ بأحبِّ هذين الرجلينِ إليكَ بأبي جهلٍ أو بعمرَ بنِ الخطّاب**»، قال: وكان أحبّهما إليه عمر[٤].

• وأخرج **الترمذي** أيضاً من هذا الطريق عن **ابن عمر** أن رسول الله ﷺ قال: «**إنّ الله جعلَ الحقَّ على لسانِ عمرَ وقلبِه**»، وقال ابن عمر: ما نزل بالناس أمرٌ قطّ، فقالوا فيه، وقال فيه عمر، إلّا نزلَ فيه

---

(١) «سنن الترمذي» رقم: (٣٦٧٠).
(٢) «صحيح البخاري» رقم: (٣٦٨١)، «صحيح مسلم» رقم: (٢٣٩١).
(٣) «صحيح البخاري» رقم: (٣٦٨٧). (٤) «سنن الترمذي» رقم: (٣٦٨١).

القرآنُ على نحو ما قال عمر[١].

• وأخرج **الحاكم** من طريق خالد بن أبي بكر بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر، عن سالم بن عبد الله، عن **عبد الله بن عمر** رضي الله عنهما: أنّ رسولَ اللهِ ﷺ ضربَ صدرَ عمرَ بنَ الخطاب بيده حين أسلمَ ثلاثَ مرَّات وهو يقول: «**اللَّهُمَّ أخرجْ ما في صدرِهِ مِنْ غلٍّ، وأبدله إيماناً**»، يقول ذلك ثلاثاً[٢].

•وأخرج **الحاكم** من حديث عبيد الله عن نافع عن **ابن عمر** رضي الله عنهما أن النبيَّ ﷺ قال: «**اللَّهُمَّ أيِّدِ الدينَ بعمرَ بنِ الخطّاب**»[٣].

البشارة لأهل بدر:

• وأما بشارة أهل بدر، فقد أخرج **أبو يعلى** من طريق عمر بن حمزة عن سالم عن **أبيه** قصة حاطب بن أبي بلتعة، وفيه: فقال عمر: ائذن لي فيه، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**أو كنتَ قاتِلَه؟**»، قال: نعم، إنْ أذنتَ لي فيه، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**وما يُدريكَ؟ لعلَّ اللهَ اطَّلَعَ على أهلِ بدرٍ، فقالَ: اعملوا ما شِئْتُم**»[٤].

دفاع ابن عمر عن عثمان:

• وأما ذبُّه عن عثمان، فقد أخرجَ **البخاريُّ** عن عثمان بن موهب قال: جاء رجل من أهل مصر، وحجَّ البيتَ، فرأى قوماً جلوساً، فقال: مَنْ هؤلاء القوم؟ فقالوا: هؤلاء قريش، قال: فمن الشيخُ فيهم؟ قالوا: عبدُ الله بن عمر، قال: يا ابن عمر! إني سائلك عن شيء، فحدِّثني: هل

---

(١) «سنن الترمذي» رقم: (٣٦٨٢). (٢) «المستدرك» (٣/ ٩١).
(٣) «المستدرك» (٣/ ٨٩).
(٤) «مسند أبي يعلى» (٩/ ٣٩٢) رقم: (٥٥٢٢).

تعلمُ أنَّ عثمانَ فرّ يومَ أُحد؟ قال: نعم، فقال: تعلمُ أنَّه تغيَّبَ عن بدر فلم يشهدها؟ قال: نعم، قال: تعلمُ أنّه تغيَّب عن بيعةِ الرضوانِ فلم يشهدْها؟ قال: نعم، قال: الله أكبر.

قال ابن عمر: تعال أبيِّنُ لكَ، أما فراره يوم أُحد، فأشهدُ أنّ الله عفا عنه وغفر له، وأمّا تغيُّبه عن بدر، فإنّه كانت تحته بنتُ رسولِ اللهِ ﷺ، وكانت مريضةً، فقال له رسولُ اللهِ ﷺ: «**إنَّ لكَ أجرَ رجلٍ ممّنْ شهدَ بدراً وسهمَه**»، وأمّا تغيُّبه عن بيعةِ الرضوانِ فلو كان أحدٌ أعزَّ ببطن مكة من عثمانَ لبعثه مكانَه، فبعثَ رسولُ اللهِ ﷺ عثمانَ، وكانت بيعةُ الرضوان بعد ما ذهبَ عثمانُ إلى مكة، فقال رسولُ اللهِ ﷺ بيده اليمنى: «**هذه يدُ عثمانَ**»، فضربَ بها على يده، فقال: «**هذه لعثمان**»، فقال له ابن عمر: اذهب بها الآن معك[1].

❁ روايته أن عثمان رضي الله عنه يُقتل مظلوماً:

• وأما روايته في عثمان أنه يُقتل مظلوماً، فقد أخرج **الترمذي** عن كليب بن وائل عن **ابن عمر** قال: ذكر رسول الله ﷺ فتنةً، فقال: «**يُقتل فيها هذا مظلوماً**» لعثمان[2].

• وأخرج **الحاكم** عن أيوب عن نافع عن **ابن عمر** رضي الله عنهما أنَّ عثمانَ أصبحَ فحدَّث، فقال: إنِّي رأيتُ النبيَّ ﷺ في المنامِ الليلة، فقال: يا عثمانُ! أفطر عندنا، فأصبحَ عثمانُ صائماً، فقُتل من يومِهِ رضي الله عنه[3].

❁ ابتعاده عن الفتنة:

• وأما قعوده من الفتنة، فأخرج **أبو يعلى** من حديث عُمَرَ بْنِ

---

(١) «صحيح البخاري» رقم: (٣٦٩٨، ٤٠٦٦).

(٢) «سنن الترمذي» رقم: (٣٧٠٨).
(٣) «المستدرك» (٣/ ١١٠).

مُحَمَّدٍ، أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: كُنَّا نَتَحَدَّثُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، لا نَدْرِي مَا حَجَّةُ الْوَدَاعِ، فَحَمِدَ اللهَ رَسُولُهُ وَحْدَهُ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ ذَكَرَ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ، فَأَطْنَبَ فِي ذِكْرِهِ، ثُمَّ قَالَ: **«مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلا قَدْ أَنْذَرَهُ أُمَّتَهُ، لَقَدْ أَنْذَرَهُ نُوحٌ، وَالنَّبِيُّونَ مِنْ بَعْدِهِ، وَإِنَّهُ يَخْرُجُ فِيكُمْ، وَمَا خَفِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ شَأْنِهِ، فَلا يَخْفَى عَلَيْكُمْ إِنَّهُ أَعْوَرُ عَيْنِ الْيُمْنَى، كَأَنَّهَا عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، أَلا هَلْ بَلَّغْتُ»**؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: **«اللَّهُمَّ اشْهَدْ»**، ثُمَّ قَالَ: **«وَيْلَكُمْ أَوْ وَيْحَكُمُ انْظُرُوا، لا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّاراً يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»**(١).

• وأخرج **أبو يعلى**، عن ابْنِ فُضَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سَالِمٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **«إِنَّ الْفِتْنَةَ تَجِيءُ مِنْ هَاهُنَا، وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ نَحْوَ الْمَشْرِقِ، حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ، وَأَنْتُمْ يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، وَإِنَّمَا قَتَلَ مُوسَى الَّذِي قَتَلَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ خَطَأً، قَالَ اللهُ لَهُ:** ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ [طه: ٤٠]»(٢).

---

(١) «مسند أبي يعلى» (٩/ ٤٣٤) رقم: (٥٥٨٦).

(٢) «مسند أبي يعلى» (٩/ ٣٨٣) رقم: (٥٥١١).




ومن مسند عبد الله بن عباس رضي الله عنهما[(١)]

خطبة النبيِّ ﷺ قُبيل وفاته:

• أمّا ما يُستدلّ به على خلافة الصدِّيق رضي الله عنه من خطبة النبيِّ ﷺ قبل وفاته، فقد أخرج **البخاري** من حديث أَيُّوبَ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِي ﷺ قَالَ: **«وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً مِنْ أُمَّتِي خَلِيلاً لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أَخِي وَصَاحِبِي»**[(٢)].

• وأخرج **أحمد** من حديث جرير، عن يعلى بن حكيم، عن عكرمة، عن **ابن عباس** قال: خرج رسولُ اللهِ ﷺ في مرضه الذي مات فيه عاصباً رأسه في خرقةٍ، فقعدَ على المنبر، فحمدَ الله، وأثنى عليه، ثم قال: **«إنّه ليسَ أحدٌ أمنَّ عليَّ في نفسِهِ ومالِهِ من أبي بكر بن أبي قُحَافةَ، ولو كنتُ متَّخِذاً من الناسِ خليلاً لاتّخذتُ أبا بكرٍ خليلاً، ولكنْ خلّة الإسلام أفضل، سُدُّوا عنِّي كلَّ خوخةٍ في هذا المسجدِ غير خوخةِ أبي بكر»**[(٣)].

---

(١) هو: عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم، أبو العباس، ابن عم رسول الله ﷺ، ولد وبنو هاشم بالشعب قبل الهجرة بثلاث، وقيل: بخمس، والأول أثبت، ويقال له: حَبْرُ العرب، كان أبيضَ، طويلاً، مشرباً صفرةً، جسيماً، وسيماً، صبيحَ الوجه، له وفرة يخضِبُ بالحناء، ماتَ بالطائف وفي وفاته أقوال: سنة ٦٥هـ، وقيل: ٥٧هـ، وقيل: ٥٨هـ، وهو الصحيحُ في قول الجمهور. انظر ترجمته في: «الإصابة» (٢/ ٣٣٤).

(٢) «صحيح البخاري» رقم: (٣٦٥٦).

(٣) «مسند أحمد» (١/ ٢٧٠) رقم: (٢٤٣٢).

الاستدلال بحديث الإمامة على خلافة الصدِّيق:

• وأما ما يُستدلّ به على خلافة الصدِّيق رضي الله عنه من حديث الإمامة، فقد أخرج **أحمد** من حديث أبي إسحاق، عن أرقم بن شرحبيل، عن **ابن عباس** في قصّة مرضه ﷺ: فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فقال: «**مروا أبا بكر يصلِّي بالناسِ**»، الحديث[1].

مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

• وأما مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد أخرج **ابن ماجه** من حديث العوَّام بن حوشب عن مجاهد عن **ابن عباس** قال: لمّا أسلمَ عمرُ نزل جبريل، فقال: يا محمّدُ! لقد استبشرَ أهلُ السماءِ بإسلامِ عمرَ[2].

• وأخرج **الحاكم** عن **ابن عباس** رضي الله عنهما، عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**اللَّهُمَّ أعزَّ الإسلامَ بعمر**»[3].

• وأخرج **الترمذي** من حديث النضر أبي عمر عن عكرمة عن **ابن عباس** أن النبيَّ ﷺ قال: «**اللَّهُمَّ أعزَّ الإسلامَ بأبي جهلِ بنِ هشامٍ أو بعمرَ**»، قال: فأصبحَ فغدا عمرُ على رسولِ اللهِ ﷺ فأسلمَ[4].

• وأخرج **البخاري** من حديث أيوب، عن ابن أبي مليكة، عن المسور بن مخرمة، قال: لمّا طُعِنَ عمرُ جعل يألَمُ، فقال له **ابنُ عباس** وكأنه يجزِّعه: يا أميرَ المؤمنين! ولئن كان ذاك[5] لقد صحبتَ رسولَ اللهِ ﷺ، فأحسنت صحبتَه، ثم فارقتَه وهو عنك راضٍ، ثم

---

(١) «مسند أحمد» (١/٣٥٦) رقم: (٣٣٥٥).

(٢) «سنن ابن ماجه» رقم: (١٠٣).

(٣) «المستدرك» (٣/٨٩).

(٤) «سنن الترمذي» رقم: (٣٦٨٣).

(٥) في الأصل الفارسي: «ولا كل كذلك»، لعلَّه تصحيف.

صحبتَ أبا بكر، فأحسنتَ صحبتَه، ثم فارقتَه، وهو عنكَ راضٍ، ثم صحبتَهم فأحسنتَ صحبَتهم، ولئن فارقتَهم لتفارقنَّهم وهم عنك راضون، قال: أمّا ما ذكرتَ من صحبةِ رسولِ اللهِ ﷺ ورضاه، فإنّما ذاك منٌّ مِنَ الله تعالى منَّ به عليّ، وأمَّا ما ذكرتَ من صحبةِ أبي بكر ورضاه فإنَّما ذاك منٌّ من الله جلَّ ذكره منَّ به عليّ، وأمَّا ما ترى من جزعي فهو من أجلك وأجل أصحابك، واللهِ لو أنَّ لي طِلاعَ الأرضِ ذهباً لافتديتُ به من عذابِ اللهِ ﷻ قبل أن أراه[(١)].

احتجاج عبد الله بن عباس بأقوال الشيخين بعد الحديث:

• وأما جعله قول الشيخين رضي الله عنهما في ترتيبِ الأدلّةِ بعدَ حديث النبي ﷺ وقبل القياس، فقد أخرج **الدارمي** عن عبيد الله[(٢)] بن أبي يزيد قال: كان ابن عباس إذا سُئِلَ عن الأمر فكان في القرآن أخبرَ به، وإن لم يكن في القرآنِ وكان عن رسولِ اللهِ ﷺ أخبرَ به، فإن لم يكن فعن أبي بكر وعمر، فإن لم يكن قال فيه برأيه[(٣)].

دلالة حديث الظلة:

• وأما ما يُستدلّ به على خلافة الخلفاء من حديث رؤيا الظلَّة، فقد أخرج **أحمد** وغيره من حديث سفيان عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن **ابن عباس** قال:

رأى رجلٌ رؤياً، فجاءَ النبيَّ ﷺ فقال: إنِّي رأيتُ كأنَّ ظلَّةً تنطِفُ عسلاً وسمناً، فكان الناسُ يأخذون منها، فبين مستكثرٍ، وبين مستقلٍّ، وبين ذلك، وكأنّ سبباً متّصلاً إلى السماء، فجئتَ فأخذتَ به، فعلوتَ

---

(١) «صحيح البخاري» رقم: (٣٦٩٢). (٢) في الأصل الفارسي: «عبد الله».
(٣) «سنن الدارمي» (١/ ٧١) رقم: (١٦٦).

فأعلاك[١] الله، ثم جاء رجل من بعدك، فأخذ به فعلا فعلَّاه الله، ثم جاء رجل من بعدكما، فأخذ به فعلا فأعلاه الله، ثم جاء رجل من بعدكم فأخذ به فقُطِعَ به، ثم وصل له فعلا، فأعلاه الله.

قال أبو بكر: ائذن لي يا رسولَ اللهِ! فأعْبُرَها، فأذن له، فقال: أمّا الظلّةُ فالإسلامُ، وأما العسلُ والسمنُ فحلاوةُ القرآنِ، فبين مستكثر وبين مستقلّ وبين ذلك، وأمّا السببُ فما أنتَ عليه، تعلو فيُعليك الله، ثم يكون من بعدك رجلٌ على منهاجك، فيعلو ويُعليه الله، ثم يكون من بعدكما رجلٌ فيأخذ بأخذِكُما، فيعلو فيُعليه الله، ثم يكون من بعدكم رجل يُقْطَعُ به، ثم يُوصَلُ له، فيعلو فيُعليه الله، قال: أصبتُ يا رسول الله!؟

قال: «**أصبتَ وأخطأتَ**».

قال: أقسمتُ يا رسول الله! لتخبرني، فقال: «**لا تقسم**»[٢].

عدم نص النبيّ ﷺ بالخلافة لعليٍّ خاصة ولا لبني هاشم عامة:

• وأمّا أنّ النبيَّ ﷺ لم ينصّ بالخلافة لعلي خاصّةً ولا لبني هاشم عامّةً، فقد أخرج **أحمد** من حديث ابن المبارك، عن يونس، عن الزهري، عن عبد الله بن كعب، عن **ابن عباس** قال: خرج عليٌّ من عند رسول الله ﷺ في مرضه، فقالوا: كيفَ أصبحَ رسولُ اللهِ ﷺ يا أبا حسن؟! فقال: أصبحَ بحمدِ الله بارئاً، فقال العباسُ: ألا ترى! إني لأرى رسول الله ﷺ سيُتوفَّى من وجعه، وإنِّي لأعرفُ في وجوه بني عبد المطلب الموتَ، فانطلقْ بنا إلى رسولِ اللهِ، فلنُكلِّمه، فإن كان الأمرُ فينا بيَّنه،

---

(١) في الأصل الفارسي: «فعلاك».

(٢) «مسند أحمد» (١/ ٢٣٦) رقم: (٢١١٣).

وإن كان في غيرنا كلّمناه وأوصى بنا، فقال عليٌّ: إن كان الأمرُ في غيرنا فلم يعطناه الناس أبداً، وإني واللهِ لا أكلِّم رسولَ اللهِ ﷺ في هذا أبداً[١].

❁ أبو بكر صدّيق والبواقي شهداء:

• وأما أنّ أبا بكر صدِّيق وسائرهم شهيد، فقد أخرج **أبو يعلى** بإسنادٍ غريب عن عكرمة عن **ابن عباس** قال: كان رسولُ اللهِ ﷺ على حراء، فتزلزل الجبل، فقال رسول الله ﷺ: «**اثبتْ حراءُ! ما عليكَ إلّا نبيٌّ أو صدِّيقٌ أو شهيدٌ**»، وعليه رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمٰن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل[٢].

قوله رضي الله عنه في شأن عثمان رضي الله عنه:

• وأما قوله في عثمان، فقد أخرج **أبو عمر** في «**الاستيعاب**» أن عبد الله بن عباس قال: لو اجتمع الناسُ على قتلِ عثمانَ لَرُمُوا بالحجارة كما رُميَ قومُ لوطٍ[٣].

❁ ❁ ❁

---

(١) «مسند أحمد» (١/ ٣٢٥) رقم: (٢٩٩٧).
(٢) «مسند أبي يعلى» (٤/ ٣٣٣) رقم: (٢٤٤٥).
(٣) «الاستيعاب» (١/ ٣٢٣) رقم الترجمة: (١٧٧٨)، «الرياض النضرة» (١/ ٢٣١).




ومن مسند أبي موسى الأشعري(١)
(عبد الله بن قيس رضي الله عنه)

❁ الخلافة في قريش:

• أما أن الخلافة في قريش، فقد أخرج **أحمد** عن **أبي موسى الأشعري** عن النبيِّ ﷺ أنه قال: **«إنَّ هذا الأمرَ في قريشٍ ما داموا إذا استُرْحِموا رَحِموا، وإذا حَكَمُوا عَدَلُوا، وإذا قَسَمُوا أَقْسَطُوا، فمن لم يفعلْ ذلك منهم فعليه لعنةُ اللهِ والملائكةُ والناسُ أجمعين، لا يُقْبَلُ منه صَرْفٌ ولا عَدْلٌ»**(٢).

❁ البشارة للخلفاء بالجنة:

• وأما بشارة الخلفاء بالجنة والتعريض الظاهر على خلافتهم وإنذار عثمان بالبلوى، فقد أخرج الشيخان وغيرهما بروايات فيه العدد والثقة، من ذلك ما أخرجه **البخاري** من حديث سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ:

---

(١) هو: عبد الله بن قيس بن سليم، أبو موسى الأشعري، صاحب رسول الله ﷺ، ذكر الواقديُّ أنّ أبا موسى قدم مكة، فحالف أبا أحيحة سعيد بن العاص بن أمية، وكان قدومُه مع إخوته في جماعة من الأشعريين، ثم أسلمَ وهاجرَ إلى أرض الحبشة، وكان عاملُه رسولُ اللهِ ﷺ على زَبيدٍ وعدن، واستعمله عمرُ رضي الله عنه على البصرة وشهد وفاة أبي عبيدة بن الجراح بالشام، مات أبو موسى بالكوفة، وقيل: مات بمكة سنة ٤٢هـ، وقيل: سنة ٤٤هـ، وهو ابن ثلاث وستين، وقيل: توفي ٤٩هـ، وقيل: سنة ٥٠هـ، والله أعلم. انظر: «أُسد الغابة» (٣/ ٢٦٣).

(٢) «مسند أحمد» رقم: (١٩٥٤١).

أَخْبَرَنِي **أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِي** أَنَّهُ تَوَضَّأَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ خَرَجَ، فَقُلْتُ: لأَلْزَمَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَلأَكُونَنَّ مَعَهُ يَوْمِي هَذَا، قَالَ: فَجَاءَ الْمَسْجِدَ، فَسَأَلَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: خَرَجَ وَوَجَّهَ هَا هُنَا، فَخَرَجْتُ عَلَى إِثْرِهِ أَسْأَلُ عَنْهُ، حَتَّى دَخَلَ بِئْرَ أَرِيسٍ، فَجَلَسْتُ عِنْدَ الْبَابِ، وَبَابُهَا مِنْ جَرِيدٍ حَتَّى قَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ حَاجَتَهُ، فَتَوَضَّأَ فَقُمْتُ إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى بِئْرِ أَرِيسٍ، وَتَوَسَّطَ قُفَّهَا، وَكَشَفَ عَنْ سَاقَيْهِ، وَدَلَّاهُمَا فِي الْبِئْرِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ثُمَّ انْصَرَفْتُ، فَجَلَسْتُ عِنْدَ الْبَابِ، فَقُلْتُ: لأَكُونَنَّ بَوَّابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْيَوْمَ.

فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَدَفَعَ الْبَابَ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: أَبُو بَكْرٍ، فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ، ثُمَّ ذَهَبْتُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! هَذَا أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ، فَقَالَ: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**»، فَأَقْبَلْتُ حَتَّى قُلْتُ لأَبِي بَكْرٍ: ادْخُلْ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يُبَشِّرُكَ بِالْجَنَّةِ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَعَهُ فِي الْقُفِّ، وَدَلَّى رِجْلَيْهِ فِي الْبِئْرِ، كَمَا صَنَعَ النَّبِيُّ ﷺ، وَكَشَفَ عَنْ سَاقَيْهِ.

ثُمَّ رَجَعْتُ فَجَلَسْتُ، وَقَدْ تَرَكْتُ أَخِي يَتَوَضَّأُ وَيَلْحَقُنِي، فَقُلْتُ: إِنْ يُرِدِ اللهُ بِفُلَانٍ خَيْراً ـ يُرِيدُ أَخَاهُ ـ يَأْتِ بِهِ، فَإِذَا إِنْسَانٌ يُحَرِّكُ الْبَابَ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ، ثُمَّ جِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: هَذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَسْتَأْذِنُ، فَقَالَ: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**»، فَجِئْتُ فَقُلْتُ: ادْخُلْ وَبَشَّرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْجَنَّةِ، فَدَخَلَ، فَجَلَسَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْقُفِّ عَنْ يَسَارِهِ، وَدَلَّى رِجْلَيْهِ فِي الْبِئْرِ.

ثُمَّ رَجَعْتُ فَجَلَسْتُ، فَقُلْتُ: إِنْ يُرِدِ اللهُ بِفُلَانٍ خَيْراً يَأْتِ بِهِ، فَجَاءَ إِنْسَانٌ يُحَرِّكُ الْبَابَ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ، فَجِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ**»، فَجِئْتُهُ فَقُلْتُ لَهُ: ادْخُلْ وَبَشَّرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُكَ، فَدَخَلَ فَوَجَدَ الْقُفَّ قَدْ مُلِئَ، فَجَلَسَ وُجَاهَهُ مِنَ الشِّقِّ الآخَرِ، قَالَ شَرِيكٌ: قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ: فَأَوَّلْتُهَا قُبُورَهُمْ[1].

• وأخرج **البخاري** من حديث أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِي عَنْ **أَبِي مُوسَى** رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِي ﷺ فِي حَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَاسْتَفْتَحَ، فَقَالَ النَّبِي ﷺ: «**افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**»، فَفَتَحْتُ لَهُ، فَإِذَا أَبُو بَكْرٍ، فَبَشَّرْتُهُ بِمَا قَالَ النَّبِي ﷺ، فَحَمِدَ اللهَ.

ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ فَاسْتَفْتَحَ، فَقَالَ النَّبِي ﷺ: «**افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**»، فَفَتَحْتُ لَهُ، فَإِذَا هُوَ عُمَرُ، فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ النَّبِي ﷺ، فَحَمِدَ اللهَ.

ثُمَّ اسْتَفْتَحَ رَجُلٌ، فَقَالَ لِي: «**افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ**»، فَإِذَا عُثْمَانُ، فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَحَمِدَ اللهَ، ثُمَّ قَالَ: اللهُ الْمُسْتَعَانُ[2].

❁ الاستدلال بحديث الإمامة على خلافة الصدِّيق رضي الله عنه:

• وأما ما يُستدلّ به على خلافة الصدِّيق رضي الله عنه من حديث الإمامة، فقد أخرج **أحمد** عَن عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ عَن أَبِي بُرْدَةَ عَن **أَبِي مُوسَى** قَالَ: مَرِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَاشْتَدَّ مَرَضُهُ، فَقَالَ: «**مُرُوا أَبَا بَكْرٍ يُصَلِّ**

(١) «صحيح البخاري» (ح: ٣٦٧٤).

(٢) «صحيح البخاري» رقم: (٣٦٩٣).

بِالنَّاسِ»، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَقِيقٌ، مَتَى يَقُومُ مَقَامَكَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، فَقَالَ: «**مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ، فَإِنَّكُنَّ صَوَاحِبَاتُ**[١] **يُوسُفَ**»، فَأَتَاهُ الرَّسُولُ فَصَلَّى أَبُو بَكْرٍ بِالنَّاسِ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ[٢].

ابتعاده من الفتنة:

• وأما قعوده من الفتنة، فقد رُوي عنه بروايات فيها العدد والثقة، منها ما أخرج **الترمذي** عن هزيل بن شُرَحْبيل عن **أبي موسى** عن النبي ﷺ أنّه قال في الفتنة: «**كسِّروا فيها قِسِيَّكم، وقطّعوا فيها أوتارَكم، والزموا فيها أجوافَ بيوتِكُم، وكونوا كابنِ آدمَ**»[٣].

وأخرج **أحمد** عَن هُزَيْلِ بْنِ شُرَحْبِيلَ عَن **أَبِي مُوسَى** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ فِتَناً كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِناً، وَيُمْسِي كَافِراً، وَيُمْسِي مُؤْمِناً، وَيُصْبِحُ كَافِراً، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، فَاكْسِرُوا قِسِيَّكُمْ، وَقَطِّعُوا أَوْتَارَكُمْ، وَاضْرِبُوا بِسُيُوفِكُمْ الْحِجَارَةَ، فَإِنْ دُخِلَ عَلَى أَحَدِكُمْ بَيْتَهُ، فَلْيَكُنْ كَخَيْرِ ابْنَيْ آدَمَ**»[٤].

• وأخرج **أحمد** من حديث حِطَّانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ الرَّقَاشِيِّ عَنِ **الْأَشْعَرِيِّ** أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ الْهَرْجَ**»، قَالُوا: وَمَا الْهَرْجُ، قَالَ: «**الْقَتْلُ**»، قَالُوا: أَكْثَرُ مِمَّا نَقْتُلُ، إِنَّا لَنَقْتُلُ كُلَّ عَامٍ

(١) في الأصل الفارسي: «صواحب» مكان «صواحبات».
(٢) «مسند أحمد» (٤/ ٤١٢) رقم: (١٩٧١٥).
(٣) «سنن الترمذي» رقم: (٢٢٠٤).
(٤) «مسند أحمد» (٤/ ٤١٦) رقم: (١٩٧٤٥).

أَكْثَرَ[١] مِنْ سَبْعِينَ أَلْفاً، قَالَ: «**إِنَّهُ لَيْسَ بِقَتْلِكُمْ الْمُشْرِكِينَ، وَلَكِنْ قَتْلُ بَعْضِكُمْ بَعْضاً**»، قَالُوا: وَمَعَنَا عُقُولُنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «**إِنَّهُ لَتُنْزَعُ عُقُولُ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَيُخَلَّفُ لَهُ هَبَاءٌ مِنَ النَّاسِ**[٢]، **يَحْسِبُ أَكْثَرُهُمْ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ، وَلَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ**»، [قَالَ عَفَّانُ فِي حَدِيثِهِ:] قَالَ أَبُو مُوسَى: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مِنْهَا مَخْرَجاً، إِنْ أَدْرَكَتْنِي وَإِيَّاكُمْ إِلَّا أَنْ نَخْرُجَ مِنْهَا كَمَا دَخَلْنَا فِيهَا، لَمْ نُصِبْ مِنْهَا دَماً وَلَا مَالاً[٣].

● وأخرج **أحمد** من طريق الْحَسَنِ عَن **أَبِي مُوسَى** عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا تَوَاجَهَ الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا، فَقَتَلَ أَحَدُهُمَا الآخَرَ، فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ**». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! هَذَا الْقَاتِلُ فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ؟ قَالَ: «**إِنَّهُ أَرَادَ قَتْلَ صَاحِبِهِ**»[٤].

❁ ❁ ❁

(١) في الأصل الفارسي: «أَكْثَرُ مِمَّا نَقْتُلُ في العَام الواحد أكثر».

(٢) في الأصل الفارسي: «ويخلق له قوم من الناس».

(٣) «مسند أحمد» (٤/ ٣٩١) رقم: (١٩٥١٠).

(٤) «مسند أحمد» (٤/ ٤١٠) رقم: (١٩٦٩١).




ومن مسند عبد الله بن عمرو بن العاص(١) رضي الله عنه

البشارة للخلفاء بالجنة:

• أما بشارة الخلفاء بالجنة، فقد أخرج **أحمد** من طريق قَتَادَةَ عَنِ ابْنِ سِيرِينَ عَنْ **عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو** قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ، فَاسْتَأْذَنَ، فَقَالَ: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**»، [ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ فَاسْتَأْذَنَ، فَقَالَ: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**»]، ثُمَّ جَاءَ عُثْمَانُ فَاسْتَأْذَنَ، فَقَالَ: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**»، قَالَ: قُلْتُ: فَأَيْنَ أَنَا؟ قَالَ: «**أَنْتَ مَعَ أَبِيكَ**»(٢).

ما يستدلّ به على الخلافة الخاصة للخلفاء:

• وأما ما يُستدلّ به من حديثه على الخلافة الخاصَّة من حيث كونها في زمن العافية، فقد أخرج **أحمد** عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ رَبِّ الْكَعْبَةِ قَالَ: انْتَهَيْتُ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ

---

(١) كنيته أبو محمد عند الأكثر، يقال له: أبو عبد الرحمٰن. قال الطبري: قيل: كان طوالاً، أحمرَ عظيم الساقين، أبيض الرأس واللحية، وعَمِيَ في آخر عمره، قال ابن سعد: أسلم قبل أبيه، ولم يكن بين مولدهما إلا اثنتا عشرة سنة، وجزم ابنُ يونس بأن بينهما عشرين سنة، روى عن النبي ﷺ كثيراً، وعن عمر، وأبي الدرداء، ومعاذ، وابن عوف، وعن والده عمرو، وحدّث عنه من الصحابة ابن عمر، وأبو أمامة وغيرهما، قال الواقدي: مات بالشام سنة ٦٥هـ، وهو يومئذٍ ابن اثنتين وسبعين. انظر ترجمته في: «الإصابة» (٢/ ٣٥١).

(٢) «مسند أحمد» (٢/ ١٦٥) رقم: (٦٥٤٨).

عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ وَهُوَ جَالِسٌ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: بَيْنَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ؛ إِذْ نَزَلنا مَنْزِلاً، فَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُ خِبَاءَهُ، وَمِنَّا مَنْ هُوَ فِي جَشَرِهِ، وَمِنَّا مَنْ يَنْتَضِلُ، إِذْ نَادَى مُنَادِيهِ: الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ، قَالَ: فَاجْتَمَعْنَا، قَالَ: فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَخَطَبَنَا، فَقَالَ: «**إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا دَلَّ أُمَّتَهُ عَلَى مَا يَعْلَمُهُ خَيْراً لَهُمْ، وَحذّرهم مَا يَعْلَمُهُ شَرّاً لَهُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَتْ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَإِنَّ آخِرَهَا سَيُصِيبُهُمْ بَلَاءٌ شَدِيدٌ، وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا.**

تَجِيءُ فِتَنٌ يُرَقِّقُ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ، تَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ، ثُمَّ تَجِيءُ الْفِتْنَةُ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ، فَمَنْ سَرَّهُ مِنْكُم أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، وَأَنْ يُدْخَلَ الْجَنَّةَ فَلْتُدْرِكْهُ مَوْتَتُهُ وَهُوَ مؤْمِن(١) بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ، وَمَنْ بَايَعَ إِمَاماً فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ فَلْيُطِعْهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الْآخَرِ».

قَالَ: فَأَدْخَلْتُ رَأْسِي مِنْ بَيْنِ النَّاسِ، فَقُلْتُ: أَنْشُدُكَ بِاللهِ أَنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: فَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى أُذُنَيْهِ، فَقَالَ: سَمِعَتْهُ أُذُنَايَ، وَوَعَاهُ قَلْبِي، قَالَ: فَقُلْتُ: هَذَا ابْنُ عَمِّكَ مُعَاوِيَةُ يَأْمُرُنَا بِأَكْلِ أَمْوَالِنَا بَيْنَنَا بِالْبَاطِلِ وَأَنْ نَقْتُلَ أَنْفُسَنَا، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [النساء: ٢٩]، قَالَ: فَجَمَعَ يَدَيْهِ فَوَضَعَهُمَا عَلَى جَبْهَتِهِ، ثُمَّ نَكَسَ هُنَيَّةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: أَطِعْهُ فِي طَاعَةِ اللهِ، وَاعْصِهِ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ ﷻ(٢).

---

(١) في الأصل الفارسي: «وهو مؤمن».

(٢) «مسند أحمد» (٢/ ١٦١) رقم: (٦٥٠٣).

❁ سوابق أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه:

• وأما سوابق أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه، فقد أخرج **البخاري** عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: سَأَلْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو عَنْ أَشَدِّ مَا صَنَعَ الْمُشْرِكُونَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: رَأَيْتُ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ جَاءَ إِلَى النَّبِي ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي، فَوَضَعَ رِدَاءَهُ فِي عُنُقِهِ، فَخَنَقَهُ بِهِ خَنْقاً شَدِيداً، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَفَعَهُ عَنْهُ، فَقَالَ: أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ: رَبِّي اللهُ، وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ[1]؟!

❁ ❁ ❁

(١) «صحيح البخاري» رقم: (٣٦٧٨).




ومن مسند أبي هريرة[١] رضي الله عنه

❁ الخلافة في قريش:

• أما أنّ **الخلافة في قريش**، فقد أخرج **أحمد والشيخان** وغيرهم عن **أبي هريرة** رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: **«الناسُ تَبَعٌ لقريشٍ في هذا الشأنِ، مسلمُهم تبعٌ لمُسلِمهم، وكافرُهم تبعٌ لكافرِهم»**[٢].

• وأخرج **أحمد** من طريق ابْنِ أَبِي ذِئْبٍ عَنْ سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ عَنْ

---

(١) هو: عبد الرحمٰن بن صخر الدوسي، هو مشهور بكنيته، وهذا أشهر ما قيل في اسمه، واسم أبيه، اختلف في اسمه، فقال أهل النسب: اسمه عمير بن عامر، وقال ابن إسحاق: قال بعض أصحابنا عن أبي هريرة: كان اسمي في الجاهلية عبد شمس بن صخر، فسمّاني رسول الله ﷺ عبد الرحمٰن، وكُنيت أبا هريرة، ولكنيته قصة أيضاً، قد أجمع أهل الحديث على أنه أكثر الصحابة حديثاً، قال الشافعي: أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره، حدّث أبو هريرة أيضاً عن أبي بكر، وعمر، والفضل بن العباس، وأُبي بن كعب، وأسامة بن زيد، وعائشة، وغيرهم، وروى عنه ولده المحرر بمهملات، ومن الصحابة ابن عمر، وابن عباس، وجابر وغيرهم، ومن كبار التابعين مروان بن الحكم، وقبيصة بن ذؤيب، وعبد الله بن ثعلبة، وسعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وغيرهم، قال البخاري: روى عنه نحو الثمانمئة من أهل العلم، وكان أحفظَ مَنْ روى الحديث في عصره، وفي وفاته أقوال: قيل: توفي سنة ٥٧هـ، وقيل: ٥٨هـ، وقيل: ٥٩هـ، والمعتمد في وفاته هو ٥٧هـ، وعاش أبو هريرة ٧٨ سنة. انظر ترجمته في: «الإصابة» (٤/ ٢٠٢).

(٢) «صحيح البخاري» رقم: (٣٤٩٥)، «صحيح مسلم» رقم: (١٨١٨)، «مسند أحمد» (٢/ ٢٤٢) رقم: (٧٣٠٤)، «سنن البيهقي الكبرى» (٣/ ١٢٠) رقم: (٥٠٧٨)، «مصنف عبد الرزاق» (١١/ ٥٥) رقم: (١٩٨٩٥)، «مسند أبي يعلى» (١١/ ١٤٠) رقم: (٦٢٦٤).

أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «[**إِنَّ لِي عَلَى قُرَيْشٍ حَقّاً**]، **وَإِنَّ لِقُرَيْشٍ عَلَيْكُمْ حَقّاً: مَا حَكَمُوا فَعَدَلُوا، وَأُتُمِنُوا فَأَدَّوْا، وَاسْتُرْحِمُوا فَرَحِمُوا**»[١].

۞ دلالة حديث الظلة:

• وأما ما يُستدلّ به على خلافتهم من **حديث الظلّة**، فقد أخرج **الشيخان**[٢] وغيرهما[٣] بطرق متعددة، منها: ما أخرج **أبو داود** من طريق الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال: كان **أبو هريرة** ؓ يحدّث أنّ رجلاً أتى إلى رسول الله ﷺ فقال: إنِّي أرى الليلةَ ظلّةً ينطفُ منها السَّمنُ والعسلُ، فأرى الناسَ يتكفَّفون بأيديهم، فالمستكثِرُ والمستقلّ، وأرى سبباً واصلاً من السماء إلى الأرض، فأراكَ يا رسولَ اللهِ! أخذتَ به فعلوتَ به، ثمّ أخذَ به رجلٌ آخر فعلا به، ثم أخذَ به رجلٌ آخر فعلا به، ثم أخذ به رجلٌ آخر فانقطع، ثم وصل فعلا به.

قال أبو بكر: بأبي وأمي لتدعني فلأعَبِّرَنَّها، فقال: «**اعبرها**»، قال: أمَّا الظلةُ فظلةُ الإسلامِ، وأمَّا ما ينطفُ من السَّمْنِ والعَسَلِ فهو القرآن، لينه وحلاوته، وأمَّا المستكثر والمستقلّ فهو المستكثر من القرآن والمستقلّ منه، وأمَّا السببُ الواصلُ من السماءِ إلى الأرضِ فهو الحقُّ الذي أنت عليه، تأخذُ به فيعليكَ اللهُ، ثم يأخذُ به بعدَك رجلٌ فيعلو به، ثم يأخذُ به رجلٌ آخر فيعلو به، ثم يأخذُ به رجلٌ آخر فينقطِعَ، ثم يوصلُ

---

(١) «مسند أحمد» (٢/ ٢٧٠) رقم: (٧٦٤٠).

(٢) «صحيح البخاري» رقم: (٧٠٤٦)، «صحيح مسلم» رقم: (٢٢٦٩).

(٣) «سنن الترمذي» رقم: (٢٢٩٣)، «سنن ابن ماجه» رقم: (٣٩١٨)، «سنن البيهقي الكبرى» (١٠/ ٣٨) رقم: (١٩٦٦٩)، «مصنف عبد الرزاق» (١١/ ٢١٤) رقم: (٢٠٣٦٠).

له فيعلو به؛ أي رسول الله! لتحدّثني أصبتُ أم أخطأتُ؟

فقال: «**أصبتَ بعضاً وأخطأتَ بعضاً**».

فقال: أقسمتُ يا رسولَ اللهِ! لتحدّثني ما الذي أخطأتُ.

فقال النبي ﷺ: «**لا تقسم**»[1].

❁ دلالة حديث القليب:

• وأما ما يُستدلّ به من **حديث القليب**، فقد أخرج **البخاري** عن ابن شهاب قال: أخبرني سعيد أن **أبا هريرة** رضي الله عنه أخبره أن رسول الله ﷺ قال: «**بينا أنا نائمٌ رأيتَني على قليبٍ، وعليها دلوٌ، فنزعتُ منها ما شاءَ اللهُ، ثم أخذها ابنُ أبي قُحافة، فنزعَ منها ذنوباً أو ذنوبين وفي نزعِهِ ضَعْفٌ، واللهُ يغفرُ له، ثم استحالتْ غَرْباً، فأخذها عمرُ بنُ الخطاب، فلم أرَ عبقرياً من الناسِ ينزعُ نزعَ عمرَ بنِ الخطابِ حتَّى ضربَ الناسَ بِعَطَنٍ**»[2].

• وأخرج **البخاري** من حديث معمر عن همام[3] عن **أبي هريرة** رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: «**بينا أنا نائمٌ رأيتُ أنّي على حوضٍ أسقي الناسَ، فأتاني أبو بكر، فأخذَ الدلوَ من يدي ليريحَني، فنزعَ ذَنوبين، وفي نزعِهِ ضعفٌ، واللهُ يغفرُ له، فأتى ابن الخطاب، فأخذ منه، فلم يزل ينزعُ حتَّى تولّى الناسُ والحوضُ يتفجَّر**»[4][5].

❁ الخلافة بالمدينة:

• وأما ما يُستدلّ به على خلافتهم من العلاقة التي ضربها النبي ﷺ للخلافة الخاصة من أنها في المدينة، فقد أخرج **الحاكم** من حديث هشيم،

---

(١) «سنن أبي داود» رقم: (٣٦٣٢). (٢) «صحيح البخاري» رقم: (٧٠٢١).

(٣) في الأصل الفارسي: «هشام» وهو تصحيف.

(٤) في الأصل الفارسي: «ينفجر». (٥) «صحيح البخاري» رقم: (٧٠٢٢).

عن العوام بن حوشب، عن سليمان بن أبي سليمان، عن أبيه، عن **أبي هريرة** ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**الخلافةُ بالمدينةِ، والملكُ بالشامِ**»[(١)].

۞ دلالة حديث القرون:

• وأما ما يُستدلّ به على خلافتهم الخاصَّة من **حديث القرون**، فقد أخرج **أحمد** وغيره من طرق، منها طريق عبد الله بن شقيق عن **أبي هريرة** قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**خيرُ أُمَّتي القرنُ الذي بعثتُ فيهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم** ـ والله أعلم أقال الثالثة أم لا ـ **ثم يجيءُ قومٌ يحبُّون السمانةَ، يشهدون قبل أن يستشهدوا**»[(٢)].

۞ دلالة خطبة النبي ﷺ قرب وفاته:

• وأما ما يُستدلّ به على خلافة الصدِّيق ﷺ من الخطبة التي خطبها النبي ﷺ قبل وفاته، أخرج **الترمذي** من طريق دَاوُدَ بْنِ يَزِيدَ الْأَوْدِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ **أَبِي هُرَيْرَةَ**، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا لِأَحَدٍ**[(٣)] **عِنْدَنَا يَدٌ إِلَّا وَقَدْ كَافَئْنَاهُ مَا خَلَا أَبَا بَكْرٍ، فَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا يَداً يُكَافِئُهُ اللهُ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَا نَفَعَنِي مَالُ أَحَدٍ قَطُّ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً، أَلَا وَإِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللهِ**»[(٤)].

• وأخرج **أحمد** من طريق الأعمش عن أبي صالح عن **أبي هريرة** قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما نفعني مالٌ قطّ ما نفعني مالُ أبي بكر**»، فبكى أبو بكر وقال: هل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله![(٥)].

---

(١) «المستدرك» (٣/ ٧٥).

(٢) «مسند أحمد» (٢/ ٢٢٨) رقم: (٧١٢٣).

(٣) في الأصل الفارسي: «مَا كان لِأَحَدٍ». (٤) «سنن الترمذي» رقم: (٣٦٦١).

(٥) «مسند أحمد» (٢/ ٢٥٣) رقم: (٧٤٣٩).

❁ مواعيد الله الظاهرة على أيدي الخلفاء:

• وأما مواعيد الله الظاهرة على أيدي الخلفاء فقد أخرج **الشيخان** وغيرهما بطرق متعددة، منها: ما أخرج **البخاري** عن أيوب عن محمد عن **أبي هريرة** قال: قال النبيُّ ﷺ: «**أُعطيتُ مفاتيحَ الكلم، ونُصِرتُ بالرعبِ، وبينما أنا نائمٌ البارحةَ إذ أُتيتُ بمفاتيحِ خزائنِ الأَرضِ حتى وضعتْ في يدي**»، قال أبو هريرة: فذهب رسول الله ﷺ وأنتم تنتقلونها[(١)][(٢)].

• وأخرج **الشيخان**[(٣)] وغيرهما بطرق متعددة، منها: ما أخرج **أحمد** عن الزهري عن سعيد عن **أبي هريرة** عن النبيِّ ﷺ: «**إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلكَ قيصرُ فلا قيصرَ بعدَهُ، والذي نفسُ محمَّدٍ بيده لتُنْفَقَنَّ كنوزُهما في سبيل الله**»[(٤)].

❁ مناقب أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه:

• وأما **مناقب أبي بكر الصدِّيق** رضي الله عنه، فقد أخرج **البخاري** عن الزهري قال: أخبرني حميد بن عبد الرحمٰن بن عوف أن **أبا هريرة** رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**من أنفقَ زوجينِ من شيءٍ من الأشياءِ في سبيلِ اللهِ دُعي من أبواب** ـ يعني: الجنة ـ **يا عبدَ اللهِ! هذا خيرٌ، فمَنْ كان مِنْ أهلِ الصلاةِ، دُعي من باب الصلاة، ومَنْ كان مِنْ أهلِ الجهادِ، دُعي من بابِ الجهادِ، ومن كان مِنْ أهل الصدقةِ، دُعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيامِ دُعي من باب الصيام وباب الريان**».

---

(١) في الأصل الفارسي «تنقلونها» وفي طريق آخر للبخاري: «تنتثلونها» رقم: (٢٩٧٧).
(٢) «صحيح البخاري» رقم: (٦٩٩٨) باب: رؤيا الليل، «صحيح مسلم» رقم: (٥٢٣).
(٣) «صحيح البخاري» رقم: (٣١٢٠، ٣٦١٨)، «صحيح مسلم» رقم: (٢٩١٩).
(٤) «مسند أحمد» (٢/ ٢٤٠) رقم: (٧٢٦٦).

فقال أبو بكر: ما على هذا الذي يُدعى من تلك الأبواب من ضرورة؟ وقال: هل يُدعى منها كلّها أحدٌ يا رسول الله!؟ قال: «**نعم، وأرجو أن تكونَ منهم يا أبا بكرٍ**»[١].

• وأخرج **أبو داود** من طريق عبد السلام بن حرب عن أبي خالد الدالاني عن أبي خالد مولى آل جعدة عن **أبي هريرة** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أتاني جبريلُ، فأخذَ بيدي، فأراني بابَ الجنّةِ الذي تدخلُ منه أُمتي**».

فقال أبو بكر: يا رسول الله! وددتُ أني كنتُ معك حتّى أنظرَ إليه.

فقال رسول الله ﷺ: «**أما إنّكَ يا أبا بكر! أوّلُ مَنْ يدخلُ الجنّةَ من أمتي**»[٢].

مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

• وأما مناقب **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه فقد أخرج **البخاري** عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب أن **أبا هريرة** رضي الله عنه قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ قال: «**بينا أنا نائمٌ رأيتَني في الجنّةِ، فإذا امرأةٌ تتوضّأ إلى جانبِ قصرٍ، فقلتُ: لمن هذا القصرُ؟ فقالوا: لعمر بن الخطاب، فذكرتُ غيرته، فولّيتُ مدبراً**»، فبكى عمر وقال: أعليكَ أغارُ يا رسولَ الله!؟[٣].

• وأخرج **البخاري** عن إبراهيم بن سعد عن أبيه عن أبي سلمة عن **أبي هريرة** رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لقد كان فيما كانَ قبلكم مِنَ الأمم ناسٌ محدَّثون، فإنْ يَكُ في أُمّتي أحدٌ فإنّه عمرُ**»، وفي رواية له:

(١) «صحيح البخاري» رقم: (٣٦٦٦).
(٢) «سنن أبي داود» رقم: (٤٦٥٢).
(٣) «صحيح البخاري» رقم: (٣٢٤٢).

«**لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل رجالٌ يكلَّمونَ من غيرِ أنْ يكونوا أنبياء، فإن يكن من أُمّتي منهم أحدٌ فعمرُ**»(١).

• وأخرج **البخاري** عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمٰن قالا: سمعنا **أبا هريرة** رضي الله عنه يقول: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**بينما راعٍ في غنمِهِ عدا الذئبُ فأخذ منها شاةً، فطلبَها حتَّى استنقذها، فالتفتَ إليه الذئبُ، فقال له: مَنْ لها يومَ السبُعِ؟ ليس لها راعٍ غيري**»، فقال الناسُ: سبحان الله! فقال النبيُّ ﷺ: «**فإني أؤمن به وأبو بكر وعمر**»، وما ثَمَّ أبو بكر وعمر(٢).

• **وللبخاري** في رواية أخرى: وبينا رجلٌ يسوقُ بقرةً قد حمل عليها فالتفتت إليه فكلَّمته، فقالت: إنِّي لم أخلقْ لهذا، ولكنّي خلقتُ للحرث، قال الناسُ: سبحان الله! قال النبي ﷺ: «**فإنِّي أؤمنُ بذلك وأبو بكر وعمر بن الخطاب**، رضي الله عنهما»(٣).

مناقب عثمان رضي الله عنه:

• وأما **مناقب عثمان** رضي الله عنه، فقد أخرج **ابن ماجه** [عن عبد الرحمٰن بن أبي الزناد] عن أبيه عن الأعرج عن **أبي هريرة** أن رسول الله ﷺ قال: «**لكلِّ نبيٍّ رفيقٌ في الجنّةِ، ورفيقي فيها عثمان بن عفان**»(٤).

وأخرج **ابن ماجه** بهذا الإسناد: أنَّ النبيَّ ﷺ لقي عثمانَ عند باب المسجدِ فقال: «**يا عثمانُ! هذا جبريلُ** عليه السلام **أخبرني أنَّ الله قد زوَّجَك أمَّ كلثوم بمثل صداقِ رُقَيّةَ على مثلِ صُحْبَتِها**»(٥).

---

(١) «صحيح البخاري» رقم: (٣٦٨٩).
(٢) «صحيح البخاري» رقم: (٣٦٩٠).
(٣) «صحيح البخاري» رقم: (٣٦٦٣).
(٤) «سنن ابن ماجه» رقم: (١٠٩).
(٥) «سنن ابن ماجه» رقم: (١١٠).

قُتل عثمان ظلماً:

• وأمّا أن عثمان يُقتلَ مظلوماً وأنّه على الحقِّ يوم يُقتل، فقد أخرج **الحاكم** من طريق موسى ومحمد وإبراهيم بني عقبة، قالوا: حدثنا أبو أمِّنا أبو حسنة قال: شهدت **أبا هريرة**، وعثمانُ محصورٌ في الدار، [واستأذنته في الكلام[(١)]]، فقال أبو هريرة: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «**إنَّها ستكونُ فتنةٌ واختلافٌ أو اختلافٌ وفتنةٌ**»، قال: قلنا: يا رسول الله! فما تأمرنا؟ قال: «**عليكم بالأميرِ وأصحابِهِ وأشارَ إلى عثمانَ**»[(٢)].

• وأخرج **الحاكم** من حديث أبي زُرعة عن **أبي هريرة**، قال: اشترى عثمانُ بنُ عفّان رضي الله عنه الجنة من النبيِّ ﷺ مرَّتين [بيع الحق[(٣)]] حيث حفر بئر رُوْمَة[(٤)]، وحيث جهَّز جيشَ العُسْرَةِ[(٥)].

أبو بكر صدِّيق والبواقي شهداء:

• وأما أنّ أبا بكر صدِّيق وسائرهم شهداءُ، فقد أخرج **الترمذي** من حديث عبد العزيز بن محمد، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن **أبي هريرة** رضي الله عنه: أنّ رسولَ اللهِ ﷺ كان على حِراء هو وأبو بكر، وعمر، وعليّ، وعثمان، وطلحة، والزبير رضي الله عنهم، فتحرَّكت الصخرةُ، فقال النبيُّ ﷺ: «**اهدأ، إنما عليك نبيٌّ أو صدِّيقٌ أو شهيدٌ**»[(٦)].

البشارة لأهل بدر بالجنة:

• وأمّا بشارة أهل بدر بالجنة، فقد أخرج **أبو داود** عن عاصم عن أبي صالح عن **أبي هريرة** قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**اطّلَع اللهُ على أهلِ**

---

(١) سقط في الأصل الفارسي.
(٢) «المستدرك» (٣/ ١٠٥).
(٣) سقط في الأصل الفارسي.
(٤) وقع في «المستدرك»: «بئر معونة».
(٥) «المستدرك» (٣/ ١١٥).
(٦) «سنن الترمذي» رقم: (٣٦٩٦).

بدرٍ، فقال: **اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم**»[١].

❁ ابتعاده عن الفتنة:

●وأما قعوده من الفتنة، فقد أخرج **الترمذي** من حديث عبد العزيز بن محمد، عن العلاء بن عبد الرحمٰن، عن أبيه، عن **أبي هريرة** رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**بادروا بالأعمالِ فتناً كقطعِ الليلِ المُظلمِ، يصبحُ الرجلُ مؤمناً، ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً، ويصبحُ كافراً، يبيعُ [أحدُهم] دينَه بعرَضٍ من الدنيا**»[٢].

❁ ❁ ❁

(١) «سنن أبي داود» رقم: (٤٦٥٤).

(٢) «سنن الترمذي» رقم: (٢١٩٥).




ومن مسند أم المؤمنين عائشة[١] رضي الله عنها

❁ دلالةُ حديث الأحجار:

• أمّا ما يُستدلّ به على خلافتهم من **حديث الأحجار** في أساس المسجد، فقد أخرج **الحاكم** من طريق أحمد بن عبد الرحمٰن بن وهب، عن عمه، عن يحيى بن أيوب، عن هشام بن عروة عن أبيه عن **عائشة** قالت: أوّلُ حجرٍ حمله النبيُّ ﷺ لبناء المسجد، ثم حملَ أبو بكر حجراً آخر، ثم حمل عُمَرُ حجراً آخر، ثم حملَ عثمانُ حجراً آخر، فقلت: يا رسول الله! ألا ترى إلى هؤلاء؟ كيف يساعدونك[٢]؟ فقال: «**يا عائشةُ! هؤلاء الخلفاءِ مِنْ بعدي**»، هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخين، ولم يخرّجاه، وإنما اشتهر بإسنادٍ واهٍ من رواية محمد بن الفضل بن عطية، فلذلك هُجِر[٣].

❁ حديث القرون الثلاثة:

• وأما ما يُستدلّ به على خلافتهم من **حديث القرون**، فقد أخرج **أحمد** بطريق غريب عن عبد الله البهي عن **عائشة**، قالتْ: سألَ رجلٌ النبيَّ ﷺ: أيُّ الناسِ خيرٌ؟ قال: «**القرنُ الذي أنا فيه، ثم الثاني، ثم الثالث**»[٤].

---

(١) «سنن الترمذي» رقم: (٢١٩٥).
(٢) في الأصل الفارسي: «يسعدونك».
(٣) «المستدرك» (٣/ ١٠٣).
(٤) «صحيح مسلم» رقم: (٢٥٣٦)، «مسند أحمد» (٤٢/ ١٣٢) رقم: (٢٥٢٣٣).

❁ قول عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا في خلافة الشيخين:

• أما قولها في خلافة الشيخين فقد أخرج **مسلم** من حديث ابن أبي مليكة قال: سمعت **عائشة** وسئلت: من كان رسول الله ﷺ مستخلفاً لو استخلفه؟ قالت: أبو بكر، فقيل لها: ثم مَنْ بعدَ أبي بكر؟ قالت: عمر، ثم قيل لها: مِنْ بعدِ عمر؟ قالت: أبو عبيدة بن الجراح، ثم انتهت إلى هذا[1].

• وأخرج **الترمذي** عن عبد الله بن شقيق قال: قلت **لعائشة**: أيّ أصحاب النبي ﷺ كان أحبَّ إليه؟ قالت: أبو بكر، ثم عمر، ثم أبو عبيدة بن الجراح، قلت: ثم مَنْ؟ فسكتتْ[2].

❁ أبو بكر الصدِّيق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أحق بالخلافة:

• وأما ما يُستدلّ به على خلافة الصدِّيق من قول النبي ﷺ: «**ادعي لي أبا بكر**»، فقد أخرج **مسلم** من حديث الزهري عن عروة عن **عائشة** قالت: قال لي رسولُ اللهِ ﷺ في مرضه: «**ادعي لي أبا بكر أباك وأخاك حتى أكتبَ كتاباً، فإنِّي أخافُ أن يتمنَّى متمنٍّ ويقول قائلٌ: أنا أولى[3] ويأبى اللهُ والمؤمنونَ إلا أبا بكر**»[4].

❁ خطبة النبي ﷺ قبيل وفاته:

• وأما ما يُستدلُّ به من خطبة النبيِّ ﷺ قبل وفاته، فقد أخرج **الترمذي** عن الزهري عن عروة عن **عائشة**: أنّ النبيَّ ﷺ أمر بسدِّ الأبواب إلّا بابَ أبي بكر[5].

---

(١) «صحيح مسلم» رقم: (٢٣٨٥). (٢) «سنن الترمذي» رقم: (٣٦٥٧).

(٣) في الأصل الفارسي: «أنا، ولا».

(٤) «صحيح البخاري» رقم: (٥٦٦٦)، «صحيح مسلم» رقم: (٢٣٨٧) واللفظ له.

(٥) «سنن الترمذي» رقم: (٣٦٧٨).

❁ حديث الإمامة:

وأما ما يُستدلّ به من **حديث الإمامة**، فقد أخرج **الترمذي** من حديث مالك بن أنس عن هشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة أنّ النبيَّ ﷺ قال: «**مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس**»، فقالت عائشةُ: يا رسول الله! إنَّ أبا بكر إذا قام مقامك لم يُسْمِعِ الناسَ من البكاءِ، فأمُرْ عمرَ فليصلِّ بالناس، قالت عائشةُ: فقلت لحفصة: قولي له: إنَّ أبا بكرٍ إذا قام مقامَكَ لم يُسْمِعِ الناسَ من البكاءِ، فأمُرْ عمرَ فليصلِّ بالناس، ففعلت حفصةُ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إنّكنّ لأنتنَّ صواحباتِ**[١] **يوسفَ، مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس**»، فقالت حفصةُ لعائشةَ: ما كنتُ لأصيبُ مِنْكَ خيراً[٢].

• وأخرج **الترمذي** عن القاسم بن محمد عن **عائشة** رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**لا ينبغي لقومٍ فيهم أبو بكر أن يؤمّهم غيره**»[٣].

❁ مناقب أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه:

وأما **مناقب أبي بكر الصدِّيق** رضي الله عنه فقد أخرج **الترمذي** من حديث إسحاق بن يحيى بن طلحة عن عمه إسحاق بن طلحة عن **عائشة** أنَّ أبا بكر دخل على رسولِ اللهِ ﷺ، فقال: «**أنتَ عتيقُ اللهِ من النارِ**»، فيومئذٍ سُمِّي عتيقاً[٤].

• وأخرج **الحاكم** عن عائشة بنت طلحة عن **عائشة أم المؤمنين** رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ سرَّهُ أنْ ينظرَ إلى عتيقٍ من النارِ فلينظرْ إلى أبي بكر**»[٥].

---

(١) في الأصل الفارسي: «صواحب».
(٢) «سنن الترمذي» رقم: (٣٦٧٢).
(٣) «سنن الترمذي» رقم: (٣٦٧٣).
(٤) «سنن الترمذي» رقم: (٣٦٧٩).
(٥) «المستدرك» (٣/ ٦٤).

• وأخرج **الحاكم** من حديث معمر عن الزهري عن عروة عن **عائشة** رضي الله عنها، قالت: لمّا أُسري بالنبيِّ ﷺ إلى المسجد الأقصى أصبح يتحدَّثُ الناسُ بذلك، فارتدَّ ناسٌ ممّن كان آمنوا به وصدَّقوه، وسعى رجالٌ[1] من المشركين إلى أبي بكر رضي الله عنه، فقالوا: هل لكَ إلى صاحِبكَ يزعُمُ أنّه أسريَ به الليلة إلى بيتِ المقدس، قال: أوَ قال ذلك؟ قالوا: نعم، قال: لئن قال ذلك لقد صدق، قالوا: أو تصدِّقه أنَّه ذهبَ الليلة إلى بيتِ المقدسِ، وجاء قبل أَنْ يصبحَ؟ فقال: نعم، إنِّي لأصدِّقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدِّقه في خبرِ السماء في غدوةٍ أو روحةٍ، فلذلك سُمِّي أبا بكر «الصدِّيق رضي الله عنه»[2].

مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

• وأما مناقب **عمر بن الخطاب** فقد أخرج **مسلم** من حديث إبراهيم بن سعد، عن أبيه سعد، عن أبي سلمة، عن **عائشة**، عن النبيِّ ﷺ أنه كان يقول: «**قد كان يكونُ في الأممِ قبلكم محدَّثون، فإن يكن في أمتي منهم أحدٌ فإنَّ عمرَ بنَ الخطاب منهم**»[3].

• وأخرج **ابن ماجه** من حديث الزنجي بن خالد عن هشام بن عروة عن أبيه عن **عائشة**، قالت: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**اللَّهُمَّ أعزَّ الإسلامَ بعمرَ بنِ الخطّاب خاصَّةً**»[4].

وأخرج **الترمذي** من حديث يزيد بن رومان عن **عائشة** قالت: كان رسول الله ﷺ جالساً، فسمعنا لغطاً وصوت صبيان، فقام رسولُ اللهِ ﷺ،

---

(١) في الأصل الفارسي: «وسعوا رجال»، وكذا في «دلائل النبوة»، للبيهقي (٢/ ٣٦١).

(٢) «المستدرك» (٣/ ٨١).

(٣) «صحيح مسلم» رقم: (٢٣٩٨).

(٤) «سنن ابن ماجه» رقم: (١٠٥).

فإذا حبشيةٌ تَزْفِنُ، والصبيان حولها، فقال: «**يا عائشةُ! تعالَيْ، فانظري**»، فجئتُ فوضعتُ لحييّ على منكبِ رسولِ اللهِ ﷺ، فجعلتُ أنظرُ إليها ما بين المنكبِ إلى رأسِهِ، فقال لي: «**أما شبعتِ؟ أما شبعتِ؟**» قالت: فجعلتُ أقول: لا، لأنظر منزلتي عنده، إذ طلعَ عمرُ، قال: فارفضَّ الناسُ عنها، قالت: فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إنِّي لأنظرُ إلى شياطينِ الإنسِ والجنِّ قد فرّوا من عُمَرَ**»، قالت: فرجعتُ[1].

❁ مناقب عثمان:

• وأما **مناقب عثمان بن عفان** رضي الله عنه فقد أخرج **مسلم** عن عطاء وسليمان ابني يسار وأبي سلمة بن عبد الرحمٰن أن **عائشة** قالت: كان رسولُ اللهِ ﷺ مضطجعاً في بيتي، كاشفاً عن فخذيه أو ساقيه، فاستأذنَ أبو بكر، فأذن له، وهو على تلك الحال، فتحدَّثَ، ثم استأذنَ عمرُ، فأذن له وهو كذلك، فتحدَّث، ثم استأذن عثمانُ، فجلسَ رسولُ الله ﷺ وسوّى ثيابه، [قال محمد: ولا أقول ذلك في يوم واحد[2]] فدخل فتحَدَّثَ، فلمّا خرجَ، قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتشَّ له، ولم تباله، ثم دخل عمر فلم تهتشَّ له، ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلستَ وسوَّيتَ ثيابك، فقال: «**ألا أستحيي من رجلٍ تستحيي منه الملائكةُ**»[3].

• وأخرج **الترمذي** عن النعمان بن بشير عن **عائشة** أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**يا عثمانُ! إنّه لعلَّ الله يقمِّصك قميصاً فإنْ أرادوكَ على خلعِهِ فلا تخلعه لهم**»[4].

---

(١) «سنن الترمذي» رقم: (٣٦٩١).
(٢) لا يوجد هذا التعليق في الأصل الفارسي، وهو موجود في «صحيح مسلم».
(٣) «صحيح مسلم» رقم: (٢٤٠١). (٤) «سنن الترمذي» رقم: (٣٧٠٥).




ومن مسند أنس بن مالك[(١)] رضي الله عنه

❁ الخلافة في قريش:

• أما أن الخلافة في قريش فقد أخرج **أحمد** عن بكير بن وهب الجزري قال: قال لي **أنس بن مالك**: أحدِّثك حديثاً ما أحدِّثه كل أحد: إن رسول الله ﷺ قام على باب البيت ونحن فيه، فقال: «**الأئمة من قريش، إن لهم عليكم حقاً ولكم عليهم حقاً مثل ذلك، ما إن استُرحِموا فرحموا، وإن عاهدوا وفوا، وإن حكموا عدلوا، فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين**»[(٢)].

• وأخرج **أحمد** عن **أنس** قال: دعا النبيُّ ﷺ الأنصارَ ليُقطِعَ لهم البحرين، فقالوا: لا، حتى تُقطِعَ لإخواننا من المهاجرين مثلنا، فقال: «**إنّكم ستلقَوْنَ بعدي أثرةً، فاصبروا حتَّى تلقوني**»[(٣)].

---

(١) هو: أبو حمزة أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم الأنصاري الخزرجي النجاري من بني عدي ابن النجار خادم رسول الله ﷺ كان يتسمّى به، ويفتخر بذلك، قال محمد بن عبد الله: خرج أنس مع رسول الله ﷺ إلى بدر وهو غلام يخدمه، وكان عمره لما قدم النبي ﷺ المدينة مهاجراً عشر سنين، وقيل: تسع سنين، وقيل: ثمان سنين، دعا له رسول الله ﷺ بكثرة المال والولد، فولد له من صلبه ثمانون ذكراً وابنتان، واختلف في وقت وفاته، ومبلغ عمره، فقيل: توفِّي سنة ٩١هـ، وقيل: سنة ٩٢هـ، وقيل: سنة ٩٣هـ، وقيل: سنة ٩٠هـ، وقيل: كان عمره مئة وثلاث سنين، وقيل: مئة وعشر سنين، وهو آخر من توفي بالبصرة من الصحابة. انظر: «أُسد الغابة» (١/ ١٥١).

(٢) «مسند أحمد» (٣/ ١٢٩) رقم: (١٢٣٢٩).

(٣) «مسند أحمد» (٣/ ١١١) رقم: (١٢١٠٦).

دفع الزكاة إلى الخلفاء بعد وفاة النبي ﷺ:

• وأما الدليل على خلافتهم من جهة تفويض الصدقات إليهم من بعده، فقد أخرج **الحاكم** من طريق علي بن مسهر، عن المختار بن فلفل، عن **أنس بن مالك**، قال: بعثني بنو المصطلق إلى رسول اللهِ ﷺ، فقالوا: سل لنا رسول اللهِ ﷺ إلى مَنْ ندفع صدقاتنا بعدك؟ قال: فأتيتُه فسألتُه، فقال: «**إلى أبي بكر**»، فأتيتُهم فأخبرتُهم، فقالوا: ارجع إليه فسله، فإن حَدَثَ بأبي بكر حَدَثٌ، فإلى مَنْ؟ فأتيتُه فسألتُه، فقال: «**إلى عمر**» فأتيتُهم فأخبرتُهم، فقالوا: ارجع إليه فسله، فإنْ حَدَثَ بعمر حدثٌ، فإلى مَنْ؟ فأتيته فسألته، فقال: «**إلى عثمان**» فأتيتُهم فأخبرتُهم، فقالوا: ارجع إليه فسله، فإن حدثَ بعثمان حدثٌ، فإلى مَنْ؟ فأتيتُه فسألته، فقال: «**إنْ حدثَ بعثمانَ حدثٌ فتباً لكم الدهرَ تباً**»، هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه[1].

أبو بكر «صدِّيق» والبواقي «شهداء»:

• وأما أن أبا بكر صدِّيق وسائرهم شهداء، فقد أخرج **البخاريُّ** عن يحيى عن سعيد عن قتادة أنّ **أنس بن مالك** رضي الله عنه حدَّثهم: أنَّ النبيَّ ﷺ صعد أُحداً وأبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم، فقال: «**اثبت أُحدُ! فإنّما عليكَ نبيٌّ وصدِّيقٌ وشهيدان**»[2].

أفضلية الشيخين:

• وأما أفضلية الشيخين، فقد أخرج **الترمذيُّ** من حديث مُحَمَّدِ بْنِ كَثِيرٍ عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ **أَنَسٍ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: «**هَذَانِ سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ إِلَّا النَّبِيِّينَ**

---

(١) «المستدرك» (٣/ ٨٢).

(٢) «صحيح البخاري» رقم: (٣٦٧٥).

وَالْمُرْسَلِينَ، لَا تُخْبِرْهُمَا يَا عَلِيُّ»[١].

❁ ثناؤه ﷺ على الخلفاء:

• وأما ثناؤه عليهم مع غيرهم، فقد أخرج **أحمدُ والترمذيُّ** عن معمر عن قتادة عن **أنس بن مالك** قال: قال رسول الله ﷺ: **«أَرْحَمُ أُمّتي بأُمّتي أبو بكر، وأشدُّهم في أمرِ اللهِ عمرُ، وأصدقُهم حياءً عثمانُ، وأعلمُهم بالحلالِ والحرامِ معاذُ بنُ جبلٍ، وأفرضُهم زيدُ بنُ ثابتٍ، وأقرؤهم أُبيّ، ولكلِّ أُمةٍ أمينٌ، وأَمينُ هذه الأمةِ أبو عبيدة بنُ الجرّاح»**[٢].

قال الترمذي: وقد رواه أبو قلابة عن أنس عن النبيِّ ﷺ نحوه[٣].

❁ إمامة أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه قبيل وفاة النبي ﷺ:

• وأما حديث الإمامة في اليوم الذي مات فيه رسول الله ﷺ بمحضر من رسول الله ﷺ، فقد أخرج **البخاري** عن ابن شهاب قال: حدَّثني **أنس بن مالك** رضي الله عنه أنّ المسلمين بينا[٤] هم في صلاةِ الفجرِ من يوم الاثنين، وأبو بكر يصلِّي لهم، لم يفجأهم إلّا رسولُ اللهِ ﷺ قد كشفَ سترَ حُجرةِ عائشةَ، فنظرَ إليهم وهم في صفوفِ الصلاةِ، ثم تبسَّمَ يضحكُ، فنكصَ أبو بكر على عَقِبيهِ ليصلَ الصفَّ، وظنَّ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ يريدُ أن يخرجَ إلى الصلاةِ، فقال أنس: وهمَّ المسلمونَ أن يُفتتنوا في صلاتِهم فرحاً برسول الله ﷺ، فأشارَ إليهم بيدِهِ رسولُ الله ﷺ أنْ أتمُّوا صلاتَكم، ثم دخلَ الحجرة وأرخى السترَ[٥].

---

(١) «سنن الترمذي» رقم: (٣٦٦٦).
(٢) «سنن الترمذي» رقم: (٣٧٩٠)، «مسند أحمد» (٢٠/ ٢٥٢) رقم: (١٢٩٠٤).
(٣) «سنن الترمذي» رقم: (٣٧٩٠).
(٤) في الأصل الفارسي: «بينما».
(٥) «صحيح البخاري» رقم: (٤٤٤٨) «باب: مرض النبي ﷺ».

❁ منزلة الشيخين عند النبي ﷺ:

• وأما منزلة الشيخين عنده ﷺ، فقد أخرج **الترمذي** عن الحكم بن عطية عن ثابت عن **أنس**: أنّ رسول الله ﷺ كان يخرجُ على أصحابه من المهاجرين والأنصار وهم جلوسٌ، فيهم أبو بكر وعمر، فلا يَرْفَعُ إليه أحدٌ منهم بصرَه إلا أبو بكر وعمر، فإنَّهما كانا ينظرانِ إليه وينظرُ إليهما ويتبسّمانِ إليه ويتبسّمُ إليهما[١].

❁ مناقب أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه:

• وأمّا مناقبُ أبي بكر الصدِّيق، فقد أخرج **ابن ماجه** من طريق المعتمر بن سليمان عن حميد عن **أنس** قال: قيل: يا رسول الله! أيُّ الناسِ أحبُّ إليك؟ قال: «**عائشةُ**»، قيل: ومِنَ الرجالِ؟ قال: «**أبوها**»[٢].

• وأخرج **أحمد** من حديث جعفر بن سليمان الضبعي، عن ثابت عن **أنس** قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إنَّ طيرَ الجنّةِ كأمثالِ البُخْتِ ترعى في شجرِ الجنّةِ**»، فقال أبو بكر: يا رسولَ اللهِ! إنَّ هذه الطيرُ ناعمةٌ، فقال: «**أكلتُها أنعمُ منها**»، قالها ثلاثاً، «**وإنِّي لأرجو أن تكونَ ممّن يأكلُ منها يا أبا بكر!**»[٣].

❁ مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

• وأما مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد أخرج **الترمذي** من حديث إسماعيل بن جعفر، عن حُميد، عن **أنس** أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**دخلتُ الجنّةَ فإذا أنا بقصرٍ مِنْ ذهبٍ، فقلتُ: لِمَنْ هذا القصرُ؟ قالوا:**

---

(١) «سنن الترمذي» رقم: (٣٦٦٨). (٢) «سنن ابن ماجه» رقم: (١٠١).
(٣) «مسند أحمد» (٣/ ٢٢١) رقم: (١٣٣٣٥).

لشابٍّ من قريشٍ فظننتُ أنِّي أنا هو[(١)]، فقلت: ومَنْ هو؟ فقالوا: عمرُ بنُ الخطّابِ»[(٢)].

❁ حبّ أنس رضي الله عنه للشيخين:

• وأمّا تقرُّب أنس من الله تعالى بحبِّ الشيخين، فقد أخرج **البخاري** من حديث حمّاد عن ثابت عن **أنس** رضي الله عنه: أنَّ رجلاً سأل النبيَّ ﷺ عن الساعة، فقال: متى الساعة؟ قال: «**وماذا أعددتَ لها؟**»، قال: لا شيءَ إلا أني أحبُّ اللهَ ورسولَه ﷺ، فقال: «**أنتَ مع مَنْ أحببتَ**»، قال أنسُ: فما فرحنا بشيءٍ فرحنا بقول النبيِّ ﷺ: «**أنتَ مع من أحببتَ**».

قال أنس: فأنا أحبُّ النبيَّ ﷺ وأبا بكر وعمر، وأرجو أنْ أكونَ معهم بحبيِّ إيّاهم، وإن لم أعملْ بمثلِ أعمالِهم[(٣)].

❁ ❁ ❁

---

(١) من أعظم كرامة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وغاية علوّ مرتبته في الدِّين أنْ يَظُنَّ النبيُّ ﷺ ذلك القصر كأنه له ﷺ، هذا يدلّ على أنَّ هذا القصرَ كان يليقُ بشأنِ الأنبياء، وهذه القصةُ إنّما هي نظيرُ قوله ﷺ: «**لو كانَ بعدي نبيٌّ لكانَ عمرُ**».

(٢) «سنن الترمذي» رقم: (٣٦٨٨).

(٣) «صحيح البخاري» رقم: (٣٦٨٨).




ومن مسند أبي سعيد الخدري[(١)] رضي الله عنه

❁ خطبة النبيِّ ﷺ في مناقب أبي بكر رضي الله عنه قرب وفاته:

• أما الخطبةُ التي خطبها النبيُّ ﷺ في مناقب أبي بكر رضي الله عنه قبل موته، فقد أخرج **البخاري** عن بسر بن سعيد عن **أبي سعيد الخدري** رضي الله عنه قال: خطبَ رسولُ اللهِ ﷺ الناسَ وقال: «**إنَّ الله خيَّرَ عبداً بين الدّنيا وبين ما عنده، فاختار ذلك العبدُ ما عندَ الله**»، قال: فبكى أبو بكر، فعجبنا لبكائه أن يخبِرَ رسولُ اللهِ ﷺ عن عبدٍ خيِّرَ، فكان رسول الله ﷺ هو المخيَّرَ، وكان أبو بكر رضي الله عنه أعلمُنا، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إنَّ مِنْ أمنِّ الناس عليَّ في صحبتِهِ ومالِهِ أبا بكر، ولو كنتُ متّخذاً خليلاً [غير ربِّي] لاتخذتُ أبا بكر، ولكن أخوّةُ الإسلامِ ومودّته، لا يَبْقَيَنَّ في المسجدِ بابٌ إلا سُدَّ إلا بابُ أبي بكرٍ**»[(٢)].

• وأخرج **الترمذي** عن عبيد بن حنين عن **أبي سعيد الخدري** رضي الله عنه:

---

(١) سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الأنصاري الخزرجي أبو سعيد الخدري، مشهور بكنيته، استُصْغِرَ بأُحد، وغزا هو ما بعدها، وروى عن النبي ﷺ الكثير، وروى عن أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وغيرهم، وروى عنه من الصحابة: ابن عباس، وابن عمر، وجابر، وغيرهم، ومن كبار التابعين: سعيد بن المسيب، وأبو عثمان النهدي، وطارق بن شهاب، وعطاء وغيرهم، وهو مكثر من الحديث، كان من أفقه أحداث الصحابة، قال الواقدي: مات سنة ٧٤هـ، وقيل: ٦٤هـ، وقال المدائني: ٦٣هـ، وقال العسكري: ٦٥هـ. انظر ترجمته في: «الإصابة» (٢/ ٣٥).

(٢) «صحيح البخاري» رقم: (٣٦٥٤).

أنَّ رسولِ اللهِ ﷺ جلس على المنبر، فقال: «**إنَّ عبداً خيَّره اللهُ بين أنْ يؤتيه من زهرةِ الدُّنيا ما شاء وبين ما عنده، فاختار ما عنده**»، ثم ذكر نحواً مما تقدَّم[١].

❁ مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

● وأما مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد أخرج **البخاري** عن ابن شهاب، أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن **أبي سعيد الخدري** رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**بينا أنا نائمٌ رأيتُ الناسَ عُرِضُوا عليَّ وعليهم قمصٌ، فمنها ما يبلغُ الثدي، ومنها ما يبلغ دون ذلك، وعُرِضَ عليّ عمر، وعليه قميصٌ يجرّه**»، قالوا: فما أوَّلته يا رسول الله! قال: «**الدين**»[٢].

❁ البشارة للشيخين بالجنة:

● وأما البشارة للشيخين بالجنة والإشارة إلى أنهما من السابقين المقرَّبين، فقد أخرج **الترمذي** من طريق سالم بن أبي حفصة والأعمش وجماعة، كلهم عن عطية عن **أبي سعيد** قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إنَّ أهلَ الدرجات العُلى ليراهم مَنْ تحتَهم كما ترونَ النجمَ الطالِعَ في أُفقِ السماءِ، وإنَّ أبا بكر وعمر منهم وأنعما**»[٣].

❁ مكانة الشيخين عند النبي ﷺ كالوزيرين عند الملك:

● وأما أنهما منتظر الإمارة وأن أمر الملّة يتمّ بهما، فقد أخرج **الترمذي** من حديث أبي الجحَّاف عن عطية عن **أبي سعيد الخدري** رضي الله عنه

---

(١) «سنن الترمذي» رقم: (٣٦٦٠).
(٢) «صحيح البخاري» رقم: (٧٠٠٩).
(٣) «سنن الترمذي» رقم: (٣٦٥٨).

قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**ما مِنْ نبيٍّ إلا له وزيران من أهلِ السماءِ، ووزيرانِ من أهل الأرضِ، فأمّا وزيراي من أهلِ السماءِ فجبريلٌ وميكائيلُ، وأمّا وزيراي من أهلِ الأرضِ فأبو بكرٍ وعمرَ**»[١].

❁ وقوع خلافتهم في زمن الخير والعافية:

● وأما الدليل على خلافتهم من جهة وقوع خلافتهم في مرتبة أمراء الخير، فقد أخرج **أحمد** من حديث عبد الله البهي عن **أبي سعيد** أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**يكونُ عليكم أمراءُ تطمئِنُّ إليهم القلوبُ، وتلين لهم الجلودُ، ثم يكونُ عليكم أمراء تشمئزُّ منهم القلوبُ، وتقشعرُّ منهم الجلودُ**»، فقال رجلٌ: أنقاتِلُهم يا رسولَ اللهِ؟! قال: «**لا، ما أقاموا الصلاةَ**»[٢].

❁ ❁ ❁

(١) «سنن الترمذي» رقم: (٣٦٨٠).

(٢) «مسند أحمد» (٣/٢٨) رقم: (١١٢٤٠).




ومن مسند جابر بن عبد الله[١] رضي الله عنه

الخلافة في قريش:

• أما أن الخلافة لقريش، فقد أخرج **أحمد** من حديث ابن جريج عن أبي الزبير عن **جابر** أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**الناسُ تبعٌ لقريشٍ في الخيرِ والشّرِ**»[٢].

الدليل على خلافة الخلفاء:

• وأما الدليل على خلافة الخلفاء، فقد أخرج أحمد والحاكم من حديث الزبيدي عن ابن شهاب، عن عمرو بن أبان بن عثمان، عن جابر بن عبد الله أنّه كان يحدِّثُ أنّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**أُرِيَ الليلةَ رجلٌ صالحٌ أنَّ أبا بكر** رضي الله عنه **نيطَ برسولِ اللهِ** ﷺ، **ونِيْطَ عمرُ بأبي بكرٍ، ونِيْطَ عثمانُ بعمرَ**»، قال جابر: فلمّا قمنا من عند رسول الله ﷺ قلنا: أمَّا الرجلُ الصالحُ فرسولُ اللهِ ﷺ، وأمّا ما ذكر رسول الله ﷺ من نَوْط

---

(١) هو: أبو عبد الله جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام، شهد العقبة الثانية مع أبيه وهو صبي، وقال بعضهم: شهد بدراً، وقيل: لم يشهدها، وكذلك غزوة أُحد، شهد مع النبي ﷺ ثمان عشرة غزوة، وشهد صفين مع علي بن أبي طالب، وعمي في آخر عمره، وهو آخر من مات بالمدينة ممن شهد العقبة، كان من المكثرين في الحديث، روى عنه محمد بن علي بن الحسين، وعمرو بن دينار، وعطاء، ومجاهد وغيرهم، توفي جابر سنة ٧٤هـ، وقيل: سنة ٧٧هـ، وكان عمره أربعاً وتسعين سنة. انظر: «أُسد الغابة» (١/ ٣٠٧).

(٢) «مسند أحمد» (٣/ ٣٨٣) رقم: (١٥١٥١).

بعضهم لبعض فهم ولاةُ هذا الأمر الذي بعثَ اللهُ به نبيَّه ﷺ[(١)].

البشارة للخلفاء بالجنة:

• وأما بشارتهم بالجنة، فقد أخرج **أحمد** من حديث عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب، عن **جابر** قال: قال رسول الله ﷺ: «**يطلعُ عليكم من تحت هذا الصورُ[(٢)] رجلٌ من أهلِ الجنّةِ**»، قال: فطلعَ عليهم أبو بكر رضوان الله عليه، فهنَّأناه بما قال رسول الله ﷺ، ثمَّ لبثَ هنيهةً، ثم قال: «**يطلعُ عليكم مِنْ تحتِ هذا الصورِ رجلٌ من أهل الجنّةِ**»، قال: فطلعَ عمرُ رضي الله عنه، قال: فهنَّأناه بما قال رسول الله ﷺ، ثم قال: «**يَطْلُعُ عليكم من تحتِ هذا الصورِ رجلٌ من أهلِ الجنّةِ**»، قال: فطلع عثمان رضي الله عنه، قال: فهنَّأناه بما قال رسول الله ﷺ[(٣)]، ثم قال: «**يَطْلُعُ عليكم من تحتِ هذا الصور رجلٌ من أهلِ الجنّة، اللَّهُمَّ إن شئتَ جعلته عليّاً**» ثلاث مرات فطلعَ عليٌّ رضي الله عنه[(٤)].

مناقب أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه:

• وأما مناقب أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه، فقد أخرج **الحاكم** عن محمد بن المنكدر، عن **جابر** قال: كنا عند النبيِّ ﷺ إذ جاءه وفد عبد القيس، فتكلَّم بعضهم بكلام لغا[(٥)] في الكلام، فالتفتَ النبيُّ ﷺ إلى

---

(١) «مسند أحمد» (٣/ ٣٥٥) رقم: (١٤٨٦٣)، «المستدرك» (٣/ ٧٥).

(٢) هو الجماعة من النخل.

(٣) قوله: «قال: فطلع عثمان ـ إلى ـ بما قال رسول الله ﷺ»، لم أجده في «مسنده»، وهو موجود في «المعجم الأوسط» (٧/ ١١٠) رقم: (٧٠٠٢).

(٤) «مسند أحمد» (٣/ ٣٥٦) رقم: (١٤٨٨١).

(٥) وفي النسخة الفارسية الأصلية: «أجاد» مكان «لغا»، واللغو: السقط وما لا يعتد به من كلام وغيره.

أبي بكر، وقال: «**يا أبا بكرٍ! سمعتَ ما قالوا؟**» قال: نعم، يا رسول الله! وفهمته، قال: «**فأجبهم**»، قال: فأجابهم أبو بكر رضي الله عنه بجوابٍ وأجادَ الجوابَ، فقال رسول الله ﷺ: «**يا أبا بكر! أعطاكَ الله الرضوانَ الأكبرَ**»، فقال له بعضُ القوم: وما الرضوانُ الأكبرُ يا رسول الله!؟ قال: «**يتجلَّى اللهُ لعبادِهِ في الآخرةِ عامَّةً، ويتجلَّى لأبي بكرٍ خاصّةً**»[(١)].

مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

● وأما مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد أخرج **البخاري** من حديث عبد العزيز بن الماجشون، عن محمد بن المنكدر عن **جابر** قال: قال النبي ﷺ: «**رأيتَني دخلتُ الجنةَ فإذا أنا بالرُّميصاءِ امرأةِ أبي طلحةَ وسمعتُ خَشَفَةً، فقلتُ: مَنْ هذا؟ فقال: هذا بلالٌ، ورأيتُ قصراً، بفنائه جاريةٌ، فقلت: لمن هذا؟ فقالوا: لعمرَ، فأردتُ أن أدخله، فأنظرَ إليه، فذكرتُ غيرتك**»، فقال عمر رضي الله عنه: بأبي وأمي يا رسول الله! أعليكَ أغار؟[(٢)].

مناقب عثمان رضي الله عنه:

● وأما مناقب عثمان رضي الله عنه فقد أخرج **الحاكم** عن **جابر بن عبد الله** قال: بينما نحن في بيت [ابن حشفة] في نفر من المهاجرين، فيهم أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزُّبير، وعبد الرحمٰن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم، فقال رسول الله ﷺ: «**لينهضَ كلُّ رجلٍ منكم إلى كُفئِهِ**»، فنهضَ النبيُّ ﷺ إلى عثمانَ فاعتنقه، وقال: «**أنتَ وليّي في الدنيا والآخرة**»[(٣)].

---

(١) «المستدرك» (٣/ ٨٣).
(٢) «صحيح البخاري» رقم: (٣٦٧٩).
(٣) «المستدرك» (٣/ ١٠٤).

❁ البشارة لأهل الحديبية بالجنة:

وأما البشارة لأهل الحديبية بالجنّة، فقد أخرج **أبو داود** من حديث الليث عن أبي الزبير عن **جابر** عن النبيِّ ﷺ قال: «**لا يدخلُ النارَ أحدٌ ممّن بايعَ تحتَ الشجرةِ**»(١).

● وقد أخرج **أحمد** من حديث سُفْيَانَ، عَنْ عَمْرٍو، عن **جَابِرٍ** قَالَ: كُنَّا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ أَلْفاً وَأَرْبَعَ مِئَةٍ، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَنْتُمْ الْيَوْمَ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ**»(٢).

❁ ❁ ❁

---

(١) «سنن أبي داود» رقم: (٤٦٥٣).

(٢) «مسند أحمد» (٣/٣٠٨) رقم: (١٤٣٥٢).




مسانيد المهاجرين من أصحاب رسول الله ﷺ

مسند عمَّار بن ياسر[1] رضي الله عنه

❁ فضائل الشيخين:

● أما فضل الشيخين وكونهما من السابقين المقرَّبين وأن أبا بكر أفضل من عمر، فقد أخرج أبو يعلى من طريق حماد بن أبي سليمان عن إبراهيم عن علقمة عن **عمَّار بن ياسر** قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: **«يا عمّارُ! أتاني جبريلُ آنفاً فقلتُ: يا جبريلُ! حدِّثني بفضائلِ عمرَ بن الخطاب في السماءِ، فقال: يا محمّدُ! لو حدَّثتُكَ بفضائلِ عمرَ مثل ما لبثَ نوحٌ في قومه ـ ألف سنة إلا خمسين عاماً ـ ما نفدتْ فضائلُ عمرَ، وإن عمر لحسنةٌ من حسناتِ أبي بكر»**[2].

---

(١) هو: أبو اليقظان عمّار بن ياسر بن عامر المذحجي ثم العنسي، وهو من السابقين الأولين إلى الإسلام، وأمه سمية وهي أول من استشهد في سبيل الله، وهو وأبوه وأمه من السابقين، وكان إسلام عمّار بعد بضعة وثلاثين، وهو ممن عذّب في الله، ومن مناقبه أنه أول من بنى مسجداً في الإسلام، واستعمله عمر على الكوفة، ثم صحب علياً رضي الله عنهما وشهد معه الجمل وصفين، فأبلى فيهما وقتل في صفين، قتله جند معاوية، وقال النبي ﷺ فيه: **«تقتله الفئة الباغية»**، وكان قتله في ربيع الأول أو الآخر من سنة ٣٦هـ، وله أحاديث روى عنه علي بن أبي طالب وابن عباس وأبو موسى وغيرهم من الصحابة، وروى من التابعين ابنه محمد بن عمّار وابن المسيب وأبو بكر بن عبد الرحمٰن ومحمد ابن الحنفية وغيرهم. انظر: «أُسد الغابة» (٣/ ٦٢٦).

(٢) «مسند أبي يعلى» (٣/ ١٧٩) رقم: (١٦٠٣).

❁ سوابق أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه:

• وأما سوابق أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فقد أخرج **البخاري** عن همام قال: سمعت **عماراً** يقول: رأيتُ رسول الله ﷺ وما معه إلا خمسةُ أعبدٍ وامرأتان وأبو بكر[1].

ومن مسند حذيفة بن اليمان[2] رضي الله عنه

• معاملة النبي ﷺ للخلفاء معاملة المَلك وليَّ عهده:

• أمّا ما يدلّ على خلافتهم من معاملة منتظر الإمارة، فقد أخرج **الحاكم** من حديث عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش، عن **حذيفة بن اليمان** رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**لقد هممتُ أنْ أبعثَ إلى الآفاقِ رجالاً يعلِّمون الناسَ السننَ والفرائضَ، كما بعثَ عيسى ابنُ مريمَ الحواريين**»، قيل له: فأين أنت من أبي بكر وعمر؟ قال: «إنّه لا غنى بي عنهما، إنّهما من الدين كالسمع والبصر»[3].

حجّية قول الشيخين ووجوب الاقتداء بهما:

• وأمّا أنّ قولهما حجّةٌ، وأنّه يجبُ الاقتداءُ بهما، فقد أخرج

---

(١) «صحيح البخاري» رقم: (٣٦٦٠).

(٢) هو: أبو عبد الله حذيفة بن اليمان بن جابر بن عمرو العبسي، روى عنه أبو عبيدة، وعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وقيس بن أبي حازم، وغيرهم، وهاجر إلى النبي ﷺ فخيّره بين الهجرة والنصرة، فاختار النصرة، وشهد مع النبي ﷺ أُحداً، وحذيفةُ صاحبُ سرِّ رسول الله ﷺ في المنافقين، لم يعلمهم أحد إلا حذيفة، كان يسأل النبيَّ ﷺ عن الشرّ ليتجنَّبه، وأرسله النبيُّ ﷺ ليلةَ الأحزاب ليأتيه بخبر الكفار، ولم يشهد بدراً، كان موته بعد قتل عثمان بأربعين ليلةً سنة ٣٦هـ. انظر: «أُسد الغابة» (١/ ٤٦٨).

(٣) «المستدرك» (٣/ ٧٨).

الحاكم من حديث مسعر بن كدام، عن عبد الملك بن عُمير، عن ربعي بن حراش، عن **حذيفة** ﵁ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**اقتدوا باللَّذَين من بعدي أبي بكر وعمر، واهتدوا بهدي عمّار، وإذا حدَّثكم ابنُ أُمِّ عبدٍ فصدِّقوه**»(١).

وفي رواية **الترمذي** من حديث سفيان عن عبد الملك بن عمير عن مولى لربعي عن ربعي بن حراش عن **حذيفة**، قال: كُنّا جلوساً عند النبيِّ ﷺ، فقال: «**إنِّي لا أدري ما قَدْرُ بقائي فيكم، فاقتدوا باللَّذَين من بعدي** ـ وأشار إلى أبي بكر وعمر ـ **واهتدوا بهدي عمَّار، وما حدَّثكم ابنُ مسعودٍ فصدِّقوه**»(٢).

❁ الدليل على خلافة عمر ﵁:

• وأما الدلالة على خلافة عمر ﵁ وأنّه غَلَقُ الفتنةِ، فقد أخرج **البخاري** من حديث الأعمش، قال: حدثنا شقيق قال: سمعت **حذيفة** يقول: بينا نحنُ جلوسٌ عند عمر، إذ قال: أيُّكم يحفظُ قولَ النبيِّ ﷺ في الفتنةِ؟

قال: قلت: فتنةَ الرجلِ في أهلِهِ ومالِهِ وولدِهِ وجارِهِ تكفِّرها الصلاةُ والصدقةُ والأمرُ بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال: ليس عن هذا أسألُكَ، ولكنّ التي تموجُ كموجِ البحرِ، قال: ليس عليك منها بأسٌ يا أمير المؤمنين! إنَّ بينكَ وبينها باباً مغلقاً.

قال عمر: أيُكْسَرُ البابُ أم يُفْتَحُ؟

قال: لا، بل يُكسر، قال عمر: إذاً لا يُغْلَقُ أبداً، قلت: أجل.

---

(١) «المستدرك» (٣/ ٧٩).

(٢) «سنن الترمذي» رقم: (٣٧٩٩).

قلنا لحذيفة: أكان عمر يعلمُ الباب؟ قال: نعم كما أعلمُ أنّ دون غدٍ ليلةً، وذلك أني حدَّثته حديثاً ليس بالأغاليط، فهبنا أن نسألَه: مَنِ البابَ؟ فأمرنا مسروقاً، فسأله فقال: من الباب؟ قال: عمر(١).

• وأخرج **الحاكم** من حديث سفيان عن منصور عن ربعي عن **حذيفة** رضي الله عنه قال: كان الإسلامُ في زمانِ عمرَ كالرجل المقبل لا يزدادُ إلا قرباً، فلمّا قُتِلَ عمرُ كان كالرجلِ المدبر لا يزدادُ إلا بُعْداً(٢).

الدليل على خلافة عثمان رضي الله عنه:

• وأما الدلالة على خلافة عثمان رضي الله عنه وأنه إذا قُتل لا يستقيم أمر الخلافة أبداً، فقد أخرج **الترمذي** عن عبد الله بن عبد الرحمٰن الأنصاري الأشهلي عن **حذيفة بن اليمان** أنّ رسول الله ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده، لا تقومُ الساعةُ حتّى تقتلوا إمامَكم، وتجتلِدُوا بأسيافِكُم، ويرث دنياكم شِرارُكم**»(٣).

قول حذيفة في الخارجين على عثمان:

• أما قوله في الخارجين على عثمان فقد أخرج **الحاكم** عن ربعي بن حراش قال: انطلقتُ إلى **حذيفة** بالمدائن ليالي سار الناس إلى عثمان، فقال: يا بُني! ما فعل قومُكَ؟ قلتُ: عن أيّ حالهم تسأل؟ قال: من خرجَ منهم إلى هذا الرجل، فسمّيت له رجلاً ممّن خرجَ، فقال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**مَنْ فارقَ الجماعةَ، واستذَلَّ الإمارةَ، لقيَ اللهَ ولا حجةَ له عنده**»(٤).

---

(١) «صحيح البخاري» رقم: (١٤٣٥، ٧٠٩٦).
(٢) «المستدرك» (٣/ ٩٠).
(٣) «سنن الترمذي» رقم: (٢١٧٠).
(٤) «المستدرك» (٣/ ١١٢).

❁ الدليل على خلافة علي وأن الأمة لا تجتمع عليه:

• وأما الدلالة على أن عليّاً حقيقٌ بالخلافةِ، ولكنَّ الأمة لا تجتمع عليه فلذلك لم يستخلفه النبيُّ ﷺ، فقد أخرج **الحاكم** من طريق شريك بن عبد الله عن عثمان بن عمير عن شقيق بن سلمة عن **حذيفة** رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله! لو استخلفتَ علينا؟ قال: «**إنْ أستخلفْ عليكم خليفةً فتعصوه ينزلُ بكمُ العذابُ**»، [قالوا: لو استخلفتَ علينا أبا بكر، قال: «**إن أستخلفْهُ عليكم تجدوه قوياً في أمرِ اللهِ ضعيفاً في جسدِهِ**»، قالوا: لو استخلفتَ علينا عمر، قال: «**إنْ أستخلفه عليكم تجدوه قوياً أميناً لا تأخذه في اللهِ لومةُ لائم**»]، قالوا: لو استخلفتَ علينا عليّاً، قال: «**إنّكم لا تفعلونَ، وإن تفعلوا تجدوه هادياً مهدياً يسلُكُ بكم الطريقَ المستقيمَ**»[(١)].

❁ الدليل على ترتيب خلافتهم:

• وأما ما يدلّ على خلافتهم من الترتيب الذي بيَّنه النبيُّ ﷺ لدولة ملَّته، فقد أخرج **أحمد** في مسند النعمان بن بشير من حديث حبيب بن سالم عن النعمان بن بشير عن **حذيفة** قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**تكونُ النبوةُ فيكم ما شاء الله أن تكونَ، ثم يرفعُها إذا شاءَ أن يرفعَها، ثم تكونُ خلافةٌ على منهاجِ النبوّةِ، فتكونُ ما شاء الله أن تكونَ، ثم يرفعُها إذا شاءَ الله أن يرفعَها، ثم تكونُ مُلْكاً عاضّاً، فيكونُ ما شاء الله أن يكونَ، ثم يرفعُها إذا شاءَ أن يرفعَها، ثم تكونُ مُلْكاً جبرياً، فتكون ما شاءَ الله أن تكونَ، ثم يرفعُها إذا شاء أن يرفعَها، ثم تكونُ خلافةٌ على منهاجِ النبوةِ**»، ثم سكت[(٢)].

---

(١) «المستدرك» (٣/ ٧٤).

(٢) «مسند أحمد» (٤/ ٢٧٣).

ومن مسند أبي ذر[1] رضي الله عنه

التعريض الظاهر على خلافة الخلفاء الثلاثة:

• أما التعريض الظاهر على خلافة الثلاثة، فقد ذكر المحبُّ الطبري بروايات شتى عن سويد بن يزيد السلمي، قال: دخلت المسجد فرأيت **أبا ذرٍّ** جالساً فيه وحدَه، فاغتنمتُ ذلك [وجلست إليه، وكأنّه قال: دخلتُ المسجدَ]، فذكر بعضُ القوم عثمانَ، فقال: لا أقول لعثمان أبداً إلّا خيراً بعد شيءٍ رأيتُه عندَ رسولِ اللهِ ﷺ، [كنت] أتبعُ خلوات رسولِ اللهِ ﷺ أتعلَّمُ منه، فخرجَ ذات يومٍ حتى انتهى إلى موضع كذا وكذا، فجلس فانتهيتُ إليه، فسلَّمتُ عليه وجلستُ إليه، فقال: «**يا أبا ذر! ما جاءَ بِكَ**»، قلت: الله ورسوله، [فبينا نحن كذلك[2]] إذ جاء أبو بكر، فسلَّم، وجلسَ عن يمينِ رسولِ اللهِ ﷺ، فقال: «**يا أبا بكرٍ! ما جاء بك؟**» فقال: اللهُ ورسولُه.

ثم جاء عمر، فسلَّم، وجلس عن يمين أبي بكر، فقال: «**يا عمرُ! ما جاءَ بِكَ؟**» قال: اللهُ ورسولُه.

ثم جاء عثمانُ فسلَّم وجلس عن يمين عمر، فقال: «**يا عثمانُ! ما جاءَ بِكَ؟**» قال: الله ورسوله، قال: فتناول النبيُّ ﷺ سبعَ حصياتٍ، أو تسع حصيات فوضعهنَّ في كفِّه، فسبَّحن حتى سمعتُ لهن حنيناً كحنين

---

(١) اختلف في اسمه كثيراً، فقيل: جندب بن جنادة، وهو أكثر وأصحّ ما قيل فيه، وقيل: برير بن عبد الله، وبرير بن جنادة، وقيل: جندب بن سكن، والمشهور جندب بن جنادة بن قيس بن عمرو، أبو ذر الغفاري، كان من كبار الصحابة وفضلائهم، قديم الإسلام، يقال: أسلم بعد أربعة، وكان خامساً، توفي أبو ذر بالربذة سنة ٣١هـ، أو ٣٢هـ، صلَّى عليه عبد الله بن مسعود. انظر: «أُسد الغابة» (٥/ ٩٩).

(٢) سقط في الأصل الفارسي.

النحل، ثم وضعهنَّ فخرسن، فتناولهنَّ النبيُّ ﷺ، فوضعهنَّ في يد أبي بكر، فسبَّحن حتى سمعتُ لهن حنيناً كحنين النحل، ثم وضعهنَّ فخرسن، فتناولهنَّ النبيُّ ﷺ فوضعهنَّ في يد عمر رضي الله عنه، فسبَّحن حتى سمعت لهن حنيناً كحنين النحل، ثم وضعهنَّ فخرسن، فتناولهنَّ النبيُّ ﷺ فوضعهنَّ في يد عثمان، فسبَّحن حتى سمعت لهن حنيناً كحنين النحل، ثم وضعهنَّ فخرسن[1].

محدّثية عمر رضي الله عنه:

• وأما أنّ عمر رضي الله عنه محدَّثٌ يقتدى به فيما أمر وسنَّ، فقد أخرج **الحاكم** من حديث هشام بن الغاز وابن عجلان ومحمد بن إسحاق، عن مكحول، عن غضيف بن الحارث، عن **أبي ذر** رضي الله عنه قال: مرَّ فتًى على عمر، فقال عمر: نعم الفتى، قال: فتبعه أبو ذر، فقال: يا فتى! استغفر لي، فقال: يا أبا ذر! أستغفرُ لكَ وأنتَ صاحبُ رسولِ اللهِ ﷺ؟ قال: استغفر لي، قال: لا، أو تخبرني، فقال: إنّكَ مررتَ على عمرَ رضي الله عنه، فقال: نعم الفتى، وإنِّي سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**إنَّ الله جعل الحقَّ على لسانِ عمرَ وقلبِهِ**»[2].

ومن مسند مقداد بن الأسود[3] رضي الله عنه

. . . .

(١) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ٢٥).

(٢) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ٩٣) برقم: (٤٥٠١).

(٣) هو: المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك البهراني المعروف بالمقداد بن الأسود، هو قديم الإسلام من السابقين، وهاجر إلى الحبشة، ثم عاد إلى مكة، فلم يقدر على الهجرة إلى المدينة لما هاجر إليها رسول الله ﷺ، ثم هاجر فيما بعد، شهد بدراً، وله فيها مقام مشهور، وكان المقداد من أول من أظهر الإسلام بمكة، قال ابن مسعود: =

❁ مواعيد الله الظاهرة على أيدي الخلفاء:

أما مواعيد الله تعالى الظاهرة على أيدي الخلفاء، فقد أخرج **أحمد** من حديث سليم بن عامر، قال: سمعت **المقداد بن الأسود** يقول: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**لا يبقى على ظهر الأرض بيتُ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ إلَّا أدخله الله كلمةُ الإسلام بعزِّ عزيزٍ أو ذُلِّ ذليلٍ، إمّا يعزّهم اللهُ ﷻ فيجعلهم من أهلِها، أو يُذلُّهم فيدينونَ لها**»[(١)].

ومن مسند خباب بن الأرتّ[(٢)] رضي الله عنه

❁ مواعيد الله الظاهرة على أيدي الخلفاء:

• أما مواعيد الله ﷻ الظاهرة على أيدي الخلفاء، فقد أخرج **أبو يعلى** من حديث إسماعيل عن قيس عن **خباب** قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسِّدٌ ببردةٍ له في ظلِّ الكعبة، فقلنا: ألا تستنصرُ لنا؟ فجلس محمرّاً وجهُه، فقال: «**قد كان مِنْ قبلِكُم يؤخذُ الرجلُ، فيُحْفَرُ له في الأرضِ، ثم يجاءُ بالمنشارِ، يُجعلُ فوق رأسِهِ، ما يصرِفُه عن دينِهِ، أو يمشَّطُ بأمشاطِ الحديدِ ما دونَ لحمِهِ مِنْ عظمٍ وعصبٍ ما يصرفه عن**

= أول من أظهر الإسلام بمكة سبعة، منهم: المقداد، وشهد أُحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ومناقبه كثيرة، كانت وفاته بالمدينة في خلافة عثمان، كان عمره حينذاك سبعين. انظر: «أُسد الغابة» (٤/ ٤٧٥).

(١) انظر: «مسند أحمد» (٦/ ٤) برقم: (٢٣٨٦٥).

(٢) هو: أبو عبد الله خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد، اختلف في نسبه، فقيل: خزاعي، وقيل: تميمي وهو الأكثر، من السابقين الأولين إلى الإسلام، وممن عُذِّبَ في الله تعالى، وكان سادس ستة في الإسلام، شهد بدراً وأُحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، روى عنه ابنه عبد الله، ومسروق، وقيس بن أبي حازم، وغيرهم، قال أبو عمر: مات خبّابُ سنة ٣٦هـ، بعد ما شهد صفّين مع علي رضي الله عنه والنهروان، وصلّى عليه علي، وكان عمره إذ مات ثلاثاً وسبعين. انظر: «أسد الغابة» (١/ ٥٩١).

دينه، وليُتِمَّنَّ اللهُ هذا الأمرَ حتى يسيرَ الراكبُ من صنعاءَ إلى حضرموت لا يخشى إلا الله ﷻ والذئبَ على غنمِهِ، ولكنّكم تعجلون»[١].

ومن مسند بريدة الأسلمي[٢] رضي الله عنه

أبو بكر صدّيق، وعمر وعثمان شهيدان رضي الله عنهم:

• أمّا أنّ أبا بكر صدِّيق رضي الله عنه، وهما شهيدان، فقد أخرج **أحمد** عن الحسين، عن عبد الله بن بريدة عن أبيه: أنّ رسولَ اللهِ ﷺ كان جالساً على حراء ومعه أبو بكر، وعمر، وعثمان رضي الله عنهم، فتحرّك الجبلُ، فقال رسول الله ﷺ: **«اثبت حراءُ! فإنّه ليس عليكَ إلا نبيٌّ أو صدِّيقٌ أو شهيدٌ»**[٣].

حديث القرون الثلاثة:

• وأما **حديث القرون**، فقد أخرج **أحمد** عن عبد الله بن مولة[٤]، قال: كنت أسير مع بريدة الأسلمي فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«خير هذه الأمة القرن الذين بُعثت أنا فيهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين**

---

(١) انظر: «مسند أبي يعلى» (١٣/ ١٤٠) برقم: (٧٢١٣).

(٢) هو: أبو عبد الله بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحارث الأسلمي، قال ابن السكن: أسلم حين مرّ به النبي ﷺ مهاجراً بالغميم، وأقام في موضعه حتى مضت بدر وأُحد، ثم قدم بعد ذلك، وقيل: أسلم بعد منصرف النبي ﷺ من بدر، وسكن البصرة لما فتحت، وفي الصحيحين عنه أنه غزا مع رسول الله ﷺ ست عشرة غزوة، قال أبو علي الطوسي أحمد بن عثمان صاحب ابن المبارك: اسم بريدة عامر وبريدة لقب، وأخبار بريدة كثيرة ومناقبه مشهورة، وكان غزا خراسان في زمن عثمان، تحوّل إلى مرو، فسكنها إلى أن مات في خلافة يزيد بن معاوية، قال ابن سعد: مات سنة ٦٣هـ. انظر: «الإصابة» (١/ ١٤٦)، و«أسد الغابة» (١/ ٢١٩).

(٣) انظر: «مسند أحمد» (٥/ ٣٤٦) برقم: (٢١٨٥٨).

(٤) في الأصل الفارسي: «خولة» مكان «مولة».

يلونهم، [ثم الذين يلونهم[١]]، ثم يكون قوم تسبق شهادتهم أيمانهم وأيمانهم شهادتهم»[٢].

حديث إمامة أبي بكر رضي الله عنه:

• وأما **حديث الإمامة**، فقد أخرج **أحمد** عن عبد الملك بن عمير عن ابن بريدة عن **أبيه**، قال: مرض رسول الله ﷺ، فقال: «**مروا أبا بكرٍ يصلّي بالناس**»، فقالت عائشةُ: يا رسولَ اللهِ! إنَّ أبي رجلٌ رقيقٌ، فقال: «**مروا أبا بكرٍ يصلِّي بالناسِ، فإنكنّ صواحباتُ يوسفَ**»، فأمَّ أبو بكر الناس[٣].

مناقب عمر رضي الله عنه:

• وأما **مناقب عمر** رضي الله عنه، فقد أخرج **أحمد** عن حُسَيْنِ بْنِ وَاقِدٍ قال: أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ بُرَيْدَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي [**بُرَيْدَةَ**[٤]] يَقُولُ: أَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَدَعَا بِلالاً، فَقَالَ: «**يَا بِلالُ! بِمَ سَبَقْتَنِي إِلَى الْجَنَّةِ؟ مَا دَخَلْتُ الْجَنَّةَ قَطُّ إِلا سَمِعْتُ خَشْخَشَتَكَ أَمَامِي، أَنِّي دَخَلْتُ الْبَارِحَةَ الْجَنَّةَ، فَسَمِعْتُ خَشْخَشَتَكَ، فَأَتَيْتُ عَلَى قَصْرٍ مِنْ ذَهَبٍ مُرْتَفِعٍ مُشْرِفٍ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ؟ قَالُوا: لِرَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ، قُلْتُ: أَنَا عَرَبِيٌّ، لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ؟ قَالُوا: لِرَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ، قُلْتُ: فَأَنَا مُحَمَّدٌ، لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ؟ قَالُوا: لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ**»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

---

(١) «ثم الذين يلونهم» وردت في الأصل الفارسي مرتين فقط، وقد أحال المحقق الفاضل شعيب الأرنؤوط في هامش «مسند أحمد» (٧/ ٧٦) برقم: (٣٥٩٤) في ورودها مرتين إلى مخطوط المكتبة الظاهرية برقم: (١٤).

(٢) انظر: «مسند أحمد» (٥/ ٣٥٧) برقم: (٢٣٠٧٤).

(٣) انظر: «مسند أحمد» (٥/ ٣٦١) برقم: (٢٣١١٠).

(٤) لا يوجد في الأصل الفارسي.

«لَوْلَا غَيْرَتُكَ [يَا عُمَرُ] لَدَخَلْتُ الْقَصْرَ»، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا كُنْتُ لِأَغَارَ عَلَيْكَ، قَالَ: وَقَالَ لِبِلَالٍ: «بِمَ سَبَقْتَنِي إِلَى الْجَنَّةِ؟» قَالَ: مَا أَحْدَثْتُ إِلَّا تَوَضَّأْتُ، وَصَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بِهَذَا»[١].

● وأخرج **أحمد** عن حسين قال: حدَّثني عبد الله بن بُريدة عن أبيه أنَّ أَمةً سوداءَ أتتْ رسولَ اللهِ ﷺ ورجع من بعض مغازيه، فقالت: إنِّي كنت نذرتُ إن ردّك الله صالحاً أنْ أضربَ عندك بالدُّفِّ، قال: إن كنتِ فعلتِ فافعلي، وإن كنتِ لم تفعلي فلا تفعلي، فضربتْ، فدخل أبو بكر وهي تضربُ، ودخل غيره وهي تضربُ، ثم دخلَ عمرُ، [قال:] فجعلتْ دفَّها خلفَها وهي مقنعةٌ، فقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الشيطانَ لَيَفْرُقُ منكَ يا عمرُ! أنا جالسٌ ها هنا، ودخلَ هؤلاء، فلمّا إنْ دخلتَ فعلتْ ما فعلتْ**»[٢].

ومن مسند عقبة بن عامر[٣] رضي الله عنه

محدّثية عمر رضي الله عنه:

● أما أنّ عمر رضي الله عنه محدَّث يُقتدى برأيه، فقد أخرج **الترمذي** عَنْ مِشْرَحِ بْنِ هَاعَانَ[٤] عَنْ **عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ كَانَ بَعْدِي نَبِيٌّ لَكَانَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ**»[٥].

---

(١) انظر: «مسند أحمد» (٥/ ٣٥٤) برقم: (٢٣٠٤٦).

(٢) انظر: «مسند أحمد» (٥/ ٣٥٣) برقم: (٢٣٠٣٩).

(٣) هو: أبو حمّاد عقبة بن عامر بن عبس بن عمرو الجهني، كان من أصحاب معاوية بن أبي سفيان، وولي له مصر وسكنها، وتوفي بها سنة ٥٨هـ، وشهد صفين مع معاوية، وشهد فتوح الشام، وكان البريد إلى عمر بفتح دمشق، وكان أحسنَ الناس صوتاً بالقرآن، روى عنه من الصحابة: ابنُ عباس، وأبو عباس، وأبو أيوب، وأبو أمامة، وغيرهم، ومن التابعين: أبو الخير، وعلي بن رباح، وسعيد بن المسيب، وغيرهم. انظر: «أُسد الغابة» (٣/ ٥٥٠).

(٤) في الأصل الفارسي: «عاهان».

(٥) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٦٨٦).

۞ مواعيد الله الظاهرة على أيدي الخلفاء:

• وأما المواعيد الظاهرة على أيدي الخلفاء، فقد أخرج **أحمد** عن أبي الخير عن **عقبة بن عامر** أنّ رسولَ اللهِ ﷺ خرجَ يوماً فصلّى على أهل أُحدٍ صلاته على الميت، ثم انصرفَ[1] إلى المنبرِ، فقال: «**إنِّي فرطٌ لكم، وإنِّي شهيدٌ عليكم، وإنِّي واللهِ لأنظرُ إلى الحَوْضِ، ألا وإنِّي قد أُعطيتُ مفاتيحَ خزائنِ الأرضِ، أو مفاتيحَ الأرضِ، إنِّي واللهِ ما أخافُ عليكم أن تشركوا بعدي، ولكنِّي أخافُ عليكم أن تنافسوا فيها**»[2].

• وأخرج **أحمد** من حديث عمرو بن الحارث، عن أبي علي، عن **عقبة بن عامر** أنّه قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**سَتُفْتَحُ عليكم أرضونَ، ويكفيكم الله ﷻ، فلا يَعْجَزْ أحدُكم أن يلهوَ بِأَسْهُمِهِ**»[3].

ومن مسند سفينة[4] رضي الله عنه

۞ الدليل على خلافة الخلفاء الأربعة:

أمّا ما يدلُّ على خلافة الخلفاء الأربعة من ضرب المدة الواقعة

---

(١) في الأصل الفارسي: «ثم خرج».

(٢) انظر: «مسند أحمد» (٤/ ١٤٩) برقم: (١٧٣٨٢).

(٣) انظر: «مسند أحمد» (٤/ ١٥٧) برقم: (١٧٤٦٩).

(٤) هو: أبو عبد الرحمٰن سفينة مولى رسول الله ﷺ، وقيل: مولى أم سلمة زوج النبي ﷺ، وهي أعتقته، واختُلِفَ في اسمه، فقيل: مهران، وقيل: رومان: وقيل: عبس، وغير ذلك، وكان أصلُه من فارس، فاشترته أم سلمة، ثم أعتقته، واشترطت عليه أن يخدمَ النبيَّ ﷺ، سمَّاه رسول الله ﷺ سفينة؛ لأنّه كان مع النبيِّ ﷺ في سفر، فكان بعض القوم إذا أعيا ألقى عليه ثوبه، حتى حملَ من ذلك شيئاً كثيراً، فقال النبي ﷺ: «**ما أنتَ إلّا سفينةٌ**»، روى عن النبي ﷺ وعن أم سلمة، وعلي، وعنه ولداه عبد الرحمٰن، وعمر، وسالم بن عبد الله وغيرهم. انظر: «الإصابة» (٢/ ٥٨)، و«أسد الغابة» (٢/ ٢٥٩).

عليهم فقد أخرج **الترمذيُّ** من حديث سَعِيدِ بْنِ جُمْهَانَ، قَالَ: حَدَّثَنِي سَفِينَةُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْخِلَافَةُ فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ مُلْكٌ بَعْدَ ذَلِكَ**»، ثُمَّ قَالَ لِي سَفِينَةُ: أَمْسِكْ خِلَافَةَ أَبِي بَكْرٍ، ثُمَّ قَالَ: وَخِلَافَةَ عُمَرَ، وَخِلَافَةَ عُثْمَانَ، ثُمَّ قَالَ [لِي]: أَمْسِكْ خِلَافَةَ عَلِيٍّ، [قَالَ:] فَوَجَدْنَاهَا ثَلَاثِينَ سَنَةً، قَالَ سَعِيدٌ: فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ بَنِي أُمَيَّةَ يَزْعُمُونَ أَنَّ الْخِلَافَةَ فِيهِمْ، قَالَ: كَذَبُوا بَنُو الزَّرْقَاءِ، بَلْ هُمْ مُلُوكٌ مِنْ شَرِّ الْمُلُوكِ[1].

❁ حديث رؤيا الميزان الذي يدلُّ على خلافة الخلفاء الثلاثة:

• وأما ما يدلّ على خلافة الخلفاء الثلاثة من **رؤيا الميزان**، فقد أخرج الحاكم عن سعيد بن جمهان عن **سفينة** مولى أمِّ سلمة ﵄، قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلَّى الصبح، ثم أقبل على أصحابه، فقال: «**أيُّكم رأى الليلةَ رؤيا؟**» قال: فصلّى ذاتَ يوم، فقال: «**أيّكم رأى رؤيا؟**» فقال رجل: أنا رأيتُ يا رسولَ اللهِ! كأنَّ ميزاناً دُلِّي به من السماء، فوُضِعتَ في كفّة، ووضع أبو بكر من[2] كفة أخرى، فرجحت بأبي بكر، فرُفِعتْ، وتُرِك أبو بكر مكانه، فجيء بعمر بن الخطاب، فوُضع في الكفّة الأخرى، فرجح به أبو بكر، فرُفِع أبو بكر، وجيء بعثمان فوُضِع في الكفة الأخرى، فرجح عمر بعثمان، ثم رُفِع عمر وعثمان ورُفِع الميزان، قال: فتغيّر وجه رسولِ اللهِ ﷺ ثم قال: «**خلافةُ النبوةِ ثلاثونَ عاماً، ثم تكونُ ملكاً**»، قال سعيد بن جمهان: فقال لي سفينة: أمسك سَنَتَي أبي بكر، وعشرَ عمر، واثنتي عشرة عثمان، وستَّ

---

(١) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٢٢٢٦).

(٢) في الأصل الفارسي: «في» مكان «من».

علي رضي الله عنهم أجمعين[١].

ومن مسند العرباض بن سارية[٢] رضي الله عنه

وجوب اتباع سنن الخلفاء الراشدين:

• أما وجوب اتباع سنن الخلفاء الراشدين فقد أخرج **ابن ماجه** من حديث عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ عَنْ ضَمْرَةَ بْنِ حَبِيبٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرٍو السُّلَمِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ **الْعِرْبَاضَ بْنَ سَارِيَةَ** يَقُولُ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَوْعِظَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ هَذِهِ لَمَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ قَالَ: «**قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ، مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافاً كَثِيراً، فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْداً حَبَشِيّاً، فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الآنِفِ حَيْثُمَا قِيدَ انْقَادَ**»[٣].

مواعيد الله الظاهرة على أيدي الخلفاء:

• وأمّا مواعيد الله الظاهرة على أيدي الخلفاء فقد أخرج **أحمد** من طريق إِسْمَاعِيل بن عَيَّاشٍ، عَنْ ضَمْضَمِ بْنِ زُرْعَةَ، عَنْ شُرَيْحِ بْنِ عُبَيْدٍ قَالَ: قَالَ الْعِرْبَاضُ بْنُ سَارِيَةَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَخْرُجُ عَلَيْنَا فِي الصُّفَّةِ

---

(١) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ٧٥) برقم: (٤٤٣٨).

(٢) هو: العرباض بن سارية السلمي، يكنى أبا نجيح، روى عنه عبد الرحمٰن بن عمرو وجبير بن نفير وخالد بن معدان وغيرهم وسكن الشام، توفي سنة ٧٠هـ، وقيل: توفي في فتنة ابن الزبير. انظر: «أُسد الغابة» (٣/ ٥١٦).

(٣) انظر: «سنن ابن ماجه» (١/ ١٦) برقم: (٤٣).

وَعَلَيْنَا الْحَوْتَكِيَّةُ، فَيَقُولُ: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا ذُخِرَ لَكُمْ مَا حَزِنْتُمْ عَلَى مَا زُوِيَ عَنْكُمْ، وَلَيُفْتَحَنَّ لَكُمْ فَارِسُ وَالرُّومُ»[١].

ومن مسند عبد الرحمٰن بن غنم الأشعري[٢] رضي الله عنه

❁ حجِّية رأي الشيخين:

• أمّا تصويبُ رأي الشيخين وأنَّ رأيهما حجّةٌ، والإشارةُ إلى خلافتهما فقد أخرج **أحمد** من حديث عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن **عبد الرحمٰن بن غنم** أنَّ النبيَّ ﷺ قال لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما: **«لو اجتمعتما في مشورةٍ ما خالفتكما»**[٣].

❁ الخلافة حق المهاجرين الأولين:

• وأمّا أنَّ الخلافةَ حقُّ المهاجرين الأوَّلين دون الطلقاء، فقد أخرج **أبو عمر** في «الاستيعاب»: أنّ **عبد الرحمٰن بن غنم** عاتب أبا هريرة وأبا الدرداء بحمص إذ[٤] انصرفا من عند علي رضي الله عنه رسولين لمعاوية، وكان ممّا قال لهما: عجباً منكما!! كيف جاز عليكما ما جئتما به؟ تدعوان عليّاً أن يجعلها شورى، وقد علمتما أنّه قد بايعه المهاجرون والأنصار وأهل الحجاز والعراق، وأنَّ مَنْ رضيه خيرٌ ممّن كرهه، ومن

---

(١) انظر: «مسند أحمد» (٤/ ١٢٨) برقم: (١٧٢٠١).

(٢) كان مسلماً على عهد رسول الله ﷺ ولم يره، ولم يفد إليه، ولزم معاذ بن جبل منذ بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن إلى أن مات في خلافة عمر، يعرف بصاحب معاذ لملازمته، وسمع عمر بن الخطاب، وكان أفقه أهل الشام، وهو الذي فقّه عامة التابعين بالشام، وكانت له جلالة وقدر، توفي سنة ٧٨هـ، روى عنه أبو إدريس الخولاني وجماعة من أهل الشام. انظر: «أسد الغابة» (٣/ ٣٨٣).

(٣) انظر: «مسند أحمد» (٤/ ٢٢٧) برقم: (١٨٠٢٣).

(٤) في الأصل الفارسي «إذا» مكان «إذ».

بايعه خيرٌ ممّن لم يبايعه، وأيُّ مدخل لمعاوية في الشورى، وهو من الطلقاء الذين لا تجوزُ لهم الخلافة، وهو وأبوه من رؤوس الأحزابِ، فندما على مسيرهما، وتابا منه بين يديه ﷺ[١].

ومن مسند أبي أروى الدوسي[٢] رضي الله عنه

الدليل على خلافة الشيخين:

• أمّا ما يدلُّ على خلافتهما، وأنَّ مواعيد الله لنبيِّه يظهر على أيديهما فقد أخرج **الحاكم** من طريق سهيل بن أبي صالح، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث، عن أبي سلمة بن عبد الرحمٰن عن **أبي أروى الدوسي**، قال: كنتُ جالساً عند النبيِّ ﷺ، فاطّلع أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**الحمدُ للهِ الذي أيّدني بكما**»[٣].

ومن مسند أبي أمامة الباهلي[٤] رضي الله عنه

مناقب الشيخين:

• أخرج الحاكم من حديث موسى بن عمير، قال: سمعت

---

(١) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٢٥٧) رقم الترجمة: (١٤٤٩).

(٢) لا يعرف اسمه ولا نسبه، قال ابن السكن: له صحبةٌ، كان ينزل ذا الحُليفة، ذكر الواقدي أنّه شهدَ مع النبي ﷺ غزوة قرقر الكدر، قال ابن السكن وأبو عمر: مات في آخرِ خلافة معاوية. انظر: «الإصابة» (٤/ ٥).

(٣) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ٧٧) برقم: (٤٤٤٨).

(٤) هو: صُدَيّ بن عجلان بن الحارث أبو أمامة الباهلي سكن مصر، ثم انتقل منها، فسكن حمص من الشام، ومات بها، وكان من المكثرين في الرواية، وأكثر حديثه عند الشاميين، روى عنه سليم بن عامر الخبائري، والقاسم أبو عبد الرحمٰن، أبو غالب حزوّر، وشرحبيل بن مسلم وغيرهم، وروى عن النبي ﷺ فأكثر، توفي سنة ٨١هـ، وقال سفيان بن عيينة: هو آخر من مات بالشام من الصحابة. انظر: «أسد الغابة» (٣/ ١٦).

مكحولاً يقول: وسأله رجل عن قول الله ﷻ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التحريم: ٤]، قال: حدَّثني أبو أمامة أنه كما قال: الله مولاه وجبريل، وصالح المؤمنين: أبو بكر وعمر(١).

ومن مسند سالم بن عبيد الأشجعي(٢) رضي الله عنه

❁ إمامة أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه:

• حديثه في إمامة أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه، أخرج **ابن ماجه** من حديث نبيط بن شريط، عن **سالم بن عبيد**، قال: أغمي على رسولِ اللهِ ﷺ في مرضه، ثم أفاق، فقال: «**أَحَضَرَتِ الصلاة؟**» قالوا: نعم، قال: «**مروا بلالاً فليؤذِّن، ومروا أبا بكر فليصلِّ بالناس**».

ثم أغمي عليه، فأفاق، فقال: «**أحضرت الصلاة؟**» قالوا: نعم، قال: «**مروا بلالاً فليؤذِّن، ومروا أبا بكرٍ فليصلِّ بالناسِ**»، فقالت عائشةُ: إنَّ أبي رجلٌ أسيفٌ، فإذا قام ذلك المقامَ يبكي لا يستطيعُ، فلو أمرتَ غيرَه.

ثم أُغميَ عليه، فأفاقَ، فقال: «**مروا بلالاً فليؤذِّن، ومروا أبا بكرٍ فليصلِّ بالناسِ، فإنكنَّ صواحبَ يوسفَ، أو صواحباتِ يوسفَ**»، قال: فأُمِرَ بلالٌ فأذَّن، وأُمِرَ أبو بكر فصلَّى بالناسِ.

ثم إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ وجدَ خِفَّةً، فقال: «**انظروا لي مَنْ أتكئُ**

(١) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ٧٣) برقم: (٤٤٣٣).

(٢) هو من أهل الصفة، سكن الكوفة، وروى له من أصحاب السنن حديثين بإسنادٍ صحيح في العطاس، وله رواية عن عمر فيما قاله وصيفه عند وفاة النبي ﷺ، روى عنه هلال بن يساف، ونبيط بن شريط، وخالد بن عرفطة، ولم نطلع على أكثر من ذلك من أحواله. انظر: «الإصابة» (٢/ ٥)، و«أسد الغابة» (٢/ ١٥٨).

عليه»، فجاءت بَرِيْرَةُ ورجلٌ آخر، فاتكأ عليهما، فلمّا رآه أبو بكرٍ ذهبَ لينكصَ، فأومأ إليه أنِ اثبتْ مكانَكَ، ثم جاءَ رسولُ اللهِ ﷺ حتّى جلسَ إلى جنبِ أبي بكرٍ، حتى قضى أبو بكر صلاته، ثم إنَّ رسول الله ﷺ قُبِضَ[١].

ومن مسند عرفجة الأشجعي[٢] رضي الله عنه

حديث الوزن:

أما حديث الوزن، فقد أخرج أبو عمر، عن قطبة بن مالك، عن **عرفجة الأشجعي**، قال: صلَّى بنا رسولُ اللهِ ﷺ صلاة الفجر ثم جلس، فقال: «**وُزِن أصحابنا الليلة، وُزِن أبو بكر فَوَزَن، ثم وُزِن عمر فَوَزَن، ثم وُزِن عثمان فخفّ، وهو رجل صالح**»[٣].

ومن مسند عياض بن حمار المجاشعي[٤] رضي الله عنه

• حديثه في أنّ الله نظرَ إلى أهلِ الأرضِ فمقتَهم عربَهم وعجمَهم، فقد أخرج **مسلم** عن عياض بن حمار المجاشعي أنّ رسولَ اللهِ ﷺ قال

---

(١) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (١٢٣٤).

(٢) هو: عَرْفَجَةُ بن شُرِيحٍ الأشجعي، وقيل: الكندي، ولكن فرّق ابن أبي خَيْثَمة بينه وبين الأشجعي، وقيل: عرفجةُ بنُ صريح، سكن الكوفة، روى عنه قطبة بن مالك، وزياد بن علاقة، والسّبِيعي وغيرهم، وحديثه عند مسلم، وأبي داود، والنسائي: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «**مَنْ خرجَ على أمّتي وهم جميعٌ...**» روى عن أبي بكر الصدِّيق. انظر: «الإصابة» (٢/ ٤٧٤)، و«أُسد الغابة» (٣/ ٥١٩).

(٣) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٣٢٧) رقم الترجمة: (١٧٩٧).

(٤) هو: عياض بن حمار بن أبي حمار بن ناجية التميمي المجاشعي، سكن البصرة، روى عنه مطرّف، ويزيد ابنا عبد الله بن الشخير، والحسن. انظر: «أُسد الغابة» (٤/ ٢٢).

ذاتَ يومٍ في خُطبته: «**ألا إنَّ ربِّي أمرني أنْ أعلِّمَكُم ما جهلتُم ممّا علَّمني يومي هذا، كلُّ مالٍ نحلتُه عبداً حلالٌ.**

وإنِّي خلقتُ عبادي حنفاءَ كلَّهم، وإنَّهم أتتهم الشياطينُ، فاجتالتْهم عَنْ دينِهم، وحرَّمتْ عليهم ما أحللتُ لهم، وأمرتْهم أنْ يشركوا بي ما لم أنزّل به سلطاناً.

وإنَّ الله نظرَ إلى أهلِ الأرضِ فمقتَهم عربَهم وعجمَهم إلّا بقايا من أهل الكتابِ».

وقال: إنّما بعثتُكَ لأبتليَكَ وأبتليَ بكَ، وأنزلتُ عليك كتاباً لا يغسله الماءُ، تقرؤه نائماً ويقظان.

وإنّ اللهَ أمرني أن أحرقَ قريشاً، فقلتُ: ربِّ إذاً يثلغوا رأسي فيدعوه خبزةً، قال: استخرجْهم كما استخرجوكَ، واغزُهم نغزك، وأنفقْ فسننفقُ عليك، وابعثْ جيشاً نبعثُ خمسةً مثله، وقاتِلْ بمن أطاعَكَ مَنْ عصاك»[١] الحديث.

ومن مسند ربيعة بن كعب الأسلمي[٢] رضي الله عنه

❁ منزلة أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه عند النبي ﷺ:

● حديثه في منزلة أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه عند النبي ﷺ وأصحابه، أخرج **أحمد** من حديث أبي عمران الجوني عن **ربيعة الأسلمي**، فذكر حديثاً طويلاً آخره:

---

(١) انظر: «صحيح مسلم» برقم: (٢٨٦٥).

(٢) هو: أبو فراس ربيعة بن كعب بن مالك بن يعمر، يعدّ في أهل الحجاز، روى عنه أبو سلمة بن عبد الرحمٰن، وحنظلة بن عمرو الأسلمي، وأبو عمران الجوني، كان من أهل الصُّفة، يلزم النبيَّ ﷺ في السفر والحضر، وصحبه قديماً، وعُمِّرَ بعده، حتى توفي بعد الحَرّة، وكانت وفاته سنة ٦٣هـ. انظر: «أُسد الغابة» (٢/ ٦٤).

ثم قال: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ أعطاني بعد ذلك أرضاً، وأعطى أبا بكرٍ أرضاً، وجاءت الدنيا، فاختلفنا في عذقِ نخلةٍ، فقلتُ أنا: هي في حدِّي، وقال أبو بكر: هي في حدّي، فكان بيني وبين أبي بكرٍ كلامٌ، فقال أبو بكر كلمة كرهها وندم، فقال لي: يا ربيعةُ! ردَّ عليَّ مثلَها حتَّى تكونَ قصاصاً، قال: قلت: لا أفعل، فقال أبو بكر: لتقولنَّ [لي[1]] أو لأستعدينَّ عليكَ رسولَ اللهِ ﷺ، فقلتُ: ما أنا بفاعل، قال: ورفضَ الأرضَ، وانطلقَ أبو بكرٍ ﵁ إلى النبيِّ ﷺ وانطلقتُ أتلوه، فجاء ناسٌ مِنْ أسلمَ، فقالوا لي: رحمَ الله أبا بكر، في أيِّ شيءٍ يستعدي عليك رسولَ اللهِ ﷺ؟ وهو قال لك ما قال، فقلتُ: أتدرونَ ما هذا؟ هذا أبو بكر الصدِّيق، هذا ثاني اثنينِ، وهذا ذو شيبةِ المسلمين، إيّاكم لا يلتفتُ، فيراكم تنصروني عليه، فيغضبُ، فيأتي رسولَ اللهِ ﷺ، فيغضبُ لغضبِهِ، فيغضبُ الله ﷻ لغضبِهما، فيهلكَ ربيعة، قالوا: ما تأمرنا؟ قال: ارجعوا.

قال: فانطلقَ أبو بكر ﵁ إلى رسول الله ﷺ، فتبعته وحدي، حتى أتى النبيَّ ﷺ، فحدّثه الحديث كما كان، فرفع إليَّ رأسه، فقال: «**يا ربيعةُ! ما لَك وللصدِّيقِ؟**» قلتُ: يا رسولَ اللهِ! كان كذا، كان كذا، قال لي كلمةً كرهها، فقال لي: قل كما قلتُ حتَّى يكونَ قصاصاً، فأبيتُ، فقال رسول الله ﷺ: «**أجل، فلا تردَّ عليه، ولكنْ قُلْ: غفرَ اللهُ لك يا أبا بكرٍ!**» فقلت: غفرَ اللهُ لكَ يا أبا بكرٍ! قال الحسن: فولَّى أبو بكر ﵁ وهو يبكي[2].

---

(١) زادت على الأصل الفارسي.

(٢) انظر: «مسند أحمد» (٤/٥٨) برقم: (١٦٥٧٧).

ومن مسند أبي برزة الأسلمي[١] رضي الله عنه

الخلافة في قريش:

• حديثه في إمامة قريش، أخرج **أحمد** عن سيار بن سلامة، قال: دخلتُ مع أبي على **أبي برزة الأسلمي**، فقال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: **«الأمراءُ من قريشٍ، الأمراءُ من قريشٍ، الأمراءُ من قريشٍ، لكم عليهم حقٌّ، ولهم عليكم حقٌّ ما فعلوا ثلاثاً: ما حكموا فعدلوا، واستُرحِموا فَرَحِمُوا، وعاهدوا فوفَّوا، فمن لم يفعلْ ذلكَ منهم، فعليهِ لعنةُ اللهِ والملائكةِ والناسِ أجمعين»**[٢].

ومن مسند عمرو بن عبسة[٣] رضي الله عنه

تقدّم أبي بكر رضي الله عنه في الإسلام:

• حديثه في تقدُّم أبي بكر الصدِّيق في الإسلام، أخرج **أحمد** من حديث سليم بن عامر عن **عمرو بن عبسة** قال: أتيتُ رسولَ اللهِ ﷺ وهو بعكاظ، فقلتُ: مَنْ تبعكَ على هذا الأمر، فقال: حرٌّ وعبدٌ ومعه أبو بكر وبلال رضي الله تعالى عنهما، فقال لي: ارجع حتى

---

(١) اختلف في اسمه واسم أبيه، وأصحّ ما قيل فيه: نضلة بن عبيد، نزل البصرة، وله بها دار، وسار إلى خراسان فنزل مرو، وعاد إلى البصرة، ومات بالبصرة سنة ٦٠هـ، قبل موت معاوية، وقيل: مات سنة ٦٤هـ. انظر: «أُسد الغابة» (٥/ ٣١).

(٢) انظر: «مسند أحمد» (٤/ ٤٢٤) برقم: (١٩٨١٨).

(٣) هو: أبو نجيح عمرو بن عبِسة بن عامر، أسلم قديماً، كان يقال: هو ربع الإسلام، وكان قدومه المدينة بعد مضي بدر وأُحد والخندق، ثم قدم المدينة فسكنها، ونزل بعد ذلك الشام، روى عنه من الصحابة عبد الله بن مسعود وأبو أمامة الباهلي، ومن التابعين: أبو إدريس الخولاني، وسليم بن عامر، وكثير بن مرّة وغيرهم. انظر: «أُسد الغابة» (٣/ ٧٤٨).

يُمَكِّنَ الله ﷻ لرسوله[١].

وأخرج **أحمد** من طريق عبد الرحمٰن بن أبي عبد الرحمٰن عن **عمرو بن عبسة** قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ، فقلتُ: من تابعك على أمرِكَ هذا؟ قال: حرٌّ وعبدٌ؛ يعني: أبا بكر وبلالاً رضي الله تعالى عنهما، وكان عمرو يقول بعد ذلك: فلقد رأيتَني وإنِّي لربعُ الإسلامِ[٢].

ومن مسند سلمان الفارسي[٣] رضي الله عنه

فضيلة عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

قوله في فضل عمر رضي الله عنه، أخرج **الحاكم** من طريق عمران بن خالد الخزاعي البناني عن أنس بن مالك، قال: دخل **سلمان الفارسي** على عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وهو متكئ على وسادةٍ، فألقاها له، فقال سلمان: صدق الله ورسوله، فقال عمر: حدِّثنا يا أبا عبد الله! قال: دخلت على رسولِ الله ﷺ وهو متكئٌ على وسادةٍ، فألقاها إليَّ، ثم قال لي: **«يا سلمانُ، ما مِنْ مسلمٍ يدخلُ على أخيه المسلم فيلقي له وسادة إكراماً له إلّا غفرَ اللهُ له»**[٤].

---

(١) انظر: «مسند أحمد» (٤/ ٣٨٥) برقم: (١٩٤٥٢).

(٢) انظر: «مسند أحمد» (٤/ ٣٨٥) برقم: (١٩٤٥٣).

(٣) هو: أبو عبد الله سلمان الفارسي، مولى رسول الله ﷺ، أصلُه من فارس من رَامَهُرْمُز، وكان اسمه قبل الإسلام: مابه بن بوذخشان بن مورسلان، كان ببلاد فارس مجوسياً سادنَ النار، ولإسلامه قصةٌ عجيبةٌ، أول مشاهده مع رسول الله الخندقُ، ولم يتخلَّف عن مشهد بعد الخندق، روى عنه ابنُ عباس، وأنس، وعقبة بن عامر، وغيرهم، توفي سنة ٣٥هـ في آخر خلافة عثمان. انظر: «أسد الغابة» (٢/ ٢٦٥).

(٤) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ٦٩٢) برقم: (٦٥٤٢).

ومن مسند ذي مخمر[(١)] رضي الله عنه

الخلافة في قريش:

• حديثه في خلافة قريش، أخرج **أحمد** عن أبي حي عن **ذي مخمر** أنّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**كان هذا الأمرُ في حِمْيَر، فنزعَهُ اللهُ عز وجل منهم، فجعلَه في قريشٍ، وَسَ يَ عُ ودُ إِلَ يْ هِ مْ**»[(٢)]. [وكذا كان في كتاب أبي مقطعاً، وحيث حدثنا به تكلم على الاستواء].

مسند عوف بن مالك الأشجعي[(٣)] رضي الله عنه

صفة الخلافة الراشدة:

• حديثه في صفة الخلافة الراشدة، أخرج **مسلم** عن عوف بن مالك الأشجعي يقول: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**خيارُ أئمتِكُم الذينَ تحبّونهم ويحبّونكم وتصلّون عليهم ويصلّون عليكم، وشرارُ أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونَهم ويلعنونكم**»، قالوا: قلنا: يا رسول الله! أفلا ننابِذْهم عندَ ذلك؟ قال: «**لا، ما أقاموا فيكم الصلاةَ، لا، ما أقاموا فيكم الصلاةَ، ألا مَنْ وليَ عليه والٍ فرآه يأتي شيئاً**

---

(١) يقال له: ذو مخبر أيضاً، الحبشي ابن أخي النجاشي، وفد على النبي ﷺ وخدمه، ثم نزل الشام، وله أحاديث أخرج منها أحمد، وأبو داود، وابن ماجه. انظر: «الإصابة» (١/ ٤٨٨).

(٢) انظر: «مسند أحمد» (٤/ ٩١) برقم: (١٦٨٧٣). والأحرف المقطعة (سيعود).

(٣) هو: أبو عبد الرحمٰن عوف بن مالك بن أبي عوف الأشجعي، أول مشاهده خيبر، وكانت معه راية أشجع يوم الفتح، سكن الشام، وروى عنه من الصحابة أبو أيوب الأنصاري، وأبو هريرة، والمقدام بن معديكرب، ومن التابعين، أبو مسلم، وأبو إدريس الخولانيان، وجبير بن نفير وغيرهم، توفي بدمشق سنة ٧٣هـ. انظر: «أُسد الغابة» (٤/ ١٢).

من معصية الله فليكره ما يأتي من معصيةِ اللهِ، ولا ينزعنَّ يداً من طاعةٍ»[١].

• وأخرج **أبو عمر** عن عبد الملك بن عمير، قال: حدَّثنا أبو بردة[٢] عن **عوف بن مالك الأشجعي**: أنّه رأى في المنامِ كأنّ الناسَ جمعوا، فإذا فيهم رجلٌ فَرَعَهم، فهو فوقهم بثلاثة أذرع، فقلتُ: مَنْ هذا؟ فقالوا: عمر، قلتُ: لم؟ قالوا: لأنّ فيه ثلاثَ خصالٍ: إنّه لا يخافُ في الله لومة لائم، وإنّه خليفةٌ مستخلَفٌ، وشهيدٌ مستشهَدٌ، قال: فأتى إلى أبي بكر فقصّها عليه، فأرسل إلى عمر، فدعاه ليبشِّره، قال: فجاء عمرُ، فقال لي أبو بكر: اقصص رؤياك، قال: فلمّا بلغتُ «خليفةٌ مستخلَفٌ» زبرني عمر، وانتهرني،[٣] وقال: اسكت، تقول هذا وأبو بكر حيّ، قال: فلمّا كان بعدُ، وولي عمرُ، مررتُ بالمسجد[٤]، وهو على المنبر، قال: فدعاني، وقال: اقصص رؤياك فقصصتُها، فلمّا قلتُ: إنَّه لا يخافُ في اللهِ لومةَ لائمٍ، قال: إنِّي لأرجو أن يجعلني الله منهم، قال: فلمّا قلت: خليفةٌ مستخلَفٌ، قال: قد استخلفني الله، فسله أن يعينني على ما ولّاني، فلما ذكرت: «شهيد مستشهد»، قال: أنَّى لي بالشهادة وأنا بين أظهركم تغزون ولا أغزو، ثم قال: بلى، يأتي الله بها إن شاء الله[٥].

---

(١) انظر: «صحيح مسلم» برقم: (١٨٥٥).

(٢) في الأصل الفارسي زيادة: «وأخي».

(٣) ورد في الأصل الفارسي «كهرني».

(٤) في الأصل الفارسي: «مررت بالشام».

(٥) انظر: «الاستيعاب» (١/٣٥٨) رقم الترجمة: (١٨٧٨).

ومن مسند عبد الله بن مغفل المزني[١] رضي الله عنه

حديثه في حبِّ الصحابة:

• أخرج **أحمد** عن عبد الله بن عبد الرحمٰن عن **عبد الله بن مغفل المزني**، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: **«أصحابي لا تتّخذوهم غرضاً بعدي[٢]، فمن أحبَّهم فبحبِّي أحبَّهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله أوشكَ أنْ يأخذَه»**[٣].

ومن مسند حفصة[٤] زوج النبيّ ﷺ

مناقب عثمان رضي الله عنه:

• حديثها في فضل عثمان رضي الله عنه، أخرج **أحمد** من حديث ابن جريج، قال: أخبرني أبو خالد، عن عبد الله بن أبي سعيد المزني، قال: حدَّثتني **حفصة** ابنة عمر بن الخطاب، قالت: كان رسولُ اللهِ ﷺ ذاتَ

---

(١) هو: أبو سعيد عبد الله بن مغفل بن عبد غنم المزني، كان من أصحاب الشجرة، سكن المدينة، ثم تحوّل إلى البصرة، وابتنى بها داراً، وكان أحدَ العشرة الذين بعثهم عمر إلى البصرة يفقِّهون الناس، روى عن النبي ﷺ أحاديث، روى عنه الحسن البصري، وأبو العالية وغيرهما، توفي عبد الله بالبصرة سنة ٥٩هـ، وقيل: سنة ٦٠هـ. انظر: «أُسد الغابة» (٣/ ٢٩٤).

(٢) في الأصل الفارسي: «غرضاً من بعدي»، وكذا في «شعب الإيمان» للبيهقي (٢/ ١٩١) برقم: (١٥١١)، وفي «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٨/ ٢٨٧).

(٣) انظر: «مسند أحمد» (٢٧/ ٣٥٨) برقم: (١٦٨٠٣).

(٤) هي: حفصة بنت عمر بن الخطاب، أم المؤمنين، كانت من المهاجرات، وكانت قبل رسول الله ﷺ تحت خنيس بن حذافة السهمي، تزوَّجها النبيُّ ﷺ سنة ثلاث عند أكثر العلماء، وتزوّجها بعد عائشة، طلّقها تطليقة ثم ارتجعها، روت عن النبيِّ ﷺ، وروى عنها أخوها عبد الله بن عمر، توفيت حفصة حين بايع الحسن بن علي رضي الله عنهما معاوية، وذلك في جمادى الأولى سنة ٤١هـ. انظر: «أُسد الغابة» (٦/ ٦٥).

يومٍ قد وضع ثوباً بين فخذيه، فجاء أبو بكر، فاستأذنَ، فأذنَ له وهو على هيئته، ثم عمرُ بمثل هذه القصة، ثم عليّ، ثم ناسٌ من أصحابه، والنبيُّ ﷺ على هيئته[١]، ثم جاء عثمانُ، فاستأذنَ، فأذن له، فأخذَ ثوبَه، فتجلَّله، فتحدَّثوا ثم خرجوا، قلتُ: يا رسولَ اللهِ! جاء أبو بكر وعمر وعلي وسائر أصحابك، وأنت[٢] على هيئتِكَ، فلمّا جاء عثمانُ تجلَّلت بثوبِكَ، فقال: «**ألا أستحيي ممن تستحيي منه الملائكة؟**»[٣].

۞ البشارة لأهل بدر والحديبية:

• وحديثها في بشارة أهل بدر والحديبية، أخرج **مسلم** عن **حفصة** قالت: قال النبيُّ ﷺ: «**إني لأرجو ألّا يدخلَ النارَ أحدٌ إن شاء الله تعالى ممّنْ شهدَ بدراً والحديبيةَ**»، قالت: قلتُ: يا رسولَ اللهِ! أليس قد قال الله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ [مريم]، قال: «**أفلم تسمعيه يقول:** ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا﴾ [مريم: ٧٢]»[٤].

وفي رواية: «**لا يدخلُ النارَ إنْ شاءَ اللهُ مِنْ أصحابِ الشجرةِ أحدٌ الذين بايعوا تحتها**»[٥].

۞ ۞ ۞

(١) قد ورد في الأصل الفارسي: «ثم جاء عمر، فاستأذن، فأذن له، ثم جاء ناسٌ من أصحابه والنبي ﷺ على هيئته»، ولم يرد فيه ذكر علي رضي الله عنه.

(٢) في الأصل الفارسي: «وكنت».

(٣) انظر: «مسند أحمد» برقم: (٦/ ٢٨٨) (٢٦٥٠٩).

(٤) انظر: «صحيح مسلم» برقم: (٢٤٩٦)، و«سنن ابن ماجه» برقم: (٤٢٨١) واللفظ له.

(٥) انظر: «صحيح مسلم» برقم: (٢٤٩٦).




مسانيد الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ

من مسند معاذ بن جبل(١) رضي الله عنه

❁ كون الخلافة الراشدة رحمة:

• [لقد جاء] في «المشكاة» عن **أبي عبيدة ومعاذ بن جبل** عن رسول الله ﷺ، قال: «**إنّ هذا الأمرَ بدأ نبوةً ورحمةً، ثم يكونُ خلافةً ورحمةً، ثم ملكاً عضوضاً، ثم كائن جبرياً وعتواً وفساداً في الأرض يستحلّون الحريرَ والفروجَ والخمورَ، يرزقون على ذلك، وينصرونَ حتّى يلقوا الله**»، رواه **البيهقي** في «**شعب الإيمان**»(٢).

ومن مسند أُبيّ بن كعب(٣) رضي الله عنه

❁ فضيلة عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

• في فضل عمر رضي الله عنه، أخرج **الحاكم** من حديث يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب، عن **أُبي بن كعب** رضي الله عنه، قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «**أوّلُ مَنْ يعانِقُه الحقُّ يومَ القيامةِ عمرُ، وأوّلُ من يصافِحُهُ الحقُّ يومَ القيامةِ**

---

(١) تقَّدمت ترجمته في: (ص٢٩٨).

(٢) انظر: «شعب الإيمان» (١٦/٥) برقم: (٥٦١٦)، و«مشكاة المصابيح» (٣/١٦٦).

(٣) هو: أبو المنذر، أُبي بن كعب بن قيس بن عبيد الأنصاري الخزرجي، شهد العقبة وبدراً، روى عنه: عبادة بن الصامت، وابن عباس، وعبد الله بن عمر بن الخطاب وغيرهم، اختلف في وقت وفاته، فقيل: توفّي سنة ٢٢هـ، في خلافة عمر، وقيل: سنة ٣٠هـ، في خلافة عثمان، وهو الصحيح، وقال أبو عمر: مات سنة ١٩هـ. انظر: «أُسد الغابة» (١/٦١).

عمرُ، وأوَّلُ من يؤخذُ بيدِهِ فيُنْطَلَقُ به إلى الجَنَّةِ عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه»[١].

ومن مسند أبي أيوب الأنصاري[٢] رضي الله عنه

فتوح الأمصار:

• حديثه في فتوح الأمصار، أخرج **الحاكم** عن عبد الرحمٰن، عن ابن أبي ليلى، عن **أبي أيوب** رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: «**إنِّي رأيتُ في المنامِ غنماً سوداءُ يتبعُها غنمٌ عُفْرٌ**[٣]**، يا أبا بكر! اعبُرْها**»، فقال أبو بكر: يا رسولَ اللهِ! هي العربُ تتبعُكَ، ثم تتبعُها العجمُ حتى تغمرُها، فقال النبي ﷺ: «**هكذا عَبَرَها المَلَكُ بِسَحَرٍ**»[٤].

ومن مسند أبي الدرداء[٥] رضي الله عنه

التعريض بخلافة الشيخين:

• حديثه في التعريض عن خلافة الشيخين، أخرج **الحاكم** عن

---

(١) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ٩٠) برقم: (٤٤٨٩).

(٢) هو: خالد بن زيد بن كليب، أبو أيوب الأنصاري الخزرجي، شهد العقبة وبدراً وأُحداً والخندق وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ، كان مع علي بن أبي طالب ومن خاصّته، شهد مع علي الجمل وصفّين، وكان على مقدمته يوم النهروان، ثم إنّه غزا أيام معاوية أرض الروم مع يزيد بن معاوية، سنة ٥١هـ، وتوفي عند مدينة القسطنطينية وقيل: سنة ٥٠هـ، ودفن هناك، وهو الذي نزل عليه رسول الله ﷺ لما قدم المدينة مهاجراً إلى أن بنى مسجده ومساكنه. انظر: «أُسد الغابة» (٥/ ٢٥).

(٣) في الأصل الفارسي: «غنماً سوداً دخلت فيها غنم عفر».

(٤) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٤/ ٤٣٧) برقم: (٨١٩٣).

(٥) هو: عويمر بن عامر بن مالك، تأخّر إسلامه قليلاً، كان آخرَ أهل داره إسلاماً، وحسن إسلامه، وكان فقيهاً عاقلاً حكيماً، شهد ما بعد أُحد من المشاهد، واختلف في شهوده أُحداً، ولي أبو الدرداء قضاء دمشق في خلافة عثمان، وتوفي قبل أن يقتل عثمان بسنتين. انظر: «أُسد الغابة» (٥/ ٩٧).

سعيد بن جبير عن **أبي الدرداء** رضي الله عنه قال: خطبَ رسولُ اللهِ ﷺ خطبةً خفيفةً، فلمّا فرغ من خطبته، قال: «**يا أبا بكر! قُمْ فاخْطُب**»، فقام أبو بكر رضي الله عنه فخطبَ، فقصر دون النبي ﷺ، فلمّا فرغَ أبو بكر من خطبته، قال: «**يا عمرُ! قم فاخْطُبْ**»، فقام عمر رضي الله عنه فخطب، فقصر دون النبي ﷺ ودون أبي بكر رضي الله عنه[(١)].

مكانة أبي بكر الصدِّيق عند النبي ﷺ:

• وحديثه في منزلة أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه عند النبي ﷺ وأصحابه، وأخرج **البخاري** عن بسر بن عبيد الله، عن عائذ الله أبي إدريس، عن **أبي الدرداء** رضي الله عنه قال: كنتُ جالساً عند النبي ﷺ إذ أقبلَ أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه، حتى أبدى عن ركبته[(٢)]، فقال النبيُّ ﷺ: «**أمّا صاحبُكم فقد غامَرَ**»، فسلَّم، وقال: إنِّي كان بيني وبين ابن الخطاب شيءٌ، فأسرعتُ إليه ثم ندمتُ، فسألتُه أن يغفرَ لي فأبى عليَّ فأقبلتُ إليكَ، فقال: «**يغفرُ اللهُ لكَ يا أبا بكرٍ!**» ثلاثاً، ثم إنَّ عمرَ نَدِمَ، فأتى منزلَ أبي بكرٍ، فسأل: أَثَمَّ أبو بكر؟ فقالوا: لا، فأتى إلى النبيِّ ﷺ [فسلَّم]، فجعل وجهُ النبيِّ ﷺ يتمعَّر، حتى أشفقَ أبو بكر، فجثا على ركبتيه، فقال: يا رسولَ اللهِ! واللهِ أنا كنتُ أظلمُ (مرتين) فقال النبيُّ ﷺ: «**إنّ الله بعثني إليكم فقلتُم: كذبتَ، وقال أبو بكر: صَدَقَ[(٣)]، وواساني بنفسِهِ ومالِهِ، فهل أنتم تاركوا لي[(٤)] صاحبي**» (مرتين) فما أوذي بعدها[(٥)].

---

(١) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٩٣) برقم: (٤٥٠٠).

(٢) وفي الأصل الفارسي: «ركبتيه» بصيغة التثنية.

(٣) في الأصل الفارسي: «صدقت» بدل «صدق».

(٤) وفي الأصل الفارسي «تاركون لي» وكذا ورد في البخاري بسندٍ آخر عن بسر بن عبيد الله نفسه بلفظ: «تاركون لي» برقم: (٤٦٤٠).

(٥) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٣٦٦١).

ومن مسند أُسيد بن حضير[١] رضي الله عنه

مكانة أبي بكر الصدِّيق عند الصحابة:

• حديثه في منزلة أبي بكر رضي الله عنه عند الصحابة، أخرج **البخاري** عن مالك، عن عبد الرحمٰن بن القاسم عن أبيه، عن **عائشة** في قصة نزول آية التيمم، [فَأَنْزَلَ اللهُ آيَةَ التَّيَمُّمِ فَتَيَمَّمُوا]، فَقَالَ أُسَيْدُ بْنُ الْحُضَيْرِ: مَا هِيَ بِأَوَّلِ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ[٢].

الأثرة تكون بعد عمر:

وقوله: إنَّ الأثرةَ لا تكونُ إلّا بعد عمر، أخرج **أبو يعلى** من طريق محمود بن لبيد، عن ابن شفيع ـ وكان طبيباً ـ عن **أسيد بن حضير**، [قال: و[٣]] سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إنكم ستلقونَ أثرةً بعدي**»، فلمّا كان عمر بن الخطاب، قسمَ حُللاً بين الناس، فبعثَ إليّ منها بِحُلَّةٍ، فاستصغرتُها، فأعطيتُها ابنتي[٤]، فبينما أنا أصلِّي إذ مرَّ بي شابٌّ من قريشٍ، عليه حُلَّة من تلك الحلل يجرّها[٥]، فذكرتُ قول رسولِ اللهِ ﷺ: «**إنكم ستلقون أثرةً بعدي**»، فقلت: صدق الله ورسوله، فانطلق رجلٌ إلى عمر فأخبره، فجاء وأنا أصلِّي، فقال: صلِّ يا أُسيدُ، فلمّا قضيتُ صلاتي

---

(١) هو: أبو يحيى أُسيد بن حضير بن سماك الأنصاري الأوسي، وكان أبوه حضير فارس الأوس في حروبهم مع الخزرج، وكان له حصن «واقم»، وكان رئيسَ الأوس يوم بعاث، وكان إسلامه بعد العقبة الأولى، وقيل: الثانية، روى عنه كعب بن مالك، وأبو سعيد الخدري، وأنس بن مالك، وعائشة، توفي أُسيد بن حضير في شعبان سنة ٢٠هـ. انظر: «أُسد الغابة» (١/ ١١١).

(٢) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٣٦٧٢).

(٣) لا يوجد في الأصل الفارسي.

(٤) في الأصل الفارسي: «ابنين»، وهو تحريف.

(٥) في الأصل الفارسي: «نحوها»، لعلَّه تصحيف.

قال: كيفَ قلتَ؟ فأخبرته، فقال: تِلْكَ حلَّةٌ بعثتُ بها إلى فلان وهو بدري، أُحدي، عقبي، فأتاه هذا الفتى، فابتاعها منه فلبسها، فظننتُ أنَّ ذاك يكون في زماني، قلت: قد والله يا أمير المؤمنين! ظننتُ أنّ ذاك لا يكونُ في زمانِكَ(١).

ومن مسند زيد بن ثابت(٢) رضي الله عنه

المهاجرون أولى بالخلافة من غيرهم:

• **وقوله**: إن المهاجرين أولى بالخلافة من غيرهم، أخرج **الحاكم** من حديث وهيب، ثنا داود بن أبي هند، ثنا أبو نضرة، عن **أبي سعيد الخدري** رضي الله عنه قال: لما توفِّي رسول الله ﷺ قام خطباء الأنصار، فجعل الرجل منهم، يقول: يا معشر المهاجرين! إن رسول الله ﷺ كان إذا استعملَ رجلاً منكم قرن معه رجلاً منَّا، فنرى أنْ يليَ هذا الأمرَ رجلان، أحدهما منكم، والآخر منا، قال: فتتابعتِ خطباءُ الأنصار على ذلك، فقام زيدُ بنُ ثابت، فقال: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كان من المهاجرين، وإنَّ الإمامَ يكونُ من المهاجرين، ونحن أنصاره، كما كنا أنصارَ رسولِ اللهِ ﷺ، فقام أبو بكر رضي الله عنه، فقال: جزاكم الله خيراً يا معشرَ الأنصار! وثبَّت قائلكم، ثم قال: أمّا لو فعلتم غيرَ ذلكَ لما صالحناكم، ثم أخذ زيدُ بنُ ثابتٍ بيد أبي بكر، فقال: هذا صاحبُكم، فبايعوه، ثم

---

(١) انظر: «مسند أبي يعلى» (٢/ ٢٤٣) برقم: (٩٤٥).

(٢) هو: أبو سعيد زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري الخزرجي، كان عمره لما قدم النبي ﷺ المدينة ١١ سنة، واستصغره رسول الله ﷺ يوم بدر فردّه، وشهد أُحداً، كان زيد يكتب لرسول الله ﷺ الوحي وغيره، كان أعلمَ الصحابة بالفرائض، روى عنه من الصحابة: ابن عمر، وأبو سعيد، وأبو هريرة، توفي سنة ٤٥هـ، وفيه أقوال أخرى، هو الذي كتب القرآن في عهد أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما. انظر: «أُسد الغابة» (٢/ ١٢٦).

انطلقوا، فلما قعد أبو بكر على المنبر نظر في وجوه القوم، فلم يرَ عليّاً، فسأل عنه، فقام ناسٌ من الأنصار فأتوا به، فقال أبو بكر: ابنُ عمِّ رسولِ الله ﷺ وختنه! أردتَ أنْ تشقَّ عصا المسلمين؟ فقال: لا تثريبَ يا خليفةَ رسولِ اللهِ ﷺ! فبايعه[١]، ثم لم يرَ الزبيرَ بنَ العوام فسأل عنه حتى جاؤوا به، فقال: ابنَ عمّةِ رسول الله ﷺ وحواريه! أردتَ أن تشقَّ عصا المسلمين؟ فقال مثل قوله: لا تثريبَ يا خليفة رسول الله ﷺ! فبايعاه، هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه[٢].

ومن مسند زيد بن خارجة[٣] رضي الله عنه

❁ تكلُّمه بعد موته بفضائل الثلاثة:

● **أخرج أبو عمر** من طريق سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد

---

(١) عُلم من ذلك أن عليّاً رضي الله عنه لم يتأخّر في بيعته لأبي بكر الصدِّيق بيوم، وهذا الحديث مروي عن غير أبي سعيد الخدري من الصحابة، ورواه بالإضافة إلى الحاكم أبو داود الطيالسي، وابن سعد، وابن أبي شيبة، وابن جرير، والبيهقي، وابن عساكر، وصحّحه ابن حبان مع الحاكم، قال فيه البيهقي: الموصولة عن أبي سعيد أصح «فتح الباري» (٧/ ٤٩٥)، لكنَّ الحديثَ الذي روي عن عائشة في صحيح البخاري، فيه: «وعاشت بعد النبي ﷺ ستة أشهر، فلما توفيت. . . فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته» (ح: ٤٢٤٠ ـ ٤٢٤١)، لذلك رجّح بعضُ المحدثين على رواية البخاري هذا الحديث، والسبب معقول، وطبّق البعضُ الآخر بين الحديثين بأن هذه بيعة ثانية من علي ذكرتها عائشة في رواية البخاري، والسبب في البيعة الثانية هو وقوع قصة «فدك» بعد البيعة الأولى، فتوهّم بذلك العامة، بل الخاصة أنَّ عليّاً وجد في نفسه لوقوع المخاصمة بين فاطمة الزهراء وأبي بكر الصدِّيق في قصة فدك، وتقوّى الوهمُ من أجل انقطاع اختلاف علي وتردّده إلى أبي بكر الصدِّيق لتمريضه إياها، وشعوراً بأسباب هذا الوهم بيّن علي فضائل أبي بكر الصدِّيق على محضر من الناس في المسجد، وبايعه ثانياً.

(٢) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ٨٠) برقم: (٤٤٥٧).

(٣) هو: زيد بن خارجة بن زيد بن أبي زهير الأنصاري الخزرجي، وزيد هذا هو الذي تكلّم بعد الموت في أكثر الروايات. انظر: «أُسد الغابة» (٢/ ١٣٢).

عن سعيد بن المسيب أن **زيد بن خارجة** الأنصاري ـ ثم من بني الحارث بن الخزرج ـ توفِّي زمنَ عثمان بن عفان فسجِّي بثوبٍ، ثم إنّهم سمعوا جلجلةً في صدره، ثم تكلَّم، فقال: أحمد أحمد في الكتابِ الأوّلِ، [صدقَ] صدقَ أبو بكر الصدِّيق، الضعيف في نفسه، القوي في أمر الله، كان ذلك في الكتابِ الأوّلِ، صدقَ صدقَ عمرُ بنُ الخطاب القويُّ الأمينُ في الكتاب الأول، صدقَ صدقَ عثمانُ بنُ عفان على منهاجهم، مضت أربعُ [سنين]، وبقيت اثنتان[1]، أتت الفتنُ، وأكلَ الشديدُ الضعيفَ، وقامت الساعةُ، وسيأتيكم خبرُ بئر أَرِيْس، وما بئر أريس؟ قال يحيى بن سعيد: قال سعيد بن المسيب: ثم هلك رجل من بني خطمة، فسُجِّي بثوبٍ، فسمعوا جلجلةً في صدره، ثم تكلَّم، فقال: إنَّ أخا بني الحارث بن الخزرج صدق صدق، وقال **أبو عمر**: وكانت وفاته في خلافة عثمان، وقد عرض مثل قصَّته لأخي ربعي بن خراش أيضاً[2].

ومن مسند رفاعة بن رافع الزرقي[3] رضي الله عنه

۞ حديثه في فضل أهل بدر:

• أخرج **البخاري** عن **رفاعة بن رافع**، قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ، فقال: ما تعدّون أهل بدرٍ فيكم؟ قال: «**مِنْ أفضلِ**

---

(١) في الأصل الفارسي: «سنتان».

(٢) انظر: «الاستيعاب» (١/ ١٦٣) رقم الترجمة: (٨٤٤)، و«دلائل النبوة»، للبيهقي (٦/ ١٩٥).

(٣) هو: أبو معاذ رفاعة بن رافع بن مالك الأنصاري الخزرجي الزُّرقي، شهد العقبة وبدراً وأُحداً والخندق وبيعة الرضوان والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وشهد الجمل مع علي، وشهد معه صفين أيضاً. انظر: «أُسد الغابة» (٢/ ٧٣).

المسلمينَ»، أو كلمة نحوها، قال: وكذلكَ مَنْ شهدَ بدراً من الملائكةِ[١].

ومن مسند رافع بن خديج[٢] رضي الله عنه

حديثه في فضل أهل بدر:

• أخرج **ابن ماجه** من حديث سفيان، عن يحيى بن سعيد، عن عباية بن رفاعة، عن جدِّه **رافع بن خديج**، قال: جاء جبريلٌ ـ أو مَلَكٌ ـ إلى النبي ﷺ، فقال: ما تعدُّون مَنْ شهدَ بدراً فيكم؟ قالوا: «**خيارنا**»، قال: كذلك هم عندنا خيار الملائكة[٣].

ومن مسند أبي سعيد بن المعلى[٤] رضي الله عنه

خطبته ﷺ في مناقب أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه:

• حديثه في الخطبة التي خطبها النبي ﷺ في مناقب أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه، أخرج **الترمذي** عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ عَن ابْنِ أَبِي

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٣٩٩٢).

(٢) هو: أبو عبد الله رافع بن خديج بن رافع بن عدي الأنصاري الأوسي، استصغره رسول الله ﷺ يوم بدر، وأجازه يومَ أُحد، فشهد أُحداً والخندق وأكثر المشاهد، روى عنه من الصحابة: ابن عمر، ومحمود بن لبيد، والسائب بن يزيد، وغيرهم، ومن التابعين: مجاهد، وعطاء، والشعبي، وغيرهم، وشهد صفين مع علي، مات أيام عبد الملك بن مروان سنة ٧٤هـ، وهو ابن ٨٦هـ، وله عقب كانوا بالمدينة وبغداد. انظر: «أُسد الغابة» (٢/٣٨).

(٣) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (١٦٠).

(٤) قيل: اسمه رافع بن المعلى، وقيل: الحارث بن المعلى، وأصحّ ما قيل في اسمه: هو: الحارث بن نفيع بن المعلى بن لوذان الأنصاري الزرقي، له صحبة، يعدّ في أهل الحجاز، روى عنه حفص بن عاصم، وعبيد بن حنين. انظر: «أُسد الغابة» (٥/١٤٢).

الْمُعَلَّى عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَطَبَ يَوْماً، فَقَالَ: «**إِنَّ رَجُلاً صالحاً خَيَّرَهُ رَبُّهُ بَيْنَ أَنْ يَعِيشَ فِي الدُّنْيَا مَا شَاءَ أَنْ يَعِيشَ، وَيَأْكُلَ فِي الدُّنْيَا مَا شَاءَ أَنْ يَأْكُلَ، وَبَيْنَ لِقَاءِ رَبِّهِ، فَاخْتَارَ لِقَاءَ رَبِّهِ**»، قَالَ: فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ: أَلَا تَعْجَبُونَ مِنْ هَذَا الشَّيْخِ إِذْ ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَجُلاً صَالِحاً خَيَّرَهُ رَبُّهُ بَيْنَ الدُّنْيَا، وَبَيْنَ لِقَاءِ رَبِّهِ، فَاخْتَارَ لِقَاءَ رَبِّهِ، قَالَ: فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَهُمْ بِمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: بَلْ نَفْدِيكَ بِآبَائِنَا وَأَمْوَالِنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِن النَّاسِ أَحَدٌ أَمَنَّ إِلَيْنَا فِي صُحْبَتِهِ وَذَاتِ يَدِهِ مِن ابْنِ أَبِي قُحَافَةَ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً لَاتَّخَذْتُ ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ خَلِيلاً، وَلَكِنْ وُدٌّ وَإِخَاءُ إِيمَانٍ، وُدٌّ وَإِخَاءُ إِيمَانٍ** (مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثاً) **وَإِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللهِ**»[١].

ومن مسند البراء بن عازب[٢] رضي الله عنه

❁ حديثه في فتوح الأمصار:

● أخرج **أبو يعلى** عن أبي عبد الله ميمون عن **البراء**، قال: أمر رسول الله بحفر الخندق، قال: عرضَ لنا صخرةٌ، لا تأخذُ فيها المعاولُ، فشكوا ذلك إلى النبيِّ ﷺ، قال: فأخذَ المعولَ، قال: وأحسبه، قال: وضعَ ثوبه فضربَ ضربةً، وقال: «**بسم الله**»، فكسرَ ثُلُثَ

---

(١) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٦٥٩).

(٢) هو: أبو عمرو البراء بن عازب بن الحارث بن عدي، ردّه رسول الله ﷺ عن بدر، استصغره، وأول مشاهده أُحد، وقيل: الخندق، وغزا مع رسول الله ﷺ ١٤ غزوة، هو الذي افتتح الري سنة ٢٤هـ صلحاً أو عنوةً، وشهد البراء مع علي بن أبي طالب الجمل وصفين والنهروان، ونزل الكوفة، وابتنى بها داراً، ومات أيام مصعب بن الزبير. انظر: «أُسد الغابة» (١/ ٢٠٦).

الصخرةِ، ثم قال: «**اللهُ أكبرُ! أعطيتُ مفاتيحَ الشامِ، إنِّي لأنظرُ إلى قصورها الحمرِ من مكاني هذا**».

ثم قال: «**بسم الله**»، وضربَ أخرى، فكسر ثلثيها، وقال: «**اللهُ أكبرُ! أعطيتُ مفاتيحَ فارس، والله إنِّي لأنظرُ إلى المدائنِ وقصرِها الأبيض من مكاني هذا**».

ثم قال: «**بسم الله**»، وضرب أخرى، فكسر بقية الحجر، وقال: «**اللهُ أكبرُ! أُعطيتُ مفاتيحَ اليمنِ، واللهِ إنِّي لأنظر إلى مفاتيح صنعاء من مكاني هذا**»[1].

ومن مسند أمّ حرام الأنصارية[2] رضي الله عنها

❁ حديثها في الوعد بغزوة البحر التي كانت في زمن عثمان رضي الله عنه:

• أخرج **البخاري** عن خالد بن معدان: أنّ عمير بن الأسود العنسي حدَّثه أنه أتى عبادة بن الصامت رضي الله عنه وهو نازلٌ في ساحل حمص، وهو في بناءٍ له ومعه أمّ حرام، قال عمير: فحدَّثتنا **أم حرام** رضي الله عنها أنّها سمعت النبيَّ ﷺ يقول: «**أوّل جيشٍ من أمتي يغزونَ البحر قد أوجبوا**».

قالت أمّ حرام: قلتُ: يا رسول الله! أنا فيهم؟ قال: «**أنت فيهم**».

---

(١) انظر: «مسند أبي يعلى» (٣/ ٢٤٤) برقم: (١٦٨٥).

(٢) هي: أم حرام بنت ملحان بن خالد بن زيد الأنصارية الخزرجية، أم حرام هي خالة أنس بن مالك، وهي زوجةُ عبادة بن الصامت، وأمها الرميصاء، وكان رسول الله يكرمها، ويزورها في بيتها، ويقيل عندها، وأخبرها أنها شهيدةٌ، ركبت البحر للمساهمة في غزوة قبرس، فلما جاوزت البحرَ ركبت دابّة فصرعتها فقتلتها، فدفنت في قبرص، وكان أميرُ ذلك الجيش معاوية بن أبي سفيان في خلافة عثمان، وذلك سنة ٢٦هـ. انظر: «أُسد الغابة» (١/ ٣٢٠).

ثم قال النبي ﷺ: **«أولُ جيشٍ من أمتي يغزونَ مدينةَ قيصرَ مغفورٌ لهم»**، فقلت: أنا فيهم يا رسول الله؟ قال: **«لا»**(١).

ومن مسند سهل بن سعد الساعدي(٢) رضي الله عنه

❁ حديثه في إثبات الصدِّيقية لأبي بكر رضي الله عنه والشهادة له:

• أخرج أبو يعلى عن عبد الرزاق، أخبرنا معمر عن أبي حازم عن **سهل بن سعد**: أن أُحُداً ارتجّ وعليه رسولُ اللهِ ﷺ وأبو بكر وعمرُ وعثمان، فقال رسول الله ﷺ: **«اثبتْ أُحدُ! فما عليكَ إلّا نبيٌّ، أو صدِّيقٌ، أو شهيدانِ»**(٣).

❁ حديثه في منزلة أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه عند النبي ﷺ:

• أخرج **أبو يعلى** عن حماد بن زيد عن أبي حازم عن سهل بن سعد، قال: كان قتال بين بني عمرو بن عوف، فأتاهم النبيُّ ﷺ ليصلح بينهم، وقد صلَّى الظهر، فقال لبلال: **«إن حضرتْ صلاةُ العصرِ ولم آتِ، فَمُرْ أبا بكرٍ فليصلِّ بالناسِ»**، فلمّا حضرت صلاةُ العصر أذَّن بلالٌ وأقام، وقال: يا أبا بكر تقدَّم، فتقدَّم أبو بكر، فجاء

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٢٩٢٤).

(٢) هو: أبو العباس سهل بن سعد بن مالك بن خالد الأنصاري الساعدي، قال الزهري: رأى سهل بن سعد النبي ﷺ وسمع منه، وذكر أنه كان له يوم توفي النبي ﷺ خمس عشرة سنة، عاش سهل، وطال عمره، حتى أدرك الحجاج بن يوسف، وامتحن معه، روى عن سهل أبو هريرة، وسعيد بن المسيب، والزهري وغيرهم، وتوفّي سهل سنة ٨٨هـ، وهو ابن ست وتسعين، وقيل: توفي سنة إحدى وتسعين، وقد بلغ مئة سنة، إنه آخر من بقي من الصحابة بالمدينة. انظر: «أُسد الغابة» (٢/ ٣٢٠).

(٣) انظر: «مسند أبي يعلى» (١٣/ ٤٢٨) برقم: (٧٥١٨).

رسولُ اللهِ ﷺ، فشقَّ الصفوف، فلمَّا رأى الناسُ[١] رسولَ اللهِ ﷺ صفّحوا ـ يعني: التصفيق ـ قال: وكان أبو بكر إذا دخل في صلاةٍ لم يلتفت، فلمَّا رأى التصفيقَ لا يمسِكُ عنه التفتَ، فرأى رسول اللهِ ﷺ خلفه، فأومأ إليه النبيُّ ﷺ أنِ امضِ، فلبث أبو بكر هنيةً يحمد الله على قول رسول الله ﷺ: امض، ثم مشى أبو بكر القهقرى؛ يعني: على عقبه، فلمّا رأى ذلك النبي ﷺ تقدَّم، فصلَّى بالقوم صلاتهم، فلمَّا قضى صلاته، قال: **«يا أبا بكر! ما منعك إذ أومأت إليك ألا تكون مضيت؟»**، قال أبو بكر: لم يكن لابن أبي قحافةَ أن يؤمَّ رسولَ اللهِ ﷺ، ثم قال للناس: **«إذا نابكم في صلاتِكُم شيءٌ فليسبِّحِ الرجالُ، وليصفقِ النساءُ»**[٢].

مسند النعمان بن بشير[٣] رضي الله عنه

❁ حديثه في القرون الثلاثة:

• أخرج **أحمد** من حديث عاصم عن خيثمة والشعبي عن **النعمان بن بشير**، قال: قال رسول الله ﷺ: **«خيرُ الناسِ قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يأتي قومٌ تسبِقُ أيمانُهم شهادتَهم وشهادتُهم أيمانهم»**[٤].

---

(١) في الأصل الفارسي: «رئي».

(٢) انظر: «مسند أبي يعلى» (١٣/ ٤٣٧) برقم: (٧٥٢٤).

(٣) هو: أبو عبد الله النعمان بن بشير بن ثعلبة بن سعد الأنصاري الخزرجي، ولد قبل وفاة رسول الله ﷺ بثمان سنين وسبعة أشهر، وقيل: بستّ سنين، والأول أصحّ، وهو أوّلُ مولودٍ للأنصار بعد الهجرة في قول، له ولأبويه صحبةٌ، روى عنه ابناه محمد وبشير، والشعبي وغيرهم، قُتل بعد وقعة مرج راهط سنة ٦٤هـ، في ذي الحجة. انظر: «أُسد الغابة» (٤/ ٥٥٠).

(٤) انظر: «مسند أحمد» (٤/ ٢٧٦) برقم: (١٨٣٧٤).

ومن مسند عُوَيم بن ساعدة[١] رضي الله عنه

❁ حديثه في النهي عن سبِّ الصحابة رضي الله عنهم وبيان فضيلتهم:

• أخرج **الحاكم** من حديث عبد الرحمٰن بن سالم بن عبد الرحمٰن بن عويم بن ساعدة، عن أبيه، عن جدِّه، عن **عويم بن ساعدة** رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إنّ الله تبارك وتعالى اختارني واختار بي[٢] أصحاباً، فجعل لي منهم وزراء وأنصاراً وأصهاراً، فمن سبّهم فعليه لعنةُ اللهِ والملائكةِ والناسِ أجمعين، لا يُقْبَلُ منه يومَ القيامةِ صرفٌ ولا عدلٌ**»[٣].

ومن مسند شدّاد بن أوس[٤] رضي الله عنه

❁ حديثه في فتوح الأمصار:

• أخرج **أحمد**، عن عبد الرزاق، عن معمر: أخبرني أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي الأشعث الصنعاني، عن أبي أسماء الرحبي، عن **شدَّاد بن أوس**، أنّ النبيَّ ﷺ قال: «**إنّ الله عز وجل زوى ليَ الأرضَ حتّى**

---

(١) هو: عُويم بنُ ساعدة بن عائش بن قيس الأنصاري الأوسي، قال الواقدي: شهد عُويمٌ العقبتين جميعاً، وقال غيره: شهد العقبة الثانية مع السبعين، شهد بدراً وأُحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله، قال أبو عمر: توفّي في حياة رسول الله ﷺ، وقيل: مات في خلافة عمر بن الخطاب وهو ابنُ خمس أو ست وستين سنة. انظر: «أُسد الغابة» (٤/ ١٥).

(٢) في الأصل الفارسي: «لي» مكان «بي».

(٣) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ٧٣٢) برقم: (٦٦٥٦).

(٤) هو: أبو يعلى شدّاد بن أوس بن ثابت بن المنذر الأنصاري الخزرجي، قال مالك: شدّاد بن أوس، هو ابن عم حسان بن ثابت، والصحيح أنّه ابن أخيه، روى عنه ابنه يعلى، ومحمود بن لبيد، وأبو الأشعث الصنعاني وغيرهم، توفّي سنة ٤١هـ، وقيل: سنة ٥٨هـ، وهو ابن ٧٥ سنة. انظر: «أُسد الغابة» (٢/ ٣٥٥).

رأيتُ مشارِقَها ومغاربَها، وإنَّ مُلْكَ أُمتي سيبلغُ ما زُوِيَ لي منها، وإنّي أعطيتُ الكنزينِ الأبيضَ والأحمرَ، وإنّي سألتُ ربِّي ﷻ لا يهلكُ أمتي بِسَنَةٍ بعامةٍ، وأن لا يسلِّطَ عليهم عدواً [من غيرهم] فَيُهْلِكَهُمْ بعامَّةٍ، وأن لا يلبسهم شيعاً، ولا يُذيقَ بعضَهم بأسَ بعضٍ، وقال: يا محمّدُ! إني إذا قضيتُ قضاءً فإنّه لا يردُّ، وأنّي قد أعطيتُكَ لأمتك أنْ لا أهلِكَهم بسنة بعامّة، ولا أسلِّطَ عليهم عدواً ممّن سواهم[1]، فيهلكوهم بعامّة، حتّى يكونَ بعضُهم يُهلِكُ بعضاً، وبعضُهم يقتلُ بعضاً، وبعضُهم يسبي بعضاً».

قال: وقال النبي ﷺ: **«وإني لا أخافُ على أمتي، إلا الأئمةَ المضلِّين، فإذا وُضِعَ السيفُ في أُمّتي لم يرفعْ عنهم إلى يومِ القيامةِ»**[2].

ومن مسند حسان بن ثابت[3] رضي الله عنه

❁ شعره في الثناء على أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه:

• أخرج **الحاكم** من حديث غالب بن عبد الله، عن أبيه، عن جدِّه **حبيب بن أبي حبيب** قال: شهدتُ رسولَ اللهِ ﷺ قال لحسان بن ثابتٍ: **«قلتَ في أبي بكر شيئاً؟»** [قال: نعم]، قال: **«قل حتّى أسمع»**، قال: قلت:

وثانيَ اثنينِ في الغارِ المُنيفِ وقد ... طافَ العدُوُّ به إذ صعدا الجبلا

---

(١) في الأصل الفارسي: «من غيرهم».

(٢) انظر: «مسند أحمد» (٤/ ١٢٣) برقم: (١٧١٥٦).

(٣) هو: أبو الوليد حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام الأنصاري الخزرجي، يقال: شاعر رسول الله ﷺ، كان رسول الله ﷺ ينصب له منبراً في المسجد، يقوم عليه قائماً يفاخر عن رسول الله ﷺ، لم يشهد مع النبي ﷺ شيئاً من مشاهده، توفّي حسان قبل الأربعين في خلافة علي، وأقوال أخرى، ولكن لم يختلفوا في عمره أنه عاش ستين سنة في الجاهلية، وستين في الإسلام. انظر: «أُسد الغابة» (١/ ٤٨٢).

وكان حِبَّ رسولِ اللَّهِ قد عَلِمُوا   من الخلائقِ لَمْ يَعْدِلْ به بَدَلا

فتبسَّم رسولُ اللهِ ﷺ[(١)].

• وأخرج **الحاكم** من حديث مجالد بن سعيد عن الشعبي [قال: سألت ابنَ عباس أو] سئل: مَنْ أوّلُ مَنْ أسلم؟ فقال: أما سمعت قول حسان رضي الله عنه:

إذا تذكَّرْتَ شَجْواً من أخٍ ثقةٍ   فاذكرْ أخاكَ أبا بكرٍ بما فَعَلا
خيرُ البريةِ أتقاها وأعدلُها   بعدَ النبيِّ، وأوفاها بما حَمَلا
الثانيُ التاليُ المحمودُ مَشْهَدُهُ   وأوَّلُ الناسِ منهم صَدَّقَ الرُّسُلا[(٢)]

• وأخرج **أبو عمر** من حديث أبي بكر بن أبي شيبة، قال: حدثنا شيخ لنا، قال: حدثنا مجالد عن الشعبي، قال: سألت ابنَ عباس، أو سئل: أي الناسِ كانَ أول إسلاماً؟ فقال: أما سمعتَ قول حسان بن ثابت:

إذا تذكرتَ شجواً من أخٍ ثقةٍ   فاذكرْ أخاكَ أبا بكر بِمَا فَعَلا
خيرُ البريةِ أتقاها وأعدلُها   بعدَ النبيِّ، وأوفاها بما حَمَلا
والثانيُ التاليُ المحمودُ مشهدُهُ   وأوّلُ الناسِ منهم صدَّقَ الرسُلا[(٣)]

قال أبو عمر: ويُروى[(٤)] أنّ رسولَ اللهِ ﷺ قال لحسان: «**هل قلتَ في أبي بكرٍ شيئاً؟**» قال: نعم، وأنشده هذه الأبيات، وفيها بيتٌ رابع وهو:

---

(١) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ٦٧) برقم: (٤٤١٣).
(٢) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ٦٧) برقم: (٤٤١٤).
(٣) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٢٩٤) رقم الترجمة: (١٦٣٣) واللفظ له، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٨/ ٤٤).
(٤) في الأصل الفارسي: «وروي».

وثاني اثنينِ في الغارِ المنيف وقد   طافَ العدوُّ به إذ صعدا الجبلا

فسُرَّ النبي ﷺ بذلك، فقال: «**أحسنتَ يا حسّانُ!**»، وقد رُوي فيها بيت خامس:

وكان حِبَّ رسولِ اللَّهِ قد عَلِمُوا   خيرَ البريةِ لَمْ يَعْدِلْ به رَجُلا[(١)]

ومن مسند أبي الهيثم بن التيهان[(٢)] رضي الله عنه

❁ شعره في مناقب أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه:

• قال **أبو عمر**: ومما قيل في أبي بكر قولُ **الهيثم بن التيِّهان** فيما ذكروا:

وإنِّـي لأرجـو أَنْ يـقـومَ بـأمـرِنـا   ويحفظه الصدّيقُ والمرءُ مِنْ عَدِي

أولاك خيارُ الحيِّ فهر بن مالك   وأنصارُ هذا الدين مِنْ كلِّ معتدي[(٣)]

ومن مسند كعب بن عجرة[(٤)] رضي الله عنه

❁ حديثه في أن عثمان رضي الله عنه على الحق:

• أخرج **أحمد** من حديث مطرٍ الوراق، عن ابن سيرين، عن **كعب بن عُجْرة**، قال: ذكر رسول الله ﷺ فتنةً فقرَّبها وعظَّمها، قال: ثم

---

(١) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٢٩٥) رقم الترجمة: (١٦٣٣).

(٢) هو: أبو الهيثم مالك بن التيهان بن مالك الأنصاري الأوسي، شهد العقبة، وكان أحد النقباء، وشهد المشاهد مع رسول الله ﷺ، ومات سنة ٢٠ أو ٢١هـ، وقيل: إنه أدرك صفين، وشهدها مع علي، وقتل بها. انظر: «أُسد الغابة» (٥/ ٣٢٣).

(٣) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٢٩٥) رقم الترجمة: (١٦٣٣).

(٤) هو: كعب بن عجرة بن أمية بن عدي، سكن الكوفة، وتوفي كعب بالمدينة سنة ٥١هـ، وقيل: ٥٢هـ، وقيل: ٥٣هـ، وعمره سبع وسبعون، وقيل: خمس وسبعون سنة. انظر: «أُسد الغابة» (٤/ ١٨١).

مرّ رجلٌ متقنّعٌ[١] في ملحفة، فقال: «**هذا يومئذٍ على الحقِّ**»، فانطلقتُ مسرعاً أو [قال]: مُحْضِراً، فأخذتُ بضبعيه، فقلت: هذا يا رسول الله! قال: «**هذا**»، فإذا هو عثمانُ بنُ عفان رضي الله عنه[٢].

❁ ❁ ❁

(١) وفي الأصل الفارسي: «مقنّع»، وكذا في النسخة الظاهرية برقم: (١٠٥٩).

(٢) انظر: «مسند أحمد» (٤/ ٢٤٢) برقم: (١٨١٤٣).




مسانيد سائر الصحابة
رضوان الله عليهم أجمعين

مسند جابر بن سمرة[(١)] رضي الله عنه

الخلافة في قريش:

• أخرج **البخاري** وغيره عن **جابر بن سَمُرة**، قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**لا يزالُ [هذا] الدّينُ قائماً حتّى يكونَ عليكم اثنا عشرَ خليفةً**»... قال: «**كلُّهم من قريشٍ**»[(٢)].

• وأخرج **أحمد** عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، قال: كتبت إلى **جابر بن سمرة** مع غلامي: أخبرني بشيءٍ سمعتَه من رسولِ اللهِ ﷺ، قال: فكتبَ إليَّ: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يومَ الجمعةِ عشيةَ رجم الأسلميِّ يقول: «**لا يزالُ الدِّينُ قائماً حتّى [تقومَ الساعةُ، أو] يكونَ عليكم اثنا عشرَ خليفةً، كلُّهم من قريشٍ**»، قال: وسمعتُه يقول: «**عصبةُ المسلمينَ يفتتحونَ البيتَ الأبيضَ بيتَ كسرى وآلِ كسرى**»[(٣)].

---

(١) هو: أبو خالد، أو أبو عبد الله، جابر بن سمرة بن عمرو بن جندب، سكن الكوفة، وابتنى بها داراً، وتوفي في أيام بشر بن مروان على الكوفة، وقيل: توفي سنة ٦٦هـ، أيام المختار، روى عن النبي ﷺ أحاديثَ كثيرة، روى عنه الشعبي، وعامر بن سعد بن أبي وقاص، وتميم بن طرفة الطائي، وغيرهم. انظر: «أُسد الغابة» (١/ ٣٠٤).

(٢) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٧٢٢٢ ـ ٧٢٢٣)، و«صحيح مسلم» برقم: (١٨٢١)، و«سنن أبي داود» برقم: (٤٢٧٩).

(٣) انظر: «مسند أحمد» (٥/ ٨٩) برقم: (٢٠٨٦٢).

• وأخرج **البخاري** من حديث عَبْدِ الْمَلِكِ بن عمير، عَنْ **جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ** رضي الله عنه يرفعُه قَالَ: «**إِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلَا كِسْرَى بَعْدَهُ، وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرُ فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُنْفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللهِ**»(١).

ومن مسند عدي بن حاتم(٢) رضي الله عنه

❁ حديثه في فتح الأمصار:

• أخرج **البخاري** من حديث مُحِلِّ بْنِ خَلِيفَةَ، عَنْ **عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ**، قَالَ: بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ، فَشَكَا إِلَيْهِ الْفَاقَةَ، ثُمَّ أَتَاهُ آخَرُ، فَشَكَا قَطْعَ السَّبِيلِ، فَقَالَ: «**يَا عَدِيُّ! هَلْ رَأَيْتَ الْحِيرَةَ**»، قُلْتُ: لَمْ أَرَهَا وَقَدْ أُنْبِئْتُ عَنْهَا، قَالَ: «**فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيَنَّ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الْحِيرَةِ، حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ، لَا تَخَافُ أَحَداً إِلَّا اللهَ**» ـ قُلْتُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي: فَأَيْنَ دُعَّارُ طَيِءٍ الَّذِينَ قَدْ سَعَّرُوا الْبِلَادَ ـ «**وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتُفْتَحَنَّ كُنُوزُ كِسْرَى**»، قُلْتُ: كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ؟ قَالَ: «**كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ.**

وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، لَتَرَيَنَّ الرَّجُلَ يُخْرِجُ مِلءَ كَفِّهِ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ، يَطْلُبُ مَنْ يَقْبَلُهُ مِنْهُ، فَلَا يَجِدُ أَحَداً يَقْبَلُهُ مِنْهُ.

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٣١٢١، ٣٦١٩).

(٢) هو: أبو طريف، وأبو وهب عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي، أبوه حاتم هو الجواد الموصوف بالجود، الذي يضرب به المثل، وفد عدي على النبي ﷺ سنة ٩هـ في شعبان، وقيل: سنة ١٠هـ، فأسلم وكان نصرانياً، روى عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة، وشهد فتوح العراق ووقعة القادسية، ووقعة مهران، وغير ذلك، وسكن الكوفة، وتوفي سنة ٦٧هـ، وقيل: سنة ٨٠هـ، وفيه أقوال غير ذلك. انظر: «أسد الغابة» (٣/ ٥٠٥).

وَلَيَلْقَيَنَّ اللهَ أَحَدُكُمْ يَوْمَ يَلْقَاهُ، وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ لَهُ، فَيَقُولَنَّ: أَلَمْ أَبْعَثْ إِلَيْكَ رَسُولاً فَيُبَلِّغَكَ، فَيَقُولُ: بَلَى، فَيَقُولُ: أَلَمْ أُعْطِكَ مَالاً وولداً وَأُفْضِلْ عَلَيْكَ، فَيَقُولُ: بَلَى، فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ، وَيَنْظُرُ عَنْ يَسَارِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ».

قَالَ عَدِيٌّ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ شِقَّ تَمْرَةٍ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»، قَالَ عَدِيٌّ: فَرَأَيْتُ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الْحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ، لَا تَخَافُ إِلَّا اللهَ، وَكُنْتُ فِيمَنِ افْتَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكُمْ حَيَاةٌ لَتَرَوُنَّ مَا قَالَ النَّبِيُّ أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ: «يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ»[١].

ومن مسند كرز بن علقمة الخزاعي[٢] رضي الله عنه

❁ حديثه في الفتوح:

● أخرج **الحاكم** من طريق سفيان ومعمر عن الزهري عن عروة قال: سمعت **كِرْزَ بن علقمة** يقول: سأل رجل النبيَّ ﷺ فقال: يا رسول الله! هل للإسلام من منتهى؟ فقال رسول الله ﷺ: «**نعم، أيما أهلُ بيتٍ من العرب والعجم أرادَ اللهُ بهم خيراً أدخلَ عليهم الإسلامَ، ثم تقعُ الفتنُ كأنَّها الظُّلَلُ**»[٣]، هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٣٥٩٥).

(٢) هو: كرز بن علقمة بن هلال بن جريبة الخزاعي الكعبي، أسلم كرز يوم الفتح، وعمّر عمراً طويلاً، وهو الذي نصب أعلام الحرم أيام معاوية في إمارة مروان بن الحكم على المدينة. انظر: «أُسد الغابة» (٤/ ١٦٩).

(٣) انظر: «المستدرك»، للحاكم (١/ ٨٩) برقم: (٩٦).

قال **الحاكم**: سمعت علي بن عمر الحافظ يقول: مما يلزم مسلماً والبخاري إخراج حديث **كرز بن علقمة**: «هل للإسلام منتهى؟»[(١)].

ومن مسند عبد الله بن حوالة[(٢)] رضي الله عنه

❁ حديثه في خلافة عثمان رضي الله عنه:

• أخرج **الحاكم** عن عبد الله بن شقيق، عن **عبد الله بن حوالة** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ذاتَ يومٍ: «**تهجمونَ على رجلٍ مُعْتَجِرٍ ببردةٍ يبايعُ الناسَ من أهلِ الجنةِ**»، فهجمتُ على عثمان رضي الله عنه، وهو معتجِرٌ ببردِ حبرةٍ يبايعُ الناسَ[(٣)].

❁ حديثه في التحذير من الخروج عليه:

أخرج **الحاكم** من حديث الليث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن ربيعة بن لقيط التجيبي، عن **عبد الله بن حوالة** الأسدي عن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ نجا مِنْ ثلاثٍ فقد نجا**»، قالوا: ماذا يا رسول الله؟ قال: «**موتي، وقتلُ خليفةٍ مُصْطَبرٍ بالحقِّ يعطيه، ومن الدَّجّالِ**»[(٤)].

---

(١) انظر: «المستدرك»، للحاكم (١/ ٨٩) برقم: (٩٧).

(٢) هو: أبو حوالة عبد الله بن حوالة، نسبه الهيثم بن عدي إلى الأزد، ونسبه الواقدي إلى بني عامر بن لؤي، والأول أشهر، سكن الأردن من أرض الشام، روى عنه من أهل مصر ربيعة بن لقيط التجيبي، وكان قدم مصر، وتوفِّي بالشام سنة ٨٠هـ. انظر: «أُسد الغابة» (٣/ ١١٥).

(٣) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ١٠٥) برقم: (٤٥٣٩).

(٤) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ١٠٨) برقم: (٤٥٤٨).

ومن مسند هاشم بن عتبة بن أبي وقاص[١] رضي الله عنه

❁ حديثه في الفتوح:

• أخرج **الحاكم** من حديث عبد الملك بن عمير، عن جابر بن سمرة، عن **هاشم بن عتبة** بن أبي وقاص، قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**يَظْهَرُ المسلمونَ على جزيرةِ العربِ، ويَظْهَرُ المسلمونَ على فارسَ، ويظهرُ المسلمونَ على الرومِ، ويظهرُ المسلمونَ على الأعورِ الدجَّالِ**»[٢].

ومن مسند نافع بن عتبة بن أبي وقاص[٣] رضي الله عنه

❁ حديثه في الفتوح:

• أخرج **الحاكم** من حديث موسى بن عبد الملك بن عمير عن أبيه عن جابر بن سمرة، عن **نافع بن عتبة** قال: قدم ناسٌ من العرب على رسولِ اللهِ ﷺ يسلِّمون عليه، وعليهم الصوف، فقمتُ، فقلتُ: لأحُوْلَنَّ بين هؤلاء وبين رسولِ اللهِ ﷺ، ثم قلتُ في نفسي: هو نجي القوم، ثم أبتْ نفسي إلا أنْ أقومَ إليه، قال: فسمعته يقول: «**يغزون جزيرةَ العربِ فيفتحُها اللهُ، ثم يغزون فارسَ فيفتحُها الله، ثم يغزون الدَّجَّالَ**[٤]

---

(١) هو: أبو عمرو هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، نزل الكوفة، أسلم يوم الفتح، وكان من الشجعان الأبطال، فُقِئَتْ عينهُ يومَ اليرموك بالشام، وشهد صفّين مع علي رضي الله عنه وكانت معه الرايةُ، فقطعت رجلُه يومئذٍ، وجعل يقاتِلُ من دنا منه وهو باركٌ حتى قتل، وكانت صفِّين سنة ٣٧هـ. انظر: «أُسد الغابة» (٤/ ٦٠١).

(٢) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ٤٤٦) برقم: (٥٦٩٠).

(٣) هو: نافع بن عتبة بن أبي وقاص الزهري، له صحبة، وأبوه عتبة هو الذي كسر رباعية النبي ﷺ يوم أُحد، أسلم نافع يوم فتح مكة. انظر: «أُسد الغابة» (٤/ ٥٢٨).

(٤) في الأصل الفارسي: «تغزون» مكان «يغزون»، و«الروم» بدل «الدجال».

فيفتحه الله»[(١)].

ومن مسند عبد الله بن هشام بن زهرة القرشي[(٢)] رضي الله عنه

❁ حديثه في فضل عمر رضي الله عنه:

• أخرج **البخاري** من حديث ابن وَهْبٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي حَيْوَةُ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو عَقِيلٍ زُهْرَةُ بْنُ مَعْبَدٍ أنه سَمِعَ جَدَّهُ **عَبْدَ اللهِ بْنَ هِشَامٍ**، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وهذا حديث لم يطوله البخاري[(٣)].

• وأخرج **الحاكم**: ثنا رشدين بن سعد وابن لهيعة عن زهرة بن معبد عن جدِّه **عبد الله بن هشام** قال: كُنّا مع رسولِ اللهِ ﷺ وهو آخذٌ بيد عمر بن الخطاب، فقال عمر: والله يا رسولَ اللهِ! إنَّكَ لأحبُّ إليّ من كلِّ شيءٍ إلا نفسي [التي بين جنبيَّ، فقال له رسولُ اللهِ ﷺ: «**لا تكونُ مؤمناً حتَّى أكونَ أحبَّ إليكَ من نفسِكَ**»، فقال عمر: والذي أنزلَ عليكَ الكتابَ لأنتَ أحبُّ إليَّ من نفسي التي بين جنبيَّ[(٤)]]، فقال النبي ﷺ: «**الآنَ يا عمرُ**»[(٥)].

---

(١) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ٤٨٧) برقم: (٥٨٢٢).

(٢) هو: عبد الله بن هشام بن عثمان بن عمرو القرشي التيمي، كان قد أدرك النبي ﷺ، ذهبت به أمه زينب بنت حميد إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله! بايعه، وهو صغير، فمسح رأسه، ودعا له بالبركة، وكان مولده سنة ٤هـ. انظر: «أُسد الغابة» (٣/ ٢٠٦).

(٣) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٦٢٦٤).

(٤) زاد في الأصل الفارسي.

(٥) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ٥١٦) برقم: (٥٩٢٢)، وحذفه الذهبي من التلخيص لضعفه.

ومن مسند عمران بن حصين الخزاعي[(١)] رضي الله عنه

❁ حديثه في القرون الثلاثة:

• [روي] من طرق كثيرة، منها ما أخرج **الحاكم** من حديث الأعمش عن **هلال بن يساف** قال: انطلقت إلى البصرة، فدخلت المسجد، فإذا شيخ مستند إلى أسطوانة يحدِّث يقول: قال رسول الله ﷺ: **«خيرُ الناسِ قرني، ثم الذين يلونَهم، ثم الذين يلونَهم، ثم يأتي أقوامٌ يُعطونَ الشهادةَ قبلَ أنْ يُسْألوها»**[(٢)].

ومن مسند عبد الرحمٰن بن أبي بكر الصدِّيق[(٣)] رضي الله عنه

❁ حديثه في الدليل على خلافة أبي بكر رضي الله عنه:

أخرج **الحاكم** من حديث ابن أبي مليكة عن عبد الرحمٰن بن **أبي بكر** قال: قال رسول الله ﷺ: **«ائتني بدواة وكتف أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً»**، ثم ولَّانا قفاه، ثم أقبل علينا، فقال: **«يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»**[(٤)].

---

(١) هو: أبو نجيد عمران بن حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي الكعبي، أسلم عام خيبر، وغزا مع رسول الله ﷺ غزوات، بعثه عمر بن الخطاب إلى البصرة ليفقِّه أهلها، وكان من فضلاء الصحابة، روى عن النبي ﷺ، وروى عنه الحسن، وابن سيرين، وغيرهما، توفي بالبصرة سنة ٥٢هـ. انظر: «أُسد الغابة» (٣/ ٧٧٨).

(٢) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ٥٣٥) برقم: (٥٩٨٨).

(٣) هو: أبو عبد الله عبد الرحمٰن بن عبد الله بن عثمان، وهو عبد الرحمٰن بن أبي بكر بن أبي قحافة القرشي التيمي، سكن المدينة، وتوفِّي بمكة، وكان عبد الرحمٰن شقيق عائشة، وشهد بدراً وأُحداً مع الكفار، روى عن النبيِّ ﷺ أحاديث، روى عنه أبو عثمان النهدي، وعمرو بن أوس، والقاسم بن محمد، وشهد وقعة الجمل مع أخته عائشة، توفِّي سنة ٥٣هـ. انظر: «أُسد الغابة» (٣/ ٣٦٢).

(٤) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ٥٤٢) برقم: (٦٠١٦).

ومن مسند عثمان بن أرقم بن أبي الأرقم المخزومي[١] رضي الله عنه

❁ حديثه في سوابق عمر رضي الله عنه:

• أخرج **الحاكم** عن **عثمان بن الأرقم** أنه كان يقول: أنا ابنُ سُبْعِ الإسلام، أسلمَ أبي سابعَ سبعةٍ، وكانت داره على الصفا، وهي الدار التي كان النبي ﷺ يكون فيها في الإسلام، وفيها دعا الناسَ إلى الإسلام، فأسلمَ فيها قومٌ كثيرٌ، وقال رسولُ اللهِ ﷺ ليلةَ الاثنين فيها: «**اللَّهُمَّ أعزِّ الإسلامَ بأحبِّ الرجلينِ إليكَ: عمرَ بنِ الخطاب أو عمرِو بن هشام**»، فجاء عمر بنُ الخطّاب من الغدِ بكرةً، فأسلمَ في دار الأرقم، وخرجوا منها وكبَّروا[٢]، وطافوا بالبيتِ ظاهرينَ، ودعيتْ دارُ الأرقم دارَ الإسلام[٣].

ومن مسند الأسود بن سريع[٤] رضي الله عنه

❁ حديثه في فضل عمر رضي الله عنه:

• أخرج **الحاكم** من حديث إبراهيم بن سعد، عن الزهري، عن عبد الرحمٰن بن أبي بكرة، عن **الأسود بن سريع التميمي** قال: قدمتُ على نبيِّ اللهِ ﷺ، فقلتُ: يا نبيَّ الله! قد قلتُ شعراً أثنيتُ فيه على الله تبارك وتعالى، ومدحتُكَ، فقال: «**أمّا ما أثنيتَ على اللهِ تعالى فهاتِهِ، وما**

---

(١) هو: عثمان بن الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي، ذكره ابن أبي عاصم في الوحدان. انظر: «أُسد الغابة» (٣/ ١٦٢).

(٢) في الأصل الفارسي: «وكثروا».

(٣) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ٥٧٤) برقم: (٦١٢٩).

(٤) هو: أبو عبد الله الأسود بن سريع بن حمير بن عبادة التميمي السعدي، غزا مع النبي ﷺ، هو أول مَنْ قصّ في جامع البصرة، روى عنه الحسن، وعبد الرحمٰن بن أبي بكرة. انظر: «أُسد الغابة» (١/ ١٠٣).

مدحتني به **فَدَعْهُ**»، فجعلتُ أنشده، فدخلَ رجلٌ طوالٌ أقنى، فقال لي: أمسك فلمّا خرجَ، قال: «**هاتِ**»، [فجعلتُ أنشده، فلم ألبثْ أنْ عادَ، فقال: «**أمسكْ**» فلما خرجَ، قال: «**هاتِ**»،] فقلتُ: مَنْ هذا؟ يا نبيَّ اللهِ! الذي إذا دخلَ قلت: «**أمسكْ**»، وإذا خرجَ قلت: «**هاتِ**»؟ قال: «**هذا عمرُ بنُ الخطابِ، وليسَ من الباطلِ في شيءٍ**»(١).

ومن مسند أبي جحيفة السوائي(٢) رضي الله عنه

❁ حديثه في خلافة قريش:

• أخرج **الحاكم** عن عون بن **أبي جحيفة** عن أبيه، قال: كنتُ مع عمِّي عند النبي ﷺ، فقال: «**لا يزالُ أمرُ أُمّتي صالحاً حتّى يمضيَ اثنا عشرَ خليفةً**»، ثم قال كلمةً، وخفضَ بها صوته، فقلتُ لعمّي، وكان أمامي: ما قال يا عمّ؟ قال: قال يا بُني!: «**كلُّهم مِنْ قريشٍ**»(٣).

❁ حديثه في فضل الشيخين:

• أخرج **ابن ماجه** من حديث مالك بن مغول عن عون بن **أبي جحيفة** عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أبو بكرٍ وعمرُ سيّدا كهولِ أهلِ الجنّةِ من الأوّلينَ والآخرينَ إلّا النّبيّينَ والمرسلينَ**»(٤).

---

(١) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ٧١٢) برقم: (٦٥٧٦).

(٢) هو: أبو جُحيفةَ وهب بن عبد الله، ويقال: وهب بن وهب، وهو وهب الخير السوائي، نزل أبو جحيفة السوائي الكوفة، وكان من صغار الصحابة، ذكروا أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ توفِّي وأبو جحيفة لم يبلغِ الحلمَ، ولكنّه سمعَ من رسولِ اللهِ ﷺ وروى عنه، وجعله علي بن أبي طالب على بيتِ المالِ بالكوفة، وشهدَ معه مشاهدَه كلها، توفِّي في إمارة بشر بن مروان بالبصرة سنة ٧٢هـ. انظر: «أُسد الغابة» (٥/ ٤٨).

(٣) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ٧١٦) برقم: (٦٥٨٨).

(٤) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (١٠٠).

ومن مسند عبد الله بن زمعة بن الأسود[١] رضي الله عنه

❁ حديثه في إمامة أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه:

• أخرج **أبو داود والحاكم** من حديث ابنِ إسحاقَ، عن الزهري، عن عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمٰن، عن أبيه، عن **عبد الله بن زمعة** بن الأسود قال: لما اسْتُعِزّ برسولِ اللهِ ﷺ وأنا عنده في نفرٍ من المسلمين، دعاه بلالٌ إلى الصلاة، فقال: «**مروا مَنْ يصلِّي بالناسِ**»، فخرجَ عبدُ اللهِ بن زمعة، فإذا عمرُ في الناسِ، وكان أبو بكر غائباً، فقلتُ: يا عمرُ! قُمْ فصلِّ بالناس، فتقدَّمَ، فكبَّرَ، فلمّا سمعَ رسولُ اللهِ ﷺ صوته، وكان عمرُ رجلاً مجهراً، فقال رسول الله ﷺ: «**فأينَ أبو بكر؟ يأبىٰ اللهُ ذلكَ والمسلمونَ، يأبى اللهُ ذلك والمسلمونَ**»، فبعث إلى أبي بكر، فجاء بعد أنْ صلَّى عمرُ تلك الصلاة، فصلَّى بالناسِ[٢].

زاد **الحاكم**: قال **عبد الله بن زمعة**: فقال عمر: ويحكَ ماذا صنعتَ بي يا ابنَ زمعة!؟ واللهِ ما ظننتُ حين أمرتني إلّا أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ أمرَ بذلكَ، ولولا ذلكَ ما صلَّيتُ بالناسِ.

قلتُ: واللهِ ما أمرني رسول الله ﷺ، ولكنْ حينَ لم أر أبا بكر رأيتُكَ أحقَّ مَنْ حضرَ بالصلاةِ بالناسِ[٣].

وفي رواية **لأبي داود** من طريق ابن شهاب، عن عبيد الله بن

---

(١) هو: عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب القرشي الأسدي، كان من أشراف قريش، روى عنه أبو بكر بن عبد الرحمٰن وعروة بن الزبير، قتل عبد الله مع عثمان يوم الدّارِ. انظر: «أُسد الغابة» (٣/ ١٤١).

(٢) انظر: «سنن أبي داود» برقم: (٤٦٦٠) واللفظ له، و«المستدرك»، للحاكم (٣/ ٧٤٣) برقم: (٦٧٠٣).

(٣) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ٧٤٣) برقم: (٦٧٠٣).

عبد الله، عن **عبد الله بن زمعة** في هذا الخبر قال: لمّا سمعَ النبيُّ ﷺ صوتَ عمر، قال ابنُ زمعة: خرجَ النبيُّ ﷺ حتّى أطلعَ رأسَه من حجرتِهِ، ثم قال: «**لا، لا، لا، ليصلِّ للناسِ ابنُ أبي قُحافةَ**»، يقول ذلك مغضَباً[(١)].

ومن مسند أبي بكرة الثقفي[(٢)] رضي الله عنه

❁ حديثه في الوزن:

أخرج **أبو داود** عن الحسن عن **أبي بكرة** أنَّ النبيَّ ﷺ قال ذاتَ يومٍ: «**مَنْ رأى مِنْكُم رؤيا؟**» فقال رجلٌ: أنا رأيتُ كأنَّ ميزاناً نزل من السماءِ، فوُزِنْتَ أنتَ وأبو بكرٍ، فرجحتَ أنتَ بأبي بكرٍ، ووُزِنَ عمرُ وأبو بكرٍ فرجحَ أبو بكر، ووُزِنَ عمرُ وعثمانُ فرجحَ عمرُ، ثم رُفِع الميزانُ، فرأينا الكراهيةَ في وجهِ رسولِ اللهِ ﷺ[(٣)].

وفي روايةٍ له من طريق عبد الرحمٰن بن أبي بكرة عن أبيه، [فذكر] بمعناه، ولم يذكر الكراهية، قال: فاستاءَ لها رسولُ اللهِ ﷺ؛ يعني: فساءه ذلك، فقال: «**خلافةُ نبوةٍ، ثم يؤتي اللهُ المُلكَ مَنْ يشاءُ**»[(٤)].

---

(١) انظر: «سنن أبي داود» برقم: (٤٦٦١).

(٢) هو: أبو بكرة نفيع بن الحارث بن كلدة بن عمرو الثقفي، وهو ممّن نزلَ يوم الطائف إلى رسول الله ﷺ من حصن الطائف في بكرةٍ، فأسلَمَ، وكني أبا بكرة، وأعتقه رسولُ اللهِ ﷺ وهو معدودٌ في مواليه، وكان أبو بكرة كثيرَ العبادةِ حتّى مات، قال الحسن: «لم ينزل البصرةَ من الصحابةِ ممّن سكنها، أفضلُ من عمران بن حُصين وأبي بكرة». انظر: «أُسد الغابة» (٥/٣٨).

(٣) انظر: «سنن أبي داود» برقم: (٤٦٣٤).

(٤) انظر: «سنن أبي داود» برقم: (٤٦٣٥).

ومن مسند سمرة بن جندب[1] رضي الله عنه

حديثه في رؤيا دلو دُلِّي من السماء:

• أخرج **أبو داود** عن أشعث بن عبد الرحمٰن، عن أبيه، عن **سمرة بن جندب** أنَّ رجلاً قال: يا رسولُ اللهِ! إنِّي رأيتُ كأنَّ دلواً دُلِّي من السماء، فجاء أبو بكر فأخذَ بعراقيها[2]، فشربَ شرباً ضعيفاً، ثم جاء عمرُ فأخذَ بعراقيها فشربَ حتّى تضلّعَ[3]، ثم جاء عثمانُ فأخذَ بعراقيها فشربَ حتّى تضلّعَ، ثم جاءَ عليٌّ فأخذ بعراقيها فانتشطتْ، وانتَضَح عليه منها شيءٌ[4].

ومن مسند العباس بن عبد المطلب[5] رضي الله عنه

حديثه في إمامة أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه:

• أخرج **أبو يعلى**، عن ابن شُرَحْبِيْل، عن ابن عباس، عن **العباس**

---

(١) هو: أبو سعيد سمرة بن جندب بن هلال بن حَريج، غزا مع النبي ﷺ غير غزوة، وسكن البصرة، روى عنه الشعبي، وابن أبي ليلى، وعلي بن ربيعة، وغيرهم، توفي سمرة سنة ٥٩هـ بالبصرة. انظر: «أُسد الغابة» (٢/ ٣٠٢).

(٢) هي: أعواد يخالَفُ بينها، ثم تشدُّ في عرى الدلو، ويعلّقُ بها الحبل.

(٣) يريد الاستيفاء في الشرب.

(٤) انظر: «سنن أبي داود» برقم: (٤٦٣٧).

(٥) هو: أبو الفضل العباس بن عبد المطلب بن هاشم، عمّ رسول الله ﷺ وصنو أبيه، كان أسنّ من رسول الله بسنتين، وقيل: بثلاث سنين، وكان العباسُ في الجاهلية رئيساً في قريش، وإليه كانت عمارةُ المسجدِ الحرام، وشهدَ مع رسول الله ﷺ بيعة العقبة لمّا بايعه الأنصار، قيل: إنّه أسلمَ قبل الهجرة، وكان يكتمُ إسلامَه، كان رسول الله ﷺ يعظّمه ويُكْرِمُهُ بعد إسلامِهِ، أضرَّ العباسُ في آخر عمره، وتوفي بالمدينة يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب، وقيل: بل من رمضان، سنة ٣٢هـ، قبل قتل عثمان بسنتين، وصلّى عليه عثمان، ودفن بالبقيع، وهو ابن ٨٨ سنة. انظر: «أُسد الغابة» (٣/ ٦٠).

قال: دخلتُ على رسولِ اللهِ ﷺ وعنده نساؤه، فاستترنَ منِّي إلا ميمونة، فدُقّ له سعطة[١] فلُدَّ[٢]، فقال: **«لا يُبْقَيَنَّ في البيتِ أحدٌ إلّا لُدَّ إلا العباسُ، فإنّه لم تُصِبْه يَمِيْني»**، ثم قال: **«مروا أبا بكرٍ يصلِّي بالناسِ»**، فقالتْ عائشةُ لحفصةَ: قولي له: إنَّ أبا بكرٍ إذا قامَ ذلك المقامَ بكى، فقالت له فقال: **«مُرُوا أبا بكرٍ يُصلِّي بالناسِ»**، فصلّى أبو بكرٍ، ثم وجد رسول الله ﷺ خِفَّةً، فخرجَ، فلمّا رآه أبو بكر تأخّر، فأومأ إليه بيده؛ أي: مكانَكْ، فجاءَ فجلس إلى جنبه، فقرأ رسولُ اللهِ ﷺ من حيث انتهى أبو بكرٍ[٣].

ومن مسند أبي الطُّفيل[٤] رضي الله عنه

❁ حديثه في رؤيا النبي ﷺ في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما:

● أخرج **أبو يعلى** من حديث حماد، عن علي بن زيد، عن **أبي الطفيل**، عن النبي ﷺ. وعن حبيب وحميد، عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال: **«بينما أنا أنزعُ الليلةَ إذ وردتْ عليَّ غنمٌ سودٌ، وغنمٌ عُفْرٌ، فجاء أبو بكر فنزعَ ذَنوباً أو ذَنوبين، فيهما ضَعْفٌ، واللهُ يغفرُ له، ثم جاء عمرُ، فاستحالت غَرباً، فملأ الحياضَ، وأروى الواردةَ، فلم أرَ عبقرياً من الناسِ أحسنَ نزعاً منه»**، فأوَّلت أنَّ الغنمَ السودَ العربُ، والعفرَ العجمُ[٥].

---

(١) في الأصل الفارسي «سعطه».

(٢) اللدّد: هو ما يصبُّ من الأدويةِ في أحد شقي الفم، «الصحاح» (٢/ ١٣٧).

(٣) انظر: «مسند أبي يعلى» (١٢/ ٦٢) برقم: (٦٧٠٤).

(٤) هو: عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمير الكناني الليثي، يكنى أبا الطفيل، ولد عام أُحد، أدرك من حياة النبي ﷺ ثماني سنين، وكان سكن الكوفة، ثم انتقل إلى مكة، وهو آخر من مات ممن أدرك النبي ﷺ. توفي سنة ١٠٠هـ، وقيل: سنة ١١٠هـ. انظر: «أُسد الغابة» (٣/ ٤١).

(٥) انظر: «مسند أبي يعلى» (٢/ ١٩٨) برقم: (٩٠٤).

ومن مسند مُرّة بن كعب[(١)] رضي الله عنه

❁ حديثه في أن عثمان رضي الله عنه على الهدى في الفتنة:

● أخرج **الترمذي** عن أبي قلابة، عن أبي الأشعث الصنعاني: أن خطباء قامت بالشام، وفيهم رجالٌ من أصحاب رسول الله ﷺ، فقام آخرَهم رجلٌ يقال له: **مرة بن كعب**، فقال: لولا حديثٌ سمعته من رسول الله ﷺ ما قمتُ، وذكرَ الفتن، فقرّبها، فمرّ رجلٌ مقنَّعٌ في ثوبٍ، فقال: «**هذا يومئذٍ على الهدى**»، فقمتُ إليه، فإذا هو عثمانُ بنُ عفّان، [قال:] فأقبلتُ عليه بوجهه، فقلتُ: هذا؟ قال: «**نعم**»[(٢)].

● وأخرج **أحمد** من حديث جُبير بن نُفير قال: كنّا معسكرين مع معاويةَ بعد قتل عثمان رضي الله عنه، فقام **كعب بن مرة**[(٣)] [البهزيّ] فقال: لولا شيءٌ سمعته[(٤)] من رسول الله ﷺ ما قمتُ [هذا] المقام، فلمّا سمع بذكر رسولِ اللهِ ﷺ أجلسَ الناس، فقال: بينما نحنُ عند رسولِ اللهِ ﷺ إذ مرَّ عثمانُ بنُ عفّان [عليه] مرجلاً قال: فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**لتخرجنَّ فتنةٌ من تحت قدمي، أو من بين رجلي، هذا يومئذٍ ومَنْ اتبعه على الهدى**»، قال: فقام ابن حوالة الأزدي من عند المنبر، فقال: إنك لصاحبُ هذا؟ قال: «**نعم**»، قال: والله إنِّي لحاضرٌ ذلك المجلس، ولو علمتُ أنَّ لي في الجيشِ مصدِّقاً كنتُ أوّلُ مَنْ تكلَّمَ به[(٥)].

---

(١) وقيل فيه: هو كعب بن مرة، ولكن قال أبو عمر: والصحيح: مرة بن كعب، توفي سنة ٥٧هـ، بالأردن، روى عنه عبد الله بن شقيق، وجبير بن نفير، وأسامة بن خريم. انظر: «أُسد الغابة» (٤/ ٣٧٣).

(٢) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٧٠٤).

(٣) في الأصل الفارسي زيادة: «أو مرة بن كعب».

(٤) في الأصل الفارسي: «لولا أني سمعت».

(٥) انظر: «مسند أحمد» برقم: (١٨٠٦٧).

ومن مسند أبي رمثة[1] رضي الله عنه

❁ حديثه في منزلة الشيخين رضي الله عنهما عند النبي ﷺ:

• أخرج **الحاكم** من حديث الأزرق بن قيس قال: صلَّى بنا إمامٌ لنا يكنى أبا رمثة، قال: صلَّيت هذه الصلاة، أو مثل هذه الصلاة مع رسول الله ﷺ، قال: وكان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يقومان في الصفِّ المقدَّمِ عن يمينه، وكان رجلٌ قد شهدَ التكبيرة الأولى من الصلاة، فصلَّى نبيُّ اللهِ ﷺ ثم سلَّمَ عن يمينه وعن يساره، حتّى رأينا بياضَ خدِّه، ثم انفتلَ كانفتالِ أبي رمثة؛ يعني: نفسه، فقامَ الرجلُ الذي أدركَ معه التكبيرةَ الأولى من الصلاةِ يشفعُ، فوثبَ إليه عمرُ، فأخذَ بمنكبه فهزَّهُ، ثم قال: اجلسْ، فإنّه لم يهلكْ أهلُ الكتابِ إلّا أنّه لم يكن بين صلاتهمْ فصل، فرفع النبيُّ ﷺ بصره، فقال: «**أصابَ اللهُ بِكَ يا ابنَ الخطّابِ**»[2].

ومن مسند نافع بن عبد الحارث[3] رضي الله عنه

❁ حديثه في البشارة لأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم بالجنة:

• [وهو] مثل حديث أبي موسى، أخرجَ **أحمدُ** من طريق وهيب،

---

(١) هو: أبو رمثة التيمي، من تيم بن عبد مناة بن أدّ، قال الترمذي: أبو رمثة التيمي اسمه حبيب بن وهب، وقد اختلف في اسم أبي رمثة كثيراً، فقيل: حبيب بن حيان، وقيل: حيان بن وهب. انظر: «أُسد الغابة» (٥/ ١١).

(٢) انظر: «المستدرك»، للحاكم (١/ ٤٠٣) رقم: (٣٢٣).

(٣) هو: نافع بن عبد الحارث بن حبالة بن عمير، ولنافع صحبةٌ وروايةٌ، واستعمله عمر بن الخطاب رضي الله عنه على مكة والطائف، وكان نافعٌ من فضلاء الصحابة وكبارهم، قيل: أسلم يوم الفتح، وأقام بمكة، ولم يهاجر، روى عنه أبو سلمة، وحميد، وأبو الطفيل. انظر: «أُسد الغابة» (٤/ ٥٢٤).

عن موسى بن عقبة قال: سمعت أبا سلمة يحدِّث ولا أعلمه إلا عن **نافع بن عبد الحارث**: أنّ رسولَ اللهِ ﷺ دخلَ حائطاً من حوائطِ المدينةِ، فجلسَ على قفّ البئر، فجاءَ أبو بكرٍ يستأذنُ، فقال: «**ائذن له وبشِّره بالجنةِ**»، ثم جاء عمر يستأذنُ، فقال: «**ائذن له**[1] **وبشِّره بالجنةِ**»، ثم جاء عثمانُ يستأذِنُ، فقال: «**ائذن له وبشِّره بالجنةِ، وسيلقَى بلاءً**»[2].

وأخرج **أحمد** عن يزيد بن هارون عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة قال: قال **نافع بن عبد الحارث**، فذكر نحوه[3].

ومن مسند جبير بن مطعم[4] رضي الله عنه

❁ حديثه في الدليل على خلافة أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه:

• أخرج **البخاري**، عن إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن محمد بن **جبير بن مطعم**، عن أبيه، قال: أتتِ امرأةٌ النبيَّ ﷺ فأمرها أن ترجعَ إليه، قالت: أرأيتَ إن جئتُ ولم أجدك؟ كأنّها تقولُ الموت، قال ﷺ: «**إن لم تجديني فأتي أبا بكرٍ**»[5].

---

(١) في الأصل الفارسي: «فأذن له» بدل «ائذن له».

(٢) انظر: «مسند أحمد» (٣/ ٤٠٨) رقم: (١٥٤١٢).

(٣) انظر: «مسند أحمد» (٣/ ٤٠٨) رقم: (١٥٤١١).

(٤) هو: أبو محمد جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل، وكان من حلماء قريش وساداتهم، وكان إسلامه بعد الحديبية، وقبل الفتح، وقيل: أسلم في الفتح، وروى عنه سليمان بن صرد، وعبد الرحمٰن بن أزهر، وابناه نافع ومحمد ابنا جبير، توفّي سنة ٥٧هـ، وقيل: سنة ٥٨هـ، وقيل: ٥٩هـ. انظر: «أُسد الغابة» (١/ ٣٢٣).

(٥) انظر: «صحيح البخاري» (ح: ٣٦٥٩).

ومن مسند عبد الله بن الزبير[١] رضي الله عنه

حديثه في فضل أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه:

• أخرج **البخاري** من طريق حماد بن زيد، عن أيوب، عن **عبد الله بن أبي مليكة** قال: كتب أهل الكوفة إلى ابن الزبير في الجدّ، فقال: أما الذي قال [فيه] رسول الله ﷺ: «**لو كنتُ متّخذاً من هذِهِ الأمةِ خليلاً لاتّخذته**»، أنزله أباً؛ يعني: أبا بكر[٢].

وحديثه في فضل عمر رضي الله عنه:

• أخرج **البخاري** من حديث نافع بن عمر عن **ابن أبي مليكة** قال: كاد الخيِّرانِ أن يهلكا ـ أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ـ رفعا أصواتهما عند النبيِّ ﷺ حين قدم عليه ركبُ بني تميم، فأشار أحدُهما بالأقرع بن حابس أخي بني مجاشع، وأشار الآخر برجل آخر ـ قال نافع: لا أحفظ اسمه[٣] ـ

---

(١) هو: أبو بكر عبد الله بن الزبير بن العوّام بن خويلد، وهو أول مولود ولد في الإسلام بعد الهجرة للمهاجرين، فحنَّكه رسول الله ﷺ بتمرة لاكها في فيه، وهاجرت أمه إلى المدينة وهي حامل به، وأمه أسماء بنت أبي بكر بن أبي قحافة ذات النطاقين، وجدته لأبيه: صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ، وقيل: حملت به بعد ذلك وولدته بالمدينة على رأس عشرين شهراً من الهجرة، وقيل: ولد في السنة الأولى، كان صوّاماً قوّاماً طويل الصلاة، وأحضره أبوه الزبير عند رسول الله ليبايعه وعمره سبع سنين أو ثماني سنين، وشهد الجمل مع أبيه مقاتلاً لعلي، بويع عبد الله بالخلافة بعد موت يزيد، وأطاعه أهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان، وجدّد عمارة الكعبة، وأدخل فيها الحجر، فلما قتل ابنُ الزبير أمر عبد الملك بن مروان أن تعاد عمارة الكعبة إلى ما كانت أولاً، ويخرج الحجر منها، ففعل ذلك، فهي هذه العمارة الباقية، وبقي ابنُ الزبير خليفةً إلى أن ولي عبد الملك بن مروان بعد أبيه، قتل في النصف من جمادى الآخرة من سنة ٧٣هـ. انظر: «أسد الغابة» (٣/ ١٣٨).

(٢) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٣٦٥٨).

(٣) اسم هذا الرجل الآخر: قعقاع بن معبد بن زرارة، كما في رواية البخاري الأخرى (ح: ٤٣٧٦).

فقال أبو بكر لعمر: ما أردتَ إلا خلافي، قال: ما أردتُ خلافكَ، فارتفعت أصواتُهما في ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ﴾ الآية [الحجرات: ٢]، قال ابن الزبير: فما كان عمرُ يُسْمِع رسولَ الله ﷺ بعد هذه الآية حتّى يستفهمه، ولم يذكر ذلك، عن أبيه؛ يعني: أبا بكر[(١)].

• وأخرج **البخاري** من طريق ابن جريج عن **ابن أبي مليكة** أن عبد الله بن الزبير أخبرهم أنه قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ، فذكر نحواً من الحديث المتقدّم[(٢)].

ومن مسند عبد الرحمٰن بن خبّاب السلمي[(٣)] رضي الله عنه

❁ حديثه في فضل عثمان رضي الله عنه:

• أخرج **أحمد** من حديث الوليد بن أبي هشام، عن فرقد أبي طلحة، عن **عبد الرحمٰن بن خباب السلمي** قال: خرج[(٤)] رسولُ اللهِ ﷺ فحثَّ[(٥)] على جيش العسرة، فقال عثمان بن عفان: عليّ مئةٌ بعيرٍ بأحلاسها وأقتابها، قال: ثم حثَّ، فقال عثمان: عليّ مئةٌ أخرى بأحلاسها وأقتابها، [قال:] ثم نزل مرقاةً من المنبر، ثم حثَّ، فقال عثمان بن عفان: عليّ مئة أخرى بأحلاسها وأقتابها، قال: فرأيتُ

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» (ح: ٤٨٤٥، ٧٣٠٢).

(٢) انظر: «صحيح البخاري» (ح: ٤٨٤٧).

(٣) هو: عبد الرحمٰن بن خباب السلمي، وقيل: إنه ابن خباب بن الأرتّ وليس بشيء يعدّ في البصريين. انظر: «أُسد الغابة» (٣/ ٣٣٧).

(٤) في الأصل الفارسي: «خطب»، وكذا في «مسند عبد حميد» رقم: (٣١١).

(٥) في الأصل الفارسي: «فحض» في المواضع كلها، وكذا في «مسند عبد حميد» رقم: (٣١١)، والحض: الحثُّ بقوة.

النبيَّ ﷺ يقول بيده هكذا يحرِّكها، وأخرج عبد الصمد يده كالمتعجِّب: «**ما على عثمانَ ما عَمِلَ بعدَ هذا**»[١].

ومن مسند عبد الرحمٰن بن سمرة القرشي[٢] رضي الله عنه

حديثه في فضل عثمان رضي الله عنه:

• أخرج الحاكم من طريق ابن شوذب، عن عبد الله بن القاسم، عن كثير مولى عبد الرحمٰن بن سمرة، عن **عبد الرحمٰن بن سمرة** قال: جاء عثمانُ رضي الله عنه إلى النبيِّ ﷺ بألفِ دينارٍ حين جهَّز جيشَ العسرة، ففرَّغها عثمانُ في حِجْرِ النبيِّ ﷺ، قال: فجعل النبيُّ ﷺ يقلِّبها ويقول: «**ما ضرَّ عثمانُ ما عَمِلَ بعدَ هذا اليوم**»، قالها مراراً[٣].

ومن مسند معاوية بن أبي سفيان[٤] رضي الله عنه

حديثه في خلافة قريش:

• أخرج **البخاري** من حديث شعيب عن الزهري قال: كان محمّد بن جبير بن مطعم يحدِّث أنه بلغَ معاوية وهو عنده في وفد من

---

(١) انظر: «مسند أحمد» برقم: (١٦٦٩٦).

(٢) هو: أبو سعيد عبد الرحمٰن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس، أسلم يوم الفتح، وصحب النبي ﷺ، وسكن البصرة، روى عنه الحسن، وابن سيرين، وعمار بن أبي عمار مولى بني هاشم، وسعيد بن المسيب، توفي بالبصرة سنة ٥٠هـ، وقيل: ٥١هـ. انظر: «أُسد الغابة» (٣/ ٣٥٠).

(٣) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ١١٠) رقم: (٤٥٥٣).

(٤) هو: أبو عبد الرحمٰن معاوية بن صخر بن أمية القرشي الأموي، وهو معاوية بن أبي سفيان، أسلم هو وأبوه وأخوه يزيد وأمه هند في الفتح، وشهد مع رسول الله ﷺ حُنيناً، وأعطاه من غنائم هوازن مئة بعير، وكان هو وأبوه من المؤلفة قلوبهم، وحسن إسلامهما، وكتب لرسول الله ﷺ، توفي معاوية النصف من رجب سنة ٦٠هـ، وهو ابن ٧٨ سنة، وقيل: ٨٦ سنة. انظر: «أُسد الغابة» (٤/ ٤٣٣).

قريش أنَّ عبد الله بن عمرو بن العاص يحدِّث أنه سيكونُ ملكٌ من قحطان، فغضبَ **[معاويةُ]**، فقامَ، فأثنى على اللهِ بما هو أهلُه، ثم قال: أمّا بعدُ، فإنّه بلغني أنَّ رجالاً منكم يتحدَّثون أحاديثَ ليست في كتابِ اللهِ تعالى، ولا تُؤثَرُ عن رسولِ اللهِ ﷺ، فأولئكَ جهَّالكم، فإيّاكم والأمانيَّ التي تُضِلُّ أهلَها، فإنِّي سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**إنَّ هذا الأمرَ في قريشٍ، لا يعاديهم أحدٌ إلّا كبَّه الله على وجهه ما أقاموا الدِّينَ**»[1].

❁ وحديثه في فضل الأحاديث التي كانت في زمن عمر رضي الله عنه:

أخرج **أحمد** عن عبد الرحمٰن بن مهدي عن معاوية بن صالح عن ربيعة بن يزيد عن عبد الله بن عامر اليحصبي قال: سمعت **معاوية** يحدِّثُ وهو يقول: إيَّاكم وأحاديثُ رسولِ اللهِ ﷺ إلّا حديثاً كان على عهد عمر، وإنَّ عمرَ رضي الله تعالى عنه [كان] أخافَ الناسَ في الله عز وجل، سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**مَنْ يُرِدِ الله به خَيْراً يفقِّهه في الدِّين**»، وسمعته يقول: «**إنَّما أنا خازنٌ، وإنّما يعطي اللهُ عز وجل، فمن أعطيتُه عطاءً عن طيب نفسٍ فهو أن يبارَكَ لأحدِكُم، ومن أعطيتُه عطاءً عن شرهٍ، وشره مسألة فهو كالآكلِ ولا يَشْبَعُ**»[2]، وسمعته يقول: «**لا تزالُ أمةٌ من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرّهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس**»[3].

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» (ح: ٣٥٠٠).

(٢) في الأصل الفارسي هكذا: «**إنما أنا قاسم، وإنما يعطي الله عز وجل، فمن أعطيته عطاءً بطيبِ نفسٍ فَقَمِنٌ أن يبارَكْ لأحدِكُم، ومن أعطيتهُ عطاءً بكراهيةِ نفسٍ، فهو كالذي يأكلُ ولا يشبعُ**».

(٣) انظر: «مسند أحمد» (٤/ ٩٩) رقم: (١٦٩١٢).

ومن مسند عمرو بن العاص[1] رضي الله عنه

۞ حديثه في فضل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما:

• أخرج **البخاري** من حديث أبي عثمان قال: حدَّثني **عمرو بن العاص** رضي الله عنه: أنّ النبيَّ ﷺ بعثه على جيشِ ذات السلاسل، فأتيتُه، فقلتُ: أيُّ الناسِ أحبُّ إليكَ؟ قال: «**عائشةُ**»، فقلتُ: من الرجالِ؟ فقال: «**أبوها**»، قلتُ: ثُمّ مَنْ؟ قال: «**عمر بن الخطّاب**»، فعدَّ رجالاً[2].

ومن مسند رجل من الصحابة

• أخرج **أبو يعلى** من حديث قَتَادَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ: **أَنَّ رَجُلاً** بِالْكُوفَةِ شَهِدَ أَنَّ عُثْمَانَ رضي الله عنه قُتِلَ شَهِيداً، فَأَخَذَتْهُ الزَّبَانِيَةُ، فَرَفَعُوهُ إِلَى عَلِيٍّ رضي الله عنه، وَقَالُوا: لَوْلا أَنْ تَنْهَانَا أَوْ نَهَيْتَنَا أَنْ لا نَقْتُلَ أَحَداً لَقَتَلْنَاهُ، هَذَا زَعَمَ أَنَّهُ يَشْهَدُ أَنَّ عُثْمَانَ رضي الله عنه قُتِلَ شَهِيداً، فَقَالَ الرَّجُلُ لِعَلِيٍّ رضي الله عنه: وَأَنْتَ تَشْهَدُ، أَتَذْكُرُ أَنِّي أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَسَأَلْتُهُ، فَأَعْطَانِي، وَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ رضي الله عنه فَسَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، وَأَتَيْتُ عُمَرَ رضي الله عنه فَسَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، وَأَتَيْتُ عُثْمَانَ رضي الله عنه فَسَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، قَالَ: فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ادْعُ اللهَ أَنْ يُبَارِكَ لِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**كَيْفَ لا يُبَارَكُ لَكَ**

---

(١) هو: أبو محمد عمرو بن العاص بن وائل القرشي السهمي، وهو الذي أرسلته قريش إلى النجاشي ليسلِّمَ إليهم مَنْ عنده من المسلمين، كان إسلامه في صفر سنة ٨هـ قبل الفتح بستة أشهر، استعمله رسول الله ﷺ على عُمان، فلم يزل عليها إلى أن توفي رسول الله ﷺ وهو أحدُ الحكمين، والقصة مشهورة، توفي بمصر سنة ٤٣هـ، وقيل: سنة ٤٦هـ، وقيل: سنة ٤٨هـ، والأول أصحّ، روى عنه ابنه عبد الله، وأبو عثمان النهدي، وقبيصة بن ذؤيب وغيرهم. انظر: «أُسد الغابة» (٣/ ٧٤١).

(٢) انظر: «صحيح البخاري» (ح: ٣٦٦٢).

وَأَعْطَاكَ نَبِيٌّ، وَصِدِّيقٌ، وَشَهِيدَانِ، وَأَعْطَاكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ، وَأَعْطَاكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ»(١).

ومن مسند رجل من الصحابة

❁ حديثه في رؤيا الوزن:

• أخرج **أحمد** عن الأسود بن هلال عن **رجل من قومه** أنه كان يقول في خلافة عمر بن الخطاب: لا يموتُ عثمان بن عفان حتّى يُستخلَفَ، قلنا: من أين تعلم ذلك؟ قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: **«رأيتُ الليلةَ في المنامِ كأن ثلاثةً من أصحابي وُزِنُوا، فَوُزِن أبو بكرٍ [فَوَزَن]، ثم وُزِنَ عمرُ [فَوَزَن]، ثم وُزِنَ عثمانُ فنقصَ(٢) وهو صالحٌ»**(٣).

ومن مسند عبد الله بن جعفر(٤) رضي الله عنه

❁ حديثه في الثناء على أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه:

• أخرج **الحاكم** من طريق يحيى بن سليم، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عن **عبد الله بن جعفر** رضي الله عنهما قال: وَلِينا أبو بكر، فكان خيرَ

---

(١) انظر: «مسند أبي يعلى» (٣/ ١٧٦) رقم: (١٦٠١).

(٢) في الأصل الفارسي زيادة: «صاحبنا».

(٣) انظر: «مسند أحمد» (٣٨/ ٢٤٧) رقم: (٢٣١٩٣).

(٤) هو: عبد الله بن جعفر ـ ذي الجناحين ـ بن أبي طالب بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، له صحبة، ولد بأرض الحبشة، وكان أبواه رضي الله عنهما هاجرا إليها، فولد هناك، وهو أول مولود ولد في الإسلام بأرض الحبشة، وروى عن النبيِّ ﷺ أحاديث، وروى عن أمه أسماء، وعمه علي بن أبي طالب، وتوفِّي رسول الله ﷺ ولعبد الله عشر سنين، وكان عبد الله كريماً جواداً حليماً، يسمّى بحر الجود، وتوفي سنة ٨٠هـ، عام الجُحاف بالمدينة، وفيه أقوال أخرى، قال المدائني: كان عمره ٩٠هـ. انظر: «أُسد الغابة» (٣/ ٩٤).

خليفةِ الله وأرحمَه بنا، وأَحْنَاهُ علينا[١].

ومن مسند جرير بن عبد الله البَجَلي[٢] رضي الله عنه

❁ حديثه في سبقة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما إلى الخير:

• أخرج **أحمد** من حديث شعبة، عن عون بن أبي جحيفة، عن المنذر بن **جرير، عن أبيه** قال: كنّا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار، قال: فجاءه قومٌ حفاةً عراةً، مجتابي النمار، أو العباء، متقلِّدي السيوف، عامّتُهم من مضر، بل كلُّهم من مضر، فتغيّر وجهُ رسولِ اللهِ ﷺ لِمَا رأى بهم من الفاقةِ، قال: فدخلَ، ثم خرجَ، فأمرَ بلالاً فأذَّن وأقامَ، فصلّى، ثم خطبَ، فقال: «﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ الآية [النساء: ١]، وقرأ الآية التي في الحشر: ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨]، **تصدَّقَ رجلٌ من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بُرِّه، من صاع تَمْرِه»** حتّى قال: **«ولو بشقّ تمرة»**، قال: فجاء رجل من الأنصار بصرّةٍ كادت كفَّه أن تعجَزَ[٣] عنها، بل قد عَجَزَتْ، ثم تتابعَ الناسُ حتّى رأيتُ كومين من طعامٍ وثيابٍ، حتّى رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ يتهلَّل وجهه؛ يعني: كأنه مذهبةٌ، فقال رسول الله ﷺ: **«مَنْ سَنَّ في الإسلامِ سُنَّةً حسنةً، فله أجرُها، وأجرُ مَنْ عَمِلَ بها بعده من غير أنْ يُنْتَقَصَ من أجورِهم شيءٌ، ومن سنَّ في**

---

(١) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ٨٤) رقم: (٤٤٦٨).

(٢) هو: جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك، وقيل: أبو عبد الله البجلي، أسلم جرير قبل وفاة النبي ﷺ بأربعين يوماً، وكان حسنَ الصورةِ، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: جريرُ يوسفُ هذه الأمة، وروى عنه بنوه عبيد الله، والمنذر، وإبراهيم، وروى عنه قيس بن أبي حازم، والشعبي، وغيرهم، وتوفِّي جرير سنة ٥١هـ، وقيل: سنة ٥٤هـ. انظر: «أُسد الغابة» (١/ ٣٣٣).

(٣) كذا في الأصل، وفي «مسند أحمد»: «كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ».

الإسلام سُنَّةً سيئةً كان عليه وِزرُها ووزرُ مَنْ عَمِلَ بها بعدَه من غير أن يُنْتَقَصَ من أوزارِهم شيءٌ»(١).

• وأخرج **أحمد** في هذه القصة من طريق عبد الرزاق، أنا معمر، عن قتادة، عن حُميد بن هلال، عن **جرير بن عبد الله**: أنّ رجلاً من الأنصار جاء إلى النبي ﷺ بصُرَّة من ذهب، تملأ ما بين أصابعه، فقال: هذه في سبيل الله، ثم قام أبو بكر رضي الله عنه، فأعطى، ثم قام عمر رضي الله عنه فأعطى، ثم قام المهاجرون فأعطوا، [قال]: فأشرقَ وجهُ رسولِ اللهِ ﷺ حتى رأيتُ الإشراقَ في وجنتيه، ثم قال: «**مَنْ سَنَّ سُنَّةً صالحةً في الإسلامِ**»، الحديث(٢).

❁ وقوله عن ذي عمرو: إنهم لا يزالوا بخير إذا كانت الخلافة بالإجماع دون السيف:

• أخرج **أحمد** من طريق إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن **جرير** في قصة: بعثني رسولُ اللهِ ﷺ إلى اليمن، فذكر القصة حتى قال: ثم لقيتُ ذا عمرو، فقال لي: يا جريرُ! إنّكم لن تزالوا بخيرٍ ما إذا هلكَ أميرٌ، ثم تأمَّرتم في آخر، فإذا كانت بالسيفِ، غضبتم غضب الملوكِ، ورضيتُم رضا الملوك(٣).

❁ وحديثه: أن الطلقاء من قريش ليسوا أكْفاء للمهاجرين في الدين:

• أخرج **أحمد** من طريق عاصم، عن أبي وائل، عن **جرير**، قال: قال رسول الله ﷺ: «**المهاجرون والأنصار أولياءُ بعضهم لبعضٍ، والطلقاءُ**

---

(١) انظر: «مسند أحمد» (٤/ ٣٥٨) برقم: (١٩١٩٧).
(٢) انظر: «مسند أحمد» (٤/ ٣٦٠) برقم: (١٩٢٠٦).
(٣) انظر: «مسند أحمد» (٤/ ٣٦٣) برقم: (١٩٢٢٤).

من قريشٍ، والعتقاءُ من ثقيف، بعضُهم أولياءُ بعضٍ إلى يوم القيامة»[١].

ومن مسند جندب بن عبد الله[٢] رضي الله عنه

❁ حديثه في خطبة النبي ﷺ بمناقب أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه:

• أخرج **مسلم** عن **جندب بن عبد الله** قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ قبل أن يموتَ بخمسٍ وهو يقول: **«إنِّي أبرأُ إلى اللهِ أن يكونَ لي منكم خليلٌ، فإنّ الله تعالى قد اتخذني خليلاً، كما اتخذ إبراهيمَ خليلاً، ولو كنتُ متّخذاً من أمتي خليلاً لاتخذتُ أبا بكرٍ خليلاً، ألا وإنّ مَنْ كان قبلَكم كانوا يتّخذون قبورَ أنبيائهم وصالِحيهم مساجدَ، ألا فلا تتخذوا القبورَ مساجدَ إنّي أنهاكم عن ذلك»**[٣].

ومن مسند محجن أو أبي محجن رضي الله عنه

❁ حديثه في الثناء على جماعة من الصحابة منهم الأربعة:

• أخرج **أبو عمر** من حديث عبد الحميد بن عبد الرحمٰن [أبو يحيى[٤]] ابن يحيى الحماني عن أبي سعيد مولى لحذيفة، عن شيخ من

---

(١) انظر: «مسند أحمد» (٤/ ٣٦٣) برقم: (١٩٢٣٥).

(٢) هو: أبو عبد الله، جندب بن عبد الله بن سفيان البجلي العلقي، له صحبة ليست بالقديمة، سكن الكوفة، ثم انتقل إلى البصرة، روى عنه من أهل البصرة: الحسن، ومحمد، وأنس ابنا سيرين، وأبو السوار العدوي، وغيرهم. انظر: «أُسد الغابة» (١/ ٣٦٠).

(٣) انظر: «صحيح مسلم» برقم: (٥٢٣).

(٤) هو: أبو محجن الثقفي، واسمه عمرو بن حبيب بن عمرو بن عمير بن عوف الثقفي، وقيل: اسمه مالك بن حبيب، وقيل: عبد الله بن حبيب، وقيل: اسمه كنية، أسلم حين أسلمت ثقيف سنة تسع في رمضان، روى عن النبي ﷺ وروى عنه أبو سعيد البقال، كان أبو محجن شاعراً حسن الشعر، ومن الشجعان المشهورين بالشجاعة في الجاهلية والإسلام، وكان كريماً جواداً، إلا أنه كان منهمكاً في الشرب، لا يتركه خوف حدّ =

الصحابة يقال له: **أبو محجن** [أو محجن] بن فلان، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنّ أرأف أُمّتي بأُمّتي أبو بكر، وأقواها في أمر [دينِ] اللهِ عمرُ، وأصدقُها حياءً عثمانُ، وأقضاها عليٌّ، وأقرؤها أُبيٌّ، وأفرضُها زيدٌ، وأعلمُهم بالحلالِ والحرام معاذُ بن جبل، ولكلِّ أمةٍ أمينٌ، وأمينُ هذه الأمةِ أبو عبيدةَ بنُ الجرّاح**»[1].

• وقال **أبو عمر** في ترجمة أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه: وقال فيه **أبو محجن** الثقفي[2]:

وسُمِّيتَ صِدّيقاً وكُلُّ مهاجرٍ ... سواكَ يُسمَّىٰ باسمِهِ غير مُنَكَّرِ
سبقتَ إلى الإسلامِ، واللَّهُ شاهدٌ ... وكنتَ جليساً بالعريشِ المُشَهَّرِ
وبالغارِ إذ سُمِّيتَ بالغارِ صاحباً ... وكنتَ رفيقاً للنبيِّ المُطَهَّرِ[3]

ومن مسند زرارة بن عمرو النخعي[4] والد عمرو بن زرارة رضي الله عنه

❁ حديثه في رؤيا تدلّ على أن عثمان رضي الله عنه على الحق:

• قال **أبو عمر** تعليقاً: [**والد عمرو بن زرارة**] قدم على النبيِّ ﷺ في وَفْدِ النَّخْعِ، فقال: يا رسول الله، إنِّي رأيتُ في طريقي رؤيا هالتني، قال: «**وما هي؟**» قال: رأيتُ أتاناً خلفتُها في أهلي، ولدت جدياً أسفعَ

= ولا لوم، وجلده عمر مراراً سبعاً أو ثمانياً. انظر للتفصيل: «أُسد الغابة» (٥/ ٢٧٦).

(١) زيادة على الأصل الفارسي.

(٢) انظر: خطبة «الاستيعاب» (١/ ٦).

(٣) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٢٩٥) رقم الترجمة: (١٦٣٣).

(٤) هو: زرارة بن عمرو النخعي، والد عمرو بن زرارة، قدم على النبي ﷺ من اليمن في النصف من المحرم سنة ١١هـ، وقال أبو عمر: بل كان قدومه في نصف رجب سنة ٩هـ، كان آخرَ مَنْ قدم من الوفود إلى رسول الله ﷺ وفد النخع، وقدموا من اليمن للنصف من المحرم سنة ١١هـ، وهم مائتا رجل، وقد كانوا بايعوا معاذ بن جبل باليمن، وكان فيهم زرارة بن عمرو. انظر: «الإصابة» (١/ ٥٤٧)، و«أُسد الغابة» (٢/ ١٠٢).

أحوى، ورأيتُ ناراً خرجت من الأرض، فحالتْ بيني وبين ابنٍ لي يقال له: عمرو، وهي تقول: لظى لظى بصيرٌ وأعمى، فقال النبيُّ ﷺ: «**خلفتَ في أهلكَ أَمَةً مُسِرَّةً حملاً؟**» قال: نعم، قال: «**فإنَّها قد ولدتْ غلاماً وهو ابنُكَ**»، قال: فأنّى له أسفع أحوى؟[١]، فقال: «**ادنُ منِّي، أبكَ برصٌ تكتمُه؟**» قال: والذي بعثك بالحقِّ ما علمَه أحدٌ قبلك، قال: «**فهو ذاكَ، وأمّا النارُ، فإنّها فتنةٌ تكون بعدي**»، قال: وما الفتنةُ يا رسول الله؟ قال: «**يقتلُ الناسُ إمامَهم، ويشتجرونَ اشتجارَ أطباقِ الرأسِ**»، وخالف بين أصابعه، «**دمُ المؤمنِ عندَ المؤمنِ أحلى من العَسَلِ**[٢]**، يحسَبُ المسيءُ أنّه مُحْسِنٌ، إنْ مِتَّ أدركتِ ابنَك، وإنْ ماتَ ابنُكَ أدركتْكَ**»، قال: فادعُ الله ألا تدركني، فدعا له[٣].

ومن مسند سعيد بن المسيب[٤] رحمه الله مرسلاً

❁ حديثه في فضل أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه:

● أخرج **الحاكم** من حديث ربيعة بن أبي عبد الرحمٰن عن **سعيد بن المسيب** قال: كان أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه من النبيِّ ﷺ مكانَ الوزيرِ، فكان يشاوره في جميع أمورِه، وكان ثانيه في الإسلام، وكان ثانيه في

---

(١) وقع «الواو» في الأصل الفارسي بين «أسفع أحوى».

(٢) وقع في الأصل الفارسي: «من الماء».

(٣) انظر: «الاستيعاب» (١/ ١٥٣) رقم الترجمة: (٨١١)، وقد أخرجه ابن حجر العسقلاني في «الإصابة في معرفة الصحابة» (١/ ٣٨١)، و«الوافي بالوفيات» (٤/ ٤٧٧).

(٤) هو: الإمام، شيخ الإسلام، فقيه المدينة، أبو محمد، المخزومي، أجلّ التابعين، ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر، وسمع من عمر شيئاً وهو يخطب، وسمع من عثمان، وزيد بن ثابت، وعائشة، وسعد، وأبي هريرة رضي الله عنهم، وكان واسع العلم، وافر الحرمة، متين الديانة، قوّالاً بالحق، فقيه النفس، قال علي بن المديني: لا أعلم في التابعين أوسع علماً من سعيد، وهو عندي أجلّ التابعين، قد اختلفوا في وفاته على أقوال، أقواها سنة ٩٤هـ. انظر: «تذكرة الحفاظ» (١/ ٥٤).

الغارِ، وكان ثانيه في العريش يومَ بدرٍ، وكان ثانيه في القبرِ، ولم يكن رسولُ اللهِ ﷺ يقدِّمُ عليه أحداً[١].

قال **أبو عمر** في ترجمة أبي بكر الصدِّيق تعليقاً: قال رسول الله ﷺ لبعضِ مَنْ لم يشهدْ بدراً ـ وقد رآه يمشي بين يدي أبي بكر ـ: «**تَمْشِي بينَ يدي مَنْ هُوَ خيرٌ مِنْكَ**»[٢].

مسند عبد الله بن حنطب[٣] رحمه الله مرسلاً

❁ حديثه في فضيلة الشيخين رضي الله عنهما:

• أخرج **الترمذي والحاكم** من حديث عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الْمُطَّلِبِ[٤]، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ **عَبْدِ اللهِ بْنِ حَنْطَبٍ** أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَأَى أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقَالَ: «**هَذَانِ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ**»[٥].

قول محمد بن سيرين[٦] رحمه الله

• أخرج **الترمذي** من طريق حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ

(١) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ٦٦) برقم: (٤٤٠٨).

(٢) انظر: خطبة «الاستيعاب» (١/ ٦).

(٣) هو: عبد الله بن حنطب بن الحارث بن عبيد القرشي المخزومي، قال الترمذي: عبد الله بن حنطب لم يدركِ النبيَّ ﷺ. انظر: «أُسد الغابة» (٣/ ١١٤).

(٤) في الأصل الفارسي: «عبد المطلب»، وهو خطأ.

(٥) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٦٧١).

(٦) هو: أبو بكر مولى أنس بن مالك، وأصل سيرين من جرجرايا، قال أنس بن سيرين: ولد أخي لسنتين بقيتا من خلافة عثمان، وولدت بعده بسنة، سمع أبا هريرة، وعمران بن حصين، وابن عباس، وابن عمر، وعنه أيوب، وابن عون، وقرة بن خالد، وأبو هلال وغيرهم، وكان فقيهاً، إماماً، غزيرَ العلمِ، ثقةً، ثبتاً، علامةً في التعبير، رأساً في الورع، وأمه صفية مولاة لأبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه، توفِّي بعد الحسن البصري بمئة يوم في شوال سنة ١١٠هـ، وهو أثبتُ من الحسنِ رحمة الله عليهما. انظر: «تذكرة الحفاظ» (١/ ٧٧).

مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ قَالَ: مَا أَظُنُّ رَجُلاً يَنْتَقِصُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ يُحِبُّ النَّبِيَّ ﷺ[١].

❊ ❊ ❊

(١) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٦٨٥).




ذكر شيء من أقوال السادة الأشراف

❁ **قول الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما:**

أخرجَ أبو يعلى من طريقِ أبي مريم رضيعِ الجارودِ، قال: كنتُ بالكوفة، فقام **الحسن بن علي** خطيباً، فقال: أيُّها الناسُ! رأيتُ البارحةَ في منامي عجباً! رأيتُ الربّ تعالى فوق عرشه، فجاء رسولُ اللهِ ﷺ حتّى قامَ عندَ قائمةٍ من قوائم العرش، فجاء أبو بكر، فوضعَ يده على منكبِ رسولِ اللهِ، ثم جاء عمرُ، فوضعَ يده على منكبِ أبي بكرٍ، ثم جاءَ عثمانُ فكان نبذةً[1]، فقال: ربِّ سَلْ عبادَكَ فيم قتلوني؟ قال: فانثعبَ من السماءِ ميزابانِ من دم في الأرض، قال: فقيلَ لعليٍّ: ألا ترى ما يحدِّثُ به الحسن؟ قال: يحدِّث بما رأى[2].

• وأخرج **أبو يعلى** من طريق آخر عن **الحسن بن علي**، قال: لا أقاتلُ بعد رؤيا رأيتها، رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ واضعاً يدَه على العرش، ورأيتُ أبا بكر واضعاً يده على النبي ﷺ، ورأيتُ عمرَ واضعاً يده على أبي بكر، ورأيتُ عثمانَ واضعاً يده على عمر، ورأيتُ دماءً دونهم، فقلتُ: ما هذه الدماءُ؟ قيل: دماءُ عثمان يطلبُ الله به[3].

• وذكر **المحب الطبري** عن ابن السمان، أنّه أخرج في كتابه عن

(١) في الأصل الفارسي: «كان بيده رأسه»، وقد ذكر ذلك ابن عساكر في «تاريخه» (٣٩/ ٤٨٦) بالإسناد إلى ابن حمدان.

(٢) انظر: «مسند أبي يعلى» (١٢/ ١٣٧) برقم: (٦٧٦٧).

(٣) انظر: «مسند أبي يعلى» (١٢/ ١٣٨) برقم: (٦٧٦٨).

الحسن بن علي قال: لا أعلمُ عليّاً خالفَ عمرَ، ولا غيّر شيئاً ممَّا صنع حينَ قدمَ الكوفة[١].

❁ شهادةُ عليٍّ بعدلِ عمر:

وذُكِر أيضاً عنه في كتاب «**الموافقة**» أنّه أخرجَ عن أبي جعفر قال: بينما عمرُ يمشي في طريق من طرق المدينة إذ لقيه عليٌّ ومعه الحسنُ والحسين رضي الله عنهما، فسلَّم عليه عليّ، وأخذ بيده، فاكتنفاهما الحسنُ والحسينُ عن يمينهما وشمالهما، قال: فعرضَ لعمر من البكاءِ ما كانَ يعرضُ له، فقال له علي: ما يبكيكَ يا أميرَ المؤمنين؟ قال عمرُ: ومن أحقُّ منِّي بالبكاءِ يا عليُّ! وقد وليتُ أمرَ هذه الأمة، أحكمُ فيها ولا أدري أمسيءٌ أنا أم محسنٌ؟ فقال له علي: واللهِ إنّكَ لتعدِلُ في كذا، وتعدِلُ في كذا، قال: فما منعه ذلك من البكاء، ثم تكلَّمَ الحسنُ بما شاء الله، فذكر من ولايتِهِ وعدلِهِ، فلم يمنعه ذلك، فتكلَّم الحسينُ بمثل كلامِ الحسنِ، فانقطعَ بكاؤه عندَ انقطاعِ كلامِ الحسين، فقال: أتشهدانِ بذلك يا ابنا أخي؟ فسكتا، فنظرَ إلى أبيهما، فقال علي: اشهدا، وأنا معكما شهيدٌ[٢].

قول أولاد الحسن بن علي[٣] رضي الله عنه

....

(١) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٨٨). (٢) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٧٧).

(٣) هو: أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، سبط النبي ﷺ، وأمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ سيدة نساء العالمين، وهو سيد شباب أهل الجنة، وريحانة النبيِّ وشبيهه، روى عنه: عائشة، والشعبي، وسويد بن غفلة، وشقيق بن سلمة، ومحمد بن سيرين وغيرهم، كان حليماً، كريماً، ورعاً، دعاه ورعه وفضله إلى أَنْ تركَ الملك والدنيا، وكان من المبادرين إلى نصرة عثمان بن عفان، =

❁ فضيلة الشيخين:

• أخرج **عبد الله بن أحمد** في «زوائد المسند» عن **الحسن بن زيد** بن حسن قال: حدَّثني أبي، عن أبيه، عن علي رضي الله عنه قال: كنتُ عند النبيِّ ﷺ، فأقبل أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فقال: «**يا عليُّ! هذان سيدا كهولِ أهلِ الجنّةِ وشبابِها بعدَ النبيينَ والمرسلينَ**»[1].

• وذكر **المحب الطبري** عن **عبد الله بن الحسن** بن علي بن أبي طالب، عن عبد الله، وقد سُئِلَ عن أبي بكر وعمر، فقال أفضِّلهما، وأستغفرُ لهما، فقيل له: لعلَّ هذه تقيةٌ، وفي نفسِكَ خلافُه، فقال: لا نالتني شفاعةُ محمّدٍ ﷺ إنْ كنتُ أقولُ خلافَ ما في نفسي[2].

• وعنه وقد سئل عنهما، فقال: صلّى اللهُ عليهما وسلّم، ولا صلَّى على مَنْ لم يصلِّ عليهما[3].

❁ لم يستخلف النبي ﷺ عليّاً رضي الله عنه:

• وروي عن **الحسن** المثلث أخي عبد الله المذكور، أنّه قال لرجل ممن يغلو فيهم: وَيحَكُمْ أحِبُّونا بالله، فإن أطعنا الله فأحِبُّونا، وإن عصينا الله فأبغضونا.

فقال له رجلٌ: إنّكم ذوو قرابة من رسولِ اللهِ ﷺ وأهلِ بيته.

فقال: ويحكم، لو كانَ اللهُ نافعاً بقرابةِ رسول الله ﷺ بغير عملٍ

= ولي الخلافة بعد قتل أبيه، وبقي نحو سبعة أشهر خليفةً بالعراق، ثم سلّم الأمر إلى معاوية، على أن تكون له الخلافة بعده، فأجابه معاوية إلى ما طلب، وقد اختُلِفَ في وقت وفاته فقيل: توفِّي سنة ٤٩هـ، وقيل: ٥٠هـ، وقيل: ٥١هـ. انظر: «أُسد الغابة» (١/ ٤٨٧).

(١) انظر: «مسند أحمد» (١/ ٨٠) برقم: (٦٠٢).

(٢) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ٢٨). (٣) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ٢٨).

بطاعته لنفعَ بذلك مَنْ هو أقربُ إليه منّا أباه وأمه، واللهِ إنِّي أخافُ أن يضاعِفَ اللهُ للعاصي منَّا العذابَ ضعفينِ، واللهِ إنِّي لأرجو أن يؤتي المحسنَ منا أجرَه مرتين.

قال: ثم قال: لقد أساء بنا آباؤنا وأمهاتنا إن كان ما يقولونَ مِنْ دينِ اللهِ، ثم لم يخبرونا به، ولم يطلعونا عليه، ولم يرغّبونا فيه، ونحن كُنّا أَقربُ منهم قرابةً منكم، وأوجبُ عليهم، وأحقُّ أن يرغّبونا فيه منكم، ولو كان الأمر كما يقولون: إنَّ الله جلَّ وعلا ورسولَه ﷺ اختارا عليّاً لهذا الأمر، وللقيام على الناس بعده، فإنَّ عليّاً أعظمَ الناسِ خطيئةً وجُرْماً إذ تركَ أمرَ رسولِ اللهِ ﷺ أن يقومَ فيه كما أمره، ويعذر إلى الناس، فقال له الرافضيُّ: ألم يقل النبيُّ ﷺ لعليٍّ: «**مَنْ كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه**» فقال: أما واللهِ لو يعني: رسول الله ﷺ بذلك الأمرَ والسلطانَ والقيامَ على الناس لأفصحَ به، كما أفصحَ بالصلاةِ والزكاةِ والصوم والحجِّ، ولقال: أيها الناس إنَّ هذا لوليٌّ بعدي، فاسمعوا وأطيعوا[1].

ومن قول أولاد الحسين[2] رضي الله عنهم

❁ فضيلة الشيخين:

● أما **مرفوعاً**: فقد أخرج **الترمذي** عن الزهري عن علي بن

---

(١) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ٢٨).

(٢) هو: أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، ريحانةُ النبيِّ ﷺ، وشبهه من الصدر إلى ما أسفل منه، ولمّا ولد، أذَّن النبي ﷺ في أذنه، وهو سيد شباب أهل الجنة، وأمُّهُ فاطمةُ بنت رسول الله ﷺ، حجّ الحسين خمساً وعشرين حجةً ماشياً، وجميع ما عاش بعد مفارقة العراق تسع عشرة سنة، فإنّه عاد إلى المدينة من العراق سنة ٤١هـ، وقتل أول سنة ٦١هـ، وكان الحسينُ كارهاً لما فعله أخوه الحسن من تسليم الأمر إلى معاوية، وقُتِلَ يومَ الجمعة وقيل: يوم السبت، وهو يوم عاشوراء من سنة ٦١هـ، بكربلاء من أرض العراق. انظر: «أُسد الغابة» (١/ ٤٩٥).

الحسين عن **علي بن أبي طالب** قال: كنتُ مع رسولِ اللهِ ﷺ إذ طلعَ أبو بكرٍ وعمرَ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**هذان سيدا كهولِ أهلِ الجنّةِ من الأولينَ والآخرينَ إلا النبيينَ والمرسلينَ، يا عليُّ! لا تُخْبِرْهُما**»[1].

منزلة الشيخين عند النبي ﷺ:

• وأما **موقوفاً**: فقد أخرج **أحمد** في مسند ذي اليدين رضي الله عنه عن ابن أبي حازم قال: جاء رجل إلى **علي بن حُسين**، فقال: ما كانَ منزلةُ أبي بكرٍ وعمرَ من النبيِّ ﷺ؟ فقال: منزلتُهما الساعة[2].

ثناء علي على عمر:

• وأخرج **الحاكم** من طريق عبد الله بن عمر بن أبان قال: حدثنا سفيان بن عُيينة، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن **علياً** دخل على عمر وهو مسجًّى، فقال: صلَّى الله عليك، ثم قال: ما مِنَ الناس أحدٌ أحبُّ إليَّ أنْ ألقى الله بما في صحيفتِهِ مِنْ هذا المسجّى[3].

• وأخرج **محمد** بن الحسن، عن أبي حنيفة قال: حدثنا أبو جعفر **محمد بن علي** قال: جاء علي بن أبي طالب إلى عمر بن الخطاب حين طُعِنَ، فقال: رحمكَ الله، فواللهِ ما في الأرضِ أحدٌ كنتُ ألقى الله بصحيفته أحبُّ إليَّ منك[4].

---

(١) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٦٦٥).

(٢) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٦٦٥).

(٣) انظر: «المستدرك» للحاكم (٣/ ١٠٠) برقم: (٤٥٢٣).

(٤) انظر: «كتاب الآثار» لمحمد بن الحسن الشيباني (ص١٩١) برقم: (٨٦٩) و«كتاب الآثار» لأبي يوسف (٢/ ٤٧٩).

❁ الشيخان إماما عدل:

• وروي عن ابن أبي حفصة قال: سألت محمد بن علي وجعفر بن محمد عن أبي بكر وعمر، فقال: إماما عدلٍ، نتولّاهما، ونتبرّأُ مِنْ عدِّوهما، ثم التفتَ إليّ جعفر بن محمد، فقال: يا سالمُ! أيسبُّ الرجلُ جدَّه، أبو بكر الصدِّيق جدّي، لا نالتني[1] شفاعةُ جدِّي محمد، إن لم أكن أتولَّاهما، وأتبرَّأُ من عدوِّهما[2].

❁ ثناء الإمام الباقر على الشيخين:

• وعن **أبي جعفر** أنه قال: مَنْ جهل فضل أبي بكر وعمر جهل السُّنَّة[3].

• **وعنه** وقد قيل له: ما ترى في أبي بكر وعمر؟ فقال: إنِّي أتولّاهما، وأستغفر لهما، وما رأيتُ أحداً من أهل بيتي إلّا وهو يتولَّاهما[4].

• **وعنه** وقد سُئِلَ عن قومٍ يسبّون أبا بكر وعمر فقال: أولئك المُرّاقُ[5].

• **وعنه** قال: من شكَّ فيهما كمن شكَّ في السُّنَّةِ، وبغضُ أبي بكر وعمر نفاقٌ، وبغضُ الأنصارِ نفاقٌ، إنه كان بين بني هاشم وبين بني عدي وبني تيم شحناءُ في الجاهلية، فلمّا أسلموا تحابُّوا، ونزع الله ذلك من قلوبهم، حتى إنّ أبا بكر اشتكى خاصرته، فكان علي يسخِّنُ يده بالنار، ويضمد بها خاصرةَ أبي بكر[6]، فنزلت فيهم هذه الآية: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر].

---

(١) في الأصل الفارسي: «لا تنالني».
(٢) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ٢٧).
(٣) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ٢٧).
(٤) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ٢٧).
(٥) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ٢٧).
(٦) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ٢٧).

فذلكة الفصل[(١)]

وذلك ينحصر على تمهيد ومقدمة، وهي أنَّ شرائع الملَّة المحمدية ـ على صاحبها الصلاة والسلام ـ على قسمين:

القسم الأول: الذي قد أزيل فيه الحجابُ عن الحقيقة؛ يعني: أن الشريعة قد بيَّنتها بياناً واضحاً، وثبت تكليف الناس بها، فمن خالفها بعد وضوحها مستدلّاً بشبهات واهية لا يُعذر هو ولا من اتبعه فيه عند الله، وهذه الأحكام هي مدار الشريعة في الحقيقة، وكون الرجل سُنِّيّاً أو مبتدعاً منوط بتلك الأحكام، مَنْ قَبِلَها فهو سُنِّيٌّ، ومن أعرضَ عنها فهو مبتدع، ويصدق عليها قوله ﷺ: «**عندكم مِنَ اللهِ فيه برهانٌ**»[(٢)]، وهي مستنبطةٌ من صريح الكتاب أو السُّنَّة المشهورة أو إجماع الطبقة الأولى أو القياس الجلي على الكتاب والسُّنَّة، فإذا ثبت حكمٌ من هذا الوجه لا يبقى للخلاف مجالٌ فيه، ولا يُعْذَرُ من خالفه.

مثاله: إنكار الزكاة، إذ إن الصحابة تذاكروا بعد وفاة النبي ﷺ حول هذه المسألة، وأخيراً رجعوا إلى قول أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه وأجمعوا عليه، وقاتلوا منكري الزكاة[(٣)]، والقدريةُ والمرجئةُ والخوارج والروافض في هذه المنزلة نفسها، وجاءت أحاديث صحيحة في ذمّ هذه الفرق الأربع وتشنيعهم.

---

(١) أي: خلاصة الفصل.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٧٠٥٦)، ومسلم في «صحيحه» برقم: (١٧٠٩).

(٣) اعلم أن الإمام الخطابي أجاد الكلام في منكري الزكاة قال: إن أهل الردة كانوا صنفين: صنف منهم ارتدوا عن الدين، وعادوا إلى الكفر، والصنف الآخر: هم الذين أنكروا فرض الزكاة ووجوب أدائها إلى الإمام، وهؤلاء على الحقيقة أهل بغي. انظر: «لامع الدراري» (٦/٥ ـ ٧)

والقسم الثاني: أنّ الحجاب لم يُكْشَفْ عن وجه الحقيقة، ولم يتحقَّق تكليفُ الناس بها على سبيل الوضوح، بل تحتجبُ الحقيقةُ في هذه المسألةِ لاختلافِ الأدلَّة، وعدم شيوع الأحاديث، أو لم يُوجد دليلٌ صريحٌ فيها، ولذلك ذهبت الاستنباطات والأقيسة إلى مذاهب شتَّى، وهذا القسمُ هو من الأمور المجتهَدِ فيها، قالت جماعةٌ من العلماء: كلُّ مجتهدٍ مصيبٌ، وقالت جماعة أخرى: المصيب واحدٌ، والآخر معذورٌ.

نوعية اختلاف مذاهب فقهاء أهل السُّنَّة:

والتحقيق عند هذا الفقير أنّ فيه تفصيلاً، وهو أنّه إذا بلغ أحدَهم خبرُ الواحد الثقة من طريق صحيح دون الآخر، فالأول مصيبٌ، والآخر معذور، وإذا كان منشأ الاختلاف تعدّد طرق الجمع بين الدليلين، أو قياسٌ خفي، فكلٌّ مصيب، حيث إنَّ المقصد الأصلي هو موافقةُ الشارع وامتثالُ أمره، وكلٌّ من المجتهدينِ وافقَ الشرع، ومن قبيل هذا اختلافُ فقهاء أهل السُّنَّة في مذاهبهم، فاجتهاداتهم مقبولة.

ثبوت القرشية للخلفاء الراشدين وسوابقهم الإسلامية والبشارة لهم بالجنة والفضائل الأخرى من الأحكام الصريحة الواضحة:

والغرض في هذا الفصل بل في هذه الفصول كلّها بيان أنّ ثبوت القرشية للخلفاء الراشدين، والسوابق الإسلامية لهم، والبشارة لهم بالجنة وغيرِها من الفضائل داخلةٌ في القسم الأول، وقامت حجةُ الله على المنكرين لهم، ولم تعذرهم شبهاتُهم الركيكة عند الله، والمنكرون لهم مبتدعون، مبتعدون عن الحق، وقد طردهم برهانُ اللهِ عن بساط المحمديين ـ على متبوعهم أفضل الصلوات وأيمن التحيات ـ مذمومين مدحورين، وبدعتهم هذه بدعةٌ مكفِّرةٌ عند البعض، ومفسِّقة ـ أشدّ الفسقِ ـ عند الآخرين.

❁ ثبوت خلافة الخلفاء في الشريعة:

ثم إنَّ اشتراط القرشية وسائر الخصال السبع المذكورة في الخلافة الخاصة ثابتٌ بالآيات والأحاديث الصحيحة وآثار الصحابة، ثم ثبتت خلافةُ الخلفاء في الشريعة، وسلك الصحابةُ والتابعون في إثباتها مسالك متعددة، ولكلِّ مسلكٍ دليلٌ على حقيقة الخلافة: إمّا قطعي وإمّا ظنِّي.

إذا تأمَّلنا هذه الدلائل كلّها صارت متواترةً بالمعنى، وإذا اعتضدت بعمومات الآيات والإشارات والقرائن الأخرى أفادت القطعَ في هذا الباب.

نقول بعد تمهيد هذه المقدمة:

إنّ قرشيةَ الخلفاء وسوابقَهم الإسلامية وكونَهم من المهاجرين الأولين، وشهودَهم بدراً والحديبية وسائر مشاهد الخير قطعيُّ الثبوت، ولا مجال للإنكار فيه للمخالف، وبسط الكلام فيه شبيه باللغو.

ومع هذا سنذكر شيئاً من مباحث مآثرهم بأبلغ الوجوه، إلا أنَّ عثمان ذا النورين ﷺ لم يشهد بدراً وبيعة الرضوان، وعليّاً المرتضى لم يشهد تبوك، ولكنّهما في حكم الشاهدينِ كما سيأتي.

❁ الدلائل على شرط القرشية للإمام:

أمّا شرط القرشية للخلافة الاختيارية فهو ثابتٌ بأحاديث كثيرة، وليس الكلامُ في الخلافة الضرورية.

• فمن هذه الأحاديث حديث سيدنا أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه مرفوعاً: **«الأئمة من قريش»**[1]، وموقوفاً: **«ولن يعرفَ العربُ هذا الأمرَ**

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٨٥) برقم: (٦٩٦٢)، والنسائي في «الكبرى» (٣/ ٤٦٢) برقم: (٥٩٤٢).

إلّا لهذا الحيّ من قريشٍ، هم أوسطُ العربِ داراً»[١].

ومنها: حديث **عثمان ذي النورين** رضي الله عنه وسعد بن أبي وقاص مرفوعاً: «**مَنْ أرادَ هوانَ قريشٍ أهانه الله**»[٢].

ومنها: حديثُ **عليٍّ المرتضى** مرفوعاً: «**أَلا إِنَّ الأُمَرَاءَ مِنْ قُرَيْشٍ مَا أَقَامُوا بِثَلاثٍ: مَا حَكَمُوا فَعَدَلُوا، وَمَا عَاهَدُوا فَوَفَوْا، وَمَا اسْتُرْحِمُوا فَرَحِمُوا**»[٣].

ومنها: حديث **ابن عمر** مرفوعاً: «**لَا يَزَالُ هَذَا الأَمْرُ فِي قُرَيْشٍ مَا بَقِيَ فِي النَّاسِ اثْنَانِ**»[٤].

● وحديث **ابن عباس** مرفوعاً: [قال: قال رسول الله ﷺ:] «**اللَّهُمَّ أذقت أول قريش نكالاً، فأذق آخرهم نوالاً**» أخرجه الترمذي[٥].

وحديث **أبي موسى** مرفوعاً: «**إِنَّ هَذَا الأَمْرَ فِي قُرَيْشٍ مَا دَامُوا إِذَا اسْتُرْحِمُوا رَحِمُوا...**» إلخ[٦].

● وحديث **أبي هريرة** مرفوعاً: «**النَّاسُ تَبَعٌ لِقُرَيْشٍ فِي هَذَا الشَّأْنِ، مُسْلِمُهُمْ [تَبَعٌ] لِمُسْلِمِهِمْ، وَكَافِرُهُمْ [تَبَعٌ] لِكَافِرِهِم**»[٧].

● وأيضاً حديث **أبي هريرة** مرفوعاً: «**وَإِنَّ لِقُرَيْشٍ عَلَيْكُمْ حَقّاً مَا حَكَمُوا فَعَدَلُوا، وَأُتْمِنُوا فَأَدَّوْا، وَاسْتُرْحِمُوا فَرَحِمُوا**»[٨].

---

(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٢/ ١٤٥) برقم: (٤١٣).

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٩/ ٣).

(٣) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (١/ ٤٢٥) برقم: (٥٦٤).

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم: (٦١٢١).

(٥) في «سننه» برقم: (٣٩٠٨).

(٦) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم: (١٩٥٤١).

(٧) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٣٤٩٥).

(٨) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم: (٧٦٥٣).

• وأيضاً حديث **أبي هريرة** مرفوعاً: **«الْمُلْكُ فِي قُرَيْشٍ، وَالْقَضَاءُ فِي الأَنْصَارِ، وَالأَذَانُ فِي الْحَبَشَةِ، وَالأَمَانَةُ فِي الأَزْدِ»**[١].

• وحديث **جابر** مرفوعاً: **«الناسُ تبعٌ لقريشٍ في الخَيْرِ والشَّرِّ»**[٢].

• وحديث **أنس** مرفوعاً: **«الأئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ، إِنَّ لَهُمْ عَلَيْكُمْ حَقّاً، وَلَكُمْ عَلَيْهِمْ حَقّاً مِثْلَ ذَلِكَ، مَا إِنْ اسْتُرْحِمُوا فَرَحِمُوا، وَإِنْ عَاهَدُوا وَفَوْا، وَإِنْ حَكَمُوا عَدَلُوا، فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْهُمْ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»**[٣].

• وحديث **أبي برزة الأسلمي** مرفوعاً: **«الأُمَرَاءُ مِنْ قُرَيْشٍ، لكم عَلَيْهِمْ حَقٌّ، وَلَهُمْ عَلَيْكُمْ حَقٌّ مَا فَعَلُوا ثَلاثاً»**[٤]. كمثل حديث أنس، وحديث ذي مخمر: **«كَانَ هَذَا الأَمْرُ فِي حِمْيَرَ، فَنَزَعَهُ اللهُ ﷻ مِنْهُمْ، فَجَعَلَهُ فِي قُرَيْشٍ...»** إلخ[٥].

• وحديث **معاوية بن أبي سفيان** مرفوعاً: **«إِنَّ هَذَا الأَمْرَ في قُرَيْشٍ، لَا يُعَادِيهِمْ أَحَدٌ إِلَّا كَبَّهُ اللهُ عَلَى وَجْهِه، مَا أَقَامُوا الدِّينَ»**[٦].

• وحديث **جابر بن سمرة، وأبي جحيفة** مرفوعاً: **«لا يزالُ الإسلامُ عزيزاً إلى اثني عشر خليفةً، كلُّهم من قريشٍ»**[٧].

• وحديث **عمرو بن العاص** مرفوعاً: **«قُرَيْشٌ وُلَاةُ النَّاسِ فِي الْخَيْرِ**

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم: (٧٦٥٣).
(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم: (١٨١٩).
(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم: (١٢٣٠٧).
(٤) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٦/ ٣٢٣) برقم: (٣٦٤٥).
(٥) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم: (١٦٨٢٧).
(٦) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٣٥٠٠).
(٧) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم: (١٨٢١).

وَالشَّرِّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» أخرجه الترمذي[١].

• وأخرج **الشافعي**، عن ابن أَبِي فُدَيْكٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي ذِئْبٍ، عن مشايخه أحاديث:

منها: عَنِ **ابْنِ شِهَابٍ** أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«قَدِّمُوا قُرَيْشاً وَلا تَقَدَّمُوهَا، وَتَعَلَّمُوا مِنْهَا وَلا تُعَلِّمُوهَا، أَوْ تُعَالِمُوهَا»**[٢]، شَكَّ ابْنُ أَبِي فُدَيْكٍ[٣].

ومنها: عَنْ حَكِيمِ بْنِ أَبِي حَكِيمٍ أَنَّهُ سَمِعَ **عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَابْنَ شِهَابٍ** يَقُولانِ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ أَهَانَ قُرَيْشاً أَهَانَهُ الله ﷻ»**[٤].

ومنها: عَنِ **الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ** أَنَّهُ قَالَ: [بلغنا] أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«لَوْلا أَنْ تَبْطَرَ قُرَيْشٌ لأَخْبَرْتُهَا بِالَّذِي لَهَا عِنْدَ الله ﷻ»**[٥].

ومنها: عَنْ شَرِيكِ [بْنِ عَبْدِ اللهِ] بْنِ أَبِي نَمِرٍ، عَنْ **عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ** أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لِقُرَيْشٍ: **«أَنْتُمْ أَوْلَى النَّاسِ بِهَذَا الأَمْرِ مَا كُنْتُمْ مَعَ الْحَقِّ إِلا أَنْ تَعْدِلُوا عَنْهُ فَتَلْحَوْنَ كَمَا تَلْحَى هَذِهِ الْجَرِيدَةُ»**، يُشِيرُ إِلَى جَرِيدَةٍ فِي يَدِهِ[٦].

• أخرج **الشافعي** عن يَحْيَى بن سُلَيْمٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ خُثَيْمٍ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ رِفَاعَةَ الأَنْصَارِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ **رِفَاعَةَ**

---

(١) في «سننه» برقم: (٢٢٢٧).
(٢) في الأصل الفارسي: «وَلا تُعَالِمُوهَا أَوْ تُعَلِّمُوهَا».
(٣) انظر: «مسند الشافعي» (١/ ٢٧٨) برقم: (١٣٥٤).
(٤) انظر: «مسند الشافعي» (١/ ٢٧٨) برقم: (١٣٥٥).
(٥) انظر: «مسند الشافعي» (١/ ٢٧٨) برقم: (١٣٥٦).
(٦) انظر: «مسند الشافعي» (١/ ٢٧٨) برقم: (١٣٥٧).

أَنّ النَّبيَّ ﷺ نَادَى: «**أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ قُرَيْشاً أَهْلُ أَمَانَةٍ، وَمَنْ بَغَاهَا الْعَوَاثِرَ أَكَبَّهُ اللهُ لِمِنْخَرَيْهِ**»، يَقُولُهَا ثَلاثَ مَرَّاتٍ[١].

● أخرج **الشافعي** عن عَبْدِ الْعَزِيزِ بْن مُحَمَّدٍ، عَنْ يزيدِ بْنِ الْهَادِ، عَنْ **مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَارِثِ التَّيْمِيِّ**: أَنَّ قَتَادَةَ بْنَ النُّعْمَانِ وَقَعَ بِقُرَيْشٍ، فَكَأَنَّهُ نَالَ مِنْهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَهْلاً يَا قَتَادَةُ! لا تَشْتُمْ قُرَيْشاً، فَإِنَّكَ لَعَلَّكَ تَرَى مِنْهَا رِجَالاً، أَوْ يَأْتِيَ مِنْهُمْ رِجَالٌ، تَحْقِرُ عَمَلَكَ مَعَ أَعْمَالِهِمْ، وَفِعْلَكَ مَعَ أَفْعَالِهِمْ، وَتَغْبِطُهُمْ إِذَا رَأَيْتَهُمْ، لَوْلا أَنْ تَطْغَى قُرَيْشٌ لأَخْبَرْتُهَا بِالَّذِي لَهَا عِنْدَ اللهِ**»[٢].

● وأخرج **الشافعي** عن سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح عن **مجاهد** في قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ﴾ [الزخرف: ٤٤]، قال: يقال: ممّنِ الرجلُ؟ فيقال: مِنَ العربِ، فيقال: مِنْ أيِّ العربِ؟ فيقال: مِنْ قريشٍ[٣].

● وذكر الشافعيُّ متنَ الحديث تعليقاً، ثم وصله البيهقيُّ بإسناده عن **جبير بن مطعم**، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**للقرشي مثل قوة الرجلين من غيرهم**»، فقيل للزهري: بِمَ ذلك؟ قال: مِنْ نُبْلِ الرأي[٤]، ذكر هذه الأحاديث كلَّها البيهقيُّ في أوائل «سننه الصغرى».

بالجملة: فإنّ جمعاً كبيراً من الصحابة والتابعين روى هذا المعنى بألفاظ مختلفة وطرق متعددة، والبعضُ منها صريحٌ على خلافة قريش،

---

(١) انظر: «مسند الشافعي» (١/ ٢٧٩) برقم: (١٣٥٨).
(٢) انظر: «مسند الشافعي» (١/ ٢٧٩) رقم: (١٣٥٩).
(٣) انظر: «شعب الإيمان» للبيهقي (٢/ ١٤٠) برقم: (١٣٩٥).
(٤) انظر: «معرفة السنن والآثار» للبيهقي (١/ ٥٥).

والبعض إشارة، وفي بعضها قرينةٌ ينتقِلُ بها الذهن إليها، انظر إلى أنَّ المهاجرين منعوا الأنصار من الخلافة بعد وفاة النبيِّ ﷺ مستدلين بهذا الحديث حينما قالوا: «منا أمير، ومنكم أمير»، ووقع إجماعُ الصحابةِ على ذلك، وسكت المخالفون.

وهذه القصةُ مرويةٌ بطرق كثيرة، سنذكر بعض الرواياتِ منها في بيان انعقاد الخلافة لأبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه.

بالجملة: فإنّ الإجماعَ قد وقع بعد هذا النقاش الواقع بين الصحابة من الأنصار والمهاجرين، وانقضى المجلسُ على هذا الإجماع نفسه.

❁ الدلائل على اشتراط كونهم من المهاجرين الأولين:

وأمّا اشتراط كونهم من المهاجرين الأولين في الخلافة الخاصة فهو ثابتٌ بقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ﴾ [الحديد: ١٠]، وبقوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ [الحج: ٤١].

• وبقول **عمر الفاروق** رضي الله عنه في خطبته الأخيرة حين جعل الخلافة شورى بين ستة أشخاص من أصحاب رسول الله ﷺ: وَإِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ أَقْوَاماً سَيَطْعَنُونَ فِي هَذَا الأَمْرِ أَنَا ضَرَبْتُهُمْ بِيَدِي هَذِهِ عَلَى الإِسْلامِ، فَإِنْ فَعَلُوا فَأُولَئِكَ أَعْدَاءُ اللهِ الْكُفَّارُ الضّلالُ[1].

• وبقول **ابن عمر** لمعاوية: أَحَقُّ بِهَذَا الأَمْرِ مِنْكَ مَنْ قَاتَلَكَ وَأَبَاكَ عَلَى الإِسْلَامِ[2].

• وبقول **زيد بن ثابت** يوم انعقاد خلافة الصدِّيق رضي الله عنه: إنَّ

---

(١) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (١/ ١٦٥) برقم: (١٨٤).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٤١٠٨).

رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ، وَإِنَّمَا الْإِمَامُ يَكُونُ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ، وَنَحْنُ أَنْصَارُهُ، كَمَا كُنَّا أَنْصَارَ رَسُولِ اللهِ ﷺ(١).

• وبقول رفاعة بن رافع الزرقي البدري في قصة خروج طلحة والزبير على عليّ وبلوغ الخبر إلى عليّ:

في «الاستيعاب»: فقال رفاعة بن رافع الزرقي: إنّ الله لمّا قبضَ رسولَه ﷺ ظننَّا أنَّا أحقُّ الناسِ بهذا الأمر، لنصرتنا الرسول، ومكاننا من الدين، فقلتم: نحنُ المهاجرون الأولون، وأولياء رسول الله الأقربون، وإنا نذكِّركم اللهَ أن تنازعونا مقامه في الناس، فخلَّيناكم والأمرَ، فأنتم أعلم، وما كان بينكم غير أنّا لمّا رأينا الحقَّ معمولاً به، والكتابَ متبعاً، والسُّنَّة قائمةً رضينا، ولم يكن لنا إلَّا ذلك، فلما رأينا الأثرةَ أنكرنا، إلى آخر ما قال(٢).

• وبقول **عبد الرحمٰن بن غنم الأشعري** لأبي هريرة وأبي الدرداء: وأيُّ مدخل لمعاوية في الشورى؟ وهو من الطلقاءِ الذين لا تجوزُ لهم الخلافةُ، وهو وأبوه رؤوسُ الأحزاب، فندما على مسيرهما وتابا بين يديه.

وعُلِم من هنا أنَّ أبا الدرداء وأبا هريرة رجعا أخيراً لقول عبد الرحمٰن بن غنم.

• وبحديث **جرير بن عبد الله** مرفوعاً: «**المهاجِرونَ والأنصارَ أولياء بعضهم لبعضٍ، والطلقاءُ من قريشٍ، والعتقاءُ من ثَقِيْفٍ بعضُهم أولياءُ بعضٍ إلى يومِ القيامةِ**»(٣).

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٥/ ١٨٥) برقم: (٢١٦٥٧).

(٢) انظر: «الاستيعاب» (١/ ١٤٧) رقم الترجمة: (٧٧٤).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم: (١٩٢١٥).

ومن أكبر الدلائل على ذلك قول علي المرتضى وهو أنّه كتبَ إلى أهل الشام عدّةَ مراتٍ: أمر الخلافة مفوّضٌ إلى المهاجرين والأنصار، ولا مدخلَ لغيرهم في حلِّها وعقدها، فإذا بايعوا لا مجالَ لخلافِ غيرهم فيه[1].

• ومن قرائن ذلك حديث النبي ﷺ فيمن هو أحقُّ بإمامة الصلاةِ، قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**فإنْ كانوا في السُّنَّةِ سواءً، فأقدمُهم هجرةً**»[2].

• ومن الدلائل على كون الهجرة من شروط الخلافة قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ﴾، إلى أن قال: ﴿ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ [الأحزاب: ٥٠]، ولشرط الهجرة حرمت أم هانئ من الدخول في حرم النبي ﷺ.

• ومن الدلائل أيضاً هذا المعنى أنّ العباس بن عبد المطلب عمّ رسول الله ﷺ لم يكن له دورٌ في أمر الخلافة، ولا اعتدادٌ به، مع أنّه عمُّ النبيّ ﷺ وسيد بني هاشم، وقد أشار بعضُ ولده إلى هذا المعنى.

• فقد أخرج **الحاكم** عن أبي إسحاق قال: سألتُ قُثَمَ بن العباس كيف ورثَ عليٌّ رسول الله ﷺ دونكم؟ قال: لأنّه كان أوّلنا به لحوقاً، وأشدَّنا به لزوقاً[3].

والجملة فإنّ كون الصحابي من المهاجرين الأولين شرفٌ عظيمٌ في الإسلام، وهو مطلوبٌ في الخلافة، وقد ثبتَ ذلك من أدلة كثيرة، وجاء

(١) هذا تعريب للعبارة الفارسية للمؤلف الدهلوي، ولعلَّ الإشارة منه إلى قول عليٍّ رضي الله عنه الذي وقع في «نهج البلاغة» وها هو نصه: «وإنّما الشورى للمهاجرين والأنصار، إذا اجتمعوا على رجلٍ فسمّوه إماماً، كان ذلك للهِ رضاً». انظر: «شرح نهج البلاغة» (٣/ ٤٧).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم: (٦٧٣)، وأبو داود في «سننه» برقم: (٥٨٤)، والترمذي في «سننه» برقم: (٢٣٥).

(٣) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ١٣٦) برقم: (٤٦٣٣).

ذكرُ هذه الدلائل في مجلس الإجماع على خلافة الصدِّيق رضي الله عنه.

وبين القرشية والهجرة الأوَّلية عموم وخصوص من وجهٍ، وأبو بكر الصدِّيق ونظراؤه من الخلفاء الثلاثة كانوا مادّةَ الاجتماع ـ أي: كانوا متصفين بكلا الصفتين ـ، ولذا مُنِعَ الأنصارُ من الخلافة لعدمهما فيهم، ومدار الفرق في المناظرة بين علي ومعاوية هو صفة الهجرة وحدها.

❁ هل الهجرة باقية إلى يوم القيامة أم هي انقضت؟

في هذا المقام بحثٌ لطيف ـ أي: هل الهجرة باقيةٌ إلى يوم القيامة أم مختصةٌ بزمان؟ ـ كما أخرج **البخاري** عن عاصم عن أبي عثمان النهدي، عن **مجاشع بن مسعود** قال: انطلقت بأبي معبد إلى النبيِّ ﷺ ليبايعه على الهجرة، قال: «مضتِ الهجرةُ لأهلها، أبايعه على الإسلام والجهاد»، فلقيتُ أبا معبدٍ فسألته، فقال: صدقَ مجاشِعٌ[(١)].

وأخرج **البخاري** عن **ابن عمر** [فقال]: لا هجرةَ اليومَ أو بعدَ رسولِ اللهِ ﷺ[(٢)].

• وأخرج عن مجاهد [بن جبر المكي] أن **عبد الله بن عمر** رضي الله عنهما كان يقول: لا هجرةَ بعدَ الفتحِ[(٣)].

• وأخرج عن **عائشة** فقالت: لا هجرةَ اليومَ، كان المؤمنون يفرُّ أحدُهم بدينه إلى اللهِ وإلى رسولِهِ ﷺ مخافةَ أن يُفْتَنَ عليه، فأمَّا اليوم فقد أظهرَ الله الإسلامَ، فالمؤمنُ يعبدُ ربَّه حيثُ شاء، ولكن جهادٌ ونيَّةٌ[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٤٣٠٨).
(٢) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٤٣١٠).
(٣) انظر: «صحيح البخاري» (ح: ٤٣١١).
(٤) انظر: «صحيح البخاري» (ح: ٤٣١٢).

• وأخرج **الطبراني** في «الصغير» من حديث أبي هند يحيى بن عبد الله بن حجر بن عبد الجبار بن وائل بن حجر الحضرمي الكوفي بالكوفة قال: حدثنا عمي محمد بن حجر بن عبد الجبار، حدثنا سعيد بن عبد الجبار عن أبيه عبد الجبار، عن أمه أمِّ يحيى، عن **وائل بن حجر**، حديثاً طويلاً في قصة وفوده على النبيِّ ﷺ، ثم رجوعه إلى وطنه، ثم اعتزاله الناس في فتنة عثمان، ثم قدومه على معاوية، فقال له معاوية: فما منعك مِنْ نصرنا، وقد اتخذك عثمانُ ثقةً وصهراً؟

قلت: إنك قاتلتَ رجلاً هو أحقُّ بعثمانَ منك.

قال: وكيف يكون أحقُّ بعثمان مني، وأنا أقربُ إلى عثمان في النسب؟

قلت: إنّ النبيَّ ﷺ كان آخى بين علي وعثمان، فالأخُ أولى من ابن العمّ، ولستُ أقاتِلُ المهاجرين.

قال: أو لسنا مهاجرين؟

قلت: أو لسنا قد اعتزلناكما جميعاً.

وحجة أخرى: حضرتُ رسولَ اللهِ ﷺ وقد رفعَ رأسَه نحو المشرقِ، وقد حضره جمعٌ كثير، ثم ردَّ إليه بصرَه، فقال: «**أتتكُم الفتنُ كقطعِ الليلِ المُظْلِمِ**»، فشدَّد أمرَها وعجَّله وقبَّحه، فقلتُ له من بين القوم: يا رسول اللهِ! وما الفتنُ؟ فقال: «**يا وائلُ! إذا اختلفَ سيفان في الإسلامِ فاعتزلهما**»، فقال: أصبحتَ شيعياً؟ قلت: لا، ولكنِّي أصبحتُ ناصحاً للمسلمين، فقال معاوية: لو سمعتُ ذا وعلمتُه ما أقدمتك، قلتُ: أو ليس قد رأيتَ ما صنعَ محمّدُ بن مَسْلَمَةَ عندَ مقتل عثمان؟ انتهى بسيفه إلى صخرة، فضربه بها حتّى انكسرَ، فقال: أولئك قومٌ يحملون علينا، فقلت: فكيف تصنع بقول رسول الله ﷺ: «**مَنْ أحبَّ الأنصارَ فبحبِّي،**

ومن أبغضَ الأنصارَ فببغضي»[١].

• وأخرج **أبو يعلى** عن **معاوية بن أبي سفيان** قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**لا تَنْقَطِعُ الهجرةُ حتّى تنقطعَ التوبةُ** (قالها ثلاث مرات) **ولا تنقطِعُ التوبةُ حتّى تطلعَ الشمسُ مِنْ مغرِبها**»[٢].

❁ معنى الهجرة ومصداقها:

ووجه التوفيق بين الحديثين المختلفين هو أنَّ الهجرةَ في اللغة إنما هي الانتقالُ من الوطن المألوف، والمصداق الكامل بل الأكمل لهذه الهجرة إنَّما هو هجرة المسلم عند غربة الإسلام وغلبة الكفار إلى النبيِّ ﷺ بنيِّة الملازمة له ﷺ، وبذل الجهد في إعلاء كلمة الله تحت رايته ﷺ والتخلّص من سلطان الكفّار الذين يمنعون إقامة أركان الإسلام، وهذا هو المصداقُ الأكملُ للحقيقة الشرعية للفظ الهجرة، وهو المفهوم في عُرْفِ الشرع بدون قرينة، وقد انقضت بهذا المعنى بعد فتح مكة، «**لا هجرةَ بعدَ الفتحِ**»، وهي بالمعنى الآخر: الانتقالُ من الوطنِ في طلب الفضيلة الدينية مِنْ طلبِ العلم، وزيارةِ الصالحين، والفرارِ من الفتن، وهذه أيضاً محمودةٌ في الشرع رغم قصور فضيلتها بالنسبة للمعنى الأول.

آسمان نسبت بعرش آمد فرود   ورنه عالى است پيش خاك تود[٣]

ولا تنقرضُ بهذا المعنى إلى يوم القيامة، وأعلى رتبةٍ لهذه الهجرة إنَّما هي الانتقالُ إلى النبيِّ ﷺ في طلب العلم، والتأدّب بآدابه ﷺ،

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الصغير» (٣/ ٣٥٢).

(٢) انظر: «مسند أبي يعلى» (١٣/ ٢٩٨) برقم: (٧٣٧١).

(٣) معناه: السماء تحت العرش مع أنها أرفع من التلال والجبال.

والتهيّؤ للجهاد، واشتبه على معاوية بن أبي سفيان التفريق بين المعنيين ـ ولهذا قال: الهجرةُ باقيةٌ إلى يومِ القيامةِ ـ، واللهُ أعلمُ بحقيقة الحال.

۞ السبب في كون الأوصاف الأخرى شرطاً في الخلافة:

وأمّا اشتراطُ الخصال الأخرى في الخلافة بعد القرشية والهجرة، فالسرّ فيه أنَّ الخلافةَ الخاصةَ أو الخلافةَ الكاملة أيّاً ما شئتَ فقل، إذا قمنا بتنقيح معناها يؤولُ أمرُها إلى أن يكونَ الخليفةُ متّصفاً بصفات تختصّ بالكاملينِ المقرَّبينِ، واتّصفَ بها النبيُّ ﷺ من حيث إنّه نبيٌّ مبعوثٌ من الله تعالى، ويباشِرُ الخليفةُ أعمالاً صدرت من النبيِّ ﷺ من حيث إنه نبيٌّ مبعوث من الله تعالى، وأنْ يكونَ قد عُلِمَ اتصافُ الخليفةِ بهذه الخصال والصفات ـ بعلم اليقين ـ من الشريعة، وإذا قمنا باستقراءٍ كلي نجد هذه الخصال والصفات **على ثلاثة أقسام**:

القسم الأول: أن تكون المعاملة بينه وبين الله، وبينه وبين الناس حسنة.

والقسم الثاني: أن ينصر النبيُّ ﷺ في الجهاد مع أعداء الله، وإعلاء كلمة الله.

والقسم الثالث: أن تصدرَ منه أفعالٌ هي من قبيل تتميم أفعال النبي ﷺ من بعد وفاته ﷺ، مثل تحطيم ملَّة قيصر وكسرى وفتح البلدان ونشر العلم وما أشبه ذلك.

۞ والصفات النفسانية على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: كون الرجل من السابقين والمقرَّبين، جعل الله المسلمين على ثلاثة أنواع كما قال ﷻ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [فاطر:

٣٢]، وقال الله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۝٧ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۝٩ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۝١٠ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۝١١﴾ [الواقعة]، وقال أيضاً: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ۝٢٠ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ۝٢١﴾ [المطففين].

• أخبرنا شيخنا أبو طاهر محمد بن إبراهيم الكردي المدني بداره بظاهر المدينة المشرفة في سنة ١١٤٤هـ[١] قراءةً عليه وأنا أسمع، قال: أخبرني أبي الشيخ إبراهيم الكردي، قال: أخبرني الشيخ أحمد القشاشي، قال: أنبأنا الشمس الرملي إجازةً، عن الزين زكريا، عن ابن الفرات، عن عمر بن حسن المراغي، عن الفخر ابن البخاري، عن فضل الله بن سعد النوقاني، عن محيي السُّنَّة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، قال في «تفسيره»[٢]: أنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشُّريحي، أنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن فنجويه؛ يعني: الثقفي الدينوري، حدثنا محمد بن علي بن الحسين بن الفافا القاضي، حدثنا بكر بن محمد المروزي، حدثنا أبو قلابة، حدثنا عمرو بن الحسين، عن الفضل بن عميرة، عن ميمون الكردي، عن أبي عثمان النهدي قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ على المنبر: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ الآية [فاطر: ٣٢]، فقال: قال رسول الله ﷺ: **«سابِقُنا سابقٌ، ومقتصِدُنا ناجٍ، وظالِمُنا مغفورٌ له»**[٣].

---

(١) انظر ترجمته في: «أنفاس العارفين» (ص٢٠٠)، قال: توفي شيخنا أبو طاهر في رمضان سنة ١١٤٥هـ، وانظر ترجمته أيضاً في: «فهرس الفهارس» (١/ ٣٧٢ ـ ٣٧٤).

(٢) «تفسير البغوي» (٣/ ٣٩٤).

(٣) أخرجه البيهقي في «البعث والنشور» (١/ ٦٣).

قال أبو قلابة: فحدّثت به يحيى بن معين **فجعل يتعجّب منه**.

فينبغي أن يكون الخليفةُ من القسم الأول، وعُلِمَ بالشريعة بوجه القطع أن يكون من السابقين المقرَّبين من الصديقين أو الشهداء أو الصالحين.

والقسم الثاني: عِلْمُه بالحكمة وأحكام الله تعالى بوجه يقوم مقام النبي ﷺ في تبليغ الشرائع والحكم.

والقسم الثالث: أن يكون متصفاً بالحزم بصفات تتيسَّر بها رئاسة العالم من الشجاعة والكفاية والفراسة وحسن التدبير وما أشبه ذلك.

❁ خصال التشبّه بالأنبياء:

ثم اعلم أنَّ التشبُّه بالأنبياء من حيث النبوة يتحقّق **بثلاثة أمور**:

الأول: بشارةُ النبيِّ ﷺ له بالجنة بالوحي.

الثاني: بيانه ﷺ ـ قولاً وفعلاً ـ استحقاقه للخلافة.

الثالث: إشارته ﷺ تلويحاً أو تصريحاً إلى أنّه أفضل الأمة بالوحي.

أمّا العباداتُ فهي من لوازم المقرَّبين، وأمّا حسن المعاملات لخلق الله فهو يلزم العناية برعيته، وكلتا الصفتين قد اندرجتا في القسمين الأولين.

وأما نصرة النبي ﷺ في إعلاء كلمة الله بحضوره ﷺ وفي أيام حياته ﷺ فيسمّى السوابق الإسلامية، ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ﴾ [الحديد: ١٠]، في هذه الآية إشارة إلى هذا المعنى، والهجرة من هذا الباب.

وأما اشتراط السوابق الإسلامية للخلافة فهو ثابت بأدلة كثيرة.

الدليل على كون السوابق الإسلامية شرطاً في الخلافة:

وقد عُلِم في الشريعة ـ على سبيل القطع ـ أنَّ مدار الفضيلةِ عند الله ومبنى الشرف في الإسلام هو السوابق الإسلامية، وقد نزلت آيات في هذا الباب، منها قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ﴾، ووقع بعض الأمور عند انعقاد خلافة أبي بكر الصدِّيق ممّا يدلّ بالقطع على عنايتهم بالسوابق الإسلامية، كما قال أبو بكر ﵁: ألستُ أحقُّ الناس بها؟ ألستُ أوّلَ من أسلم؟ ألستُ صاحبَ كذا؟ ألستُ صاحبَ كذا؟[1]، وقال عمر ﵁: إنّ أبا بكر صاحب رسول الله ﷺ، وثَانِي اثْنَيْنِ، فَإِنَّهُ أَوْلَى الْمُسْلِمِينَ بِأُمُورِكُمْ، فَقُومُوا فَبَايِعُوهُ[2].

وعدَّ عثمانُ ﵁ سوابقه الإسلامية حين قدحوا في خلافته، واعترضوا عليه.

وأباح علي ﵁ بسوابقه في أيام خلافته بأصرح ما يكون حين أراد إثباتَ خلافته، وترجيحَ نفسه على غيره.

• وروي عن النبي ﷺ: «**لعلَّ اللهَ اطّلعَ على أهلِ بدرٍ فقال: اعْمَلُوا ما شِئْتُم فقد غفرتُ لكم**»[3].

• وقال **أبو عبيدة**: «أتأتوني وفيكم ثالث ثلاثة»[4].

• وروى **ابن عمر**: «**ما يدريكَ لعلَّ اللهَ اطلعَ على أهلِ بدرٍ، فقال: اعملوا ما شِئْتُم**»[5].

---

(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (١٥/ ٢٧٩) برقم: (٦٨٦٣).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٧٢١٩).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٣٠٠٧).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٨/ ٥٧٣).

(٥) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٣٠٨١).

• وروى **أبو هريرة**: «**اطلعَ اللهُ على أهلِ بدرٍ فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم**»[١].

• وروت **حفصة**: «**إنِّي لأرجو أَنْ لا يدخلَ النارَ أحدٌ شهدَ بدراً أو الحديبيةَ**»[٢].

• وروى **جابر**: «**لا يدخلُ النارَ أحدٌ ممَّن بايع تحتَ الشجرة**»[٣].

• وروى أنّه قال لنا النبي ﷺ: «**أنتمُ اليومَ خيرُ أهلِ الأرضِ**»[٤].

• وروى **رفاعة بن رافع**: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: ما تعدّون أهل بدرٍ فيكم؟ قال: «**مِنْ أفضلِ المسلمينَ**» ـ أو كلمة نحوها ـ فقال: كذلك مَنْ شهد بدراً من الملائكة[٥].

وروى رافع بن خديج نحواً من ذلك.

وقال سعيد بن المسيب: كان أبو بكر الصدِّيق من النبيِّ ﷺ مكان الوزير، فكان يشاوره في جميع أموره، وكان ثانيه في الإسلام، وكان ثانيه في الغار، وكان ثانيه في العريش يوم بدر، وكان ثانيه في القبر، ولم يكن رسول الله ﷺ يقدِّم عليه أحداً[٦].

وأخرج **أبو عمر**: وقال رسول الله ﷺ لبعض من لم يشهد بدراً وقد رآه يمشي بين يدي أبي بكر: «**تَمْشِي بَيْنَ يدي مَنْ هُوَ خيرٌ مِنْكَ**»[٧].

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٣٠٠٧).
(٢) أخرجه البغوي في «شرح السنَّة» (١/ ٩٥٥).
(٣) أخرجه أبو داود في «سننه» برقم: (٤٦٥٣).
(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ٣٠٨) برقم: (١٤٣٥٢).
(٥) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٣٩٩٢).
(٦) أخرجه الحاكم في «المستدرك»، للحاكم (٣/ ٦٦) برقم: (٤٤٠٨).
(٧) انظر: خطبة «الاستيعاب» (١/ ٦).

• وقال العارف **السهروردي** في الباب الخامس والخمسين من «**العوارف**»[(١)]: روي أنّ رسول الله ﷺ كان جالساً في صُفَّةٍ ضيقة، فجاءه قوم من البدريين، فلم يجدوا موضعاً يجلسون فيه، فأقام رسولُ الله ﷺ مَنْ لم يكن من أهل بدر، فجلسوا مكانهم، فاشتدَّ ذلك عليهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ﴾ الآية [المجادلة: ١١][(٢)].

• ثم كان عمر ﵁ يقدِّم أهل بدر وبعدهم أهلَ الحديبية على سائر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، سواء كان ذلك باعتبار إثبات أسمائهم في دفتر الغزاة، أو باعتبار إعطاء الأعطيات والأرزاق، أو باعتبار التقدُّم في المجالس والنوادي، أو في أمور الاستحقاق للخلافة، أو طلب الدعاء منهم، أو التبُّرك بهم، ولا زالت الأمةُ المرحومةُ تقوم بإجلالهم وتكريمهم حتى اليوم.

• وأخرج **الواقدي** عن أبي بكر الصدِّيق ﵁ في وصيته عمرو بن العاص: اتّقِ اللهَ في سرِّكَ[(٣)] وعلانيتك، [واستحيه في خلواتِكَ[(٤)]] فإنّه يراكَ في عملِكَ[(٥)]، فقد رأيت تقدّمي[(٦)] لك على مَنْ هو أقدمُ منك سابقةً...[(٧)]، واعلم يا عمرو، أنَّ معك المهاجرين والأنصار من أهل بدر، فأكرمهم، واعرف لهم حقهم، ولا تتطاول[(٨)] عليهم بسلطانك، ولا

---

(١) يعني: «عوارف المعارف»، للإمام شهاب الدين أبي حفص عمر بن محمد بن عبد الله السهروردي البغدادي الشافعي المتوفى سنة ٦٣٢هـ.
(٢) انظر: «عوارف المعارف» (ص٢٥٦).
(٣) في الأصل الفارسي: «في سرِّ أمرك».
(٤) في الأصل الفارسي: «في سر أمرك».
(٥) في الأصل الفارسي: «في سر أمرك».
(٦) في الأصل الفارسي: «تقدمي».
(٧) سقطت هنا في الأصل الفارسي عبارات طويلة.
(٨) في الأصل الفارسي: «تطاول».

تداخلك نخوةُ الشيطان، فتقول: إنّما ولّاني أبو بكر لأنّي خيرهم[١]، وإياك وخِداعُ النفسِ، فكن كأحدِهم، وشاورْهم فيما تريدُ من أمرِك[٢].

• وأخرج **البخاري** عن **قيس بن أبي حازم** قال: كان عطاء البدريين خمسةَ آلاف، خمسةَ آلاف، وقال عمر: لأفضِّلنهم على مَنْ بعدهم[٣].

❁ الدلائل على البشارة للخلفاء بالجنة:

أما البشارة للخلفاء بالجنة فهي ثابتةٌ بطرقٍ كثيرةٍ:

أولاها: عمومات القرآن في المهاجرين والمجاهدين ممّن شهدوا الحديبيةَ وتبوكَ وغيرهما.

والثانية: الأحاديث الواردة في فضائل أهل بدر؛ كالحديث: «**قَدْ شَهِدَ بَدْراً، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**»[٤]، رواه عمر، وعلي، وابن عمر، وابن عباس، وأبو هريرة.

• وحديث: «**جاء جبريل، فقال: مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ؟ قَالَ: مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ...**»[٥]، رواه رفاعة بن رافع، ورافع بن خديج.

• وحديث **حفصة وجابر**: «**إنِّي لأرجو أَنْ لا يدخلُ النارَ أحدٌ شهد بدراً والحديبية**»[٦].

والثالثة: الأحاديث الواردة في فضائل أهل الحديبية، مثل

---

(١) في الأصل الفارسي: «خير منكم». (٢) انظر: «فتوح الشام» (١/ ١٥).

(٣) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٤٠٢٢).

(٤) أخرجه أبو داود في «سننه» برقم: (٢٦٥٠).

(٥) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٣٩٩٢).

(٦) أخرجه أحمد في «مسنده» (٦/ ٣٦٢) برقم: (٢٧٠٨٧).

الحديث: **«لا يدخلُ النارَ أحدٌ ممّن بايعَ تحتَ الشجرةِ»**[١]، وحديث: **«أنتم خيرٌ أهلِ الأرضِ»**[٢] من مسند **جابر**.

والرابعة: الأحاديث الواردة في البشارة للعشرة بالجنة، من مسند عبد الرحمٰن، وسعيد بن زيد.

والخامسة: الأحاديث الواردة في البشارة للخلفاء الأربعة بالجنة، مثل حديث جابر بن عبد الله.

والسادسة: الأحاديث الواردة في شأن الخلفاء الثلاثة، مثل حديث أبي موسى ونافع بن عبد الحارث.

والسابعة: الأحاديث الواردة في شأن الشيخين، مثل حديث **أبي سعيد الخدري**: **«إِنَّ أَهْلَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى لَيَرَاهُمْ مَنْ تَحْتَهُمْ كَمَا تَرَوْنَ النَّجْمَ الطَّالِعَ فِي أُفُقِ السَّمَاءِ وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ مِنْهُمْ وَأَنْعَمَا»**[٣].

وحديث علي وأنس: **«هذان سيدا كهولِ أهلِ الجنّةِ»**[٤].

وحديث ابن مسعود: **«يَطلعُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»** فيهما جميعاً[٥].

والثامنة: الأحاديث الواردة في شأن الصدِّيق، منها:

- حديث **أبي هريرة**: **«أنّه يُدعَىٰ من أبوابِ الجنّةِ كلِّها»**[٦].

---

(١) أخرجه أبو داود في «سننه» برقم: (٤٦٥٣)، والترمذي في «سننه» برقم: (٣٨٦٠)، وأحمد في «مسنده» (٢٣/ ٩٣) برقم: (١٤٧٧٨)، والمحب الطبري في «الرياض النضرة» (١/ ٧).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٤١٥٤).

(٣) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٣٦٥٩).

(٤) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٣٦٦٥).

(٥) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٣٦٩٤).

(٦) أخرجه المحب الطبري في «الرياض النضرة» (١/ ٨٥).

• وحديث **أنس** في وصف طير الجنة في آخره قوله ﷺ لأبي بكر: **«وإنِّي لأرجو أنْ تكونَ ممّن يأكلُ منها»**[١].

والتاسعة: الأحاديث الواردة في شأن عمر الفاروق رضي الله عنه، منها:

• حديث رؤيا النبي ﷺ قصراً من ذهب، من حديث جابر، وأنس، وأبي هريرة، وبريدة الأسلمي.

والعاشرة: الأحاديث الواردة في شأن عثمان ذي النورين، منها:

• حديث **عبد الله بن حوالة**: **«تَهْجُمونَ على رجلٍ يبايعُ الناسَ معتجراً ببردٍ**[٢]**، يبايع الناسَ من أهل الجنّةِ»**، قال: فإذا هو عثمان بن عفان[٣][٤].

والحادية عشرة: الأحاديث الواردة في شأن علي المرتضى، منها:

• الحديث الذي قال فيه النبيُّ ﷺ لعلي: **«لكَ في الجنّةِ خيرٌ منها»**[٥].

❁ الدلائل على كون الخلفاء من السابقين المقرَّبين:

وأما كون الخلفاء من السابقين المقرَّبين فهو ثابت بأحاديث كثيرة، **منها**:

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم: (١٣٣١١)، والحديث بكامله: «عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ طيرَ الجنّةِ كأمثالِ البُخْتِ، ترعى في شجرِ الجنّةِ»**، فقال أبو بكر: يا رسول الله! إن هذه لطيرٌ ناعمةٌ، فقال: **«أكلتُها أنعمُ منها**، قالها ثلاثاً، **وإنِّي لأرجو أن تكونَ ممّن يأكلُ منها يا أبا بكرٍ»**».

(٢) في الأصل الفارسي: «وهو معتجر ببردٍ»، اعتجر: لفّ عمامته.

(٣) في الأصل الفارسي: «فكان عثمان».

(٤) أخرجه الحاكم في «المستدرك»، للحاكم (٣/ ١٠٥) برقم: (٤٥٤٩)، وأبو داود الطيالسي في «مسنده» (١/ ١٧٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٧/ ٤٣٤).

(٥) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ١٤٩) وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٢/ ٣٢٣).

• حديث: تحرّكَ الجبل، وقوله ﷺ: «**اثبتْ فإنّما عليكَ نبيٌّ وصدِّيق وشهيدٌ**» من طرق كثيرة جداً من مسند عثمان، وسعيد بن زيد، وأبي هريرة، وابن عباس، وأنس، وبريدة، وسهل بن سعد.

• وحديث: «**إنّ الشيخينِ من النجباءِ**»[١] من مسند علي.

• وحديث: «**إنّ أهلَ الدّرجاتِ العُلى يراهم مَنْ تحتهم...**»[٢] إلخ، من مسند أبي سعيد.

• وحديث: تحديثُ جبريل بفضائلهما من مسند عمار.

• وحديث: رؤيا رجحانهم في الميزان من مسند أبي بكرة، وعرفجة وغيرهما.

• وحديث: تشبّه الشيخين بملكين مقرَّبين من حديث ابن مسعود وغيره.

• وحديث: «**هما سيدا كهول أهل الجنة**»، من مسند علي، وأنس.

• وحديث: «**يدعى من أبواب الجنة كلها**» في مناقب أبي بكر.

• وحديث: «**لقد كان فيما كان قبلكم ناسٌ محدَّثون من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن من أمّتي أحدٌ فإنّه عمر**»[٣].

• وحديث: «**فرارُ الشيطانِ من ظلِّ عمرَ**».

• وحديث: «**رفيقي في الجنة عثمان**»[٤].

---

(١) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٧٨٥).
(٢) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (٩٦).
(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٣٦٨٩).
(٤) انظر: «تاريخ دمشق» (٣٩/ ١٠٤).

❁ الدلائل على معاملته ﷺ للخلفاء معاملة الملك وليَّ عهده:

وأما معاملة النبي ﷺ للخلفاء معاملةَ منتظرِ الإمارةِ فهو ثابتٌ من عدة طرق، كما ورد في:

- حديث **سهل بن سعد** أمرَ تفويض النبي ﷺ إمامة الصلاةِ إلى أبي بكر حين ذهابه إلى قبيلة بني عمرو بن عوف من أجل رفع النزاع الواقع بينهم، وإقامة الصلح فيما بينهم.
- وأسند في مرض وفاته أمرَ الإمامة بالصلاة إليه بتأكيدٍ بليغٍ، وهذه القصة متواترةٌ بالمعنى.
- وحديث **إمارته للحج** من الأحاديث المشهورة.
- وقال النبي ﷺ في حديث أبي الدرداء: «**فهل أنتم تاركونَ لي صاحبي، فما أوذي بعدها**»[(١)].
- وورد ذكر الشيخين في حديث أبي سعيد الخدري: «**وزيراي من أهل الأرض**»[(٢)].
- وقال علي لعمرَ حين توفِّي: إن كنتُ لأرجو أن يجعلَكَ اللهُ معهما، إنِّي كنتُ لأسمعُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: جئتُ أنا وأبو بكر وعمر، ودخلتُ أنا وأبو بكر وعمر، وخرجتُ أنا وأبو بكر وعمر[(٣)].
- وسئل علي بن الحسين عن منزلة أبي بكر وعمر من النبي ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٣٦٦١)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٣٦).

(٢) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٦٨٠)، و«المستدرك»، للحاكم (٢/ ٢٩٠) برقم: (٣٠٤٧).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٣٦٧٧) باختلاف يسير في اللفظ ولم يرد تصريح لاسم القائل، والبغوي في «شرح السُّنَّة» (١/ ٩٣٠).

فقال: كمنزلتهما اليومَ وهما ضجيعاه[(١)].

• ولقد وُصف أبو بكر الصدِّيق في عدة أحاديث بـ«أرأف الأمة»، وعمر الفاروق بـ«أشدهم في أمر الله»، وعثمان ذو النورين بـ«أصدقهم حياءً»، وعلي المرتضى بـ«أقضاهم علي»، وكل خصلة من هذه الخصال تدلّ دلالةً واضحةً على أنّ هؤلاء أكثرُ الناسِ استحقاقاً للرئاسة العظمى للمسلمين.

• وقد ثبت في حديث حذيفة وعلي المرتضى: «إن تؤمِّروا أبا بكر...» الحديث.

• وفي حديث حذيفة وابن مسعود: «**اقتدوا باللذينِ من بعدي أبي بكر وعمر**».

• وفي حديث مطلب بن أبي وداعة: «**الحمد لله الذي أيَّدني بهما**».

• وفي حديث **حذيفة** كما رواه **الحاكم**: «**لا غنى بي عنهما، إنّهما من الدِّينِ كالرأسِ من الجسدِ**».

• وفي حديث عبد الرحمٰن بن غنم الأشعري: «**لو اجتمعتما في مشورة ما خالفتُكما**».

• وفي حديث أنس قال: كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجدَ لم يرفع أحدٌ منا رأسه غير أبي بكر وعمر، فإنّهما كانا يتبسَّمان إليه، ويتبسَّم إليهما[(٢)].

---

(١) انظر: «تاريخ دمشق» (٤١/ ٣٨٨).

(٢) انظر: «المستدرك»، للحاكم (١/ ٢٠٩) برقم: (٤١٨).

ظهور موعود الله على أيدي الخلفاء

وأما ظهور موعود الله تبارك وتعالى لهذه الأمة المرحومة على أيدي الخلفاء، فإنه يتضمّن ثلاثةَ مباحثَ:

۞ المبحث الأول:

وهذا أحد من لوازم **الخلافة الخاصة**، وواضح في غاية الوضوح، إذ إنّ الخلافة عبارةُ عن النيابة والحلول محلَّ مَنْ كان قبله، وهي في عرف الشرع عبارة عن التصدِّي لإقامة أمور بُعث النبي ﷺ لأجلها، ولا تتحقَّق الخلافة الخاصة إلا بحصول زيادةِ التشبُّه بسيرة النبي ﷺ مع النيابة عنه، ومن جملة سيرته وأعماله ﷺ بل مِنْ أحسنها وأفضلِها فتحُ بلاد الكفّار.

۞ والمبحث الثاني:

وهو وعد النبي ﷺ لأمته **بفتح بلاد الشام والعراق**، وهذا المعنى ثابتٌ بأحاديث متواترة المعنى من حديث أبي هريرة، وعقبة بن عامر، وعدي بن حاتم، وخباب، وغيرهم ممّن لا يُحصى عددهم.

۞ والمبحث الثالث:

أنّ هذا الموعودَ ظهر على أيدي الخلفاء، ويكفي في إثبات نقل ما تواتر عن جماهير المسلمين من الفقهاء والمحدِّثين والمؤرِّخين، بالإضافة إلى حديث: «**الحمد لله الذي أيّدني بهما**»، وحديث استبشار أهل السماوات بإسلام عمر، وغيرهما من الأحاديث التي تدلُّ على هذا المعنى.

۞ الدلائل على حجّية قول الخلفاء:

وأما حجِّية قول الخلفاء بأنّهم أمروا بحكم، وهذا يكون ممكناً بين

المسلمين، فهو أعلى من القياس، فإنَّ هذه الخصلة ثابتةٌ فيهم بطرق كثيرة، قال الله تعالى: ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ [النور: ٥٥]، وقال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج].

• وفي حديث عرباض بن سارية: «**عليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء من بعدي**»[(١)].

• وفي حديث ابن مسعود وحذيفة: «**اقتدوا باللذينِ من بعدي أبي بكر وعمر**»[(٢)].

• وفي حديث عبد الرحمٰن بن غنم الأشعري: «**لو اجتمعتُما في مشورةٍ ما خالفتُكما**»[(٣)].

• ومن أدل الدلائل على هذا المعنى الأحاديث المتواترة بالمعنى «**السكينة تنطق على لسان عمر**»[(٤)] من طريق علي، وأبي ذر، وابن عمر، وغيرهم، والأحاديث المتواترة بالمعنى في موافقات عمر للوحي الربَّاني.

• ومن أعظم الدلائل على هذا المعنى أيضاً مشاورةُ النبيِّ ﷺ في أمور الجهاد، ومصالح الشريعة للشيخين، وقبول مشورتهما، والحديث

---

(١) انظر: «سنن أبي داود» برقم: (٤٦٠٧)، و«سنن الترمذي» برقم: (٢٦٧٦)، و«شرح مشكل الآثار» (٣/ ١٨٣)، واللفظ له.

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤/ ١٤٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ١٠٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٤/ ٢٢٧).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٤/ ٢٢٧) برقم: (١٨٠٢٣)، والعصامي في «سمط النجوم العوالي» (١/ ٤٣٥)، والسيوطي في «تاريخ الخلفاء» (١/ ٢٠).

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ١٠٦) برقم: (٨٣٤)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (١١/ ٢٢٢)، وأبو عمر في «الاستيعاب» (١/ ٣٥٥) رقم الترجمة: (١٨٧٨)، والمحب الطبري في «الرياض النضرة» (١/ ١٤٣).

المتواتر بالمعنى: «**عليكم بالسوادِ الأعظمِ**»[(١)] رُوي بطرقٍ كثيرةٍ، ورواه **الشافعي** في إثبات الإجماع.

واختلف العلماء في فهم هذه الأحاديث، فحملها طائفةٌ منهم على وجوب طاعة الخليفة إذا لم يكن في معصية، والأخرى على وجوب العمل بما ثبت بالإجماع.

ويقول الفقير عفا الله عنه: المرادُ هو أنَّ قول الخليفة حجَّة إذا كان ممكناً في المسلمين لنفاذه فيهم، فيُوجد هنا معنى الطاعة للخليفة وحجِّية الإجماع معاً.

والتفصيل هنا أنّ الله تعالى قد جعل ملكةً في نفوس هؤلاء السعداء، وأيّدهم من عنده، فيُصيببون ـ نتيجة ذلك ـ في فهم الحِكَم وأحكام السياسة الملكية ومصالحها غالباً، ومن فضل الله على هذه الأمة كذلك أنَّها لا تجتمعُ على باطل، وأنزل تأييداً في هذا الباب، فإذا اجتمعت كلتا الفضيلتين في قوله كان حجةً في الدين ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾ [النور: ٣٥].

● أخرج **الحاكم** حديث **عمر** في خطبته بالجابية من طرق، منها طريق عبد الله بن دينار عن ابن عمر، قال: خطبنا عمر بالجابية، فقال: إني قمتُ فيكم كمقامِ رسولِ اللهِ ﷺ فينا، فقال: «**أوصيكم بأصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يفشو الكذبُ، حتّى يحلفَ الرجلُ ولا يستحلَفُ، ويشهَدُ ولا يُسْتَشْهَدُ، فمن أراد منكم بُحْبُوحَةَ الجنةَ، فليلزمِ الجماعةَ، فإنَّ الشيطانَ مع الواحدِ، وهو من الاثنين أبعدُ، ألا لا يخلونَّ رجلٌ بامرأةٍ إلا كان ثالثهما الشيطانُ** (قالها ثلاثاً) **وعليكم بالجماعة، فإنَّ**

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣٠/ ٣٩٢) برقم: (١٨٤٥٠).

الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعدُ، ألا ومَنْ سرّته حسنتُه وساءته سيئتُه فهو مؤمنٌ»[١].

• ومنها طريق عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه، قال: وقف عمر بن الخطاب بالجابية، فقال: رحمَ اللهُ رجلاً سمعَ مقالتي فوعاها، إنِّي رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ وقفَ فينا كمقامي فيكم، ثم قال: «**احفظوني في أصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم** (ثلاثاً)، **ثم يكثُرُ الهَرَجُ، ويظهَرُ الكذبُ، ويشهدُ الرجلُ ولا يُستشهَدُ، ويحلِفُ ولا يُستحلَفُ، من أحبَّ منكم بُحْبُوحَةَ الجنةِ فعليه بالجماعةِ، فإنَّ الشيطانَ مع الواحدِ، وهو من الاثنينِ أبعدُ، ألا لا يخلونّ رجلٌ بامرأةٍ، فإنَّ الشيطانَ ثالثُهما، من سرّته حسنتُه، وساءته سيئتُه، فهو مؤمنٌ**»[٢].

وأخرج **البيهقي** من طريق الشافعي، عن ابن عُيينةَ، عن عبد الله بن أبي لبيد، عن ابن سليمان بن يسار، عن أبيه، أنّ عمرَ بنَ الخطاب قام بالجابية للناس خطيباً فقال: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قامَ فينا كقيامي[٣] فيكم، فقال: «**أكرموا أصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يظهرُ الكذبُ، حتّى إنَّ الرجلَ ليحلفُ ولا يُستحلَفُ، ويشهَدُ ولا يُستشهَدُ، ألا مَنْ سرّه أن يسكنَ بُحْبُوحَةَ الجنّةِ، فليلزمِ الجماعةَ؛ فإنَّ الشيطانَ مع الفذِّ، وهو من الاثنينِ أبعدُ، ولا يخلونَّ رجلٌ بامرأةٍ؛ فإنَّ الشيطانَ ثالثُهما، ومَنْ سرّته حسنتُه، وساءته سيئتُه فهو مؤمنٌ**»[٤].

• قال **الشافعي** في أثناء كلامه: فلم يكن للزوم جماعتهم معنًى إلا

---

(١) انظر: «المستدرك»، للحاكم (١/ ١٩٧) برقم: (٣٨٧).
(٢) انظر: «المستدرك»، للحاكم (١/ ١٩٩) برقم: (٣٩٠).
(٣) في الأصل الفارسي: «كمقامي».
(٤) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١/ ٦٢).

ما عليه جماعتهم من التحليل والتحريم والطاعةِ فيها، فمن قالَ بما تقولُ جماعةِ المسلمين فقد لزم جماعتهم، وإنّما تكونُ الغفلةُ في الفرقة، فأما الجماعةُ فلا يمكِنُ فيها كافة غفلة عن معنى كتاب الله، ولا سُنَّة، ولا قياس إن شاء الله[١].

• وأخرج **الحاكم** من حديث المعتمر بن سليمان عن أبيه[٢] عن عبد الله بن دينار عن **ابن عمر** قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**لا يجمعُ اللهُ هذه الأمةَ على الضلالةِ أبداً**»، وقال: «**يدُ اللهِ على الجماعةِ، فاتبعوا السوادَ الأعظمَ، فإنَّه مَنْ شذَّ شذَّ في النار**»[٣].

واختلف الرواةُ على المعتمر بن سليمان في تسمية الرجل الواقع بينه وبين عبد الله بن دينار، بيَّن الحاكم كل ذلك[٤].

• وأخرج **الحاكم** من حديث عبد الله بن طاوس، أنه سمع أباه يحدِّث، أنه سمع **ابن عباس** يحدِّث، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**لا يجمعُ الله أمتي** ـ أو قال ـ **هذه الأمةَ على الضلالةِ أبداً، ويدُ اللهِ على الجماعةِ**»[٥].

• وأخرج **الحاكم** عن **أنس بن مالك** عن النبي ﷺ في حديث طويل وسأل ربه: «**أن لا يجتمعوا على ضلالةٍ، فأُعطيَ ذلك**»[٦].

• وأخرج **الحاكم** عن **أبي ذر** قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ فارقَ الجماعةَ قِيْدَ شبرٍ، فقد خلعَ رِبقةَ الإسلامِ من عُنقِهِ**»[٧].

---

(١) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١/ ٦٢).
(٢) في الأصل الفارسي: «عن رجل» بدل «عن أبيه».
(٣) انظر: «المستدرك»، للحاكم (١/ ١٩٩) برقم: (٣٩١).
(٤) انظر للتفصيل: «المستدرك»، للحاكم (١/ ٢٠٠ ـ ٢٠٢) برقم: (٣٩٢ ـ ٣٩٧).
(٥) انظر: «المستدرك»، للحاكم (١/ ٢٠٢) برقم: (٣٩٨).
(٦) انظر: «المستدرك»، للحاكم (١/ ٢٠٣) برقم: (٤٠٠).
(٧) انظر: «المستدرك»، للحاكم (١/ ٢٠٣) برقم: (٤٠١).

• وأخرج **الحاكم** من حديث نافع، عن **عبد الله بن عمر**، أنّ رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ خرجَ من الجماعةِ قِيْدَ شبرٍ، فقد خلعَ رِبقة الإسلامِ من عُنقه حتى يراجعَهُ**»، وقال: «**مَنْ مات وليس عليه إمام جماعة فإن موتته موتة جاهلية**»[1][2].

• وأخرج **الحاكم** من حديث **الحارث الأشعري**، حديثاً طويلاً في آخره: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**آمرُكم بخمسٍ كلماتٍ أمرني اللهُ بهنَّ: الجماعة، والسمع، والطاعة، والهجرة، والجهاد في سبيل الله، فَمَنْ خرجَ مِنَ الجماعةِ قيدَ شبرٍ، فقد خلعَ رِبقةَ الإسلامِ من رأسِهِ إلّا أنْ يرجعَ**»[3].

• وأخرج **الحاكم** عن **معاوية** قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ فارقَ الجماعةَ شبراً دخلَ النَّارَ**»[4].

• وأخرج **الحاكم** عن **ابن عمر** قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**مَنْ فارقَ أمةً أو عادَ أعرابياً بعد هجرتِهِ فلا حجة له**»[5].

• وأخرج **الحاكم** من حديث **حذيفة** عن رِبعي بن حِراش قال: أتيتُ حذيفة بن اليمان لياليَ سارَ الناسُ إلى عثمان، فقال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**مَنْ فارقَ الجماعةَ، واستذلَّ الإمارةَ، لقيَ اللهَ، ولا حجَّةَ له**»[6].

• وأخرج **الحاكم** عن **فَضالة بن عُبيد** عن رسولِ اللهِ ﷺ أنّه قال:

---

(١) في الأصل الفارسي: «ميتة الجاهلية».
(٢) انظر: «المستدرك»، للحاكم (١/ ٢٠٣) برقم: (٤٠٣).
(٣) انظر: «المستدرك»، للحاكم (١/ ٢٠٤) برقم: (٤٠٤).
(٤) انظر: «المستدرك»، للحاكم (١/ ٢٠٥) برقم: (٤٠٧).
(٥) انظر: «المستدرك»، للحاكم (١/ ٢٠٥) برقم: (٤٠٨).
(٦) انظر: «المستدرك»، للحاكم (١/ ٢٠٦) برقم: (٤٠٩).

«**ثلاثةٌ لا تسألْ عنهم: رجلٌ فارقَ الجماعةَ، وعصى إمامَه، فماتَ عاصياً، وأمةٌ أو عبدٌ آبقٌ مِنْ سيِّده فماتَ، وامرأةٌ غابَ عنها زوجُها وقد كفاها مؤنةَ الدُّنيا، فتبرَّجت بعدَه، فلا تسألْ عنهم**»[١].

• وأخرج **الحاكم** عن **أبي هريرة** قال: قال رسول اللهِ ﷺ: «**الصلاةُ المكتوبةُ إلى الصلاةِ المكتوبةِ التي بعدَها كفَّارةٌ لما بينهما، والجمعةُ إلى الجمعةِ و[الشهرُ إلى الشهرِ** ـ يعني: من] شهر رمضان إلى شهر رمضان ـ **كفَّارةٌ لما بينهما**»، ثم قال بعد ذلك: «**إلّا مِنْ ثلاثٍ... إلا من الإشراكِ باللهِ، ونكثِ الصفقةِ، وتركِ السُّنَّةِ**»، قلتُ: يا رسولَ اللهِ! أمّا الإشراكُ باللهِ فقد عرفناه، فما نكثُ الصفقةِ، وترك السُّنَّةِ؟ قال: «**أمَّا نكث الصفقةِ أنْ تبايعَ رجلاً بيمينِك، ثم تختلِفُ إليه، فتقابِلُه بسيفِكَ**[٢]، **وأمّا تركُ السُّنَّةِ فالخروجُ من الجماعة**»[٣].

• وأخرج **الحاكم** في حديث **حذيفة** الطويل حين ذكر قوماً يهدون بغير هديه، وقوماً يدعون إلى أبواب جهنم، قلتُ: فما تأمرني إن أدركتُ ذلك؟ قال: «**تلزمُ جماعةَ المسلمين وإمامَهم**»، قلتُ: فإنْ لم يكن لهم إمامٌ ولا جماعة؟ قال: «**فاعتزل تلك الفِرَقِ كلَّها**»[٤].

• وأخرج **الشيخان** من حديث عمر بطرق مختلفة: «**أنتم شهداءُ اللهِ في الأرضِ**»[٥].

• وأخرج **الحاكم** من حديث أبي زهير الثقفي [عن أبيه] قال:

---

(١) انظر: «المستدرك»، للحاكم (١/ ٢٠٦) برقم: (٤١١).

(٢) في الأصل الفارسي: «ثم تخالف إليه فتقاتله بسيفك».

(٣) انظر: «المستدرك»، للحاكم (١/ ٢٠٧) برقم: (٤١٢).

(٤) انظر: «المستدرك»، للحاكم (١/ ١٩٧) برقم: (٣٨٦).

(٥) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (١٣٦٧)، و«صحيح مسلم» برقم: (٩٤٩).

سمعتُ النبيَّ ﷺ... يقول: «**يوشِكُ أن تعرفوا أهلَ الجنّةِ من أهلِ النّارِ**»، أو قال: «**خيارُكم من شرارِكم**»، قيل: يا رسولَ اللهِ! بماذا؟ قال: «**بالثناءِ الحَسَنِ، والثناءِ السيِّئِ، أنتم شهداءُ بعضُكم على بعضٍ**»[١].

• وأخرج **مسلمٌ** من حديث **ثوبان، والمغيرة، وجابر بن سمرة، وجابر بن عبد الله، ومعاوية بن أبي سفيان** ـ ألفاظهم متقاربة ـ: «**لا تزالُ طائفةٌ من أمتي قائمةٌ بأمر اللهِ، لا يضرُّهم مَنْ خذلهم أو خالفهم حتّى يأتيَ أمرُ اللهِ وهم ظاهرونَ على الناسِ**»[٢].

ويحتمَلُ أن يُحْمَلَ حديثُ: «**لا تَجْتَمِعُ أُمّتي على الضلالةِ**»، على معنى هذا الحديث نفسه، بأنَّ طائفةً من هذه الأمة تكون على الحقِّ آخذةً بالسُّنَّة، قائمةً بواجبات الملَّة، لا على معنى حجِّية الإجماع، لكن المعنى الأول هو المشهورُ الذي حَمَلَ عليه جمهورُ الفقهاء، والله أعلم.

وعُلِمَ من هذه الأحاديث أننا إذا تأمَّلنا في كلماتِ أحاديثِ النهي عن مفارقةِ الجماعةِ، والأمر بالاتباع السواد الأعظم تخرجُ منها علَّتان:

إحداهما: إقامة الخلافة التي تشتمل على هذه الفوائد والنتائج.

والثانية: صيانةُ الملَّة عن اختلاف أهلها.

والمفهوم أنَّ هذا الحكمَ الصريحَ يتعلّقُ بموضعٍ وجَّهَ فيه الخليفةُ أمراً بعدَ مشاورةِ أهل العلم كلّهم أو جمهورهم، وتمَّ نفاذه في المسلمين.

وأمّا اتفاقيات جمهورُ الفقهاء إذا خلت عن صولةِ الخلافةِ، وكذلك مذهب الخليفة نفسه في قضية من القضايا المجتهد فيها فهي واجبةُ

---

(١) انظر: «المستدرك»، للحاكم (١/٢٠٧) برقم: (٤١٣).

(٢) انظر: «صحيح مسلم» برقم: (١٠٣٧).

الاتباعِ أيضاً، إلحاقاً لها بذلك الأصل المنصوص عليه من جهة المشاركة في أحد شطري العلَّة.

ومثال ذلك قول الشافعي في آية: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ...﴾ [النساء: ١٠١]، قال: منطوقُ الآيةِ: إنّما هو قصرُ الصلاةِ إذا اجتمعَ السفرُ والخوفُ، والسُّنَّة وإجماعُ الأمة قد أَلْحَقَا بها القصرَ في السفرِ من غير خوفٍ، والسرُّ في هذه المسألة أنَّ السفرَ والخوفَ كلٌّ واحدٍ منهما سببٌ للتخفيفِ.

وكذلك في أحكام الخلفاء الراشدين اجتمعَ ظنّ إصابتهم في آرائهم بهاتين المصلحتين (العلَّتين: يعني: إقامة الخلافة، وحفظ الشريعة)، وتأكَّد هذا الأمر للغاية.

وفي ظنِّ الإصابةِ يُساوي عبد الله بن مسعود الخلفاء الراشدين في السُّنَّة والقراءة، وأُبيّ بن كعب في القراءة وحدها، وعلي في القضاء، وزيد بن ثابت في الفرائض، وذلك بناءً على ما تقدَّمَ من ثناءِ النبيِّ ﷺ عليهم ثناءً جميلاً، ولكنهم متأخرون عن الخلفاء الراشدين باعتبار المصلحتين اللتين تقدَّم ذكرهما، واتفاقياتُ فقهاء الأمصارِ من دون رعاية الخليفة هي مظنةٌ الإصابة أيضاً، بناءً على المصلحةِ التي أشارَ إليها الشافعيُّ حيث قال: وإنما تكون الغفلةُ في الفُرقةِ، فأمّا الجماعةُ فلا يمكن فيها كافةً غفلةٌ عن معنى كتاب الله، ولا سُنَّة، ولا قياس إن شاء الله[1].

وقال عمر رضي الله عنه: فاقضِ بما قضى به الصالحون[2].

---

(١) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١/ ٦٢).

(٢) انظر: «سنن النسائي» برقم: (٥٣٩٩)، و«سنن النسائي الكبرى» (٣/ ٤٦٨) برقم: (٥٩٤٤).

وعُلِمَ أيضاً بالقطع أنَّ عدمَ القبولِ لرأي الخليفة في قضية مجتهد فيها وسلوك كل أحد على رأيه يؤدِّي إلى ضعف أمر الخلافة وينافي مصلحة إقامتها، فقال الشافعي رعايةً لهذه المراتب: وإذا رجعنا إلى التقليد، فقول الأئمة أبي بكر وعمر وعثمان ـ قال في القديم: وعلي ـ أحبّ إلينا[(١)]، وكان توقُّفه في قول علي في المذهب الجديد من جهة عدم التمكين، وعدم اتفاق الأمة على قوله، وهذا أحد الأسباب لوجوب اتباع الخلفاء.

❁ الدلائل على فضيلة الخلفاء في عهودهم:

• وأمّا أنّ كلَّ واحد من الخلفاء كان أفضلَ الأمةِ في وقته، فقد رواه **ابنُ عمر**: كنا نخيِّر في زمان رسول الله ﷺ، فنقول: أبو بكر خيرُ هذه الأمة، ثم عمرُ ثم عثمانُ.

• ويدلّ عليه حديث علي: «**هذان سيدا كهولِ أهلِ الجنّةِ**»[(٢)].

• وحديثُ الوزنِ ورجحانِ أبي بكر برواية **أبي بكرة الثقفي وعرفجة** وغيرهما.

• وبيّن عمر الفاروق أفضليةَ الصدِّيق وقد تواتر ذلك عنه.

• وقال أبو بكر الصدِّيق فيه: «**اللَّهُمَّ استخلفتُ عليهم خيرَ خلقك**»[(٣)].

• وقال عبد الرحمٰن بن عوف عند عقد الخلافة لعثمان ذي النورين: والله عليه أن لا يألو عن أفضلهم في نفسه.

---

(١) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١/ ٧٣).

(٢) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٦٦٥).

(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٨/ ٥٧٤).

• وقال عليٌّ على منبر الكوفة: خيرُ هذه الأمةِ أبو بكر ثم عمر[١].

• قال سفيان الثوري بعد الاطلاع على هذه الإجماعيات: مَنْ زعمَ أنَّ عليّاً كان أحقَّ بالولايةِ منهما، فقد خطَّأ أبا بكر وعمر والمهاجرين والأنصار، وما أراه يرتفعُ مع هذا له عمل إلى السماء[٢].

• وقال الشافعيُّ: اضطُرَّ الناسُ بعد رسولِ اللهِ ﷺ إلى أبي بكر، فلم يجدوا تحتَ أديم السماء خيراً من أبي بكر، فولَّوه رقابهم[٣]، وقال بعضُ الصحابةِ والتابعين: إنَّ أبا بكر الصدِّيق قد قام في قتالِ المرتدِّين بدورٍ يقومُ به الأنبياءُ.

❁ دلائل وطرق لإثبات خلافة الخلفاء الراشدين:

وأما إثباتُ الخلافةِ للخلفاء الراشدين فقد ثبت عن طرق كثيرة، منها إجماع الصحابة على خلافة الصدِّيق الأكبر رضي الله عنه، واختار عبد الله بن مسعود هذا الوجه حيث قال: ما رأى المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون سيئاً فهو عند الله سيئٌ، وقد رأى الصحابة جميعاً أن يستخلفوا أبا بكر رضي الله عنه[٤].

• ومنها استخلاف أبي بكر لعمر رضي الله عنه، قال عبد الله بن مسعود: أفرسُ الناسِ ثلاثةٌ: ... وأبو بكر حين استخلف عمر...[٥] الحديث.

---

(١) انظر: «تاريخ دمشق» (٤٤/ ٢١٢). (٢) انظر: «تاريخ دمشق» (٤٤/ ٣٨٤).

(٣) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١/ ٩٢).

(٤) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ٨٣) برقم: (٤٤٦٥).

(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٤٣٥)، و«المستدرك»، للحاكم (٣/ ٩٦) برقم: (٤٥٠٩)، و«المعجم الكبير» (٩/ ١٦٧)، والحديث بكامله هكذا: «إنَّ أفرسَ الناس ثلاثةٌ: العزيزُ حين تفرّس في يوسف، فقال لامرأته: ﴿أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ﴾، والمرأةُ التي رأتْ موسى، فقالت لأبيها: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ﴾، وأبو بكر حين استخلف عمر رضي الله عنهما».

• واتفاقُ الناسِ على خلافةِ الفاروق من حيث لم يكن فيه مجال الخلاف لأحد، وذلك أظهر لا حاجة للبيان فيه، وهكذا تحقق الإجماع هاهنا، لكن بعد الاستخلاف والتسلُّط، وهكذا الاتفاق على خلافة عثمان ذي النورين معلوم مشهور، واختار المتأخِّرون من الأشاعرة هذا المذهب نفسه واكتفوا به.

• ومنها تفويضه ﷺ إمامة الصلاة إلى أبي بكر الصدِّيق في أيام مرض وفاته، وقد اعتمد الصحابة على هذا الدليل عند الاستخلاف، وأقره المهاجرون والأنصار به، وثبتت قصة إمامة الصدِّيق بروايات متواترة.

والاستدلال بإمامته على الخلافة نقل من أكابر فقهاء الصحابة بأسانيد مستفيدة، من أمثال عمر الفاروق، وعلي المرتضى، وابن مسعود رضي الله عنهم، وقصة ذكر الإمامة عند انعقاد خلافة الصدِّيق وإذعان المخالفين له وترك الأنصار الخلافة كان بسبب هذا الحديث الصحيح المروي عن أبي بكر الصدِّيق، وعمر الفاروق، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم.

أما وجه الاستدلال إجمالاً: فمن جهة أنَّ أكابر الصحابة استدلُّوا به، وسلّمت جميعُ الأمة بهذا الاستدلال، وبه قام إتمامُ الحجة على المخالفين، فثبت الإجماع هنا على صحة الاستدلال.

وأما تفصيلاً: فليُعلم أنَّ إقامة الرجل غيره مقامَ نفسه إنّما يكون بالقول مرةً وبالفعل أخرى، ولا بدّ أن يكون الفعل مُفهِماً بحيث يفهم الناس بمجرَّد السماع، ولكن أفهام الناس تختلف باختلاف الطبقات والزمان، فالتاجر يجعل خليفته في دكَّانه، والمدرِّس في حلقة درسه، وملوك العجم كانوا يُجلسونه على سدة الحكم، فلمّا كانت الصلاةُ من أعظم الطاعات والعبادات، وواظب النبيُّ ﷺ على إمامتها، كان أمر

تفويضه ﷺ إمامة الصلاة إلى أبي بكر الصدِّيق من أكبر دليل جلي على استخلافه.

• **ومنها حديث عائشة وعبد الرحمٰن: «لقد هممت أن أدعو أبا بكر فأعهد إليه»**. . . إلخ[1]، ومنها خطبته الأخيرة التي خطبها قبل خمسة أيام من وفاته، ورواها جماعة من الصحابة، منهم ابن مسعود، وأبو سعيد، وجندب بن عبد الله، وأبو هريرة وغيرهم، واختار أبو عمر صاحب «الاستيعاب» هذا المذهب واعتمد عليه.

ومنها: تلك الرؤى الكثيرة التي رآها النبي ﷺ أو عرضها الصحابة بحضرته ﷺ، وتأويل جملتها «خلافة الخلفاء»، فكأنّ هذه الرؤى كلها تفسيرٌ لآية الاستخلاف وآية التمكين في الأرض:

أحدها: رؤيا القليب، رواها أبو هريرة وابن عمر.

والثانية: رؤيا الوزن في حديث أبي بكرة الثقفي، رآها شخص وعبرها النبي ﷺ بالخلافة، وروى عرفجة وجماعة أن النبي ﷺ رآها بنفسه، ولا يُستغرب وقوع الصورتين.

والثالثة: حديث نوط بعضهم ببعض، من حديث جابر.

والرابعة: رؤيا الدلو، من حديث سمرة بن جندب.

والخامسة: رؤيا الظلَّة، والسبب المعلَّق من السماء من حديث أبي هريرة وابن عباس.

والسادسة: مرسل الحسن البصري.

• ومنها التعريض الجلي من النبي ﷺ بخلافة الخلفاء الثلاثة بإسنادِ الأمور التي تتعلّق ببيت المال إليهم، مثل حديث جبير بن مطعم:

---

(١) انظر: «التمهيد»، لابن عبد البر (٢٢/ ١٢٩) واللفظ له، و«تاريخ دمشق» (٣٠/ ٢٦٦).

«إنَّ امرأة أتت رسول الله ﷺ... إلخ، أخرجه الشيخان، قال الشافعي: وفيه دليل على خلافة أبي بكر، وحديث أنس: «بعثني بنو المصطلق...»، وحديث سهل بن أبي حثمة: «بايع أعرابيٌّ النبيَّ ﷺ»، وحديث أبي هريرة قريباً من معناه.

• ومنها التعريض الجلي منه ﷺ بخلافة الثلاثة ببيان بعض خواصِّ الخلافة الخاصة في حقِّ هؤلاء السعداء، مثل حديث **أبي ذر** في قصة: «تسبيح الحصيات في أيدي الخلفاء الثلاثة على الترتيب»، وحديث أنس نحواً من ذلك.

وحديث أبي الدرداء في أمره ﷺ للصدِّيق بالخطبة ثم أمرِهِ لعمر بالخطبة.

وحديث أبي موسى الأشعري في قصة الحائط.

• **ومنها**: قوله ﷺ في الخلفاء الثلاثة: «**هم الخلفاء**» في قصة تأسيس المسجد من حديث عائشة وسفينة.

• **ومنها**: الأحاديث الدالة على معاملته ﷺ معاملة الملك ولي عهده، وهي تدلّ على صحّةِ خلافتهم حين تمّ انعقادُ الخلافة لهم، مثل حديث علي وحذيفة: «**إن تؤمِّروا أبا بكر...**»، الحديث، وحديث حذيفة وغيره: «**لا غنىً لي عنهما، هما من الدِّينِ بمنزلةِ السمعِ والبصرِ**»، وفي لفظ: «**بمنزلة الرأسِ من الجسدِ**»، وحديث أبي سعيد الخدري: «**وأما وزيراي في الأرض فأبو بكر وعمر**».

• **ومنها**: الأحاديثُ الدالّة على أنَّ ترتيبَ دولته ﷺ يكون على هذا المنوال:

«**نبوةٌ ورحمةٌ ثم خلافةٌ ورحمةٌ**»، وفي لفظ: «**خلافةٌ على منهاج النبوة، ثم يكون مُلْكٌ عضوض**»، وقد حصلت في الخارج خلافة الخلفاء

بعد زمن النبي ﷺ ثم ملك عضوض، فعُلِم بذلك أن خلافتهم كانت على منهاج النبوة، وهي خلافة ورحمة، من حديث أبي عبيدة، ومعاذ بن جبل وحذيفة وغيرهم.

• **ومنها**: إخبار النبي ﷺ: «**خيرُ الناسِ قرني، ثم الذين يلونهم، ثمّ الذين يلونهم، ثمّ الذين يلونهم**(١)**، ثم يجيء**(٢) **قوم أيمانهم تسبِقُ شهادتهم وشهادتهم أيمانهم**»(٣) برواية جماعة عظيمة، منهم عمر وابن مسعود وعمران وحذيفة وغيرهم.

القرن الأول: هو زمن النبي ﷺ من الهجرة إلى وفاته.

والقرن الثاني: زمن الشيخين رضي الله عنهما.

والقرن الثالث: زمن عثمان ذي النورين، ثم نشأ الخلاف وظهرت الفتن.

وتفصيل هذا الإجمال أنَّ النبيَّ ﷺ قد بيَّن الفتنةَ التي تظهر بعد مقتل عثمان رضي الله عنه في أحاديث متواترة متكثِّرة الطرق كما سيأتي قريباً، ووصف الزمن الذي قبلها بأوصاف حسنة والذي بعدها بأوصاف سيئة، فإذا تأمَّلنا جميع هذه الروايات التي تختلف عباراتها، وتتحد في أصل الغاية حصل لنا حدس قوي، وهو أنَّ المراد من القرون الثلاثة هو تفصيل هذه المدة، وليس تقسيمها إلى القرون الثلاثة، وإنَّما تلك القرون الثلاثة باعتبار أنَّ خلفاءها والقائمين بالأمر فيها كانوا على قمة الكمال، وباعتبار شيوع أعمال الخير وظهور الدولة الإسلامية فيها، وإنجاز موعود الله تبارك وتعالى، وحصول الظهور والغلبة للإسلام فيها.

---

(١) «ثم الذين يلونهم» وردت في الأصل الفارسي مرتين فقط.

(٢) وفي الأصل الفارسي «ينشأ».

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣٠/ ٢٩٢) برقم: (١٨٣٤٨).

• **ومنها**: الأحاديثُ تدلُّ على أنَّ الملّة الإسلامية تزدهر إلى غاية، ثم تصابُ بالضعف والانحطاط مثل حديث **علقمة بن كِرْزٍ**، وحديث: «**... ثم ثنياً ثم رباعياً ثم سديساً ثم بازلاً إلى غير ذلك**»[(١)]، وهكذا نشاهِدُ في الواقع أنّ الإسلام يتقدَّم ويترقَّى إلى زمن سيدنا عثمان رضي الله عنه، ثم بدأ يتناقصُ، فعُلِم بذلك أنَّ خلافتَهم خلافةٌ راشدةٌ مبشَّرٌ بها في الآيات والأحاديث.

• **ومنها**: حديث **ابن مسعود**: «**تدورُ رحى الإسلامِ بستّ وثلاثين سنةً**»[(٢)]، ثم أنذرَ ﷺ بظهور فتنةٍ عظيمةٍ، فقال: «**فإن يهلكوا فسبيل من قد هلك**»[(٣)]، فيدلّ دوران رحى الإسلام على استقامةِ أمور الإسلام وغلبته على سائر الأديان وكثرة الفتوح، وذلك هو المقصودُ من الخلافة الراشدةِ، فلا بدّ أن تكونَ خلافتُهم خلافة راشدة.

• **ومنها**: حديث **أبي هريرة**: «**الخلافةُ بالمدينةِ والمُلك بالشامِ**»، فعُلِمَ من هنالك أنَّ الخلافةَ الراشدةَ تكون بالمدينة، وفي الواقع لم يسكن بالمدينةَ غير الخلفاء الثلاثة.

• **ومنها**: الأحاديث التي تدلّ على أنَّ عمرَ بنَ الخطاب رضي الله عنه كان قفل الفتنة وحارس الأمة منها، مثل حديث **حذيفة**، وهو أصح ما في هذا الباب، وحديث **عبد الله بن سلام وأبي ذر** وغيرهم، وهكذا وقع في الخارج أيضاً، ولم تظهر فتنة في زمن عمر رضي الله عنه، وتلك بشارة بالخلافة الراشدة لعمر بن الخطاب.

• **ومنها**: الأحاديث الدالَّة على أن عثمان يكون على الحق عند

---

(١) انظر: «مسند أبي يعلى» (١/ ١٧١) برقم: (١٩٢)، و«معرفة الصحابة» (٢٢/ ١٠٠).
(٢) انظر: «سنن أبي داود» برقم: (٤٢٥٤).
(٣) انظر: «مسند أحمد» (١/ ٣٩٣) برقم: (٣٧٣٠).

ظهور الفتنة، والمعارضين له على الباطل، ولها طرق كثيرة من **مسند ابن عمر، وعبد الله بن حوالة، ومرة بن كعب، وكعب بن عجرة، وأبي هريرة، وحذيفة، وعائشة**، وغيرهم، وكان عثمان رضي الله عنه خليفةً عند الفتنة، وحاول المعارضونَ نزعَ الخلافةِ من يده، فثبت بذلك أنَّ خلافته مقبولةٌ عند الله ورسوله.

• **ومنها**: الأحاديثُ الدالَّة على لوازم الخلافةِ الخاصّةِ بكثرتها وتشعّب طرقها، وللاستدلال بهذه اللوازم صورتان:

إحداهما: أن ننقّحَ معاني الخلافة الخاصَّة، ونعرفَ المعاني والصفات التي تمتاز بها الخلافة الخاصة عن الخلافة العامَّة الصحيحة والخلافة الجابرة، ثم نثبتُ هذه المعاني والصفات في الخلفاء بالأدلة المتكاثرة، وهذه الصورةُ تدلّ على المقصود بالقطع.

والثانية: أن نكتفيَ ببعض اللوازم، ونُثبتَها في الخلفاء بأدلَّتها مع إثبات كل لازمة من اللوازم بدليلها المفرد.

ومعظم الصحابة والتابعين اختاروا هذه الصورة، وعرفوا حقيقة الخلافة بها، وفي هذه الآثار وجهان للاحتمال:

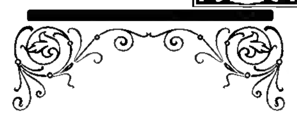
أحدهما: أنهم ذكروا بعض اللوازم، وتركوا بعضها الآخر اعتماداً على ما هو معلوم عندهم، كما تذكر إحدى المقدّمتين للدليل بعض الأحيان وتترك الثانية، وحينئذٍ يتمّ أصل الاستدلال مع بعض المسامحة في التقرير.

والآخر: أن يكون غرضهم هو الاستدلال بلازمة وحدها، إذ إنّ كل لازمة من لوازم الخلافة تهدِفُ إلى أصل المقصود، وهي مظنّةُ أصل الغاية، وحينئذٍ يكون الدليلُ ظنياً أو خطابياً، لذلك فإنَّ **جماعةً** من الصحابة استدلّوا بالسوابق الإسلامية وحدَها، **وجماعةً** ببشارة الجنة،

وجماعةً بأنه ﷺ عامل الصدِّيقَ والفاروقَ معاملةَ وليِّ العهدِ، والاستدلال بقول عائشة رضي الله عنها: «لو كان رسولُ اللهِ ﷺ مستخلِفاً لاستخلفَ أبا بكر، ثم عمرَ» من هذا القبيل، **وجماعةً** بأنّ الخلفاءَ ثبتتْ لهم صفةُ السابقين المقرَّبين في الشرع.

ومن هذا القبيل استدلال الشيخ محيي الدين ابن عربي على الخلافة الراشدة لعمر الفاروق بأنّ حقيقة النبوة «الوحي والعصمة» وحقيقة خلافة النبوة «وجود المثال» لهذين الوصفين في خليفته ﷺ، فلمّا بيَّن النبيُّ ﷺ: «**الفاروقُ محدَّث، والسكينةُ تنطقُ على لسانه**»، وبيَّن: «**الشيطانُ يفِرُّ من ظلّه**»، فكأنّما أثبتَ له خلافةَ النبوّةِ، **وجماعةً** بأفضليتهم الثابتة بحديث **الوزن** وحديث: «**كنا نخيِّر**...» الحديث، ولهذا الاستدلالُ أوجهٌ كثيرةٌ لا يأتيها الحصرُ والإحصاءُ، ويتمكَّن اللبيبُ الفَطِنُ من استخراج المزيدِ من كلامنا، فلا نطيلُ الكلام هنا.

تم الفصل الرابع، والحمد لله أولاً وآخراً
ويتلوه الفصل الخامس



الفصل الخامس

في بيان الفتن التي أخبر بها النبي ﷺ بظهورها بعد عصر الخلفاء الراشدين



وهو يحتوي على مقصدين:

أحدهما: في بيان الفتن التي ظهرت بعد انقضاء عصر الخلافة الراشدة مباشرة.

والثاني: في بيان الفتن التي تظهر حتّى يوم القيامة.




المقصد الأول


[في بيان الفتن التي ظهرت بعد انقضاء مدة الخلافة الخاصّة مباشرة]

۞ شهادة عثمان رضي الله عنه وظهور فتنة عظيمة:

ليُعلم أنّ النبيَّ ﷺ أخبر في الأحاديث المتواترة بالمعنى أنّ عثمان سيُقتلُ، وعند قتله تظهرُ فتنةٌ عظيمةٌ تتغيَّر بها أحوال الناس وأوضاعهم، ويستطيرُ شرُّها شرقاً وغرباً، ووصف زمن ما قبل هذه الفتنة بأوصاف المدح والثناء، ووصف زمن ما بعدها بصفات الذّم، وقد بالغ في توضيح هذه الفتنة وبيانها إلى حدٍّ لم يخفَ على أحدٍ انطباقُها عند الوقوع.

وبيَّن بكلِّ صراحة أنّ انتظام الخلافة الخاصة ينقطع بهذه الفتنة، وتختفي بقايا بركات أيام النبوة، وأوضحَ هذا المعنى إيضاحاً انكشفَ به الحجابُ عن وجه الحقيقة، وقامت حجةُ اللهِ على ثبوتها.

وظهر هذا الخبرُ النبوي في الواقع حتّى إن عليّاً رضي الله عنه رغم رسوخ قدمه في السوابق الإسلامية، ووفور أوصاف الخلافة الخاصة فيه، وانعقاد البيعة له، ووجوب انقياد الناس له في حكم الله لم تستقرّ خلافته ولم تتمكّن، ولم ينفَّذ حكمه في أقطار الأرض، ولم يخضع عامةُ المسلمين له، وانقطعَ الجهادُ في زمانه إطلاقاً، وافترقت كلمة المسلمين، وزال اتحادهم، ووقعت حروب عظيمة معه مع الناس، وقصروا يده عن التصرّف في البلاد، وضاقت دائرةُ سلطانه على مرِّ الأيام، لا سيّما بعد واقعة التحكيم، حتّى لم تبقَ له في نهاية الأمر إلا الكوفة ومُضافتها،

ومهما كانت هذه الأوضاعُ والظروفُ لم تترك أيّ خلل في شخصيته ﷺ المباركة، ولكنّ مقاصد الخلافة لم تتحقّق على يده على وجهها المطلوب.

وتمكّن بعده معاوية بن أبي سفيان، واتّفق الناسُ على خلافته، وزالت الفرقةُ من بينهم، ولكن لم توجد فيه السوابقُ الإسلامية، ولم تكن فيه لوازمُ الخلافة الخاصة.

وأمّا الملوكُ الذين جاؤوا بعده، فقد بعدوا عن الحقِّ بُعداً كما لا يخفى.

والحاصل: وقع ما أخبر النبيُّ ﷺ بانقطاع الخلافة الخاصة المنتظمة النافذة من هذه الجهة.

إخباره ﷺ بقتل عثمان، وكونه على الحق:

• وأمّا إخبار النبيِّ ﷺ بأنّ عثمان ﷺ يقتل وأنّه يكونُ على الحقِّ، **فقد ثبت هذا بطرق مختلفة:**

• وعن **ابْنِ عُمَرَ** [قَالَ]: ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِتْنَةً، فَقَالَ: «**يُقْتَلُ فِيهَا هَذَا مَظْلُوماً**» أخرجه **الترمذي**(١).

• وعن **عائشة** ﷺ أنّ النبيَّ ﷺ قال: «**يا عثمانُ! إنّه لعلَّ اللهُ يُقَمِّصُك قميصاً، فإنْ أرادوكَ على خلعِهِ فلا تَخْلَعْهُ لهم**» أخرجه **الترمذي**(٢).

• وعن **مرّة بن كعب، وعبد الله بن حوالة، وكعب بن عجرة** ـ وألفاظهم متقاربة ـ: ذكر رسولُ اللهِ ﷺ فتنةً فقرَّبها، فمرّ رجلٌ مُقَنّعٌ

---

(١) «سنن الترمذي» برقم: (٣٧٠٨).
(٢) «سنن الترمذي» برقم: (٣٧٠٥).

رأسَهُ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**هذا يومئذٍ على الهُدَىٰ**»، فوثبتُ فأخذتُ بِضَبْعَيْ عثمان، ثم استقبلتُ رسولَ اللهِ ﷺ، فقلتُ: هذا؟ قال: «**هذا**».

وهذا لفظ **ابن ماجه** من حديث كعب بن عجرة[١]، وأخرجه **الترمذي**[٢] **والحاكم** عن آخرين قريباً منه.

• وفي حديث **أبي هريرة**: «**إنّها ستكون فتنةٌ واختلافٌ، أو اختلافٌ وفتنةٌ**»، قال: قلنا[٣]: يا رسول الله، فما تأمرنا؟ قال: «**عليكم بالأميرِ وأصحابِهِ**»، وأشار إلى عثمان[٤].

• ومن حديث عثمان يوم الدار: إنّ رسول الله ﷺ قد عهدَ إليَّ عهداً، وأنا صابرٌ عليه[٥].

• وفي حديث **أبي موسى** لعثمان: «**[افْتَحْ لَهُ]، وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ**»[٦].

تعيين مدّةِ هذه الفتنة:

• وأمّا تعيينُ مدّة هذه الفتنة: فقد جاء في **حديث ابن مسعود**: قال رسول الله ﷺ: «**إنّ رَحَىٰ الإسلامِ ستزولُ بعدَ خمس وثلاثين، أو ستّ وثلاثين، أو سبع وثلاثين سنة، فإنِ يهلكوا فسبيلُ مَنْ [قد] هَلَكَ، وإنْ يَقُمْ**

---

(١) أخرجه ابن ماجه في «سننه» (ح: ١١١).

(٢) أمّا ما رواه الترمذي فإنّه ليس نفس الحديث الذي أخرجه الحاكم، بل الحديثُ الذي رواه الترمذي هو هكذا: «**إنّها ستكونُ فتنةٌ، القاعِدُ فيها خيرٌ من القائم، والقائمُ خيرٌ من الماشي، والماشي خيرٌ من الساعي**»، قال: أفرأيتَ إنْ دخلَ عليَّ بيتي، وبسطَ يدَه إليَّ ليقتلني، قال: «**كن كابنِ آدمَ**». انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٢١٩٤).

(٣) في الأصل الفارسي: «قالوا» بدل «قال: قلنا».

(٤) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ١٠٥) برقم: (٤٥٤١).

(٥) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (١٥/ ٣٥٦) برقم: (٦٩١٨).

(٦) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٣٦٩٣).

لهم دينهُم يَقُمْ سبعينَ [سنةً]»، قال عمرُ ﵁: يا نبيَّ اللهِ! بما مضى أو بما بقي، قال: «**لا، بل بما بقي**»[١].

• وقد ظهر مضمون هذا الحديث في الخارج بأنَّ عثمان ﵁ قُتِلَ في سنة ٣٥هـ، واختلَّ أمرُ الجهادِ.

ثم قام أمرُ الجهاد في زمن معاوية بن أبي سفيان، وقد انقرضت دولة بني أمية بعد سبعينَ سنةٍ من هذا التاريخ.

تعيين الجهة التي تظهر فيها هذه الفتنة:

• وأمّا تعيينُ الجهةِ التي تقعُ فيها هذه الفتنة، فهو في حديث **ابن عمر** وجماعة من الصحابة، وهذا حديثٌ مستفيضٌ: «**ألا إنَّ الفتنةَ هاهنا، [ألا إنَّ الفتنةَ هاهنا، من] حيثُ يَطْلُعُ قرنُ الشَّيْطَانِ**»[٢]، وهكذا وقع في الخارج، إذ إنَّ كلَّ فتنةٍ وقعت بعد مقتل عثمان كانت في العراق، وهي تقع شرقي المدينة.

كيفية هذه الفتنة وصورتها:

• وأمّا كيفية هذه الفتنة وصورتها، فقد أخرج **الترمذي** عن **حذيفة بن اليمان** أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**والذي نفسي بيدِهِ، لا تقومُ الساعةُ حتّى تقتلوا إمامكم، وتجتلدوا**[٣] **بأسيافكم، ويرث دنياكم شرارُكم**»، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن[٤].

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ٣٩٥) برقم: (٣٧٥٨)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٤/ ١٥٠) برقم: (١٣٨٦) واللفظ له، وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ١٠٨) برقم: (٤٥٤٩)، وفيه «ستدور» مكان «ستزول».

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (ح: ٣٥١١، ٧٠٩٣)، ومسلم في «صحيحه» (ح: ٢٩٠٥) واللفظ له.

(٣) أي: تضربوا بها.

(٤) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٢١٧٠).

• وأخرج **أحمد** عن ابن عون الأنصاري أن عثمان [بن عفان] قال لابن مسعود: [هل أنتَ منتهٍ عمّا بلغني عنك، فاعتذرَ بعضَ العُذْرِ.

فقال عثمانُ:] ويحكَ إنِّي قد سمعتُ وحفظتُ وليس كما سمعتَ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**سَيُقْتَلُ أميرٌ وينتزِي مُنْتَزٍ**»، وإنِّي أنا المقتولُ، وليس عمر، إنّما قَتْلُ عمرَ واحدٌ وإنّه يُجْتَمَعُ عليّ[١].

• وذكر **أبو عمر** أنّ زرارة بن عمرو قصّ على النبيِّ ﷺ رؤياه، فقال: رأيتُ ناراً خرجتْ من الأرضِ، فحالت بيني وبين ابنٍ لي، يقال له: عمرو، وهي تقولُ: لظًى لظًى بصيرٌ وأعمى، فقال النبيُّ ﷺ [في تعبيره]: «**وأمَّا النّارُ فإنَّها فِتْنةٌ تكونُ بَعْدِي**»، قال: وما الفتنةُ يا رسولَ اللهِ؟ قال: «**يَقْتُلُ النَّاسُ إمامَهم، ويشتجرونَ اشتجارَ أطباقِ الرأسِ** ـ وخالف بين أصابعه ـ، **دمُ المؤمنِ عِنْدَ المؤمنِ**[٢] **أحلىٰ مِنَ الماءِ، يَحْسَبُ المسيءُ أنّه مُحْسِنٌ، إنْ مِتَّ أدركتْ ابنك، وإن ماتَ ابنُكَ أدركتْكَ**»، قال: فادع الله أن لا تدركني، فدعا له[٣].

تعيين الجماعة الذين يثيرون هذه الفتنة:

• وأما تعيين جماعة تثيرُ هذه الفتنة، فقد أخرج **الحاكم** من حديث **ابن مسعود** رفعه: «**أحذِّركم سبعَ فتنٍ تكونُ بعدي: ـ وعد أولها ـ فتنةٌ تُقْبِلُ مِنَ المدينةِ**»[٤]، قال الراوي: فكانت فتنةُ المدينةِ من قبل طلحة والزبير[٥].

---

(١) انظر: «مسند أحمد» (١/ ٦٦) برقم: (٤٧٩).

(٢) في الأصل الفارسي: «على المؤمن».

(٣) انظر: «الاستيعاب» (١/ ١٥٣) رقم الترجمة: (٨١١)، و«الوافي بالوفيات» (٤/ ٤٧٧).

(٤) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٤/ ٥١٥) برقم: (٨٤٤٧).

(٥) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٤/ ٥١٥) برقم: (٨٤٤٧).

الجماعة التي تنتظم خلافتهم:

• أنَّ النبيَّ ﷺ بيَّن مَنْ هم الذين تنتظِمُ خلافتُهم وتنقرضُ بعدهم مع تعيين أعدادهم وتشخيص أسمائهم في حديث **أبي هريرة وابن عباس** في رؤيا رجلٍ رأى فيها ظُلّةً تنطِفُ سمناً وعسلاً، وسبباً واصلاً من السماء إلى الأرض، فأخذَ به النبيُّ ﷺ وعلا، ثم رجل آخر، ثم رجل آخر، ثم انقطع بالثالث، ثم وصل له، فَعَبَرَهُ الصدِّيقُ بما يدلّ على ابتلاء الثالث.

• وأخرج **أبو داود**، عن الْحَسَنِ، عَنْ **أَبِي بَكْرَةَ**، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ رُؤْيَا؟**» فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا رَأَيْتُ كَأَنَّ مِيزَاناً نَزَلَ مِنْ السَّمَاءِ فَوُزِنْتَ أَنْتَ وَأَبُو بَكْرٍ فَرَجَحْتَ أَنْتَ بِأَبِي بَكْرٍ، وَوُزِنَ عُمَرُ وَأَبُو بَكْرٍ فَرَجَحَ أَبُو بَكْرٍ، وَوُزِنَ عُمَرُ وَعُثْمَانُ فَرَجَحَ عُمَرُ، ثُمَّ رُفِعَ الْمِيزَانُ فَرَأَيْنَا الْكَرَاهِيَةَ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللهِ ﷺ[1].

• وأخرج **أبو داود** عَنْ **سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ** أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! [إِنِّي رَأَيْتُ] كَأَنَّ دَلْواً دُلِّيَ مِنْ السَّمَاءِ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ، فَأَخَذَ بِعَرَاقِيهَا، فَشَرِبَ شُرْباً ضَعِيفاً، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ، فَأَخَذَ بِعَرَاقِيهَا، فَشَرِبَ حَتَّى تَضَلَّعَ، ثُمَّ جَاءَ عُثْمَانُ، فَأَخَذَ بِعَرَاقِيهَا، فَشَرِبَ حَتَّى تَضَلَّعَ، ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ، فَأَخَذَ بِعَرَاقِيهَا، فَانْتَشَطَتْ، وَانْتَضَحَ عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ[2].

• وعن **سهل بن أبي حثمة**، قال: بايع أعرابيٌّ النبيَّ ﷺ [إلى أجل]، فقال عليٌّ للأعرابي: ائتِ النبيَّ ﷺ فسله[3]: إنْ أتى عليه أجلُه

---

(١) انظر: «سنن أبي داود» برقم: (٤٦٣٤).
(٢) انظر: «سنن أبي داود» برقم: (٤٦٣٧).
(٣) في الأصل الفارسي: «فاسأله».

مَنْ يقضيه؟ فأتى الأعرابيُّ النبيَّ ﷺ فسأله، فقال: «**يقضيك أبو بكر**» فرجعَ[١] إلى عليٍّ فأخبره[٢]، فقال: ارجعْ [إلى النبيِّ ﷺ[٣]] فسله: إنْ أتى على أبي بكرٍ أجلُه من يقضيه؟ فأتى الأعرابيُّ النبيَّ ﷺ فسأله، فقال: يقضيك عمرُ، فقال عليٌّ للأعرابيِّ: سله، مِنْ بعدِ عمرَ، فقال: «**يقضيك عثمانُ**»، فقال عليٌّ للأعرابيِّ: ائتِ النبيَّ ﷺ فسله: إنْ أتى على عثمانَ أجلُه فمن يقضيه؟ [فسأله]، فقال [النبيُّ] ﷺ: «**إذا أتى على أبي بكرٍ أجلُه، وعمرَ [أجلُه] وعثمانَ [أجلُه]، فإنِ استطعتَ أن تموتَ فمت**»[٤].

• وأخرج **الحاكم** عن **أنس [بن مالك]** قال: بعثني بنو المصطلق إلى رسولِ اللهِ ﷺ، فقالوا: سَلْ لنا رسولَ اللهِ ﷺ إلى مَنْ ندفعُ صدقاتنا بعدَكَ؟ قال: فأتيتُه فسألتُه، فقال: «**إلى أبي بكر**» فأتيتُهم فأخبرتُهم، فقالوا: ارجع إليه فَسَلْهُ، فإنْ حَدَثَ بأبي بكرٍ حَدَثٌ فإلى مَنْ؟ فأتيتُه فسألتُه[٥]، فقال: «**إلى عمرَ**»، [فأتيتُهم فأخبرتُهم]، فقالوا: ارجع إليه فَسَلْهُ، فإنْ حدثَ بعمرَ حَدَثٌ، فإلى مَنْ؟ فأتيتُه فسألتُه، فقال: «**إلى عثمانَ**»، فأتيتُهم فأخبرتُهم، فقالوا: ارجعْ [إليه] فَسَلْهُ، فإنْ حدثَ بعثمانَ حَدَثٌ فإلى مَنْ؟ فأتيتُه فسألتُه، فقال: «**إنْ حَدَثَ بعثمانَ حَدَثٌ فتباً لكم الدَّهْرَ تباً**»[٦].

---

(١) في الأصل الفارسي: «فخرج».
(٢) في الأصل الفارسي «وأخبره».
(٣) لا يوجد في الأصل الفارسي.
(٤) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ١٨٠) برقم: (٤٧٨)، وابن بلبان في «تحفة الصديق» (١/ ٨) واللفظ له.
(٥) في الأصل الفارسي: «فسألته».
(٦) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ٨٢) برقم: (٤٤٦٠).

إخباره ﷺ بعدم اتفاق الأمة على عليٍّ رضي الله عنه:

• وقد أخبر النبيُّ ﷺ أنَّ الأمة لا تتفق على عليّ المرتضى، وأبدى تألُّمَ خاطره لأجل ذلك، أخرج **الحاكم** عن **علي** رضي الله عنه قال: إنّ ممّا عَهِدَ إليَّ النبيُّ ﷺ: «**أنّ الأمةَ سَتَغْدُرُ بي**[1] **بَعْدَهُ**»[2].

• وأخرج **الحاكم** عن **ابن عباس** رضي الله عنهما قال: قال النبيُّ ﷺ لعلي: «**أما إنّكَ ستلقى بعدي جَهْداً**»، قال: في سلامة من ديني؟ قال: «**في سلامةٍ مِنْ دينِكَ**»[3].

• وأخرج **أبو يعلى** عن **عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ**، قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ آخِذٌ بِيَدِي، وَنَحْنُ نَمْشِي فِي بَعْضِ سِكَكِ الْمَدِينَةِ، إِذْ أَتَيْنَا عَلَى حَدِيقَةٍ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا أَحْسَنَهَا مِنْ حَدِيقَةٍ قَالَ: «**لَكَ فِي الْجَنَّةِ أَحْسَنُ منهَا**»، ثُمَّ مَرَرْنَا بأُخْرَى، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله! مَا أَحْسَنَهَا من حَدِيقَة، قَالَ: «**لَكَ في الْجَنَّة أَحْسَنُ منهَا**»، حَتَّى مَرَرْنَا بسَبْع حَدَائقَ، كُلُّ ذَلِكَ أَقُولُ: مَا أَحْسَنَهَا، وَيَقُولُ: «**لَكَ فِي الْجَنَّةِ أَحْسَنُ مِنْهَا**»، فَلَمَّا خَلا لَهُ الطَّرِيقُ اعْتَنَقَنِي، ثُمَّ أَجْهَشَ بَاكِياً، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: «**ضَغَائِنُ في صُدُورِ أَقْوَامٍ، لا يُبْدُونَهَا لَكَ إِلّا مِنْ بَعْدِي**»، [قَالَ:] قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! فِي سَلامَةٍ مِنْ دِينِي؟ قَالَ: «**فِي سَلامَةٍ مِنْ دِيْنِكَ**»[4].

• وأخرج **أحمد** عن **علي** حديثاً في آخره: «**وَإِنْ تُؤَمِّرُوا عَلِيّاً** رضي الله عنه

(١) في الأصل الفارسي «ستقذرني».
(٢) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ١٥٠) برقم: (٤٦٧٦).
(٣) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ١٥١) برقم: (٤٦٧٧).
(٤) انظر: «مسند أبي يعلى» (١/ ٤٢٦) برقم: (٥٦٥).

ـ وَلَا أُرَاكُمْ فَاعِلِينَ ـ تَجِدُوهُ هَادِياً مَهْدِيّاً يَأْخُذُ بِكُمُ الطَّرِيقَ الْمُسْتَقِيمَ»[(١)].

• وأخرج **الطبراني** عَنْ **جَابِرِ بن سَمُرَة** رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِعَلِيٍّ رضي الله عنه: «**إِنَّكَ مُؤَمَّرٌ مُسْتَخْلَفٌ، وَإِنَّكَ مَقْتُولٌ، وَهَذِهِ مَخْضُوبَةٌ مِنْ هَذِهِ**»؛ يعني: لِحْيَتُهُ مِنْ رَأْسِهِ[(٢)].

❁ أمره ﷺ بالقعود في هذه الفتنة:

• ثم أمر النبيُّ ﷺ بالقعود عن هذه الفتنة بكل تأكيد بليغ، وأوصى بتكسيرِ السيوفِ، وتقطيعِ الأوتارِ من حديث **سعد بن أَبِي وَقَّاص** قَالَ عِنْدَ فِتْنَةِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ: أَشْهَدُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي**»، قَالَ: [قلت:] أَفَرَأَيْتَ إِنْ دَخَلَ عَلَيَّ بَيْتِي، وَبَسَطَ يَدَهُ إِلَيَّ لِيَقْتُلَنِي قَالَ: «**كُنْ كَابْنِ آدَمَ**[(٣)]»[(٤)].

• ومن حديث **أَبِي مُوسَى** عن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ فِي الْفِتْنَةِ: «**كَسِّرُوا فِيهَا قسِيَّكُمْ، وَقَطِّعُوا فِيهَا أَوْتَارَكُمْ، وَالْزَمُوا فِيهَا أَجْوَافَ بُيُوتِكُمْ، وَكُونُوا كَابْنِ آدَمَ**»[(٥)].

---

(١) انظر: «مسند أحمد» (١/ ١٠٨) برقم: (٨٥٩)، والحديث بكامله: عن علي رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله! مَنْ يؤمَّر بعدك، قال: «**إنْ تؤمِّروا أبا بكر** رضي الله عنه **تجدوه أميناً زاهداً في الدنيا، راغباً في الآخرة، وإن تؤمِّروا عمر** رضي الله عنه **تجدوه قوياً أميناً، لا يخافُ في اللهِ لومةَ لائم، وإنْ تؤمِّروا علياً** رضي الله عنه**، ولا أراكم فاعلين، تجدوه هادياً مهدياً، يأخذُ بكم الطريقَ المستقيمَ**».

(٢) انظر: «المعجم الكبير»، للطبراني (٢/ ٣٥٥).

(٣) الإشارة إلى الآية: ﴿مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ﴾ [المائدة: ٢٨].

(٤) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٢١٩٤)، وأحمد في «مسنده» برقم: (١٦٠٩).

(٥) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٢٢٠٤).

• ومن حديث **أُمِّ مَالِكٍ الْبَهْزِيَّةِ** [قَالَتْ:] ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِتْنَةً، فَقَرَّبَهَا، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَنْ خَيْرُ النَّاسِ فِيهَا؟ قَالَ: «**رَجُلٌ فِي مَاشِيَتِهِ، يُؤَدِّي حَقَّهَا، وَيَعْبُدُ رَبَّهُ، وَرَجُلٌ آخِذٌ بِرَأْسِ فَرَسِهِ، يُخِيفُ الْعَدُوَّ وَيُخِيفُونَهُ**[١]»[٢].

• ومن حديث **أُهبان بن صيفي**، حين دعاه عليٌّ إلى الخروج معه: «إن خليلي وابن عمِّكَ عهدَ إليَّ إذا اختلفَ الناسُ أن أتخذَ سيفاً من خشب»[٣].

• ومن حديث **خبّاب بن الأرتّ** عن رسول الله ﷺ أنّه ذكر فتنةً: «**القاعدُ فيها خيرٌ من القائِم، والقائمُ فيها خيرٌ من الماشي، والماشي فيها خيرٌ من الساعي**»، [قال:] «**فإنْ أدركتَ ذاك**[٤] **فكُنْ عبدَ اللهِ المقتولَ، ولا تكنْ عبدَ اللهِ القاتلَ**»[٥].

• ومن حديث **عبد الله بن مسعود** عن رَسُول اللهِ ﷺ [يَقُولُ:] «**تكونُ فتنةٌ، [النائمُ فيها خيرٌ من المضطجع]، والمضطجعُ فيها خيرٌ من القاعدِ، والقاعدُ فيها خيرٌ من القائمِ، والقائمُ [فيها] خيرٌ من الماشي، والماشي خيرٌ من الراكبِ، والراكبُ خيرٌ من المجري، [قتلاها كلُّها في النار]**»، قال:] قلتُ: يا رسول الله! ومتى ذلك؟ قال: «**ذلكَ أيام الهرج**»، [قلت: ومتى أيام الهرج؟ قال:] «**حينَ لا يأمنُ الرجلُ جليسَه**»، [قال:] قلتُ: فما تأمرني[٦] إن أدركتُ ذلك؟ قال: «**اكفف**

---

(١) في الأصل الفارسي: «يخوفُ الْعَدُوّ وَيُخوفُونَهُ».
(٢) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٢١٧٧).
(٣) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٢٢٠٣).
(٤) في الأصل الفارسي: «فإن أدركك ذلك».
(٥) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (١٣/ ١٤٢) برقم: (٧٢١٥).
(٦) في الأصل الفارسي: «فبما تأمرني».

نفسَك ويدَك، وادخلْ دارك»[١].

• ومن حديث **أبي هريرة** رضي الله عنه قال: «**أيها الناس! أظلّتكم فتنٌ كأنها قِطَعُ الليلِ المُظْلِمِ، خيرُ الناسِ فيها ـ أو قال: منها ـ صاحبُ شاءٍ، يأكلُ من رأسِ غنمِه، ورجلٌ من وراءِ الدربِ آخذٌ بعنانِ فرسه، يأكلُ من سيفِهِ**»[٢].

• ومن حديث أبي بكرة رضي الله عنه [يقول:] قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**ألا إنّها ستكونُ فتنٌ، ثم تكونُ فتنةٌ: القاعِدُ فيها خيرٌ من القائمِ، والقائمُ فيها خيرٌ من الماشي، والماشي فيها خيرٌ من الساعي [إليها]، فإذا نزلتْ فمن كان له إبلٌ فليلحق بإبلِهِ، ومَنْ كان له غنمٌ فليلحقْ بغنمِهِ، ومَنْ كانت له أرضٌ فليلحق بأرضِهِ**»، فقال له رجل: يا رسولَ اللهِ! أرأيتَ إن لم يكن له إبلٌ ولا غنمٌ ولا أرضٌ؟ قال: «**فليأخذْ حجراً فليدقّ به على حدِّ سيفِهِ، ثم لينجُ إنِ استطاعَ النجاةَ**»، ثم قال: «**[اللَّهُمَّ] هَلْ بلَّغت**» ثلاثاً[٣].

• ومن حديث **محمد بن مسلمة** قال: قلتُ: يا رسول الله كيف أصنعُ إذا اختلف المصلّون؟ قال: «**تخرجُ بسيفِكَ إلى الحَرَّةِ فتضربَها به، ثم تدخلُ بيتَكَ، حتى تأتيك منيةٌ قاضيةٌ أو يدٌ خاطئةٌ**»[٤].

• ومن حديث **وائل بن حجر** [قال]: حَضَرْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَقَدْ رَفَعَ رَأْسَهُ نَحْوَ الْمَشْرِقِ، وَقَدْ حَضَرَهُ جَمْعٌ كَثِيرٌ، ثُمَّ رَدَّ إِلَيْهِ بَصَرَهُ، فَقَالَ: «**أَتَتْكُمُ الْفِتَنُ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ**»، فَشَدَّدَ أَمْرَهَا، وَعَجَّلَهُ، وَقَبَّحَهُ، قُلْتُ

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ٤٤٨) برقم: (٤٢٨٦).

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٤٧٨) برقم: (٨٣٣١).

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم: (٢٨٨٧)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٤٨٧) برقم: (٨٣٦١) واللفظ له.

(٤) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ١٢٧) برقم: (٤٦٠٤).

لَهُ مِنْ بَيْنِ الْقَوْمِ: يَا رَسُولَ اللهِ! وَمَا الْفِتَنُ؟ قَالَ: «**يَا وَائِلُ! إِذَا اخْتَلَفَ سَيْفَانِ فِي الإِسْلامِ فَاعْتَزِلْهُمَا**»[١].

ثلاثون حالةً للمسلمين أيام الفتن

ثم بيّن ﷺ بأن أحوال المسلمين حسنة قبل الفتنة، وسيئة بعدها بأوضح عبارة، وقام باستقصاء هذه الأحوال السيئة أيام الفتن (وهي تنحصر في ثلاثين حالة):

الأولى: أنّه ﷺ قال: «**تدورُ رحى الإسلام بخمسٍ وثلاثينَ [أو ستٍّ وثلاثينَ أو سبعٍ وثلاثينَ]، فإن يهلكوا فسبيلُ مَنْ قد هَلَكَ**»[٢]. و«**دوران رحى الإسلام**» عبارةٌ عن وجودِ الجهادِ، وغلبةِ الإسلامِ على سائر الأديان، بسببِ ائتلافِ النفوسِ، واجتماعِ الجماعة على الخير، و«**الهلاكُ**» لفظ يشمل جميع أنواع الشرور، ومن أعظمها انقطاعُ الجهادِ، ووقوعُ التفرقة بين المسلمين.

الثانية: لقد ورد في حديث **أبي هريرة** ﷺ عن النبيِّ ﷺ أنّه قال: «**الخلافةُ بالمدينةِ والمُلْكُ بالشامِ**»[٣]، وفي «المشكاة» عن عمر ﷺ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**رأيتُ عموداً من نورٍ خرجَ مِنْ تحتِ رأسي ساطعاً حتّى استقرّ بالشام**»[٤].

فتقسيمه ﷺ للرئاسة إلى قسمين، وتسميته أحدهما بالخلافة،

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٥/ ٤٢٥).

(٢) أخرجه أبو داود في «سننه» برقم: (٤٢٥٤)، وأحمد في «مسنده» (١/ ٣٣٩) برقم: (٣٧٣٠).

(٣) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٧٥) برقم: (٤٤٤٠).

(٤) انظر: «مشكاة المصابيح» (٣/ ٣٦٩).

والآخر بالملك مع ما تقدَّم من حديث: «**إنّ هذا الأمرَ بدأ نبوةً ورحمةً، ثم يكون خلافةً ورحمةً، ثم يكونُ ملكٌ عضوضٌ**»، ومع قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾ [النور: ٥٥]، كلُّ ذلك يدل على تباين الحالتين، ومغايرة المنزلتين ـ أي: بين الخلافة والملك ـ، وهكذا وقع في الخارج، إذ إنَّ الخلفاء الثلاثة أقاموا بالمدينة، ولم يستوطن المدينةَ أحدٌ من الملوكِ مِنْ بعدهم.

• وإن أردت أن تعلم أحوال ملك الشام أصرح من ذلك فانظر: عن **عبد الله بن حوالة** قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**يَا ابْنَ حَوَالَةَ! إِذَا رَأَيْتَ الْخِلَافَةَ قَدْ نَزَلَتْ الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةِ، فَقَدْ دَنَتِ الزَّلَازِلُ، وَالْبَلَابِلُ، وَالْأُمُورُ الْعظَامُ، وَالسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنَ النَّاس مِنْ يَدي هذه من رَأْسِكَ**»[1].

الثالثة: نزعُ الأمانةِ من صدورِ الناسِ:

• فقد أخرج **البغوي** من حديث **حُذَيْفَةَ** قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ حَدِيثَيْنِ قَدْ رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا، وَأَنَا أَنْتَظِرُ الآخَرَ، حَدَّثَنَا: «**أَنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ، فَقَرَؤوا مِنَ الْقُرْآنِ، وَعَلمُوا مِنَ السُّنَّةِ**».

ثُمَّ حَدَّثَنَا عَنْ رَفعِهَا، قَالَ: «**تُرْفَعُ الأَمَانَةُ، فَيَنَامُ الرَّجُلُ، ثُمَّ يَسْتَيْقِظُ، وَقَدْ رُفِعَتِ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، وَيَبْقَى أَثَرُهَا كَالْوَكْتِ، أَوْ كَالْمَجْلِ، كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ، فَهُوَ يُرَى أَنَّ فِيهِ شَيْئاً، وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ، وَتُرْفَعُ [الأَمَانَةُ]، حَتَّى يُقَالَ: إِنَّ فِي بَنِي فُلانٍ رَجُلاً أَمِيناً، وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي [حَدِيثاً]، وَمَا أُبَالِي أَيُّكُمْ أُبَايِعُ، لَئِنْ كَانَ مُسْلِماً لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ إِسْلامُهُ، وَلَئِنْ كَانَ**

(١) أخرجه أبو داود في «سننه» برقم: (٢٥٣٥).

مُعَاهِداً لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ، فَأَمَّا الْيَوْمَ، فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ لأُبَايِعَ مِنْكُمْ إِلا فُلاناً وَفُلاناً»[١].

ولا شك أن مشاهدة حذيفة للاختلال في الأمانة إنما كانت بعد هذه الفتنة المستطيرة.

الرابعة: ظهور الكذب، ولا سيِّما في حديث النبي ﷺ وآثار السلف الصالح.

• قد جاء في خطبة عمر رضي الله عنه بالجابية عن النبي ﷺ: «**أُوصِيكُمْ بِأَصْحَابِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَفْشُو الْكَذِبُ، حتّى يَحْلِفَ الرَّجُلُ وَلَا يُسْتَحْلَفُ، وَيَشْهَدَ [الرجل] وَلَا يُسْتَشْهَدُ**»[٢].

• أخرج **مسلم** عن **أبي هريرة** عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «**سيكونُ في آخر أُمتي أناسٌ يحدّثونكم ما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإيّاكم وإيّاهُم**»[٣].

• وأخرج **مسلم** عن مجاهد قال: جاء **بشير بن كعب** العدوي إلى ابن عباس فجعل يحدث ويقول: قال رسول الله ﷺ، [قال رسولُ اللهِ ﷺ]، فجعل ابنُ عباس لا يأذن لحديثه[٤] ولا ينظرُ إليه، فقال: يا ابنَ عبّاس! ما لي لا أراكَ تسمعُ لحديثي؟ أحدِّثك عن رسولِ اللهِ ﷺ ولا تسمعُ.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (ح: ٦٤٩٧، ٧٠٨٦)، ومسلم في «صحيحه» (ح: ١٤٣)، والبغوي في «شرح السنة» (١٠٠٨/١) واللفظ له.

(٢) أخرجه الترمذي في «سننه» (ح: ٢١٦٥)، والنسائي في «سننه الكبرى» (٣٨٨/٥) برقم: (٩٢٢٤)، والحاكم في «المستدرك» (١٩٧/١) برقم: (٣٨٧) واللفظ له.

(٣) انظر: «صحيح مسلم» برقم: (٦)، و«مسند أحمد» (٣٢١/٢) برقم: (٨٢٥٠).

(٤) في الأصل الفارسي: «بحديثه».

فقال ابنُ عباس: إنّا كنّا مرةً إذا سمعنا رجلاً يقول: قال رسول الله ﷺ ابتدرته أبصارُنا، وأصغينا إليه بآذاننا، فلمّا ركبَ الناسُ الصعبة والذلول لم نأخذ من الناسِ إلّا ما نعرفُ[1].

ولا شك أن «أول عصر» الذي وصفه ابن عباس بالأمانة والصدق كان قبل هذه الفتنة، وآخره الذي ذكره بوصف: «**ركبوا الصعبة والذلول**»، كان بعد وقوعها، وجُلُّ هذا الكذب ظهرَ في العراقِ في أحاديث علي، مرفوعها وموقوفها.

• أخرج **مسلم** عَنْ **أَبِي إِسْحَاقَ**، قَالَ: لَمَّا أَحْدَثُوا تِلْكَ الْأَشْيَاءَ بَعْدَ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ: قَاتَلَهُمُ اللهُ أَيَّ عِلْمٍ أَفْسَدُوا[2].

• وأخرج **مسلم** عن **أَبِي بَكْرٍ** [يعني]: **ابن عيّاش**[3] قال: سمعتُ المغيرةَ يقول: لم يكن يَصْدُقُ على عليٍّ في الحديثِ عنه إلّا من أصحاب عبد الله بن مسعود[4].

• وأخرج **مسلم** عن **ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ** قَالَ: كَتَبْتُ إِلَى **ابْنِ عَبَّاسٍ** أَسْأَلُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَاباً وَيُخْفِي عَنِّي، فَقَالَ: وَلَدٌ نَاصِحٌ، أَنَا أَخْتَارُ لَهُ الْأُمُورَ اخْتِيَاراً، وَأُخْفِي عَنْهُ، قَالَ: فَدَعَا بِقَضَاءِ عَلِيٍّ، فَجَعَلَ يَكْتُبُ مِنْهُ أَشْيَاءَ، وَيَمُرُّ بِهِ الشَّيْءُ، فَيَقُولُ: وَاللهِ مَا قَضَى بِهَذَا عَلِيٌّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ ضَلَّ[5].

• وأخرج **مسلم** عن **طاوس** قال: أتي ابن عباس بكتاب فيه قضاء

---

(١) انظر: «صحيح مسلم» (ح: ٧).
(٢) انظر: «صحيح مسلم» (ح: ٧).
(٣) في الأصل الفارسي «عباس».
(٤) انظر: «صحيح مسلم» (ح: ٧).
(٥) انظر: «صحيح مسلم» (ح: ٧).

علي رضي الله عنه، فمحاه إلا قدر، وأشار سفيان بن عُيينة بذراعه[(١)].

• وأخرج **مسلم عن سالم بن عبد الله** بن عمر يقول: يا أهلَ العراقِ! ما أسألَكم عن الصغيرة، وأركبَكم للكبيرةِ، سمعتُ أبي عبد الله بن عمر يقول: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**إنَّ الفتنةَ تجيءُ من ها هنا، وأومأ بيده نحو المشرق مِنْ حيث يطلعُ قرنا الشيطانِ**»، وأنتم يضربُ بعضُكم رقابَ بعضٍ، وإنّما قتل موسى الذي قتل من آل فرعون خطأً، فقال الله ﷻ له: ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ [طه: ٤٠][(٢)].

• ولذلك فإنّ أبا إسحاق السَّبيعي وأمثاله من علماء الكوفة الذين كانوا يبذلون جهداً بليغاً في حفظ أحاديث علي، لم يأخذوا عمّن كانوا في عسكر علي، بل أخذوا عن أصحاب عبد الله بن مسعود، ولم يأخذ أهل المدينةِ عن أهل العراق لهذا السبب أيضاً، قال مالك: لم يأخذ عنهم ـ أي: أهل العراق ـ أوَّلنا فلا يأخذُ عنهم آخرُنا، وكل ذلك كان لعدم إمكان التمييز بين الرجال، وضبط أحوال الرواة على ما ينبغي قبل جمع أحاديث البلاد، فسلكوا طريقَ الحِيطةِ والحذر، وتركوا أحاديثهم بالمرة، واكتفوا بحديث أهل المدينة وفتاواهم.

فلما ولد **الإمام الشافعي والإمام أحمد بن حنبل** كانت أحاديثُ البلاد قد جُمِعَتْ، فتمكّنا على بحث أحوال الرواة، فأخذوا حديث الثقات الضابطين بشرط الاتصال ومعرفة الرواة، وتركوا الأحاديثَ المرسلةَ، وأخبار المتهمين والمبهمين، واختار هذا المنهجَ جميعُ أصحاب الحديث بعينه، ولهذا السبب امتاز أهل الحديث وأهل الرأي.

---

(١) انظر: «صحيح مسلم» (ح: ٧).

(٢) انظر: «صحيح مسلم» (ح: ٢٩٠٥).

الخامسة: تعمّق الناس في تجويد القرآن أكثر مما يجري على لسان العرب، بالقراءة من دون تفقّهٍ فيه.

أخرج **أبو داود** عَنْ **جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ** قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ نَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَفِينَا الْأَعْرَابِيُّ وَالأَعْجَمِيُّ، فَقَالَ: «**اقْرَؤوا فَكُلٌّ حَسَنٌ، وَسَيَجِيءُ أَقْوَامٌ يُقِيمُونَهُ كَمَا يُقَامُ الْقِدْحُ يَتَعَجَّلُونَهُ وَلَا يَتَأَجَّلُونَهُ**»[١].

• وأخرج **أبو داود** عن **سهل بن سعد** الساعدي قال: خرجَ علينا رسولُ اللهِ ﷺ [يوماً] ونحن نقترئ، فقال: «**الحَمْدُ للهِ، كتابُ اللهِ واحدٌ، وفيكم الأحمرُ، وفيكم الأبيضُ، وفيكم الأسودُ، اقرؤوه قبل أن يقرأه أقوامٌ يقيمونه كما يقوَّمُ السّهمُ، يتعجّلُ أجره، ولا يتأجّلُه**»[٢][٣].

• وأخرج **البغوي** عن **عبد الله بن مسعود** قال لإنسانٍ: إنّك في زمانٍ قليلٌ قرَّاؤه، كثيرٌ فقهاؤه، يحفظ فيه حدود القرآن، ويضيَّع فيه حروفه، قليلٌ مَنْ يسأل، كثيرٌ مَنْ يعطي، يطيلونَ الصلاة فيه، ويقصرون فيه الخطبة، يبدون فيه بأعمالهم قبل أهوائهم، وسيأتي على الناس زمانٌ كثيرٌ قراؤه، قليلٌ فقهاؤه، يُحْفَظُ فيه حروف القرآن، ويضيّع حدوده، كثيرٌ مَنْ يسأل، قليلٌ من يعطي، يطيلون فيه الخطبة، ويقصرون فيه الصلاة، يبدون أهواءَهم قبلَ أعمالِهم[٤].

السادسة: تعمّق الناس في تأويل متشابهات القرآن:

• أخرج **الدارمي** عَنْ **عَائِشَةَ** رضي الله عنها قَالَتْ: تَلَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾

---

(١) انظر: «سنن أبي داود» برقم: (٨٣٠).
(٢) في الأصل الفارسي: «يتعجّلوه ولا يتأجّلوه».
(٣) انظر: «سنن أبي داود» برقم: (٨٣١).
(٤) انظر: «شرح السُّنَّة» (١٤/٣٩٦)، و«شعب الإيمان» (٤/٢٥٨) برقم: (٥٠٠٠).

[آل عمران: ٧]، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَاحْذَرُوهُمْ**»(١).

• وأخرج **الدارمي** عَنْ **سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ** أَنَّ رَجُلاً يُقَالُ لَهُ: صَبِيغٌ قَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَجَعَلَ يَسْأَلُ عَنْ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ عُمَرُ، وَقَدْ أَعَدَّ لَهُ عَرَاجِينَ النَّخْلِ، فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا عَبْدُ اللهِ صَبِيغٌ، فَأَخَذَ عُمَرُ عُرْجُوناً مِنْ تِلْكَ الْعَرَاجِينِ فَضَرَبَهُ فَقَالَ: أَنَا عَبْدُ اللهِ عُمَرُ، فَجَعَلَ لَهُ ضَرْباً حَتَّى دمّى رَأْسَهُ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! حَسْبُكَ، قَدْ ذَهَبَ الَّذِي كُنْتُ أَجِدُ فِي رَأْسِي(٢).

• وأخرج **الدارمي** عَنْ **عُمَرَ بْنِ الأَشَجِّ** أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: إِنَّهُ سَيَأْتِي نَاسٌ يُجَادِلُونَكُمْ بِشُبُهَاتِ الْقُرْآنِ، فَخُذُوهُمْ بِالسُّنَنِ، فَإِنَّ أَصْحَابَ السُّنَنِ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللهِ(٣).

السابعة: تعمّقُ الناس في المسائل الفقهية، وتكلُّمُهم حول المسائل المفروضة التي لم تقع بعدُ أمام الناس، وما أجاز ذلك السلف الصالحون، وإسراع الفقهاء في الفتوى من غير مبالاةٍ، وكان السلف يخافون من ذلك.

• أخرج **الدارمي** عن **وَهْب بنِ عَمْرٍو الْجُمَحِي** [حدّثه] أنّ النبي ﷺ قال: «**لا تعجلوا بالبليّةِ قبلَ نزولِها، فإنَّكم إنْ لا تعجلوها قبلَ نزولِها لا ينفكُّ المسلمونَ وفيهم إذا هي نزلتْ مَنْ إذا قالَ وُفِّقَ وسُدِّدَ، وإنّكم إن تعجلوها تختلِفُ بكمُ الأهواءُ، فتأخذوا هكذا وهكذا**»، وأشار بين يديه

(١) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ٦٦) برقم: (١٤٥).
(٢) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ٦٦) برقم: (١٤٤). واسمه صبيغ بن عِسْل.
(٣) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ٦٢) برقم: (١١٩).

وعن يمينه وعن شماله[١].

• وأخرج **الدارمي** عَنْ **طَاوُسٍ** قَالَ: قَالَ عُمَرُ عَلَى الْمِنْبَرِ: أُحَرِّجُ بِاللهِ عَلَى رَجُلٍ يَسْأَلُ[٢] عَمَّا لَمْ يَكُنْ، فَإِنَّ اللهَ قَدْ بَيَّنَ مَا هُوَ كَائِنٌ[٣].

• وأخرج **الدارمي** عن **ابْنِ عُمَرَ** سأله رجل عن شيءٍ [لا أدري ما هو]، فقال [له ابن عمر]: لا تسأل عمّا لم يكنْ، فإنِّي سمعتُ عمر بن الخطاب يلعنُ مَنْ سأل عمّا لم يكن[٤].

• وأخرج **الدارمي** عَنِ **الزُّهْرِي** قَالَ: بَلَغَنَا أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ الأَنْصَارِي كَانَ يَقُولُ إِذَا سُئِلَ عَنِ الأَمْرِ: أَكَانَ هَذَا؟ فَإِنْ قَالُوا: نَعَمْ، قَدْ كَانَ، حَدَّثَ فِيهِ بِالَّذِي يَعْلَمُ وَالَّذِي يَرَى، وَإِنْ قَالُوا: لَمْ يَكُنْ قَالَ: فَذَرُوهُ حَتَّى يَكُونَ[٥].

• وأخرج **الدارمي** عَنْ **عَامِرٍ الشعبي** قَالَ: سُئِلَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَقَالَ: هَلْ كَانَ هَذَا بَعْدُ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: دَعُونَا حَتَّى يَكُونَ، فَإِذَا كَانَت تَجَشَّمْنَاهَا لَكُمْ[٦].

• وأخرج **الدارمي** عَنْ **مَسْرُوقٍ** قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ أُبَي بْنِ كَعْبٍ فَقَالَ فَتًى: يَا عَمَّاهُ! ما تقول في كَذَا وَكَذَا؟ قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي! كَانَ هَذَا؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَأَعْفِنَا حَتَّى يَكُونَ[٧].

---

(١) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ٦١) برقم: (١١٦).
(٢) في الأصل الفارسي: «سأل».
(٣) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ٦٣) برقم: (١٢٤).
(٤) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ٦٢) برقم: (١٢١).
(٥) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ٦٢) برقم: (١٢٢).
(٦) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ٦٢) برقم: (١٢٣).
(٧) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ٦٨) برقم: (١٥٠).

• وأخرج **الدارمي** عَنْ سَعِيدِ بن جبير [عَنِ **ابْنِ عَبَّاسٍ**] قَالَ: مَا رَأَيْتُ قَوْماً كَانُوا خَيْراً مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، مَا سَأَلُوهُ إِلَّا عَنْ ثَلاثَ عَشَرَةَ مَسْأَلَةً حَتَّى قُبِضَ، كُلُّهُنَّ فِي الْقُرْآنِ مِنْهُنَّ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ٢١٧]، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾ [البقرة: ٢٢٢] قَالَ: مَا كَانُوا يَسْأَلُونَ إِلَّا عَمَّا يَنْفَعُهُمْ[١].

• وأخرج **الدارمي** عن **عُبَادَةَ بْن نُسي الْكِنْدِي**، وَسُئِلَ عَنِ امْرَأَةٍ مَاتَتْ مَعَ قَوْمٍ لَيْسَ لَهَا وَلِيّ، فَقَالَ: أَدْرَكْتُ أَقْوَاماً مَا كَانُوا يُشَدِّدُونَ تَشْدِيدَكُمْ، وَلَا يَسْأَلُونَ مَسَائِلَكُمْ[٢].

• وأخرج **الدارمي** عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ قَالَ: سَمِعْتُ **عَبْدَ الرَّحْمَنِ ابْن أَبِي لَيْلَى** يَقُولُ: لَقَدْ أَدْرَكْتُ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ عِشْرِينَ وَمِئَةً مِنَ الأَنْصَارِ، وَمَا مِنْهُمْ أَحَدٌ يُحَدِّثُ بِحَدِيثٍ إِلَّا وَدَّ أَنَّ أَخَاهُ كَفَاهُ الْحَدِيثَ، وَلَا يُسْأَلُ عَنْ فُتْيَا إِلَّا وَدَّ أَنَّ أَخَاهُ كَفَاهُ الْفُتْيَا[٣].

• وأخرج **الدارمي** عن **داود** قال: سَأَلْتُ الشَّعْبِي: كَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ إِذَا سُئِلْتُمْ؟ قَالَ: عَلَى الْخَبِيرِ وَقَعْتَ، كَانَ إِذَا سُئِلَ الرَّجُلُ قَالَ لِصَاحِبِهِ: أَفْتِهِمْ، فَلَا يَزَالُ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الأَوَّلِ[٤].

• وأخرج **الدارمي** عَنِ **ابْنِ الْمُنْكَدِرِ** قَالَ: إِنَّ الْعَالِمَ يَدْخُلُ فِيمَا بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ عِبَادِهِ فَلْيَطْلُبْ لِنَفْسِهِ الْمَخْرَجَ[٥].

---

(١) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ٦٣) برقم: (١٢٥).
(٢) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ٦٣) برقم: (١٢٧).
(٣) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ٦٥) برقم: (١٣٥).
(٤) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ٦٥) برقم: (١٣٦).
(٥) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ٦٥) برقم: (١٣٧).

• وأخرج **الدارمي** عَنْ **مِسْعَرٍ** قَالَ: أَخْرَجَ إِلَيّ مَعْنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ كِتَاباً فَحَلَفَ لِي بِاللهِ إِنَّهُ خَطُّ أَبِيهِ، فَإِذَا فِيهِ: قَالَ عَبْدُ اللهِ: وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، مَا رَأَيْتُ أَحَداً كَانَ أَشَدَّ عَلَى الْمُتَنَطِّعِينَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمَا رَأَيْتُ أَحَداً كَانَ أَشَدَّ عَلَيْهِمْ مِنْ أَبِي بَكْرٍ، وَإِنِّي لأَرَى عُمَرَ كَانَ أَشَدَّ خَوْفاً عَلَيْهِمْ أَوْ لَهُمْ(١).

الثامنة: كثرة سؤال الناس عن الإلهيات، حتى جعلوا يقولون: من خلق الله؟ وظهر ذلك في زمن أبي هريرة.

• أخرج **مسلم** من حديث محمد بن سيرين عَنْ **أَبِي هُرَيْرَةَ** عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَا يَزَالُ النَّاسُ يَسْأَلُونَكُمْ عَنِ الْعِلْمِ حَتَّى يَقُولُوا: هَذَا اللهُ خَلَقَنَا، فَمَنْ خَلَقَ اللهَ؟**»، قَالَ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ رَجُلٍ فَقَالَ: صَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ، قَدْ سَأَلَنِي اثْنَانِ وَهَذَا الثَّالِثُ أَوْ قَالَ: سَأَلَنِي وَاحِدٌ وَهَذَا الثَّانِي(٢).

• وأخرج **مسلم** من حديث أَبِي سَلَمَةَ عَنْ **أَبِي هُرَيْرَةَ** قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يَزَالُونَ يَسْأَلُونَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! حَتَّى يَقُولُوا: هَذَا اللهُ، فمن خَلَقَ اللهَ**»؟ قَالَ: فبينا أَنَا في الْمَسْجِدِ إذ جَاءَني نَاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ، فقالوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! هَذَا اللهُ، فَمَنْ خَلَقَ اللهَ؟ قَالَ: فَأَخَذَ حَصًى بِكَفِّهِ فَرَمَاهُمْ، ثُمَّ قَالَ: قُومُوا قُومُوا صَدَقَ خَلِيلِي(٣).

التاسعة: شيوع الإسرائيليات وروايتها عن أهل الكتاب، وهذا أول علم أجنبي اختلط بالعلوم الدينية.

• أخرج **الدارمي** عَنْ **جَابر**: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخطّاب أتى رسولَ اللهِ ﷺ

---

(١) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ٦٥) برقم: (١٣٨).
(٢) انظر: «صحيح مسلم» برقم: (١٣٥).
(٣) انظر: «صحيح مسلم» برقم: (١٣٥).

بنسخةٍ من التوراة، فقال: يا رسولَ اللهِ! هذه نُسْخَةٌ مِنَ التَّوْرَاةِ، فَسَكَتَ، فَجَعَلَ يَقْرَأُ وَوَجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَتَغَيَّرُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: ثَكِلَتْكَ الثَّوَاكِلُ، أَمَا تَرَى مَا بِوَجْهِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟، فَنَظَرَ عُمَرُ إِلَى وَجْهِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ غَضَبِ اللهِ وَمِنْ غَضَبِ رَسُولِهِ، رَضِينَا بِاللهِ رَبّاً، وَبِالإِسْلَامِ دِيناً، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيّاً، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ بَدَا لَكُمْ مُوسَى فَاتَّبَعْتُمُوهُ وَتَرَكْتُمُونِي لَضَلَلْتُمْ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ، وَلَوْ كَانَ حَيّاً وَأَدْرَكَ نُبُوَّتِي لَاتَّبَعَنِي**»[1].

• وأخرج **البخاري** عَنْ **عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما أنه قَالَ: «**يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ! كَيْفَ تَسْأَلُونَ أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ؟ وَكِتَابُكُمُ الَّذِي أَنْزَلَ اللهُ عَلَى نَبِيِّكُمْ ﷺ أَحْدَثُ الأَخْبَارِ بِاللهِ، مَحْضاً لَمْ يُشَبْ، وَقَدْ حَدَّثَكُمُ اللهُ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ بَدَّلُوا مِنْ كُتُبِ اللهِ وَغَيَّرُوا، فَكَتَبُوا بِأَيْدِيهِمْ [الكتب]، قَالُوا: هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ، لِيَشْتَرُوا بِذَلِكَ ثَمَناً قَلِيلاً، أَوَ لَا يَنْهَاكُمْ مَا جَاءَكُمْ مِنَ الْعِلْمِ عَنْ مَسْأَلَتِهِمْ، فَلَا وَاللهِ مَا رَأَيْنَا رَجُلاً مِنْهُمْ يَسْأَلُكُمْ عَنِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ**»[2].

العاشرة: ابتداع الأوراد والأحزاب بنيّة التقرّب إلى الله عز وجل، علاوةً على السُّنَّة المأثورة من قبل أنفسهم، والتزام المستحبَّات مثل التزام الواجبات، ودعوة الناس إليها لتكون رغبة في قلوبهم.

• أخرج **الدارمي** عن الْحَكَم بْن الْمُبَارَكِ، أَنْبَأَنَا عَمْرُو بْنُ يَحْيَى قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كُنَّا نَجْلِسُ عَلَى بَابِ **عَبْدِ اللهِ بْنِ**

---

(١) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ١٢٦) برقم: (٤٣٥).
(٢) انظر: «صحيح البخاري» (ح: ٧٥٢٣).

مَسْعُودٍ قَبْلَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ، فَإِذَا خَرَجَ مَشَيْنَا مَعَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَجَاءَنَا أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِي فَقَالَ: أَخَرَجَ إِلَيْكُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ بَعْدُ؟ قُلْنَا: لَا، فَجَلَسَ مَعَنَا حَتَّى خَرَجَ، فَلَمَّا خَرَجَ قُمْنَا إِلَيْهِ جَمِيعاً، فَقَالَ لَهُ أَبُو مُوسَى: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ! إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ آنِفاً أَمْراً أَنْكَرْتُهُ، وَلَمْ أَرَ ـ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ـ إِلَّا خَيْراً، قَالَ: فَمَا هُوَ؟ فَقَالَ[1]: إِنْ عِشْتَ فَسَتَرَاهُ، قَالَ: رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ قَوْماً حِلَقاً جُلُوساً يَنْتَظِرُونَ الصَّلَاةَ، فِي كُلِّ حَلْقَةٍ رَجُلٌ، وَفِي أَيْدِيهِمْ حَصًى[2]، فَيَقُولُ: كَبِّرُوا مِئَةً، فَيُكَبِّرُونَ مِئَةً، فَيَقُولُ[3]: هَلِّلُوا مِائَةً، فَيُهَلِّلُونَ مِئَةً، وَيَقُولُ: سَبِّحُوا مِئَةً، فَيُسَبِّحُونَ مِئَةً.

قَالَ: فَمَاذَا قُلْتَ لَهُمْ؟ قَال: مَا قُلْتُ لَهُمْ شَيْئاً انْتِظَارَ رَأْيِكَ أَوِ انْتِظَارَ أَمْرِكَ، قَالَ: أَفَلَا أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَعُدُّوا سَيِّئَاتِهِمْ، وَضَمِنْتَ لَهُمْ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ.

ثُمَّ مَضَى وَمَضَيْنَا مَعَهُ حَتَّى أَتَى حَلْقَةً مِنْ تِلْكَ الْحِلَقِ، فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: مَا هَذَا الَّذِي أَرَاكُمْ تَصْنَعُونَ؟

قَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ! حَصًى نَعُدُّ بِهِ التَّكْبِيرَ، وَالتَّهْلِيلَ، وَالتَّسْبِيحَ.

قَالَ: فَعُدُّوا سَيِّئَاتِكُمْ، فَأَنَا ضَامِنٌ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَيْءٌ، وَيْحَكُمْ، يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ! مَا أَسْرَعَ هَلَكَتَكُمْ، هَؤُلَاءِ صَحَابَةُ نَبِيِّكُمْ ﷺ مُتَوَافِرُونَ، وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لَمْ تَبْلَ، وَآنِيَتُهُ لَمْ تُكْسَرْ، وَالَّذِي نَفْسِي فِي يَدِهِ إِنَّكُمْ لَعَلَى مِلَّةٍ هِيَ أَهْدَى مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ؟! أَوَ مُفْتَتِحو بَابَ ضَلَالَةٍ؟

---

(١) في الأصل الفارسي: «قال».
(٢) في الأصل الفارسي: «حصاة».
(٣) في الأصل الفارسي: «يقول».

قَالُوا: وَاللهِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا أَرَدْنَا إِلَّا الْخَيْرَ.

قَالَ: وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَنْ يُصِيبَهُ، إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَدَّثَنَا: «**أَنَّ قَوْماً يَقْرؤونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ**»، وَايْمُ اللهِ مَا أَدْرِي لَعَلَّ أَكْثَرَهُمْ مِنْكُمْ، ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ سَلِمَةَ: رَأَيْنَا عَامَّةَ أُولَئِكَ الْحِلَقِ يُطَاعِنُونَا يَوْمَ النَّهْرَوَانِ مَعَ الْخَوَارِجِ[١].

• وفي «مصنف أبي بكر **بن أبي شيبة**» [عن **مورق العجلي** قال:] قلت[٢] لابن عمر: أتصلّي الضُّحى؟ قال: لا، قلت: صلّاها عمر؟ قال: لا، قلت: صلّاها أبو بكر؟ قال: لا، قلت: صلّاها النبي ﷺ؟ قال: لا إخاله[٣].

• وفي «شرح السُّنَّة»: كان **ابن عمر** إذا سئل عن سبحة الضحى فقال: لا آمر بها، ولا أنهى عنها، ولقد أصيبَ عثمانُ وما أدري أحداً يصلِّيها، وإنها لمن أحبِّ ما أحدثَ الناسُ إليَّ[٤].

• وأخرج **الدارمي** عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ يَزِيدَ قَالَ: قَالَ **مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ**: يُفْتَحُ الْقُرْآنُ عَلَى النَّاسِ حَتَّى تَقْرَأَهُ الْمَرْأَةُ وَالصَّبِيُّ وَالرَّجُلُ، فَيَقُولُ الرَّجُلُ: قَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ فَلَمْ أُتَّبَعْ، وَاللهِ لأَقُومَنَّ بِهِ فِيهِمْ لَعَلِّي أُتَّبَعُ، فَيَقُومُ بِهِ فِيهِمْ فَلَا يُتَّبَعُ، فَيَقُولُ: قَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ فَلَمْ أُتَّبَعْ، وَقَدْ قُمْتُ بِهِ فِيهِمْ فَلَمْ أُتَّبَعْ، لأَحْتَظِرَنَّ فِي بَيْتِي مَسْجِداً لَعَلِّي أُتَّبَعُ، فَيَحْتَظِرُ فِي بَيْتِهِ مَسْجِداً فَلَا يُتَّبَعُ، فَيَقُولُ: قَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ فَلَمْ أُتَّبَعْ، وَقُمْتُ بِهِ فِيهِمْ فَلَمْ

---

(١) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ٧٩) برقم: (٢٠٤).

(٢) في الأصل الفارسي: «قيل» وكذا في المواضع الآتية.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢/ ١٧١)، وأحمد في «مسنده» (٢/ ٢٣) رقم: (٤٧٥٨).

(٤) انظر: «شرح السُّنَّة» (٤/ ١٣٨).

أُتَّبَعْ، وَقَدِ احْتَظَرْتُ فِي بَيْتِي مَسْجِداً فَلَمْ أُتَّبَعْ، وَاللهِ لآتِيَنَّهُمْ بِحَدِيثٍ لَا يَجِدُونَهُ فِي كِتَابِ اللهِ، وَلَمْ يَسْمَعُوهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ لَعَلِّي أُتَّبَعُ، قَالَ مُعَاذٌ: فَإِيَّاكُمْ وَمَا جَاءَ بِهِ، فَإِنَّ مَا جَاءَ بِهِ ضَلَالَةٌ[١].

الحادية عشرة: كان في السابق الوعظ وإصدار الفتاوى على رأي الخليفة والناس، لا يقوم بالوعظ والإفتاء بدون أمره، وفي الزمن الأخير قام الناس بالوعظ والإفتاء بدون أمره، وأصبح الإفتاء موقوفاً على مشاورة جماعة الصالحين في هذا الزمن.

● أخرج **أبو داود** عن **عوف بن مالك** الأشجعي قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**لا يقصُّ إلا أميرٌ أو مأمورٌ أو مُختالٌ**»[٢].

● وأخرج **الدارمي** عن ابن عون عن **محمد** قال: قال عمر لابن مسعود: ألم أنبّأ ـ أو أُنبئتُ ـ أنَّك تُفتي ولستَ بأميرٍ؟ ولِّ حارَّها من تولى قارَّها[٣][٤].

● وأخرج **الدارمي** عَنِ **الْمُسَيَّبِ بْنِ رَافِعٍ** قَالَ: كَانُوا إِذَا نَزَلَتْ بِهِمْ قَضِيَّةٌ لَيْسَ فِيهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَثَرٌ اجْتَمَعُوا لَهَا، وَأَجْمَعُوا، فَالْحَقُّ فِيمَا رَأَوْا، فَالْحَقُّ فِيمَا رَأَوْا[٥].

● **والتحقيق في ذلك**: أنّ الخلاف لم يقع في المسائل الفقهية إلى زمن عثمان رضي الله عنه، بل كانوا يرجعون إلى الخليفة في موضع الخلاف،

---

(١) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ٧٧) برقم: (١٩٩).
(٢) انظر: «سنن أبي داود» برقم: (٣٦٦٥).
(٣) جعل الحر كناية عن الشر والشدة، والبرد كناية عن الخير والهين. انظر: «النهاية» (٢/ ٤٣٥).
(٤) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ٧٣) برقم: (١٧٠).
(٥) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ٦١) برقم: (١١٥).

وكان الخليفةُ هو الذي يختارُ رأياً بعد المشاورة، ويكونُ هذا الأمرُ مجمعاً عليه، وأمّا بعدَ ظهور الفتنة، فكان كلُّ عالم يصدر الفتوى برأيه، وفي ذلك العصر وقع الاختلافُ في المسائل.

وما ذكره «الشهرستاني» في كتابه «الملل والنحل»[1]: أنَّ الاختلافات وقعت بمجرّد وفاة النبي ﷺ فهو خطأٌ، وليس الاختلافُ أن يقولوا خلال المشاورة أقوالاً متغايرةً فيما بينهم، ثم يجتمعوا على أمر واحد بعد التنقيح، بل الاختلاف أن يظهر قولان متوازيان، وكل يدعو الناس إلى رأيه، ويبطل دعوى حريفه.

بالجملة: فإن هذه الأنواع السبعة للتغيّر ـ أي: الاختلاف في المسائل الفقهية ـ وقعت في أخيار هذه الأمة من العلماء والعبّاد والقرّاء، والمفسدة العظيمة التي تترتّبُ على ذلك هي أنّ طبقات المتأخرين قد اعتقدت هذه الهيئة والصفة سُنَّةً باعتبار أنَّ أصله مأخوذ من السُّنَّة، وبناءً على ذلك لاموا من ترك ذلك أو قصّر فيه.

• أخرج **الدارمي** عن إبراهيم عن علقمة عن **عبد الله** قال: كيف أنتم إذا لبستْكم فتنةٌ، يهرمُ فيها الكبير، ويربو فيها الصغيرُ، إذا تركَ منها شيءٌ، قيل: تركتَ السُّنَّةَ. قالوا: ومتى ذاك؟ قال: إذا ذهبت علماؤكم، وكثرت جهلاؤكم، وكثرت قرّاؤكم، وقَلَّت فقهاؤكم، وكثرت أمراؤكم، وقلّت أمناؤكم، والتُمِسَتِ الدّنيا بعملِ الآخرة، وتُفُقِّه لغير الدِّين[2].

الثانية عشرة: وقوع القتال بين المسلمين:

• أخرج **ابن ماجه** من حديث أَسِيد بْن الْمُتَشَمِّسِ قَالَ: حَدَّثَنَا **أَبُو**

---

(١) «الملل والنحل» (١/ ٣٥).

(٢) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ٧٥) برقم: (١٨٦).

مُوسَى، حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَّ بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ لَهَرْجاً قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا الْهَرْجُ؟ قَالَ: «**الْقَتْلُ**»، فَقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّا نَقْتُلُ الْآنَ فِي الْعَامِ الْوَاحِدِ مِنْ الْمُشْرِكِينَ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَيْسَ بِقَتْلِ الْمُشْرِكِينَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً، حَتَّى يَقْتُلَ الرَّجُلُ جَارَهُ وَابْنَ عَمِّهِ وَذَا قَرَابَتِهِ**»، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: يَا رَسُولَ اللهِ! وَمَعَنَا عُقُولُنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تُنْزَعُ عُقُولُ أَكْثَرِ ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَيَخْلُفُ لَهُ هَبَاءٌ مِنَ النَّاسِ لَا عُقُولَ لَهُمْ**».

ثُمَّ قَالَ الأَشْعَرِيُّ: وَايْمُ اللهِ إِنِّي لأَظُنُّهَا مُدْرِكَتِي وَإِيَّاكُمْ، وَايْمُ اللهِ مَا لِي وَلَكُمْ مِنْهَا مَخْرَجٌ، إِنْ أَدْرَكَتْنَا فِيمَا عَهِدَ إِلَيْنَا نَبِيُّنَا ﷺ إِلا أَنْ نَخْرُجَ منها كَمَا دَخَلْنَا فِيهَا[١].

• وأخرج **ابن ماجه** من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ شَدَّادِ بْنِ الهَادِ عَنْ **مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ** قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْماً صَلاةً، فَأَطَالَ فِيهَا، فَلَمَّا انْصَرَفَ قُلْنَا ـ أَوْ قَالُوا ـ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَطَلْتَ الْيَوْمَ الصَّلَاةَ، قَالَ: «**إِنِّي صَلَّيْتُ صَلَاةَ رَغْبَةٍ وَرَهْبَةٍ، سَأَلْتُ اللهَ ﷻ لأُمَّتِي ثَلاثاً: فَأَعْطَانِي اثْنَتَيْنِ، وَرَدَّ عَلَيَّ وَاحِدَةً، سَأَلْتُهُ أَنْ لا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوّاً مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لا يُهْلِكَهُمْ غَرَقاً فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَرَدَّهَا عَلَيَّ**»[٢].

• وأخرج **ابن ماجه** من حديث أَبِي قِلَابَةَ الْجَرْمِيِّ عَنْ أَبِي أَسْمَاءَ الرَّحَبِيِّ عَنْ **ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ** ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**زُوِيَتْ لِي**

(١) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (٣٩٥٩).
(٢) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (٣٩٥١).

الْأَرْضُ حَتَّى رَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَصْفَرَ أَوْ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ؛ يَعْنِي: الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ، **وَقِيلَ لِي: إِنَّ مُلْكَكَ إِلَى حَيْثُ زُوِيَ لَكَ.**

وَإِنِّي سَأَلْتُ اللهَ ﷻ ثَلَاثاً: أَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَى أُمَّتِي جُوعاً فَيُهْلِكَهُمْ بِهِ عَامَّةً، وَأَنْ لَا يَلْبِسَهُمْ شِيَعاً، وَيُذِيقَ بَعْضَهُمْ بَأْسَ بَعْضٍ، وَإِنَّهُ قِيلَ لِي: إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَلَا مَرَدَّ لَهُ، وَإِنِّي لَنْ أُسَلِّطَ عَلَى أُمَّتِكَ جُوعاً فَيُهْلِكَهُمْ فِيهِ، وَلَنْ أَجْمَعَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِ أَقْطَارِهَا حَتَّى يُفْنِيَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً، وَيَقْتُلَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً، وَإِذَا وُضِعَ السَّيْفُ فِي أُمَّتِي، فَلَنْ يُرْفَعَ عَنْهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَإِنَّ مِمَّا أَتَخَوَّفُ عَلَى أُمَّتِي أَئِمَّةً مُضِلِّينَ، وَسَتَعْبُدُ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ، وَسَتَلْحَقُ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَإِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ دَجَّالِينَ كَذَّابِينَ قَرِيباً مِنْ ثَلَاثِينَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَلَنْ تَزَالَ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورِينَ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ ﷻ»[(١)].

ووقوعُ القتالِ وشدَّتُه بعد مقتل عثمان ذي النورين رضي الله عنه أظهرُ وأغنى عن البيانِ.

الثالثة عشرة: شيوع سبّ السلف الصالح:

• ولقد جاء في «**الترمذي**» في تعداد علامات القيامة: «**وأن يسبَّ آخرُ هذه الأمةِ أوّلَها**»[(٢)].

• وأخرج **ابن ماجه** من حديث مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ عَنْ **جَابِرٍ** قَالَ:

---

(١) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (٣٩٥٢).

(٢) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٢٢١٠ ـ ٢٢١١) ولفظه: «**ولعنَ آخرُ هذه الأمةِ أوَّلَها**».

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِذَا لَعَنَ آخِرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَوَّلَهَا، فَمَنْ كَتَمَ حَدِيثاً فَقَدْ كَتَمَ مَا أَنْزَلَ اللهُ»**(١).

ومعلومٌ أنّ أهل الشام أخذوا يسبّون عليّاً المرتضى بعد مقتل عثمان رضي الله عنه.

وأورد **الحاكم** في «المستدرك» ظهورَ سبِّ الشيخين في عسكر علي، وأخرجهم علي مِنْ عسكره بهذه المعصية، وشاعَ سبُّ عثمان كذلك.

الرابعة عشرة: افتراق المسلمين إلى فرق مختلفة:

• أخرج ابنُ ماجه من حديث أَبِي سَلَمَةَ عَنْ **أَبِي هُرَيْرَةَ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«تَفَرَّقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً»**(٢).

• وأخرج **ابن ماجه** من حديث رَاشِدِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ **عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَافْتَرَقَتْ النَّصَارَى عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَإِحْدَى وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ»**، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَنْ هُمْ؟ قَالَ: **«الْجَمَاعَةُ»**(٣).

• وأخرج **ابن ماجه** من حديث قتادة عن **أنس بن مالك** قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنّ بني إسرائيلَ افترقتْ على إحدى وسبعينَ فرقةً، وإنّ**

---

(١) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (٢٦٣).
(٢) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (٣٩٩١).
(٣) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (٣٩٩٢).

أمتي ستفترقُ على ثنتينِ وسبعينَ فرقةً، كلُّها في النَّارِ إلّا واحدةً وهي الجماعةُ»[١].

الخامسة عشرة: ظهور الخوارج، أخرج الحفاظ ذكر الخوارج من حديث جماعة عظيمة من الصحابة.

• وهذا حديث متواتر بالمعنى، أخرج **ابن ماجه** من حديث زِرٍّ عَنْ **عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ، أَحْدَاثُ الْأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ النَّاسِ، يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ، لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِن الرَّمِيَّةِ، فَمَنْ لَقِيَهُمْ فَلْيَقْتُلْهُمْ، فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ عِنْدَ اللهِ لِمَنْ قَتَلَهُمْ»**[٢].

• وأخرج **ابن ماجه** من حديث أَبِي سَلَمَةَ قَالَ: قُلْتُ **لِأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ**: هَلْ سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَذْكُرُ فِي الْحَرُورِيَّةِ شَيْئاً؟ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَذْكُرُ قَوْماً يَتَعَبَّدُونَ، يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصَوْمَهُ مَعَ صَوْمِهِمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ، كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، أَخَذَ سَهْمَهُ فَنَظَرَ فِي نَصْلِهِ فَلَمْ يَرَ شَيْئاً، فَنَظَرَ فِي رِصَافِهِ فَلَمْ يَرَ شَيْئاً، فَنظَرَ فِي قِدْحِهِ فَلَمْ يَرَ شَيْئاً، فَنَظَرَ فِي الْقُذَذِ فَتَمَارَى هَلْ يَرَى شَيْئاً أَمْ لَا[٣].

• وأخرج **ابن ماجه** عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الصَّامِتِ عَنْ **أَبِي ذَرٍّ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنَّ بَعْدِي مِنْ أُمَّتِي، أَوْ سَيَكُونُ بَعْدِي مِنْ أُمَّتِي قَوْمٌ يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ، لَا يُجَاوِزُ حُلُوقَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّينِ، كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ، ثُمَّ لَا يَعُودُونَ فِيهِ، هُمْ شِرَارُ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ»**، قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ

---

(١) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (٣٩٩٣).

(٢) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (١٦٨).

(٣) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (١٦٩).

الصَّامِتِ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَافِعِ بْنِ عَمْرٍو أَخِي الْحَكَمِ بْنِ عَمْرٍو الْغِفَارِيِّ، فَقَالَ: وَأَنَا أَيْضاً قَدْ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ[١].

• وأخرج **ابن ماجه** عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ **جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ** قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْجِعْرَانَةِ وَهُوَ يَقْسِمُ التِّبْرَ وَالْغَنَائِمَ، وَهُوَ فِي حِجْرِ بِلَالٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: اعْدِلْ يَا مُحَمَّدُ! فَإِنَّكَ لَمْ تَعْدِلْ.

فَقَالَ: «**وَيْلَكَ! وَمَنْ يَعْدِلُ بَعْدِي إِذَا لَمْ أَعْدِلْ؟!**».

فَقَالَ عُمَرُ: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللهِ! حَتَّى أَضْرِبَ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ هَذَا فِي أَصْحَابٍ أَوْ أُصَيْحَابٍ لَهُ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ، لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ**»[٢].

• وأخرج **ابن ماجه** من حديث نَافِعٍ عَنِ **ابْنِ عُمَرَ** أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يَنْشَأُ نَشْءٌ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ، لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، كُلَّمَا خَرَجَ قَرْنٌ قُطِعَ**»، قَالَ ابْنُ عُمَرَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**كُلَّمَا خَرَجَ قَرْنٌ قُطِعَ أَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ مَرَّةً حَتَّى يَخْرُجَ فِي عِرَاضِهِمِ الدَّجَّالُ**»[٣].

• وأخرج **ابن ماجه** من حديث قتادة عن **أنس بن مالك** قال: قال رسول الله ﷺ: «**يخرجُ قومٌ في آخرِ الزّمانِ أو في هذه الأمّةِ يقرؤونَ القرآنَ، لا يجاوِزُ تراقيهم أو حلوقَهم، سيماهم التحليقُ، إذا رأيتموهم أو إذا لقيتموهم فاقتلوهم**»[٤].

---

(١) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (١٧٠).
(٢) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (١٧٢).
(٣) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (١٧٤).
(٤) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (١٧٥).

السادسة عشرة والسابعة عشرة: ظهور القدَرية والمرجئة:

• أخرج **ابن ماجه** من حديث **جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ مَجُوسَ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمُكَذِّبُونَ بِأَقْدَارِ اللهِ، إِنْ مَرِضُوا فَلَا تَعُودُوهُمْ، وَإِنْ مَاتُوا فَلَا تَشْهَدُوهُمْ، وَإِنْ لَقِيتُمُوهُمْ فَلَا تُسَلِّمُوا عَلَيْهِمْ**»(١).

• وأخرج **ابن ماجه** من حديث عكرمة عن **ابن عباس** قال: قال رسول الله ﷺ: «**صنفانِ مِنْ هذه الأُمّةِ ليس لهما في الإسلامِ نصيبٌ، المرجئةُ والقدَريةُ**»(٢).

الثامنة عشرة: ظهور الروافض:

• أخرج **الحاكم** عن **علي** رضي الله عنه قال: دعاني رسول الله ﷺ فقال: «**يا عليُّ! إنَّ فيكَ مِنْ عيسى عليه الصلاة والسلام مثلاً، أبغضته اليهودُ حتّى بهتوا أمَّه، وأحبَّته النصارى حتى أنزلوه بالمنزلةِ التي ليسَ بها**»، قال: وقال علي: ألا وإنّه يهلك فيّ مُحِبٌّ مُطْرٍ، يفرطني بما ليس فيّ، ومبغضٌ مفترٍ يحمِلُه شنآني على أن يبهتَني، ألا وإنِّي لستُ بنبيّ، ولا يوحى إليّ، ولكنِّي أعملُ بكتاب الله، وسُنَّة نبيِّه ﷺ ما استطعتُ، فما أمرتكم به من طاعة الله تعالى، فحقٌّ عليكم طاعتي فيما أحببتم أو كرهتم، وما أمرتكم بمعصيةٍ أنا وغيري فلا طاعةَ لأحدٍ في معصيةِ اللهِ عز وجل، إنَّما الطاعةُ في المعروف(٣).

• وهذه **الفرق الباطلة الأربعة** هي منشأ تولُّد سائر الفرق الباطلة الأخرى بمنزلة الأخلاط الأربعة بالنسبة لتولُّد أمراض شتّى.

---

(١) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (٩٢).
(٢) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (٦٢).
(٣) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ١٣٢) برقم: (٤٦٢٢).

التاسعة عشرة: ظهور استحلال الفروج بتأويل المتعة، واستحلال الخمور بتأويل النبيذ، واستحلال المعازف في هذا العصر ـ أي: في زمن الفتن ـ.

• أخرج **البخاري** عن أبي عَامِرٍ أَوْ **أَبي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيّ** قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يَقُولُ: «**لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحِرَ وَالْحَرِيرَ وَالْخَمْرَ وَالْمَعَازِفَ، وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عَلَم، تَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَةٌ لَهُمْ، فيَأْتِيهِمْ رَجُلٌ لِحَاجَته، فَيَقُولُونَ[1]: ارْجعْ إِلَيْنَا غداً، فَيُبَيِّتُهُمُ اللهُ وَيَضَعُ الْعَلَمَ، وَيَمْسَخُ آخَرِينَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»[2].

• وأخرج **ابن ماجه** من حديث خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ عَنْ **أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَذْهَبُ الليالي وَالْأَيَّامُ حَتَّى تَشْرَبَ فِيهَا طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا**»[3].

• وأخرج **ابن ماجه** من حديث ثَابِتِ بْنِ السِّمْطِ عَنْ **عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَشْرَبُ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ بِاسْمٍ يُسَمُّونَهَا إِيَّاهُ**»[4].

• ووجدت في كتب تخريج أحاديث الرافعي للحافظ ابن حجر العسقلاني قال: روى عبد الرزاق عن معمر قال: لو أنّ رجلاً أخذَ بقول أهلِ المدينةِ في استماع الغناءِ، وإتيانِ النساء في أدبارهنَّ، وبقول أهل مكة

---

(١) في الأصل الفارسي: «فيقول».

(٢) انظر: «صحيح البخاري» (ح: ٥٥٩٠)، وأخرجه البيهقي في «سننه» (١٠/ ٢٢١) واللفظ له.

(٣) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (٣٣٨٤).

(٤) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (٣٣٨٥).

في المتعة والصرف، وبقول أهل الكوفة في المُسْكِرِ كان شرَّ عبادِ اللهِ[١].

العشرون: ارتفاع الأمن من بين المسلمين، وذلك بسبب أنَّ هذا قتل أبا هذا، وذاك قتل أخا هذا، فتوارى بعضُهم عن بعضٍ، فما استطاعوا الصلاةَ في المسجد.

• وأخرج **مسلم** من حديث شقيق عن **حذيفة** قال: كنّا مع رسول الله ﷺ، فقال: «**أحصوا لي كَمْ يلفظ الإسلام**»، قال: فقلنا: يا رسول الله! أتخافُ علينا ونحنُ ما بين السّتمئة إلى السبعمئة، قال: «**إنّكم لا تدرونَ لعلَّكم أن تُبتلوا**»، قال: فابتلينا حتّى جعلَ الرجلُ منَّا لا يصلي إلا سِرّاً[٢].

الحادية والعشرون: حصول الرئاسة لمن لم يكونوا أهلاً لها، أو كانوا مفضولين بالنسبة للمستحقين لها.

• مرّ من حديث حذيفة: «**ويَرِثُ دنياكم أشرارُكم**».

• وأخرج **البخاري** وغيره من حديث **أَبِي هُرَيْرَةَ** قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ...؟ قَالَ: «**فَإِذَا ضُيِّعَتْ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ**»، قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: «**إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ**»[٣].

• وأخرج **البغوي** من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ عَنِ **ابْنِ عُمَرَ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا مَشَتْ أُمَّتِي الْمُطَيْطَاءَ[٤]، وَخَدَمَتْهُمْ أَبْنَاءُ الْمُلُوكِ**

(١) انظر: «التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير» (٣/ ١٨٧).
(٢) انظر: «صحيح مسلم» برقم: (١٤٩).
(٣) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٥٩).
(٤) هي بالمدّ والقَصر: مِشْيةٌ فيها تَبَخْتُرٌ ومدُّ اليدين، «النهاية» (٢/ ٦٦٥).

أَبْنَاءُ فَارِسَ وَالرُّومِ، سَلَّطَ اللهُ شِرَارَهَا عَلَى خيارها»[(١)]، وتحقق ذلك في زمن عثمان رضي الله عنه.

الثانية والعشرون: التقصير العظيم في إقامة أركان الإسلام:

• أخرج **ابن ماجه** من حديث عُثْمَانَ بْنِ خُثَيْمٍ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ **عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ** أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**سَيَلِي أُمُورَكُمْ بَعْدِي رِجَالٌ يُطْفِئُونَ السُّنَّةَ، وَيَعْمَلُونَ بِالْبِدْعَةِ، وَيُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ مَوَاقِيتِهَا**»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنْ أَدْرَكْتُهُمْ كَيْفَ أَفْعَلُ؟ قَالَ: «**تَسْأَلُنِي يَا ابْنَ أُمِّ عَبْدٍ! كَيْفَ تَفْعَلُ؟ لَا طَاعَةَ لِمَنْ عَصَى اللهَ**»[(٢)].

• وأخرج **البخاري** وغيره وهذا لفظ البغوي عن ثَابِت عن **أَنَس**: مَا أَعْرِفُ فِيكُمُ [الْيَوْمَ] شَيْئاً كُنْتُ أَعْهَدُهُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَيْسَ قَوْلَكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبَا حَمْزَةَ الصَّلَاةَ؟ قَالَ: قَدْ صَلَّيْتُ حِينَ تَغْرُبُ الشَّمْسُ، أَفَكَانَتْ تِلْكَ صَلَاةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: فَقَالَ: عَلَى أَنِّي لَمْ أَرَ زَمَاناً خَيْراً لِعَامِلٍ مِنْ زَمَانِكُمْ هَذَا إِلَّا أَنْ يَكُونَ زَمَاناً مَعَ نَبِيٍّ[(٣)]، وقد مرّ حديث أنس وغيره: «**إذا ماتَ أبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ فتباً لكم**»، وفي لفظ: «**فإنِ استطعتَ أن تموتَ فَمُتْ**»[(٤)].

وقد عُلم من التاريخ أنّ إقامةَ الحجّ لم يقمه أحدٌ من الخلفاء بعد مقتل عثمان رضي الله عنه، بل كانوا يرسلون نائبيهم حتّى إنّ عليّاً رضي الله عنه لم يمكن

---

(١) انظر: «شرح السُّنَّة» (١/ ١٠٠٣).
(٢) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (٢٨٦٥).
(٣) انظر: «شرح السُّنَّة» (١٤/ ٣٩٤).
(٤) أخرجه أبو بكر في «مصنفه» (٧/ ٤٦١) برقم: (٣٧٢٣١).

له أن يقيم الحجَّ بنفسه، بل ما استطاع إرسال نائبه في بعض السنين، كما هو مذكورٌ في «المستدرك»(١)، وعيّن معاوية بن أبي سفيان أبان بن عثمان أمير الحج في أيام خلافته، مع أنَّ الخلفاء السابقين أقاموا الحجّ بأنفسهم، إلا بعذر، وكانت إقامةُ الحجِّ من خصائص الخلافة، بل من لوازمها وخواصّها، كما أنَّ الجلوسَ على العرش، ووضع التاج على الرأس، أو الإقامة في قصر الملوك السابقين من علامات الملوكية عند الأكاسرة والقياصرة.

الثالثة والعشرون: اختيار الغلو في العبادات، وترك الرخص الشرعية:

• جاء في «مشكاة المصابيح» عن **أبي هريرة** ﵁ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إنَّ الدّينَ يسرٌ، ولن يشادَّ الدِّينَ أحدٌ إلّا غلبه، فسدِّدوا وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيءٌ من الدلجة**»(٢).

• وذكر **البغوي** عن **عمير** قال: مَنْ أدركت من أصحاب النبي ﷺ أكثر من سبعين، فما رأيتُ قوماً أهون سيرةً ولا أقلّ تشديداً منهم، قال إبراهيم: إذا بلغك في الإسلام أمران فخذ أيسرهما.

• وقال **الشعبي**: إذا اختلفَ عليك في أمرين فخذ أيسرهما، فإن

---

(١) انظر: (٣/ ١٢٣) برقم: (٤٥٩٢) عن شرحبيل بن سعد القرشي قال: استخلف علي بن أبي طالب ﵁ سنة خمس وثلاثين وهو ابن ثمان وخمسين سنة وأشهر، فلمّا حضر الموسم سنة خمس وثلاثين بعث عبد الله بن عباس على الموسم سنة خمس وثلاثين وسنة سبع وثلاثين وسنة ثمان وثلاثين، وحضر الموسم وتشاغل عليٌّ ﵁ بالقتال فاصطلحَ الناسُ على شيبة بن عثمان الحجبي فشهد بالناس، فلمّا كان سنة أربعين قتل علي يوم الجمعة لسبع عشرة مضت من شهر رمضان من سنة أربعين وهو ابن ثلاث وستين سنة. قال الحاكم: فنظرنا فوجدنا لهذه التواريخ برهاناً ظاهراً بإسنادٍ صحيح.

(٢) انظر: «مشكاة المصابيح» (١/ ٢٧٧).

أيسرهما أقربهما من الحق[١]؛ لأن الله ﷻ يقول: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

ويظهر من هذه الآثار أنّ تتبّع الرخص من المذاهب الأربعة مستحسنٌ ما لم ينهاه صريحُ القرآن والحديث النبوي المشهور وإجماع السلف والقياس الجلي والحديث الصحيح خلافاً للفقهاء المتأخِّرين، بل نسبه بعضهم إلى الفسق.

الرابعة والعشرون: بيانُ النبيِّ ﷺ لفتنتين:

• أخرج **البغوي** من حديث **حذيفة** قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَيَكُونُ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ كَمَا كَانَ قَبْلَهُ شَرٌّ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، قُلْتُ: فَمَا الْعِصْمَةُ؟ يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: «**السَّيْفُ**»، قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ السَّيْفِ بَقِيَّةٌ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، تَكُونُ إِمَارَةٌ عَلَى أَقْذَاءٍ، وَهُدْنَةٌ عَلَى دَخَنٍ**»، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «**ثُمَّ يَنْشَأُ دُعَاةُ الضَّلالَةِ، فَإِنْ كَانَ لِلَّهِ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةٌ جَلَدَ ظَهْرَكَ، وَأَخَذَ مَالَكَ، فَالْزَمْهُ وَإِلّا قُمْتَ وَأَنْتَ عَاضٌّ عَلَى جِذْلِ شَجَرَةٍ**»[٢].

وفي رواية: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ﷺ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ**»، قَالَ: قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: «**قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ**»، فَقُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا، قَذَفُوهُ فِيهَا**»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ﷺ صِفْهُمْ لَنَا، قَالَ: «**هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا**»، قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: «**تَلْزَمُ**

(١) انظر: «شرح السُّنَّة» (١٤/ ٣٩١).
(٢) انظر: «شرح السُّنَّة» (١٥/ ٩).

جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ»، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ جَمَاعَةٌ وَلا إِمَامٌ، قَالَ: «**فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ**»[1].

• وأخرج **مسلم** عن **عتبة بن غزوان** حديثاً طويلاً في آخره: «**وَإِنَّهَا لَمْ تَكُنْ نُبُوَّةٌ قَطُّ إِلَّا تَنَاسَخَتْ حَتَّى يَكُونَ [آخِرُ] عَاقِبَتِهَا مُلْكاً فَسَتَخْبُرُونَ وَتُجَرِّبُونَ الْأُمَرَاءَ بَعْدَنَا**»[2].

وتفسير هاتين الفتنتين في كلام سعيد بن المسيب، قال سعيد بن المسيب: ثارت الفتنةُ الأُولى فلم يبقَ ممّن شهد بدراً أحدٌ، ثم كانت الثانية فلم يبق ممّن شهد الحديبية أحد، قال: وأظنّ لو كانت الثالثة لم ترتفع وفي الناس طباخ[3].

قال البغوي: أراد بالفتنة الأولى «مقتل عثمان»، وبالثانية «الحَرّة»، وقوله: «**طباخ**»؛ أي: خير ونفع، يقال: فلان لا طباخَ له؛ أي: لا عقل له[4].

فالفتنة الأولى: هي من «مقتل عثمان» إلى استقرار خلافة معاوية ابن أبي سفيان، والثانيةُ من وفاة معاوية بن أبي سفيان إلى استقرار خلافة عبد الملك، وفي الرواية الأولى عدّ الردّة التي وقعت في زمن أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه فتنةً باعتبار الشدّة التي عانى منها المسلمون، وفي الرواية الثانية لم يعدّ الردة فتنةً، إذ إنّها لم تكن بين المسلمين، بل كانت بين المسلمين والكفار.

---

(١) انظر: «شرح السُّنَّة» (١٥/ ١٤).

(٢) انظر: «صحيح مسلم» برقم: (٢٩٦٧). (٣) انظر: «شرح السُّنَّة» (١٤/ ٣٩٥).

(٤) انظر: «شرح السُّنَّة» (١٤/ ٣٩٦).

الخامسة والعشرون: أن النبي ﷺ قد قرّر صورةً واحدةً لرقي الملّة الإسلامية، وتحقّقت هذه الصورة في آخر عهد عثمان، ثم أنذر بالفتن من بعده.

• أخرج **البغوي** عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ **كُرْزِ بْنِ عَلْقَمَةَ الْخُزَاعِيِّ**، قَالَ: قَالَ أَعْرَابِيٌّ: يَا رَسُولَ الله! هَلْ لِلإِسْلامِ مُنْتَهىً؟ قَالَ: «**نَعَمْ، أَيُّمَا أَهْلِ بَيْتٍ مِنَ الْعَرَبِ، أَوِ الْعَجَمِ أَرَادَ اللهُ بِهِمْ خَيْراً، أَدْخَلَ الله عَلَيْهِمُ الإِسْلامَ**»، قَالَ: ثُمَّ مَاذَا يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**ثُمَّ تَقَعُ الْفِتَنُ كَأَنَّهَا الظُّلَلُ**»، قَالَ: فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: كَلا يَا رَسُولَ الله؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**[بَلَى] وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، ثُمَّ لَتَعُودُنَّ فِيهَا أَسَاوِدَ صُبّاً**[1] **يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**»[2].

وقوله: «**أساود**»؛ أي: حيات[3]، وقوله: «**صُبّاء**» جمع صابئ، وصبا إذا مال من دينٍ إلى دينٍ[4].

السادسة والعشرون: قول النبي ﷺ في تعداد الفتن:

• أخرج البغوي عن **عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ** قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ فِي قُبَّةِ أَدَمٍ، فَقَالَ: «**اعْدُدْ سِتّاً بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ مُوتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ**

---

(١) كذا في كتب السُّنَّة، وفي الأصل الفارسي: «صبّاء».

(٢) انظر: «شرح السُّنَّة» (١٥/ ٢٩).

(٣) قال أبو عبيد: الأسود: العظيم من الحيات، وفيه سواد، قال شمر: هو أخبثُ الحيّاتِ، وربّما عارض الرفقة، وتبع الصوت، وقيل في تفسيره: يعني جماعات، وهي جمع سواد من الناس؛ أي: جماعة ثم أسودة، ثم أساود. انظر: «شرح السُّنَّة» (١٥/ ٣٠).

(٤) انظر: «شرح السُّنَّة» (١٥/ ٣٠).

حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِئَةَ دِينَارٍ، فَيَظَلُّ سَاخِطاً، ثُمَّ فِتْنَةٌ لا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الأَصْفَرِ، فَيَغْدِرُونَ، فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفاً»(١).

بعد انتقاله ﷺ إلى الرفيق الأعلى وقع فتحُ بيت المقدس، ثم طاعون عمواس من بعده، ثم وقع استفاضة المال في زمن عثمان من بعده، ثم ثارت الفتنةُ العامّة المستطيرة بقتل عثمان رضي الله عنه.

السابعة والعشرون: [عمران بيت المقدس، وخراب يثرب، وفتح القسطنطينية].

• أخرج **البغوي** من حديث جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ يُخَامِرَ، عَنْ **مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ** أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«عُمْرَانُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ خَرَابُ يَثْرِبَ، وَخَرَابُ يَثْرِبَ خُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ، وَخُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ فَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، وَفَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ خُرُوجُ الدَّجَّالِ»**، ثُمَّ ضَرَبَ عَلَى فَخِذَيِ الَّذِي حَدَّثَهُ؛ يَعْنِي: مُعَاذاً أَوْ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: **«إِنَّ هَذَا لَحَقٌّ كَمَا أَنْتَ هَاهُنَا، أَوْ كَمَا أَنْتَ قَاعِدٌ»**(٢).

بيت المقدس هنا كناية عن إقليم الشام؛ إذ إنَّ بيت المقدس أفضل وأقدم بقاع الشام، وهو مقامُ أنبياء بني إسرائيل وملوكهم، ووقع عمران بيت المقدس في خلافة عثمان؛ حيث كان معاوية بن أبي سفيان عامله هناك، وبعد مقتل عثمان خراب يثرب وذهاب علي المرتضى رضي الله عنه إلى العراق، ووقوع حرب الجمل وصفِّين، ووقع فتحِ القسطنطينية في إمارة معاوية بن أبي سفيان(٣).

---

(١) انظر: «شرح السُّنَّة» (١٥/ ٤٣). (٢) انظر: «شرح السُّنَّة» (١٥/ ٤٧).

(٣) في عهد معاوية حوصرت القسطنطينية واستشهد أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه عند =

هنا تقع في قلب المرء حيرةٌ شديدةٌ؛ لأن ذكر خروج الدجال جاء في الحديث النبوي الشريف بعد فتح القسطنطينية مع أنه مضى على فتحها أكثر من ألف سنة، ولم يخرج الدجال بعدُ، وكذلك ورد في حديث حذيفة: «**لا تقومُ الساعةُ حتّى تقاتلوا إمامكم، وتجتلدُوا بأسيافِكُم**»، وهذا اللفظ ينبئُ أنَّ قتلَ الإمامَ والاجتلادَ بالسيوف من علامات القيامة، مع أنه قد مرَّ عليه أكثر من ألف سنة، ولم يظهر وقوع الساعة بعد، وكذلك ورد في حديث: «**بعثتُ أنا والساعةُ كهاتين**»[1]، كما قال الله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ [القمر]، إلى غير ذلك من أحاديث وآيات في هذا المعنى مما لا يُحصى.

وجوابه: أنّ خروجَ الدجال وقيام الساعة، أو كلّ فتنة من الفتن المذكورة، بينها وبين الساعة ارتباطٌ وعلاقةٌ، كما أنّ غرس الشجر له علاقة بالإثمار ـ أي: الغرض من غرس الشجر ـ وغايته أن تثمر، فكان ظهور هذه الفتن بدايةَ الساعةِ، وغايتُها خروجُ الدجال، وقيام الساعة نفسها، ولذلك أنذر نوحٌ ﷺ قومَه بالدجال، رغم البعد الزماني الواقع بينه وبين الدجال، وذلك على نحو ما يقول الرجل عند إلقاء البذرة في الأرض: غايةُ هذه البذرةِ إنّما هي إثمارها وإنتاجها لا غير، وما يبذل له من الجهد في السقي وإرواء النخلة وغير ذلك، غايته الإثمار وحده.

وبالجملة: فإنّ منتهى هذه الفتن كلّها يكون بخروج الدجال، وهنا سرٌّ دقيق لا يمكن بيانه وتفصيله بدون تمهيد مقدّمات، وليس هذا مقامه.

= أسوارها ودفن هناك. أما فتح القسطنطينية فقد تم على يد السلطان العثماني محمد الفاتح.

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٦٥٠٤، ٦٥٠٥).

الثامنة والعشرون: [ظهور الملك العضوض بعد النبوّة والخلافة الراشدة]:

• حديث أَبِي **عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ** رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّهُ بَدَأَ هَذَا الأَمْرُ نُبُوَّةً وَرَحْمَةً، ثُمَّ كَائِنٌ خِلافَةً وَرَحْمَةً، ثُمَّ كَائِنٌ مُلْكاً عَضُوضاً، ثُمَّ كَائِنٌ عُتُوّاً وَجَبْرِيَّةً وَفَسَاداً فِي الأُمَّةِ، يَسْتَحِلُّونَ الْحَرِيرَ وَالْخُمُورَ وَالْفُرُوجَ وَالْفَسَادَ فِي الأُمَّةِ، يُنْصَرُونَ عَلَى ذَلِكَ، وَيُرْزَقُونَ أَبَداً حَتَّى يَلْقَوُا اللهَ**»[1].

التاسعة والعشرون: ظهور الفتن الواحدةُ تلو الأخرى:

• أخرج **ابن ماجه** من حديث زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ رَبِّ الْكَعْبَةِ قَالَ: انْتَهَيْتُ إِلَى **عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو** بْنِ الْعَاصِ وَهُوَ جَالِسٌ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: بَيْنَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ إِذْ نَزَلَ مَنْزِلاً، فَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُ خِبَاءَهُ، وَمِنَّا مَنْ يَنْتَضِلُ، وَمِنَّا مَنْ هُوَ فِي جَشَرِهِ؛ إِذْ نَادَى مُنَادِيهِ: الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ، فَاجْتَمَعْنَا، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَخَطَبَنَا، فَقَالَ: «**إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقّاً عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى مَا يَعْلَمُهُ خَيْراً لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ مَا يَعْلَمُهُ شَرّاً لَهُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَتْ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَإِنَّ آخِرَهُمْ يُصِيبُهُمْ بَلَاءٌ وَأُمُورٌ يُنْكِرُونَهَا، ثُمَّ تَجِيءُ فِتَنٌ يُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضاً، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ، ثُمَّ تَجِيءُ فِتْنَةٌ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ، فَمَنْ سَرَّهُ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ فَلْتُدْرِكْهُ مَوْتَتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى**

---

(١) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٢/ ١٧٧) برقم: (٨٧٣).

النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يَأْتُوا إِلَيْهِ، وَمَنْ بَايَعَ إِمَاماً، فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَمِينِهِ، وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ، فَلْيُطِعْهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ، فَاضْرِبُوا عُنُقَ الْآخَرِ».

قَالَ: فَأَدْخَلْتُ رَأْسِي مِنْ بَيْنِ النَّاسِ، فَقُلْتُ: أَنْشُدُكَ اللهَ، أَنْتَ سَمِعْتَ هَـذَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: فَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى أُذُنَيْهِ، فَقَالَ: سَمِعَتْهُ أُذُنَايَ وَوَعَاهُ قَلْبِي[1].

الثلاثون: ذهاب الصالحين الأول فالأول:

• أخرج **البغوي** من حديث قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ عَنْ **مِرْدَاسٍ الأَسْلَمِيِّ**، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**يَذْهَبُ الصَّالِحُونَ الأَوَّلَ فَالأَوَّلَ، وَيَبْقَى حُفَالَةٌ كَحُفَالَةِ الشَّعِيرِ أَوِ التَّمْرِ، لا يُبَالِيهِمُ اللهُ بَالَةً**»[2].

ومرَّ تفسير هذا الحديث من قول سعيد بن المسيب.

وهكذا ذكر النبيُّ ﷺ أشياء كثيرة ممّا يوجد في باب الفتن، وباب تغيّر الناس، وفي الأبواب المتفرّقة من كتب الآثار والسنن، واكتفينا هنا بهذا القدر اليسير عملاً بالمثل العربي السائر: «الغَرْفَةُ تنبئُ عن الغدير، والجفنةُ تحكي عن البيدر الكبير».

الأحكام التي بيّنها النبي ﷺ في زمن الفتنة خاصة

لقد شرع النبي ﷺ أحكاماً ومصالحَ مفردةً بخصوص زمان يظهر فيه الشرّ والفتنة، وذكر في أحاديث كثيرة إذا ظهر زمان كذا وكذا فاعملوا كذا وكذا، نذكر فيما يلي بعضَ الأمثلة لمثل هذه الأحكام:

---

(١) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (٣٩٥٦).

(٢) انظر: «شرح السُّنَّة» (١٤/٣٩٣).

الانقياد للمتغلّب غير المستحق للخلافة فيما وافق الشرع:

الحكم الأول: إذا تغلّب مَنْ لا يستحقُّ الخلافةَ يجبُ الانقيادُ له فيما يوافِقُ الشرعَ، لا فيما يخالفه.

عدم جواز الخروج عليه إلا أن يظهر منه كفر صريح:

والحكم الثاني: ولا يجوزُ الخروجُ عليه والقتالُ معه إلا أن يظهرَ منه كفرٌ صريحٌ، وهذا متواتر بالمعنى.

• فمن حديث **أَنَسٍ** أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ لأَبِي ذَرٍّ: «**اسْمَعْ وَأَطِعْ وَلَوْ لِعَبْدٍ حَبَشِيٍّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ**»[١].

• ومن حديث **أم الحصين** أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ يَخْطُبُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ، يَقُولُ: «**لَوْ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ يَقُودُكُمْ بِكِتَابِ اللهِ ﷻ فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا**»[٢].

• ومن حديث **ابْنِ عُمَرَ** أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ أَوْ كَرِهَ إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ**»[٣].

• ومن حديث **عَلِيٍّ** أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لا طَاعَةَ فِي مَعْصِيةٍ، إِنَّما الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ**»[٤].

• ومن حديث **النَّوَّاسِ بنِ سَمْعَانَ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

---

(١) أخرجه البغوي في «شرح السُّنَّة» (١٠/ ٤٢).
(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٦/ ٤٠٢) برقم: (٢٧٣٠٦).
(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/ ١٤٢) برقم: (٦٢٧٨).
(٤) أخرجه البغوي في «شرح السُّنَّة» (١٠/ ٤٣).

«لا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيةِ الخَالِقِ»[١].

• ومن حديث **عبادة بن الصامت**: قال دَعَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَبَايَعْنَاهُ، فَكَانَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ. قَالَ: **«إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْراً بَوَاحاً، عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ»**[٢].

• ومن حديث **أُمِّ سلمَةَ** قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«يَكُونُ عَلَيْكُم أَمْرَاءُ، تَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ أَنكَرَ فَقَدْ بَرِئَ، وَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ»**، قَالُوا: أَفَلا نَقْتُلُهُمْ؟ قَالَ: **«لا، مَا صَلّوا [لا، مَا صَلّوا]»**[٣].

• ومن حديث **الْحَارِثِ الأشْعَرِيِّ** أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ: **«إِنَّ اللهَ تَعَالَى أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِماتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهِنَّ، وَأَنْ يَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ، فَكَادَ أَنْ يُبْطِئَ، فَقَالَ لَهُ عِيسَى: إِنَّكَ قَدْ أُمِرْتَ بِخَمْسِ كَلِماتٍ أَنْ تَعْمَلَ بِهِنَّ، وَأَنْ تَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ، فَإِمَّا أَنْ تُبَلِّغَهُمْ، وَإِمَّا أَنْ أُبَلِّغَهُمْ، فَقَالَ لَهُ: يَا أَخِي إِنِّي أَخْشَى إِنْ سَبَقْتَنِي أَنْ أُعَذَّبَ، أَوْ يُخْسَفَ بِي.**

فَجَمَعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ حَتَّى امْتَلأَ الْمَسْجِدُ، وَقَعَدُوا عَلَى الشُّرَفِ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ [أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ، وَآمُرُكُمْ] أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ:

---

(١) أخرجه البغوي في «شرح السُّنَّة» (١٠/ ٤٤).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم: (١٧٠٩).

(٣) أخرجه البغوي في «شرح السُّنَّة» (١٠/ ٤٨).

أَوَّلُهُنَّ: أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ، وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْداً مِن خَاصِّ مَالِهِ بِوَرِقٍ أَوْ ذَهَبٍ، فَقَالَ: هَذِهِ دَارِي، وَهَذَا عَمَلِي، فَاعْمَلْ، وَأَدِّ إِلَيَّ عَمَلِي، فَجَعَلَ يَعْمَلُ، وَيُؤَدِّي عَمَلَهُ إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ، فَأَيُّكُمْ يَسُرُّهُ أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ؟ وَإِنَّ اللهَ عَجَلَّ خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ، فَاعْبُدُوهُ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً.

وَآمُرُكُمْ بِالصَّلاةِ، فَإِنَّ اللهَ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لِعَبْدِهِ مَا لَمْ يِلْتَفِتْ، فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلا تَلْتَفِتُوا.

وَآمُرُكُمْ بِالصِّيَامِ، فَإِنَّ مَثَلَ الصِّيَام كَمَثَلِ رَجُلٍ مَعَهُ صُرَرٌ مِنْ مِسْكٍ فِي عِصَابَةٍ، كُلُّهُمْ يُحِبُّ أَنْ يَجِدَ رِيحَ الْمِسْكِ، [وَإِنَّ خُلُوفَ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ].

وَآمُرُكُم بِالصَّدَقَةِ، فإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ مَثَلُ رَجُلٍ أَسَرَهُ العَدُوُّ، فَشَدُّوا يَدَيْهِ إِلَى عُنُقِهِ، فَقَدَّمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ، فَقَالَ: هَلْ لَكُمْ إِلَى أَنْ أَفْتَدِيَ نَفْسِي؟ فَجَعَلَ يَفْتَدِي نَفْسَهُ [مِنْهُمْ بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ حتَّى فَكَّ نَفْسَهُ].

وَآمُرُكُمْ بِذِكْرِ اللهِ كَثِيراً، فإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ طَلَبَهُ العَدُوَّ سِرَاعاً فِي أَثَرِهِ، فَأَتَى حِصْناً حَصِيناً فَتَحَصَّنَ فِيهِ، وَإِنَّ الْعَبْدَ أَحْصَنُ مَا يَكُونُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِذَا كَانَ فِي ذِكْرِ اللهِ عَجَلَّ».

قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ، اللهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ: بِالْجَمَاعَةِ، وَالسَّمْعِ، وَالطَّاعَةِ، وَالْهِجْرَةِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ الْجَمَاعَةِ قِيْدَ شِبْرٍ، فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلامِ مِنْ عُنُقِهِ إلا أَنْ يُرَاجِعَ»[1].

• ومن حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقُولُ: «مَنْ

---

(١) أخرجه البغوي في «شرح السُّنَّة» (١٠/ ٥١).

فَارَقَ الْجَمَاعَةَ، وَخَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ[١]**، فَمَاتَ فَمِيتَةٌ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي بِسَيْفِهِ، يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا لا يُحَاشِي مُؤْمِناً لِإِيمَانِهِ، وَلا يَفِي لِذِي عَهْدٍ بِعَهْدِهِ، فَلَيْسَ مِنْ أُمَّتِي»**[٢].

• ومن حديث **عَبْدِ اللهِ بن مسعود** قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً وَأُمُوراً تُنْكِرُونَهَا**»، قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: «**أَدُّوا إِلَيْهِمْ حَقَّهُمْ، وَسَلُوا اللهَ حَقَّكُمْ**»[٣].

• ومن حديث **وَائِلٍ الْحَضْرَمِيِّ** عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَأَلَ سَلَمَةُ بْنُ يَزِيدَ الْجُعْفِيُّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ! أَرَأَيْتَ إِنْ قَامَتْ عَلَيْنَا أُمَرَاءُ يَسْأَلُونَا حَقَّهُمْ، وَيَمْنَعُونَا حَقَّنَا؟ قَالَ: «**اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، فَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا، وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ**»[٤].

❁ قتل الباغي على الذي اجتمع المسلمون عليه:

والحكم الثالث: إذا انعقدت البيعةُ لشخصٍ، واستقرّت سيطرته، فإنْ بغىٰ عليه أحدٌ وقاتله يجبُ أن يُقتلَ، سواء كان أفضل منه أو مساوياً أو مفضولاً.

• أخرج **البغوي** عَنْ **عَرْفَجَةَ** عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي وَهُمْ مُجْتَمِعُونَ يُرِيْدُ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَهُمْ، فَاقْتُلُوهُ كَائِناً مَنْ كَانَ**»[٥].

• وأخرج **البغوي** من حديث أبي نضرة عن **أبي سعيد الخدري**

---

(١) في الأصل الفارسي: «مِنَ الْجَمَاعَةِ».
(٢) أخرجه البغوي في «شرح السُّنَّة» (١٠/ ٥٢).
(٣) أخرجه البغوي في «شرح السُّنَّة» (١٠/ ٥٣).
(٤) أخرجه البغوي في «شرح السُّنَّة» (١٠/ ٥٤).
(٥) انظر: «شرح السُّنَّة» (١٠/ ٥٥).

قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا بويعَ لخليفتينِ، فاقتلوا الآخرَ منهما**»[(١)].

• وأخرج **البغوي** من حديث أبي حازم عن **أبي هريرة** عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «**كَانَ بَنُو إِسرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدِي، وَسَيَكُونُ خُلَفَاء فَيَكْثُرُونَ**»، قَالُوا: فَمَا تأْمُرُنَا؟ قَالَ: «**فُوا بِبَيْعَةِ الأَوَّلِ فَالأَوَّلِ، أَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ، فَإِنَّ اللهَ سَائِلُهُمْ عمَّا اسْتَرْعَاهُم**»[(٢)].

• وأخرج **ابن ماجه** من حديث **عبد الله بن عمرو** بن العاص في قصة طويلة عن النبي ﷺ قال: «**وَمَنْ بَايَعَ إِمَاماً فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَمِينِهِ وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ فَلْيُطِعْهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ، فَاضْرِبُوا عُنُقَ الآخَرِ**»[(٣)].

❁ ماذا ينبغي أن يفعلَ إذا أخّر الخليفةُ الصلواتِ عن مواقيتها:

والحكم الرابع: إذا أصبحَ الخلفاءُ في زمانِ الفتنةِ يؤخِّرون الصلواتِ عن مواقيتها، فماذا ينبغي أن يُفعل؟

• أخرج **مسلم** عن **أبي ذرّ** قال: قال لي رسولُ اللهِ: «**كيفَ أنتَ إذا كانتْ عليكَ أمراءُ يؤخّرون الصَّلاةَ عن وقتِها، أو يميتونَ الصلاةَ عن وقتِها**[(٤)]»، قال: قلت: فما تأمرني؟ قال: «**صلِّ الصلاةَ لوقتها، فإن أدركتَها معهم فصلِّ فإنّها لك نافلةٌ**»[(٥)].

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم: (١٨٥٣).
(٢) انظر: «شرح السُّنَّة» (١٠/٥٦).
(٣) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (٣٩٥٦).
(٤) في الأصل الفارسي: «يميتون الصلاة ويؤخّرونها عن وقتها».
(٥) انظر: «صحيح مسلم» برقم: (٦٤٨).

۞ التدبير الذي يختار الرعية عند ما يظهر العدوان من الأمراء في أخذ الزكاة:

والحكم الخامس: إذا ظهرَ من الأمراءِ ظلمٌ وعدوانٌ في أخذِ الزكاة عند الفتنةِ، فما الحيلة؟

• وأخرج **أبو داود** عن جَابِرِ بْنِ عَتِيكٍ [عَنْ أَبِيهِ] أنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**سَيَأْتِيكُمْ رُكَيْبٌ مُبْغَضُونَ، فَإِنْ جَاؤوكُمْ، فَرَحِّبُوا [بِهِمْ]، وَخَلُّوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَبْتَغُونَ، فَإِنْ عَدَلُوا فَلِأَنْفُسِهِمْ، وَإِنْ ظَلَمُوا فَعَلَيْهَا، وَأَرْضُوهُمْ، فَإِنَّ تَمَامَ زَكَاتِكُمْ رِضَاهُمْ، وَلْيَدْعُوا لَكُمْ**»[1].

• وأخرج **أبو داود** عَنْ **جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ** قَالَ: جَاءَ نَاسٌ؛ يَعْنِي: مِنَ الْأَعْرَابِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالُوا: إِنَّ نَاساً مِنَ الْمُصَدِّقِينَ يَأْتُونَا فَيَظْلِمُونَا [قَالَ:] فَقَالَ: «**أَرْضُوا مُصَدِّقِيكُمْ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَإِنْ ظَلَمُونَا، قَالَ: «**أَرْضُوا مُصَدِّقِيكُمْ [ـ زَادَ عُثْمَانُ ـ] وَإِنْ ظُلِمْتُمْ**»[2].

۞ العزلة في زمن الفتنة؟

والحكم السادس: كانت العزلة للعبادة ممنوعة في الزمن الأول، ولكنّها أصبحت في زمنِ الفتنةِ مطلوبةً ومحبوبةً.

• أخرج **الترمذي** عَنْ **أَبِي هُرَيْرَةَ** قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِشِعْبٍ فِيهِ عُيَيْنَةٌ مِنْ مَاءٍ عَذْبَةٌ، فَأَعْجَبَتْهُ [لِطِيبِهَا]، فَقَالَ: لَوْ اعْتَزَلْتُ النَّاسَ، فَأَقَمْتُ فِي هَذَا الشِّعْبِ، [وَلَنْ أَفْعَلَ حَتَّى أَسْتَأْذِنَ رَسُولَ اللهِ ﷺ] فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**لَا تَفْعَلْ، فَإِنَّ مُقَامَ**

---

(١) انظر: «سنن أبي داود» برقم: (١٥٨٨).

(٢) انظر: «سنن أبي داود» برقم: (١٥٨٩).

أَحَدِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ سَبْعِينَ عَاماً، أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ، وَيُدْخِلَكُمْ الْجَنَّةَ! اغْزُوا فِي سَبِيلِ اللهِ، مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَوَاقَ نَاقَةٍ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ»(١).

• وأخرج **أحمد** عن **أبي أمامة** قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في سرية [من سراياه، قال:] فمرَّ رجلٌ بغارٍ فيه شيءٌ من ماء وبقل، [قال:] فحدَّث نفسه بأن يقيم [في ذلك الغار، فيقوته ما كان فيه من ماء، ويصيب ما حوله من البقل،] ويتخلّى من الدنيا، [ثم قال: لو أنّي أتيتُ نبيَّ الله ﷺ فذكرتُ ذلك له، فإن أذنَ لي فعلتُ، وإلَّا لم أفعل، فأتاه، فقال: يا نبيَّ الله! إنِّي مررتُ بغارٍ فيه ما يقوتني من الماءِ والبقلِ، فحدَّثتني نفسي بأنْ أقيمَ فيه، وأتخلّى من الدنيا، قال(٢):] فقال النبيُّ ﷺ: **«إنِّي لم أُبْعَثْ باليهوديةِ ولا بالنصرانية، ولكنِّي بُعِثْتُ بالحنيفيّةِ السمحةِ، والذي نفسُ محمّدٍ بيده لغدوةٌ أو روحةٌ في سبيلِ الله خيرٌ من الدُّنيا وما فيها، ولمقامُ أحدِكُم في الصفِّ خيرٌ من صلاتِهِ ستينَ سنةً»**(٣).

• أخرج **البغوي** عَنْ **أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرُ مَالِ الْمُسْلِمِ الْغَنَمَ، يَتَّبِعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ، وَمَوَاقِعَ الْمَطَرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ»**(٤).

• وأخرج **البغوي** عَن **أَبِي هُرَيْرَةَ** قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«سَتَكُونُ فِتَنٌ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي،**

---

(١) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (١٦٥٠).
(٢) في الأصل الفارسي: «فاستأذن رسول الله ﷺ في ذلك».
(٣) انظر: «مسند أحمد» (٥/ ٢٦٦) برقم: (٢٢٣٤٥).
(٤) انظر: «شرح السُّنَّة» (١٥/ ٢١).

وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، فَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذاً، فَلْيَعُذْ بِهِ»[1].

جواز التعرّب والبداوة للمهاجر في زمن الفتنة:

والحكم السابع: يجوزُ لمن بايعَ النبيَّ ﷺ على الهجرة البدو ـ أي: الخروج إلى البادية ـ في زمن الفتنة.

• أخرج **النَّسائي** عَنْ **سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ**، أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى الْحَجَّاجِ، فَقَالَ: يَا ابْنَ الْأَكْوَعِ! ارْتَدَدْتَ عَلَى عَقِبَيْكَ وَذَكَرَ كَلِمَةً مَعْنَاهَا: وَبَدَوْتَ، قَالَ: لَا، وَلَكِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَذِنَ لِي فِي البدو[2].

سقوط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في زمن الفتنة:

والحكم الثامن: كانَ الأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر من واجباتِ الإسلام، ولكن قد سقطا في زمن الفتنة.

• أخرج **الترمذي وابن ماجه** عَنْ **أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ** رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّكُمْ تَقْرَؤونَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ [المائدة: ١٠٥]، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: **«إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمْ اللهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ»**[3].

• وأخرج **الترمذي وابن ماجه** عن **أبي ثعلبة الخُشَني** في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾

---

(١) انظر: «شرح السُّنَّة» (١٥/ ٢٢).

(٢) انظر: «سنن النسائي الكبرى» (٤/ ٤٣٠) برقم: (٧٨٠٩).

(٣) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٢١٦٨) واللفظ له، و«سنن ابن ماجه» برقم: (٤٠٠٥).

[المائدة: ١٠٥]، قال: أما واللهِ [لقد سألتُ عنها خبيراً[١]]، سألتُ عنها رسول الله ﷺ، فقال: **«بل ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، حتَّى إذا رأيتَ شُحّاً مطاعاً، وهوىً متَّبَعاً، ودنيا مؤْثَرةً، وإعجابَ كلِّ ذي رأيٍ برأيه، [ورأيتَ أمراً لا بدَّ لكَ منه][٢]، فعليكَ نفسَك[٣]، ودَعْ [أمرَ[٤]] العوام، فإنّ وراءكم أيّامُ الصبر، فمن صبر فيهنَّ، [كان كمن] قَبَضَ على الجَمْرِ، للعاملِ فيهنَّ [مثلُ] أجر خمسينَ رجلاً يعملون مثل عمله»**، قيل: يا رسول الله! أجرُ خمسين منّا أو منهم؟ قال: **«بل أجرُ خمسينَ مِنْكُم»**[٥].

• وأخرج **الترمذي**[٦] عن **عبد الله بن عمرو** بن العاص أن النبيَّ ﷺ قال: **«كَيْفَ أَنْتَ إِذَا بَقِيتَ فِي حُثَالَةٍ مِنَ النَّاسِ، مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ وَأَمَانَاتُهُمْ، وَاخْتَلَفُوا، فَكَانُوا هَكَذَا»**، وَشبّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، قَالَ: فَبِمَ تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: **«عَلَيْكَ بِمَا تَعْرِفُ، وَدَعْ مَا يُنْكَرُ، وَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ، وَإِيَّاكَ وَعَوَامَّهُمْ»**[٧].

وفي رواية: **«الزمْ بيتَك، وامْلِكْ عليكَ لسانَك، وخُذْ ما تعرِفُ، ودَعْ**

---

(١) قد سقطت هذه الفقرة في الأصل الفارسي.

(٢) لا توجد في «سنن الترمذي» ووقعت في «سنن ابن ماجه» بلفظ: «أمراً لا يدان لك به».

(٣) وردت في «سنن الترمذي» بلفظ: «بخاصّة نفسِكَ» وفي «سنن ابن ماجه» بلفظ: «خُويصة نفسِكَ».

(٤) لا توجد في «سنن الترمذي»، بل وقعت فيها بلفظ: «دع العوام».

(٥) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٠٥٨)، و«سنن ابن ماجه» برقم: (٤٠١٤)، و«شرح السُّنَّة» (١٤/ ٣٤٧) واللفظ له، إلا أنّ لفظ: «كان كمن»، لا يوجد فيه.

(٦) ما أخرجه الترمذي بل أخرجه أبو داود في «سننه» عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

(٧) انظر: «سنن أبي داود» برقم: (٤٣٤٣)، و«سنن ابن ماجه» برقم: (٣٩٥٧)، و«مسند أحمد» (٢/ ١٦٢) برقم: (٦٥٠٨)، و«شرح السُّنَّة» (١/ ١٠١١) واللفظ له.

ما تُنْكِرُ، وعليكَ بأمرِ خاصَّةِ نفسِكَ، ودع عنك أمرَ العامّةِ»[١].

❁ عدم جوازُ أخذِ الفيء إذا تقاتل المسلمون فيما بينهم:

والحكم التاسع: إذا تجاحفت قريش على الملك فيما بينها لا ينبغي أخذ السهم من الفيء.

● أخرج **أبو داود** من حديث ذي الزَّوَائِدِ صَاحِب رَسُولِ اللهِ ﷺ يقول: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ، فَأَمَرَ النَّاسَ وَنَهَاهُمْ، ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ**»، قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ، ثُمَّ قَالَ: «**إِذَا تَجَاحَفَتْ قُرَيْشٌ عَلَى الْمُلْكِ فِيمَا بَيْنَهَا، وَعَادَ الْعَطَاءُ أَوْ كَانَ رِشاً فَدَعُوهُ**»[٢].

❁ لزوم الاحتراز عن صحبة الملوك في زمن الفتنة:

والحكم العاشر: كانت صحبةُ الخلفاء في الأوّل سعادةٌ عظيمةٌ، ويلزم الاحتراز عن صحبة الملوك في زمن الفتنة.

● لقد ورد في «**مشكاة المصابيح**» عن **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إنّه تصيبُ أمتي في آخرِ الزمانِ من سلطانِهم شدائدُ، لا ينجو منه إلّا رجلٌ عرفَ دينَ اللهِ، فجاهدَ عليه بلسانِهِ، ويدِهِ، وقلبِهِ، فذلك الذي سبقتْ له السوابقُ، ورجلٌ عرفَ دِيْنَ اللهِ فصدّقَ به، ورجلٌ عرف دينَ الله، فسكتْ عليه، فإنْ رأى مَنْ يَعْمَلُ الخيرَ أحبّه عليه، وإنْ رأى مَنْ يَعْمَلُ بباطلٍ أبغضَهُ عليه، فذلك ينجو على إبطانه كله**»[٣].

---

(١) انظر: «مسند أحمد» (٢/ ٢١٢) برقم: (٦٩٨٧) واللفظ له، و«مسند عبد الله بن المبارك» (١/ ٢٦٤).

(٢) انظر: «سنن أبي داود» برقم: (٢٩٥٩).

(٣) انظر: «مشكاة المصابيح» (٣/ ١١٧).

۞ انقطاع حجية قول الخلفاء في زمن الفتنة:

والحكم الحادي عشر: كان إمضاء قول الخليفة في أوائل الإسلام حجةً في الدين، وانقطع ذلك في أيام الفتنة.

• أخرج **مسلم** عَنْ **عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ** قال: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ، يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ، وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ، يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ**»(١).

• وفي «مشكاة المصابيح» عن **ابن مسعود** قال: مَنْ كان مستنّاً فليستنَّ بمن قد ماتَ، فإنَّ الحيَّ لا تؤمَنُ عليه الفتنةُ، أولئك أصحابُ محمّدٍ ﷺ كانوا أفضلَ هذه الأمة، أبرّها قلوباً، وأعمقَها علماً، وأقلَّها تكلفاً، اختارهم الله لصحبة نبيِّه، ولإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتّبعوهم [على آثارهم]، وتمسّكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم، فإنَّهم كانوا على الهدى المستقيم. رواه **رزين**(٢).

• وأخرج **ابن ماجه** عن الْعِرْبَاض بْن سَارِيَةَ يَقُولُ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ! وَعَظْتَنَا مَوْعِظَةَ مُوَدِّعٍ، فَاعْهَدْ إِلَيْنَا بِعَهْدٍ، فَقَالَ: «**عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْداً حَبَشِيّاً، وَسَتَرَوْنَ مِنْ بَعْدِي اخْتِلَافاً شَدِيداً، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ**

(١) انظر: «صحيح مسلم» برقم: (٥٠). (٢) انظر: «مشكاة المصابيح» (١/ ٤٢).

الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْأُمُورَ الْمُحْدَثَاتِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»(١).

• وأخرج **الدارمي** عن **الأَعْمَش** قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ: أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّكُمْ سَتُحْدِثُونَ وَيُحْدَثُ لَكُمْ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مُحْدَثَةً فَعَلَيْكُمْ بِالأَمْرِ الأَوَّلِ(٢).

• وأخرج **الدارمي** عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ وَاصِلٍ، عَنِ امْرَأَةٍ يُقَالُ لَهَا: عَائِذَةُ، قَالَتْ: رَأَيْتُ **ابْنَ مَسْعُودٍ** يُوصِي الرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ وَيَقُولُ: مَنْ أَدْرَكَ مِنْكُنَّ مِنِ امْرَأَةٍ أَوْ رَجُلٍ فَالسَّمْتَ الأَوَّلَ، فَإِنَّا عَلَى الْفِطْرَةِ(٣)، ومعلومٌ أنَّ عبد الله بن مسعود قد توفي في أواخر خلافة عثمان رضي الله عنه.

❁ النهي عن القتال بعد ظهور الفتنة:

والحكم الثاني عشر: [كان الجهادُ مطلوباً عند الشارع قبل ظهور الفتنة، وصار ممنوعاً في زمن الفتنة]: قال الله تعالى في الجهاد **قبل ظهور الفتنة**: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ [الفتح: ١٦].

ونهى النبيُّ ﷺ عن القتال **بعد ظهورها**، وأكّد الأمرَ بالقعود عنه.

فينبغي التأمّل فيما بينهما من فرق بائن وبون شاسع، إذ إنّ دعوة الخليفة في **الحالة الأولى** كانت لوجوب الامتثال لأمره، ويحرم التخلّف عنه، ويجبُ في **الحالةِ الثانيةِ** القعودُ عن القتال، ويحرمُ الخوضُ في نصرته.

---

(١) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (٤٢).
(٢) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ٧٢) برقم: (١٦٩).
(٣) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ٨٢) برقم: (٢١٣).

❁ تضاعف الأجور لمن يتمسّكون بالسُّنَّة في زمن الفتنة:

والحكم الثالث عشر: تضاعف الأجور لمن يتمسَّكون بالسُّنَّة في هذا الزمان.

• أخرج **الترمذي** عن **بلالِ بْنِ الْحَارِثِ** قَالَ: قال رسولُ الله ﷺ: **«إِنَّهُ مَنْ أَحْيَا سُنَّةً مِن سُنَّتِي قَدْ أُمِيتَتْ بَعْدِي، فَإِنَّ لَهُ مِن الْأَجْرِ مِثْلَ [أُجُوْرِ] مَنْ عَمِلَ بِهَا، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً، وَمَن ابْتَدَعَ بِدْعَةَ ضَلَالَةٍ، لَا تُرْضِي اللهَ وَرَسُولَهُ، كَانَ عَلَيْهِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَوْزَارِ النَّاسِ شَيْئاً»**[١].

• وأخرج **الترمذي** وابن ماجه عن **أبي ثعلبة الخُشَنِيِّ** عن النبيِّ ﷺ قال: **«فإنَّ وراءكم أيّامُ الصبرِ، فمن صبرَ فيهنَّ، [كان كَمَنْ] قبضَ على الجَمْرِ، للعاملِ فيهنَّ [مثلُ] أجرِ خمسينَ رجلاً يعملونَ مثل عمله»**، قال: يا رسول الله! أَجرُ خمسينَ منهم؟ قال: **«بل أجرُ خمسينَ منكم»** مختصر[٢].

• وأخرج **البغوي** عَنْ **مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ** أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ»**[٣].

❁ الموت خير من الحياة أيام الفتنة:

والحكم الرابع عشر: يكونُ الموتُ خيراً من الحياة أيام الفتنة.

عَنْ **أَبِي هُرَيْرَةَ** رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِذَا كَانَ أُمَرَاؤُكُمْ**

---

(١) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٦٧٧).

(٢) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٠٥٨)، و«سنن ابن ماجه» برقم: (٤٠١٤)، و«شرح السُّنَّة» (١٤/٣٤٧) واللفظ له، إلا أنَّ لفظ: «كان كمن»، لا يوجد فيه.

(٣) انظر: «شرح السُّنَّة» (١٥/٢٣).

خِيَارَكُمْ، وَأَغْنِيَاؤُكُمْ سُمَحَاءَكُمْ[١] وَأُمُورُكُمْ شُورَى بَيْنَكُمْ، فَظَهْرُ الْأَرْضِ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ بَطْنِهَا، وَإِذَا كَانَ أُمَرَاؤُكُمْ شِرَارَكُمْ، وَأَغْنِيَاؤُكُمْ بُخَلَاءَكُمْ، وَأُمُورُكُمْ إِلَى نِسَائِكُمْ، فَبَطْنُ الْأَرْضِ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ ظَهْرِهَا»[٢].

❁ كلمةُ حقٍّ عندَ سلطانٍ جائرٍ أفضلُ من الجهادِ:

والحكم الخامس عشر: قولُ كلمةِ الحقِّ عند سلطانٍ جائرٍ أفضلُ من الجهادِ.

• أخرج **البغوي** عَنْ **أَبِي أُمَامَة** أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ؟ وَرَسُولُ اللهِ يَرْمِي الْجَمْرَةَ الأُولَى، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثمَّ قَالَ لَهُ: عِنْدَ الْجَمْرَةِ الوُسْطَى، فَأَعرضَ عَنْهُ، فَلَمَّا رَمَى جَمْرَةَ العَقَبَةِ، وَوَضَعَ رِجْلَهُ فِي الْغَرْزِ قَالَ: **«أَيْنَ السَّائِلُ؟»**، قَالَ: أَنَا ذَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: **«أَفْضَلُ الْجِهادِ مَنْ قَالَ كَلِمَةَ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ»**[٣].

❁ ظهور وقائع عجيبة:

• ثم وقعت بعض الوقائع العجيبة التي دلّت بلسان حالها على اختفاء بركاتِ أيّامِ النبوةِ عند وقوع الفتن.

• فقد ورد في «مشكاة المصابيح»[٤] عن **أبي هريرة** قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ بتمراتٍ، فقلتُ: يا رسول الله، ادعُ الله فيهنَّ بالبركة فضمّهنَّ، ثم دعا لي فيهنَّ بالبركةِ، فقال: **«خذهنَّ، واجعلهنَّ في مزودِك، كلّما**

(١) في الأصل الفارسي: «أسخياءكم».
(٢) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٢٢٢٦).
(٣) انظر: «شرح السُّنَّة» (١٠/ ٦٥).
(٤) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٨٣٩)، و«مشكاة المصابيح» (٣/ ٢٩٠).

أردتَ أن تأخذَ منه شيئاً، فأدخل فيه يدكَ فَخُذْه ولا تَنْثُرْه نثراً»، فقد حملتُ من ذلك التمر كذا وكذا من وسقٍ في سبيلِ اللهِ، فكنّا نأكلُ منه، ونطعمُ، وكان لا يفارِقُ حقوي، حتَّى كان يومُ قَتْلِ عثمان، فإنَّه انقطعَ، وقد قال أبو هريرةَ في ذلك يومَ قتلِ عثمانَ:

للنّاسِ هَمٌّ ولي اليومَ هَمَّانِ   هَمُّ الجِرَابِ وَهمُّ الشَّيْخِ عُثمانِ

• وأخرج **البخاريُّ** عَنِ نَافِعٍ عَنْ **ابْنِ عُمَرَ** رضي الله عنهما قَالَ: اتَّخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَاتَماً مِنْ وَرِقٍ، وَكَانَ فِي يَدِهِ، ثُمَّ كَانَ بَعْدُ فِي يَدِ أَبِي بَكْرٍ، ثُمَّ كَانَ بَعْدُ فِي يَدِ عُمَرَ، ثُمَّ كَانَ بَعْدُ فِي يَدِ عُثْمَانَ حتَّى وَقَعَ بَعْدُ فِي بِئْرِ أَرِيسَ، نَقْشُهُ «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ»[(١)].

• وأخرج **البخاري** عَنْ **أَنَسٍ** قَالَ: كَانَ خَاتَمُ النَّبِيِّ ﷺ فِي يَدِهِ، وَفِي يَدِ أَبِي بَكْرٍ بَعْدَهُ، وَفِي يَدِ عُمَرَ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ، فَلَمَّا كَانَ عُثْمَانُ جَلَسَ عَلَى بِئْرِ أَرِيسَ، قَالَ: فَأَخْرَجَ الْخَاتَمَ فَجَعَلَ يَعْبَثُ بِهِ فَسَقَطَ، قَالَ: فَاخْتَلَفْنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مَعَ عُثْمَانَ، فَنَزَحَ الْبِئْرَ فَلَمْ يَجِدْهُ[(٢)].

• وأخرج **أبو عمر** قال: قام عامر بن ربيعة يصلي من الليل حين نشبَ الناسُ في الطعن على عثمان، فصلّى من الليل، ثم نام، فأُتي في المنام، فقيل له: قُمْ فاسألِ اللهَ أن يعيذَكَ منِ الفتنةِ التي أعاذ منها صالحَ عبادِه، فقام فصلّى، ودعا، ثم اشتكى، فما خرجَ بعدُ إلا بجنازته[(٣)].

• أخرج **أبو يعلى** من أقوال السيّد المجتبى **الحسن بن علي** أنه قام

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٥٨٧٣).

(٢) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٥٨٧٩).

(٣) أخرجه أبو عمر في «الاستيعاب» (١/ ٢٣٨) رقم الترجمة: (١٣٢٧).

خطيباً، فقال: أيها الناس! رأيتُ البارحة في منامي عجباً، رأيتُ الربَّ تعالى فوقَ عرشه، فجاء رسولُ اللهِ حتَّى قام عند قائمةٍ من قوائم العرشِ، فجاء أبو بكر فوضعَ يده على مَنْكِبِ رسولِ اللهِ، ثم جاءَ عمرُ فوضعَ يده على منكبِ أبي بكرٍ، ثم جاءَ عُثمانُ فكان نبذةً[(١)]، فقال: ربِّ سل عبادكَ فيم قتلوني؟ قال: فانثعبَ من السماءِ ميزابانِ من دمٍ في الأرضِ، قال: فقيلَ لعليٍّ: ألا ترى ما يحدِّث به الحسن، قال: يحدِّث بما رأى[(٢)].

• أخرج **أبو عمر** عن **سعيد بن المسيب** أن زيد بن خارجة توفّي زمن عثمان بن عفان، فسُجِّي بثوب، ثم إنهم سمعوا جلجلةً في صدره، ثم تكلَّم فقال: «أحمدُ أحمدُ في الكتابِ الأوّلِ، صدَقَ صدَقَ أبو بكر الصدِّيق، الضعيفُ في نفسهِ، القويُّ في أمر الله في الكتاب الأول، صدقَ صدقَ عمرُ بنُ الخطاب، القويُّ الأمينُ في الكتاب الأول، صدقَ صدقَ عثمانُ بنَ عفّان على منهاجهم مضت أربعٌ وبقيت اثنتان[(٣)]، أتت الفتنُ، وأكلَ الشديدُ الضعيفَ، وقامت الساعةُ، وسيأتيكم خبرُ بئرِ أَرِيسِ وما بئرُ أريس»؟

[قال يحيى بن سعيد:] ثم هلك رجلٌ من بني خطمةَ فسجِّي بثوبٍ، فسمعوا جلجلةً في صدره، ثم تكلَّم، فقال: «إن أخا بني الحارث بن الخزرج صدقَ صدقَ»[(٤)]، ومرّ قول سعيد بن المسيب قريباً في ذهاب الصالحين بسبب الفتن.

---

(١) في الأصل الفارسي «بيده رأسه»، ونبذة: بفتح النون وضمها ناحية. انظر: «تاج العروس» (١/ ٢٤٢٦).

(٢) انظر: «مسند أبي يعلى» (١٢/ ١٣٧) برقم: (٦٧٦٧).

(٣) في الأصل الفارسي: «سنتان».

(٤) «الاستيعاب» (١/ ١٦٣) رقم الترجمة: (٨٤٤)، و«دلائل النبوة»، للبيهقي (٦/ ١٩٥).

• **ثم أخبر أحبارُ أهل الكتاب بهذا المعنى:**

أخرج **الطبراني** أَنَّ عُمَرَ بن الْخَطَّابِ قال لكَعْبِ الأَحْبَارِ: كَيْفَ تَجِدُ نَعْتِي في التوراة؟ قَالَ: خليفةُ قَرْنٍ مِنْ حَدِيدٍ، أَمِيرٌ سَدِيدٌ، لا يَخافُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لائِمٍ، ثُمَّ يَكُونُ من بَعْدِكَ خَلِيفَةٌ تَقْتُلُهُ أمةٌ ظَالِمون، ثُمَّ يَقعُ الْبَلاءُ بعده[1].

• وفي «الرياض النضرة» عن **كعب** قال: والذي نفسي بيده إنَّ في كتابِ اللهِ المنزل [على] محمّدٍ ﷺ، أبو بكر الصدِّيق، عمر الفاروق، عثمان الأمين، فاللهَ اللهَ يا معاوية في أمر هذه الأمة، ثم نادى الثانية: إنّ في كتابِ اللهِ المنزل، ثم أعاد الثالثة[2].

• أخرج **أبو عمر** في «الاستيعاب» عن **عبد الله بن سلام** قال: لقد فتح الناس على أنفسهم بقتلِ عثمانَ بابَ فتنةٍ لا ينغلِقُ عنهم إلى قيامِ الساعةِ[3].

• وأخرج **أبو بكر** عن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه قال: لا تسلُّوا سيوفكم، فلئن سللتموها لا تُغْمَدُ إلى يوم القيامة[4].

• وأخرج **أحمد** عَنْ **جَرِيرٍ** في قصة: بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْيَمَنِ، فَلَقِيتُ بِهَا رَجُلَيْنِ ذَا كَلَاعٍ وَذَا عَمْرٍو، قَالَ: وَأَخْبَرْتُهُمَا شَيْئاً مِنْ خَبَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: ثُمَّ أَقْبَلْنَا، فَإِذَا قَدْ رُفِعَ لَنَا رَكْبٌ مِنْ قِبَلِ الْمَدِينَةِ، قَالَ: فَسَأَلْنَاهُمْ مَا الْخَبَرُ؟ قَالَ: فَقَالُوا: قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ،

(١) «المعجم الكبير»، للطبراني (١/ ٨٤) رقم: (١٢٠)، و«حلية الأولياء» (٦/ ٢٥).
(٢) «الرياض النضرة» (١/ ٢١٣).
(٣) «الاستيعاب» (١/ ٣٢٣) رقم: (١٧٧٨).
(٤) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٥١٩) برقم: (٣٧٦٨٨).

وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه وَالنَّاسُ صَالِحُونَ، قَالَ: فَقَالَ لِي: أَخْبِرْ صَاحِبَكَ، قَالَ: فَرَجَعَا، ثُمَّ لَقِيتُ ذَا عَمْرٍو فَقَالَ لِي: «يَا جَرِيرُ! إِنَّكُمْ لَنْ تَزَالُوا بِخَيْرٍ مَا إِذَا هَلَكَ أَمِيرٌ، ثُمَّ تَأَمَّرْتُمْ فِي آخَرَ، فَإِذَا كَانَتْ بِالسَّيْفِ غَضِبْتُمْ غَضَبَ الْمُلُوكِ، وَرَضِيتُمْ رِضَا الْمُلُوكِ»[١].

• **ثم أخبر أصحابَ النبيِّ ﷺ بعظم هذه القضية؛ أي: مقتل عثمان رضي الله عنه وتأسَّفَ عليها:**

• أخرج **أبو بكر** عن أبي سعيد مولى ابن مسعود قال: قال **عبد** الله: [واللهِ] لئن قتلوا عثمان لا يصيبوا منه خلفاً[٢].

• وأخرج **البغوي** قال أبو الدرداء: إنَّ الناسَ كانوا ورقاً لا شوكَ فيه، فأصبحوا شوكاً لا وَرَقَ فيه[٣].

• وأخرج **أبو عمر**: أنّ ثمامة بن عدي أمير عثمان على صنعاء خطب يومَ بلغه موتُ عثمان، فأطالَ البكاءَ، ثم قال: هذا حين انتزعت خلافة النبوة من أمة محمّدٍ ﷺ، وصارتْ ملكاً وجبريةً، من غلبَ على شيءٍ أكله[٤].

إعادة النظر في المسألة المبحوث فيها

لقد طال بنا الكلامُ حول بيان اختلاف الزمان السابق واللاحق، وكادَ أن يختلَّ ترتيبُه واتصالُه:

سخن أز حدّ خود بگذاشت بس كن　　نفس شد آتشين ضبط نفس كن

(١) «مسند أحمد» (٤/ ٣٦٣) برقم: (١٩٢٤٤).

(٢) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٥١٦) برقم: (٣٧٦٦٣).

(٣) «شرح السُّنَّة» (١٤/ ٣٩٦)، و«تاريخ دمشق» (٤٧/ ١٧٩).

(٤) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٦٤) رقم الترجمة: (٢٧٧).

[إنَّ الكلام قد تجاوزَ الحدَّ فالزمِ السكوتَ، وإنَّ النّفس قد دخلت في مزاجِها الناريِّ فاضبطها].

والآن نرجع إلى أصلِ الغاية، فنقول:

المسألة الأولى:

وهي أنَّه قد ثبت بنقل متواتر ـ لا يفوقه نقل في الشرعيات من حيث الاعتماد والاعتبار ـ أنَّ النبيَّ ﷺ قد أشار إلى وقوع فتنة عند شهادة عثمان ﷺ، وبيّنها بتفصيلٍ أكثرَ ممّا يوجد في الأحكام الشرعية، وجعلها فصلاً بين زمان الخير وزمان الشرّ، وأشار إلى أنَّ الخلافة على منهاج النبوة تنقطِعُ، ويظهر ملكٌ عضوضٌ، ومعنى لفظ «عضوض» يدلّ على وقوع الحروب والمناوشات، وقتال بعضهم لبعض، والمنازعات فيما بينهم في الملك، ولذلك جمع النبيُّ ﷺ في أحاديث كثيرة «الخلفاء الثلاثة» في حكم واحد، حتّى صار ظنّاً قوياً أنَّ هؤلاء الخلفاء الثلاثة متساوين في مرتبةٍ من المراتب؛ أي: كون خلافتهم على منهاج النبوة وسلامتها عن الفتنة، ولا يشاركهم غيرُهم في هذه المرتبة.

المسألة الثانية:

وذكر في بعض الأحاديث كلمةً تشعِرُ بانقطاع الخلافة بعد مقتل عثمان ﷺ، وورد ذكرُ الخلفاء الثلاثة معاً في حديث «تحرّك الجبل» من رواية **عثمان، وأنس**، وفي حديث «الحائط» برواية **أبي موسى**، وفي حديث «الوزن بالأمة» برواية جمع من الصحابة جاء ذكر هؤلاء الثلاثة فقط، وفي بعض الروايات: «ثم رفع الميزان»، وكذلك في حديث «رؤيا الظلة»، وورد ذكرهم، كذلك في حديث **ابن عمر**: «كنا نخير. . .» الحديث، ثم قال ابن عمر: «نسكت. . .».

وفي حديث **رؤيا نَوْطِ بعضهم ببعض** ذِكْرُ هؤلاء الثلاثة فحسب، وفي **حديث رؤيا دلوٍ دُلِّيَ من السماء** ذكر هؤلاء الثلاثة فقط، وظهر في المرة الرابعة انتشاط عراقيها، وفي **قصّة سؤال بني المصطلق** بعد ذكر الخلفاء الثلاثة جاء: «فتباً لكم»، وفي **قصة** «**تأسيس المسجد، ووضع الأحجار**» ورد لفظ الحصر: «هم الخلفاء»، وورد في **قصة اشتراء القلائص** بعد ذكر هؤلاء الثلاثة: «فتباً لك»، وفي قصة «**تسبيح الحصى**» وغيرها من الأحاديث الكثيرة اكتُفي بهؤلاء الثلاثة فقط.

المسألة الثالثة:

وفي قصة «تزولُ رحى الإسلامِ» تمَّ تعيينُ الزمان للخلافة ممّا دلَّ على هذه الفتنة ـ أي: مقتل عثمان ـ بأبلغ وجهٍ، ثم قال ﷺ: «**فَإِنْ يَهْلِكُوا فَسَبِيلُ مَنْ هَلَكَ، وَإِنْ يَقُمْ لَهُمْ دِينُهُمْ يَقُمْ لَهُمْ سَبْعِينَ عَاماً**»[(١)].

قال البغوي: أرادَ بالدِّين الملك، قال أبو سليمان: ويُشْبِهُ أن يكونَ أريد بهذا مُلك بني أمية، وانتقاله عنهم إلى بني العباس، وكان ما بين أن استقرّ الملك لبني أمية، إلى أن ظهر الدعاةُ بخُراسان، وضعف أمر بني أمية ودخول الوهن فيه نحو من سبعين سنةً[(٢)].

ووقع تعيين المكان في حديث: «**الخلافة بالمدينة، والملك بالشام**»، إلى غير ذلك مما لا يحصى.

وأمّا ما ورد في حديث **أبي بكرة الثقفي**: «**الخلافةُ بعدي ثلاثون**

---

(١) أخرجه أبو داود في «سننه» برقم: (٤٢٥٤)، وأحمد في «مسنده» (١/ ٣٩٣) برقم: (٣٧٣٠).

(٢) انظر: «شرح السُّنَّة» (١٥/ ١٨)، و«دلائل النبوة»، للبيهقي (٧/ ٢٢٥).

سنةً»، فينبغي أن نفهمَ حقيقة معناه، وهي أنَّ الخلافة الخاصَّة المنتظمة مركبةٌ من وصفين:

أولهما: وجود الخليفة الخاص.

والثاني: نفاذ تصرُّفه، واجتماع كلمة المسلمين عليه، والخلافةُ الخاصة تنتفي بانتفاء جزءين معاً، أو انتفاء أحدهما فقط، حيث حكمة الله تقتضي التدرج في سائر أفعاله وأحكامه، ففُقِد أولاً الجزء الثاني بفقد وصف اجتماع كلمة المسلمين، وعدم استقرار الملك، فكان علي ﷺ متصفاً بصفات الخلافة الخاصة وانعقدت خلافته شرعاً، لكنْ ظهرَ تفرّق المسلمين، وما نال تصرُّفه نفاذاً ورواجاً في بقاع الأرض، مثال ذلك أن: يعيّنَ ملكٌ عادِلٌ مدرِّساً في مدرسة، ويأمر طلبةَ العلمِ بالأخذِ والاستفادةِ منه، ولكنّهم لم يستفيدوا منه لأسبابٍ بعضُها اختيارية، وبعضُها غير اختياريةٍ فيصدُقُ على هذه الحالة إطلاق القولين:

أحدهما: أن نقولَ: إن في هذه المدرسة مدرساً، لكنّ الطلبة لا يستفيدون منه.

والثاني: أن نقول: لا يوجد في هذه المدرسة مدرِّس يدرِّسُ بالفعل.

وهكذا ـ فيما نحن فيه ـ يوجد الخليفة الخاص المتّصف بالأوصاف الكاملة للخلافة، ولا توجد له الخلافة، بالفعل.

• ثم اجتمع الناس فيما بعد على خليفة هو معاوية، وزالت اختلافاتهم من بينهم، ولكنّ الخليفة لم يكن متّصفاً بالأوصاف المعتبرة في الخلافة الخاصة، وهذا هو المعنى لـ«هدنة على دُخْنٍ» ـ وبهذا التقرير قد ارتفعَ التعارضُ بين الحديثين.

وفي الفتنة الثانية[١] فقد الوصفان المذكوران ـ أي: لم يوجد الخليفة متصفاً بأوصاف الخلافة الخاصة، ولم يبقَ اجتماعُ المسلمين، بل صار الناسُ متفرقين، وتفرّقَ الناسُ هنا وهناك، وقد ادعى الخلافة كلّ أحد، وصارت جنوداً مجندةً متعددةً بين المسلمين، و«دعاة على أبواب جهنم» حكاية عن هذه الفرقة.

ثم لمّا تسلّط عبد الملك، وتغلّبَ على أمور الحكم والخلافة زالتِ التفرقة من بينهم، وظهرت أحكام الخلافة **المتجبرة**، التي قد بيَّن النبيُّ ﷺ وقوعها في بعض الأحاديث.

• هذه المسألة التي شرحتُها الآن ضمن الحديثين المتعارضين في باب الفتنة، وانقطاع الخلافة التي على منهاج النبوة بيّنةٌ قطعاً عند من يحفظ جملة صالحة من الأحاديث، وله ملكةٌ في تطبيق بعضها ببعض، ويعرف وضعَ الشيء في محله.

وأمّا الذي لا يملك ملكة الاستنباط واستخراج الأحكام من الأحاديث المختلفة المتعارضة فليعتبرْ نفسَه قاصراً عن الدخول في ميدان الاستنباط والاستخراج.

وأمّا الذي يجعلُ المعلومَ مجهولاً، والمرئيَ مستوراً، والمسموعَ غيرَ مسموع بسبب داءٍ خفي، يعرف الأقوال بالرجال، ولا يعرف الرجال بالأقوال، فليس خطابنا إليه، ولا بحثنا فيه.

[والآن] نختم المقصد الأول من الفصل الخامس بتنبيهاتٍ لا بدّ منها:

تنبيهات هامَّة:

التنبيه الأول: إنَّ السبب الحقيقي في تغيّر أحوال العالم، واختلاف

(١) فتنة الحَرّة سنة ٦٤هـ وما وقع في المدينة من أهوال على يد جيش يزيد.

الزمان السابق واللاحق إنَّما هو بإرادة الله تعالى الذي خلقَ كلَّ طبقة على صفة مخصوصة، وأجرى في كلِّ زمانٍ حكماً، قال الله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرحمٰن]، وتفصيل هذا الإجمال هو أنَّ الله ﷻ وقد بسط سلسلةَ الكونِ في أزل الآزال عند العناية الأولى، ووضع في كلِّ مقام وضعاً خاصاً، ووصفاً خاصاً، لا يقع فيه تغيير ولا تبديل أصلاً، ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾ [ق].

• وعدم التشريع عبارة عن شيوع الظلم بين أفراد البشر بوجه يختلّ به نظام العالم، وتشيع الأعمالُ السيئةُ، والأخلاق الرذيلةُ بينهم، بوجهٍ لو ماتوا على ذلك لعُذّبوا كلّهم إلَّا ما شاء الله، وصار الناس يعبدون غيرَ اللهِ، حتَّى جاءت التشريعات الإلـٰهية من مدبِّر السماوات والأرض رحمةً بهم، ويلقي في قلب أزكى خلق الله وأعدلهم داعيةَ الإرشادِ والإصلاح، ويضعُ شرائع وقوانين تكون سبباً لهدايتهم.

بالجملة: فإنَّ حكمَ هذه العناية الإلـٰهية الموزّعة لكلِّ زمان ومكان هو الغالب على حكم التشريع.

فإذا أرادَ إصلاحَ العالم ببعثةِ نبيٍّ أو نصبِ خليفةٍ راشدٍ يؤخّر ذلك إلى الزمان الذي هو أليق وأنسب للبعث والنَّصْب، ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾﴾ [الرعد].

وإذا أرادَ معاقبةَ الكفّار، فليس أنه يعاقبهم بدون تراخٍ، بل ينتظر الأجل الموعود لذلك، (مهلتي بإيست تاخون شير شد) [لا بدَّ مِنْ مرورِ زمنٍ طويلٍ لصيرورة الدم لبناً].

• ثم إنَّ العقوبة على أقسامٍ حسبَ قوانين العناية الموزعة في كل زمانٍ، وإذا توخَّى تشريعَ قانونٍ من قوانين العناية الأولى ليكونَ سببَ العدل بين أفراد بني آدم نظرَ إلى جبلّتهم والأمورَ التي قدرها الله لهم في

ذلك الزمان في العناية الأولى، ثم يُعنى بإصلاحِ الهيئةِ الفاسدةِ من حيث لا يخرجُ عن العناية الأولى.

والحاصل: أنَّ تغيّرات العالم، وبعثَ الأنبياء، ونصب الخلفاء الراشدين، وتسليط الملوك الجبابرة، كلَّ ذلك من تدبير هذه العناية الإلـٰهية، التي لها علاقة بكل زمان، وهي موزعةٌ عبر القرون والطبقات، والتشريعُ ـ أي: الكفاية الأولى ـ لا يبطلُ هذه الحكمة، ولا يخرم هذا النظام، اللَّهُمَّ إلا إذا جاء زمانُ بعثةِ النبيِّ فيجعلُ تدبير الله النَّبِيَّ جارحةً لفيوضه، وإذا جاء وقت نصب الخليفة الراشد يتخذه تدبير الله تعالى جارحةً له في إتمام مواعيد النبي ﷺ، ويعيِّن في كلِّ زمان شريعةً توافق مصلحةَ ذلك الزمان، ولذلك بيّن النبيُّ ﷺ شريعة زمانه، وأشار إلى أحكام أيام الفتن أيضاً، وهذه المسألة دقيقة في غاية الدقة، إن ألقاها الله ﷻ في قلبِ عبدٍ من عباده يَحُلُّ بها كثيراً من المشكلات والمعضلات، وإلا تتعقّد من حيث يتعسّر حلّها للغاية.

والوضع الذي يتوقّف عليه تدبير هذا التغير في الظاهر إنَّما هو فقد الخليفة الراشد، إذ إنّه ﷻ يعلّم الخليفةُ سرّ تقلبات الزمان، ومعنى التغيّر وأسبابه، والعلاج الذي يغيَّر بها الرسوم والأوضاع، والحِمْية التي تَحْدُث بتركها أمراضٌ كثيرةٌ في الزمان، ويبسط يده في التصرّف، حتَّى يصلح لرئاسة العالم.

وكما أنَّ الطبيبَ الحاذق يقوم بتدبير صحّة المريض، وإزالة موادّ مرضه، ويوصيه بالحِمْيَةِ، كذلك الخليفة الراشد، يقوم بجلب صحة طبيعة العالم، وإزالة مرضه، والإرشاد إلى الحِمْيةِ له، وكل ذلك يتبيّن من كلام الخليفة الراشد وإشاراته، وكلُّ إناءٍ بالذي فيه يَنْضَحُ. ولا يستطيعُ رجلٌ

غير الخليفة ولو كان ولياً من أولياء الله أن يبيّن هذه التدبيرات، ولو بين لا يستطيعُ أن يتصرّف في خلق الله وفق قوله:

هر كسے را بهر كارے ساختند　　ميل أو اندر دلش انداختند

إنَّ الله خلقَ كلَّ واحدٍ لعملٍ يُلْقِي في قلبه الرغبةَ إليه.

والعارف بهذا الرمز يدرك بكلام المرء وحركاته وسكناته مصادر هذه الأشياء كلها، والجاهلُ يخلطُ علماً بعلمٍ آخر، ورمزاً برمز آخر، ومنصباً بمنصب آخر.

ثم إنَّ الأخلاق الشهوانية والسبعية ـ مثل الغضب وغيره ـ الموجودة في النفوس غير المعتدلة، وكثرة المال تُخْرِجُ هذه الرذائل من القوة إلى الفعل بحكم: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾ [العلق]، أو لإعجاب كلِّ ذي رأيٍ برأيه، وإن كانت حقيقةُ طلب المشورة في خاطره موجودةً مزينةً.

ويسمّى الجنس الأول: «فتنة المال»، **والجنس الثاني**: «هوى النفس»، وقد أنذر النبيُّ ﷺ في كثير من الأحاديث عن هذين الجنسين:

• أخرج **ابن ماجه** عَنْ **أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ** قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَتَى نَتْرُكُ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنْ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: «**إِذَا ظَهَرَ فِيكُمْ مَا ظَهَرَ فِي الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ**»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ! وَمَا ظَهَرَ فِي الْأُمَمِ قَبْلَنَا؟ قَالَ: «**الْمُلْكُ فِي صِغَارِكُمْ، وَالْفَاحِشَةُ فِي كِبَارِكُمْ، وَالْعِلْمُ فِي رُذَالَتِكُمْ**»، قَالَ زَيْدٌ: تَفْسِيرُ مَعْنَى قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**وَ[الْعِلْمُ فِي رُذَالَتِكُمْ إِذَا كَانَ] الْعِلْمُ فِي الْفُسَّاقِ**»(١).

• وأخرج **الدارمي** عن حيّة بنت أبي حيّة عن **أبي بكر الصدِّيق** رضي الله عنه

---

(١) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (٤٠١٥).

في قصة طويلةٍ، قَالَتْ: فَذَكَرْتُ غَزْوَنَا خَثْعَماً، وَغَزْوَةَ بَعْضِنَا بَعْضاً فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَمَا جَاءَ اللهُ بِهِ مِنَ الأُلْفَةِ وَأَطْنَابِ الْفَسَاطِيطِ، [وَشَبَّكَ ابْنُ عَوْنٍ أَصَابِعَهُ، وَوَصَفَهُ لَنَا مُعَاذٌ، وَشَبَّكَ أَحْمَدُ] فَقُلْتُ: يَا عَبْدَ اللهِ! حَتَّى مَتَى تَرَى أَمْرَ النَّاسِ هَذَا؟ قَالَ: مَا اسْتَقَامَتِ الأَئِمَّةُ، قُلْتُ: مَا الأَئِمَّةُ؟ قَالَ: أَمَا رَأَيْتِ السَّيِّدَ يَكُونُ فِي الْحِوَاءِ فَيَتَّبِعُونَهُ وَيُطِيعُونَهُ، فَمَا اسْتَقَامَ أُولَئِكَ(١).

• وأخرج **ابن ماجه** عَنْ عِيَاضِ بْنِ عَبْدِ اللهِ أَنَّهُ سَمِعَ **أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ** يَقُولُ: قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَخَطَبَ النَّاسَ، فَقَالَ: «**لَا وَاللهِ، مَا أَخْشَى عَلَيْكُمْ، أَيُّهَا النَّاسُ! إِلَّا مَا يُخْرِجُ اللهُ لَكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا**»، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَيَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ؟ فَصمتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «**كَيْفَ قُلْتَ؟**» قَالَ: قُلْتُ: وَهَلْ يَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ الْخَيْرَ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ أَوَ خَيْرٌ هُوَ، إِنَّ كُلَّ مَا يُنْبِتُ الرَّبِيعُ يَقْتُلُ حَبَطاً أَوْ يُلِمُّ، إِلَّا آكِلَةَ الْخَضِرِ، أَكَلَتْ حَتَّى إِذَا امْتَلَأَتْ خَاصِرَتَاهَا، اسْتَقْبَلَتِ الشَّمْسَ، فَثَلَطَتْ، وَبَالَتْ، ثُمَّ اجْتَرَّتْ، فَعَادَتْ، فَأَكَلَتْ، فَمَنْ يَأْخُذْ مَالاً بِحَقِّهِ يُبَارَكْ لَهُ، وَمَنْ يَأْخُذْ مَالاً بِغَيْرِ حَقِّهِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ**»(٢).

• وأخرج **ابن ماجه** عَنْ **عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو** بْنِ الْعَاصِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**إِذَا فُتِحَتْ عَلَيْكُمْ خَزَائِنُ فَارِسَ وَالرُّومِ أَيُّ قَوْمٍ أَنْتُمْ؟**» قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: نَقُولُ كَمَا أَمَرَنَا اللهُ، قَالَ

---

(١) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ٨١) برقم: (٢١٠).

(٢) انظر: «سنن ابن ماجه» (ح: ٣٩٩٥)، وأخرجه أيضاً مسلم (ح: ١٠٥٢) واللفظ له.

رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، تَتَنَافَسُونَ، ثُمَّ تَتَحَاسَدُونَ، ثُمَّ تَتَدَابَرُونَ، ثُمَّ تَتَبَاغَضُونَ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، ثُمَّ تَنْطَلِقُونَ فِي مَسَاكِينِ الْمُهَاجِرِينَ فَتَجْعَلُونَ بَعْضَهُمْ عَلَى رِقَابِ بَعْضٍ**»(١).

• وأخرج **ابن ماجه** عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّ الْمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ أَخْبَرَهُ عَنْ **عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ** ـ وَكَانَ شَهِدَ بَدْراً مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ـ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ إِلَى الْبَحْرَيْنِ يَأْتِي بِجِزْيَتِهَا، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ هُوَ صَالَحَ أَهْلَ الْبَحْرَيْنِ، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمُ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ، فَقَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ، فَسَمِعَتِ الْأَنْصَارُ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ، فَوَافَوْا صَلَاةَ الْفَجْرِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ انْصَرَفَ، فَتَعَرَّضُوا لَهُ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ رَآهُمْ، ثُمَّ قَالَ: «**أَظُنُّكُمْ [أَنَّكُم] سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بِشَيْءٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ**»، قَالُوا: أَجَلْ يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: «**أَبْشِرُوا، وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ، أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا [عَلَيْكُمْ] كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، فَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ**»(٢).

• وفي «مشكاة المصابيح»: «**وإنَّه سيخرجُ في أُمَّتي أقوامٌ تتجارى بهم تلك الأهواءُ كما يتجارى الكلبُ بصاحبِهِ، لا يبقى منه عِرْقٌ ولا مِفْصَلٌ إلا دخله**»(٣).

والتنبيه الثاني: لا تظنّوا أنَّ جميع الناس يكونون أشراراً في زمان

---

(١) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (٣٩٩٦).
(٢) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (٣٩٩٧).
(٣) انظر: «مشكاة المصابيح» (١/ ٣٧).

الشرور والفتن، ولا تعمل العنايةُ الإلٰهية في تهذيب النفوس شيئاً، بل هنا أسرار عجيبة.

عيب مي جملة بگفتني هنرش نيز بگو　　　نفي حكمت مكن از بهر دل عامي چند

إنَّكَ قد ذكرتَ عيوبه جميعاً، فاذكر حسناته أيضاً، ولا تنفي الحكمة بسبب بعض قلوب الناس.

إنَّ الله تعالى يجعل طائفةً في كلِّ زمان مهبط الأنوار والبركات.

• أخرج **مسلم** برواية جماعة: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ**»[1].

• وأخرج **ابن ماجه** عَنْ **أَبِي هُرَيْرَةَ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيباً، وَسَيَعُودُ غَرِيباً، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ**»[2].

• وأخرج **ابن ماجه** عَنْ **أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ** عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيباً، وَسَيَعُودُ غَرِيباً، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ**»[3].

• وأخرج **ابن ماجه** عَنْ **عَبْدِ اللهِ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيباً، وَسَيَعُودُ غَرِيباً، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ**»، قَالَ: قِيلَ: وَمَنِ الْغُرَبَاءُ؟ قَالَ: «**النُّزَّاعُ مِنَ الْقَبَائِلِ**»[4].

• وأخرج **ابن ماجه** عَنْ **عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ** رضي الله عنه أَنَّهُ خَرَجَ يَوْماً إِلَى مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَوَجَدَ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ قَاعِداً عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ يَبْكِي،

---

(١) انظر: «صحيح مسلم» برقم: (١٠٣٧).
(٢) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (٣٩٨٦).
(٣) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (٣٩٨٧).
(٤) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (٣٩٨٨).

فَقَالَ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: يُبْكِينِي شَيْءٌ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ يَسِيرَ الرِّيَاءِ شِرْكٌ، وَإِنَّ مَنْ عَادَى لِلَّهِ وَلِيّاً فَقَدْ بَارَزَ اللهَ بِالْمُحَارَبَةِ، إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْأَبْرَارَ الْأَتْقِيَاءَ الْأَخْفِيَاءَ، الَّذِينَ إِذَا غَابُوا لَمْ يُفْتَقَدُوا، وَإِنْ حَضَرُوا لم يُدْعَوْا وَلم يُعْرَفُوا، قُلُوبُهُمْ مَصَابِيحُ الْهُدَى، يَخْرُجُونَ مِنْ كُلِّ غَبْرَاءَ مُظْلِمَةٍ**»[(١)].

ومهما قلَّ وندر في هذا الزمان ـ أي: زمن الفتنة ـ أمثالُ هؤلاء الرجال، ولكنّهم خيرٌ من كثير ممّن كانوا في غابر الزمان ببعض الوجوه.

● أخرج **الترمذي** و**ابن ماجه** وغيرهما عن **أبي ثعلبة الخُشني** في حديث طويل آخره: «**فَإِنَّ [مِنْ] وَرَائِكُمْ أَيَّاماً، الصَّبْرُ فِيهِنَّ**[(٢)] **مِثْلُ الْقَبْضِ عَلَى الْجَمْرِ**[(٣)]**، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ [مِثْلُ] أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلاً يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ**»، قِيلَ[(٤)]: يَا رَسُولَ اللهِ! أَجْرُ خَمْسِينَ [مِنَّا أَوْ] مِنْهُمْ؟ قَالَ: «**بَلْ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ**»[(٥)].

● وفي «مشكاة المصابيح» عن **حذيفة** قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**تُعْرَضُ الفِتَنُ على القلوبِ كالحصيرِ عُوْداً عُوْداً، فأيُّ قلبٍ أُشربها نُكِتَتْ فيه نكتةٌ سوداءُ، وأيُّ قلبٍ أنكرها نُكتتْ فيه نكتةٌ بيضاءُ حتَّى يصيرَ**[(٦)] **على قلبينِ: أبيضَ بمثل الصفا، فلا تضرّه فتنةٌ ما دامت**

---

(١) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (٣٩٨٩).

(٢) في الأصل الفارسي: «أيام الصبر فمن صبر فيهنّ».

(٣) في الأصل الفارسي: «كان كمن قبض على الجمر».

(٤) في الأصل الفارسي: «قالوا».

(٥) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٠٥٨)، و«سنن ابن ماجه» برقم: (٤٠١٤).

(٦) وفي الأصل الفارسي «تصير».

السماواتُ والأرضُ، والآخر أسودَ مِرْبَاداً كالكوزِ مَجْخِيّاً[١]**، لا يعرِفُ معروفاً، ولا ينكِرُ منكراً، إلا ما أُشرِبَ مِنْ هواه»**، أخرجه مسلم[٢].

خمس طبقات للأمة:

ثم وزَّع النبيُّ ﷺ هؤلاء الغرباء ـ أي: غرباء أهل الإسلام ـ الذين هُمْ أقلُّ قليل في كلِّ طبقة على خمسة طبقات، وبيّن ما لكلِّ طبقة من مزيةً، ومعنى هذا الكلام دقيقٌ جدّاً.

• أخرج **ابن ماجه** عَنْ **أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ** عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: **«أُمَّتِي عَلَى خَمْسِ طَبَقَاتٍ، فَأَرْبَعُونَ سَنَةً أَهْلُ بِرٍّ وَتَقْوَى، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ إِلَى عِشْرِينَ وَمِئَةِ سَنَةٍ أَهْلُ تَرَاحُمٍ وَتَوَاصُلٍ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ إِلَى سِتِّينَ وَمِئَةِ سَنَةٍ أَهْلُ تَدَابُرٍ وَتَقَاطُعٍ، ثُمَّ الْهَرْجُ الْهَرْجُ، النَّجَا النَّجَا»**[٣].

• وفي رواية عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: **«أمَّتي على خمس طبقات، كلُّ طبقةٍ أربعون عاماً، فأمَّا طبقتي وطبقة أصحابي فأهلُ علم وإيمانٍ، وأمَّا الطّبقةُ الثّانيةُ ما بَيْنَ الأربعين إلى الثّمانين فأهلُ برٍّ وتقوى»**، ثم ذكر نحوه[٤].

• **تفصيل هذا الإجمال**: أنَّ طائفةً لا تزالُ قائمةً بالسُّنَّة السنية في كلِّ زمانٍ كانت قليلة، ثم إنَّ هؤلاء القائمين على الحقِّ ليسوا على صفة واحدة، بل يختلف وجه القرب في كلِّ طبقة، وتظهر صورةُ القيام بالسُّنَّة السنية بوجه مختلف، فالطبقة الأولى تمتدُّ إلى أربعين سنة من هجرة

---

(١) أي: مائلاً منكوساً.

(٢) انظر: «مشكاة المصابيح» (٣/ ١٦٨) برقم: (٥٣٨٠).

(٣) «سنن ابن ماجه» برقم: (٤٠٥٨).

(٤) «سنن ابن ماجه» برقم: (٤٠٥٨).

النبيِّ ﷺ إلى وفاة علي المرتضى رضي الله عنه، وكان وجه القرب من الله في هذه الطبقة الإيمان والعلم؛ أي: قوة تصديق الشرائع، والعناية التامة بحفظ المسموعات والمرويات عن النبي ﷺ، ويعرف أنَّه غنيمةٌ كبرى، وينقطع عمَّا سواه، ويتوجه توجهاً تامّاً.

والأصل في هذا الوجه أنَّ العالم كان مليئاً بالكفر والجاهلية قبل مبعثِ النبيِّ ﷺ ـ وقد استولت على الناسِ الأوضاعُ الفاسدة في الظاهر والباطن، وشغفت الهيئات الدنيئة الخسيسة قلوبَ الناسِ ـ فألقى مدبر السماوات والأرض في قلب النبي ﷺ داعيةَ هدايةِ الناس، وأفاض على قلبه علوماً تمكَّن بها من هداية الناس، وانطبعت هذه الداعيةُ في قلب كل مَنْ كان على فطرة سليمة بفضل صحبة النبي ﷺ، وانعكس ذلك العلم في عقله.

وهذه الجماعةُ القائمة على الفطرة السليمة كانت على منازل شتَّى:

• **فمنها** طائفةٌ جبلت على استعداد يُشبه استعداد الأنبياء، وأودع الله في أصل طبيعتهم مثال أسوةِ النبوّة، وصار هؤلاء طليعة الأمة ـ مثل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ـ، وتلقَّوا هذه الداعية والعلوم بشهادة قلوبهم، وحصل لهم حظ وافر من التحقيق.

• **ومنها** طائفة ملكت استعدادَ التقليد بكامله، فقبلوا انعكاس هذه الداعية، وانعكاس تلك العلوم، ونالوا حظّاً من السعادة، ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [النساء: ٩٥].

• وأمَّا مَنْ بَعُدَ عن تلقي هذه العلوم وانطباع هذه الداعية فقد حُرِمَ من الرحمة الكاملة.

والحاصل: أن الأعمال والأخلاق في الطبقة الأولى مقصودةٌ بالتبع وملحوظةٌ بالعرض، والمقصود الأصلي العلم.

• وفي **الطبقة الثانية** وجه القرب إنَّما هو عمل بالشرائع الإسلامية من الفرائض والنوافل، والاجتناب للمحرّمات والمكروهات، وانقطعت قلوبهم إلى هذه الأعمال [وعزفوا] عن كلِّ شيء، فانشقّ من هذه الأعمال نورٌ استولى على قلوبهم، وأحاط بها، وكانوا على هذا النور ما داموا على قيد الحياة، وماتوا عليه، وهم أهل البرّ والتقوى.

• وفي **الطبقة الثالثة** ظهرت أعمالُ الخير على سبيل العادة والرياء، وجعل الخاصة والعامة يقومون بأداء صور الأعمال وما بقي الفرق بين المحقّ والمبطل باعتبار صورة الأعمال:

وأمَّا مَنْ كان مجبولاً على حُسن الخلق، ولين الجانب، وتزكية النفس، فنوّره نورُ هذه الأعمال، وهذَّب نفسه.

وأمَّا مَنْ لم يكن متّصفاً بهذه الخصال، لم يبلغ به ظاهرُ أعماله إلى مكان القرب، إذ إنَّ أعماله ما صدرت بنيةٍ قويةٍ صالحةٍ، ولم يرجع نورُ هذه الأعمال إلى قلوبهم، ومن كانوا على هذه الصفة ما استطاعوا دفع موانع وحواجز قبول الأعمال عن أنفسهم خلافاً للطبقة المتقدمة، إذ إنَّ التساهلَ في النيّة لم يكن من عادتهم، والرياءُ في الأعمالِ لم يكن من ديدنهم، وهم أهل التواصل والتراحم.

• وفي **الطبقة الرابعة** ظهرت الأوضاع الفاسدة، والنيَّات الكاسدة كثيراً، ولم يحصل لهم نور في الأعمال من دون الاعتكاف والخلوة والانقطاع عن القبائل والعشائر وصحبة الخلق، ومَنْ حصلَ له النورُ في هذه الطبقة لم يحصل له بدون العزلة، وترك صحبة الخلق من أهل التدابر والتقاطع.

• وفي **الطبقة الخامسة** شاء الله أن ينظرَ ﷻ إلى ملكات النفس التي تحصل بواسطة الأعمال والأذكار، وتتمكَّن في لطيفة العقل والنفس

والقلب، وهم أهل المقامات والأحوال، وهكذا كلُّ وصفٍ ممَّا هو مدار النظر الإلٰهي يختلف في كلِّ طبقة، والكلامُ في هذا يطول، ولنقتصر هاهنا على تفسير الطبقات الخمس.

وعلم من هذا المبحث معرفة مراتب عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وعائشة، وأمثالهم رضي الله عنهم أجمعين، ومراتب سعيد بن المسيب، والفقهاء السبعة، ومَنْ عاصرهم من أئمة الإسلام، وما هو الفرق بين مراتبهم.

والتنبيه الثالث: ينبغي أنَّ يعلم أن معاوية بن أبي سفيان[١] رضي الله عنه فرد من أصحاب النبي ﷺ، وصاحبُ الفضيلة الجليلة، في زمرة الصحابة رضي الله عنهم، فلا تسيئنَّ الظنَّ به، ولا تقعنَّ في سبّه، حتَّى لا ترتكب الحرام.

• أخرج **أبو داود** عَنْ **أَبِي سَعِيدٍ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**»[٢].

• وأخرج **أبو داود** عَنْ **أَبِي بَكْرَةَ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ: «**إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُصْلِحَ اللهُ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنْ أُمَّتِي**»، وَقَالَ فِي حَدِيثِ حَمَّادٍ: «**وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَظِيمَتَيْنِ**»[٣].

• وأخرج **الترمذي** من حديث **عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عُمَيْرَةَ**، وَكَانَ

---

(١) أن معاوية رضي الله عنه كان كاتب وحي.
(٢) انظر: «سنن أبي داود» برقم: (٤٦٥٨).
(٣) انظر: «سنن أبي داود» برقم: (٤٦٦٢).

مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لِمُعَاوِيَةَ: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ هَادِياً مَهْدِيّاً، وَاهْدِ بِهِ**»[١].

• وأخرج **ابن سعد وابن عساكر** عن **سلمة بن مخلد** قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اللَّهُمَّ علِّمه الكتابَ، ومكِّن له في البلادِ، وقِهِ العذابَ**»[٢].

• وأخرج **الترمذي** من حديث **عمير بن سعيد** [قال:] سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ اهْدِ بِهِ**»[٣].

والعقل يقتضي ذلك أيضاً ـ أي: أن النبيَّ ﷺ دعا له ـ إذ إنه قد ثبت من طرق كثيرة أنَّ النبيَّ ﷺ كان يعرفُ أنه يتولَّى الخلافة في وقت من الأوقات، وكان النبيُّ ﷺ أرحمَ بأمته، كما قال الله تعالى: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة]، فاقتضت رأفته الكاملة بأمته أن يدعوَ لخليفة أمته بالهداية والاهتداء.

• أخرج **الديلمي** عن **الحسن بن علي** قال: سمعتُ عليّاً يقول: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**لا تذهبُ الأيامُ والليالي حتَّى يملِكَ معاويةُ**»[٤].

• وأخرج **الآجري** في «كتاب الشريعة» عن **عبد الملك بن عمير** قال: قال معاوية رضي الله عنه: ما زلتُ في طمع من الخلافةِ منذ سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**يا معاويةُ! إنْ ملكتَ فأَحْسِنْ**»[٥].

---

(١) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٨٤٢).
(٢) انظر: «الجزء المتمم لطبقات ابن سعد» (١/ ٣٣)، و«تاريخ دمشق» (٥٩/ ٧٨).
(٣) انظر: «سنن الترمذي» رقم: (٣٨٤٣).
(٤) انظر: «الفردوس»، للديلمي (٥/ ٢١٩) برقم: (٧٦٦١).
(٥) انظر: «الشريعة»، للآجري (٥/ ١٨٠).

وقد صحَّ من حديث أمّ حرام أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**أوّلُ جيشٍ من أمتي يغزونَ البحرَ قد أوجبوا**».

وكان أول من غزا في البحر معاوية في زمن عثمان بن عفان[١]، وكانت أمُّ حرامٍ في جيشه، وماتت بعد ما خرجت من البحر.

• وقد استفاضَ أن النبيَّ ﷺ استكتبه، وهو لا يستكتِبُ إلّا عدلاً أميناً، وقد روى الآجريُّ من طرق متعددة أنَّ ذلك كان بإشارةٍ من جبرئيل عليه السلام[٢].

• وكان معاوية بن أبي سفيان يقول: لستُ بخليفةٍ، ولكنّي أوّلُ ملوك الإسلام، وستجرِّبون الملوك بعدي.

• وكان عنده بعض الشعرات الشريفة للنبيِّ ﷺ، وأوصى عند وفاته بوضعها في مناخره.

وكان يعرفُ بعضَ مقاصد الخلافة الخاصة، لكنَّه ما استطاعَ إمضاءها.

• أخرج **أحمد** عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَامِرٍ الْيَحْصبِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ يُحَدِّثُ وَهُوَ يَقُولُ: «إِيَّاكُمْ وَأَحَادِيثَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَّا حَدِيثاً كَانَ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ، وَإِنَّ عُمَرَ رضي الله عنه كَانَ أَخَافَ النَّاسَ فِي اللهِ عز وجل»[٣].

والتنبيه الرابع: أن تغيّر الأوضاع إلى أوضاع أخرى على عدة أقسام، ولكلٍّ قسم منها حكمٌ خاص، وبعضها ممّا لا خيار للبشر فيه، مثل القحط والزلازل، وكثرة النساء، وقلّة الرجال، وكثرة الأشرار

---

(١) انظر: «الشريعة»، للآجري (٥/ ١٣٢).
(٢) انظر: «الشريعة»، للآجري (٥/ ١٤٧).
(٣) انظر: «مسند أحمد» (٤/ ٩٩) برقم: (١٦٩٥٦).

خبيثي النفس، وقلة الأخيار معتدلي الأخلاق وذوي الرأي.

• أخرج **الشيخان** من حديث **ابْن عُمَرَ** ؓ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّمَا النَّاسُ كَالْإِبِلِ الْمِائَةِ، لَا تَكَادُ تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً**»[1].

وحكم هذا القسم أنَّ التكليف حسب الطاقة، والمؤاخذة في الآخرة منوطةٌ باختيار الإنسان، فلا مؤاخذة في مثل هذه التغيّرات.

ومن هذه التغيرات: الإنسان قاصر في البلوغ إلى كمال المطلوب وإن كان خارجاً عن اختياره، وبعضها يكون باختيار الإنسان، وهي على ثلاثة أقسام:

أحدها: أن يرتكب الناسُ أمراً منهياً عنه، مثل شرب الخمر، وكثرة الزنا، وترك الفرائض مثل الصلاة، ولا شكَّ أنهم **يؤاخذون**.

والثاني: أن يلتزمَ الناسُ أمراً مستحباً، مثل التزام السنن المؤكّدة، أو يلتزمون صورةً وهيئةً خاصّة من الأمور الممدوحة، ويتمسكوا بها، ويعضّوا عليها بالنواجذ، ويقولون: إنَّ هذا القسم «بدعة حسنة» مثل اختراع الوظائف والأوراد، ويترتب الثوابُ على هذا القسم، غير أنَّ اعتقاد التأكّد باطلٌ، ومدار الثواب إنَّما هو على القدر الذي عرف بالشرع، وتلك الصورة والهيئة مباحة من دون أن تستحقّ المدح والذمّ، ويحتمل أن تترتب على هذا الالتزام مفاسدُ في المستقبل، ويتصوره الناس بتلك الهيئة سنةً، ويلزم منه تحريفُ الشريعة الحقّة، لكنّ هذا الشخص لا يشعر أنها من المفاسد، وهذا خطأ منه.

والثالث: أن يكلِّف كلّ فريق نفسَه بمباحٍ قد اختاره شعاراً له، وهكذا تجد ظهور رسم ووضع في كلِّ زمان، وفي هذه الحالة تبقى هذه

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٦٤٥٨)، و«صحيح مسلم» برقم: (٢٥٤٧).

الأمور المروجة على إباحتها، ولا يترتّب عليها لوم ولا مدح إلا بالعرض، وذلك بظهور التعصب فيما بين الناس، وترجيح وضعهم على وضع الآخرين، أو يعتقده القرن التالي سنةً، ويقعوا في التحريف.

• ثم اعلم أنَّ قبحَ الأشياء القبيحة قد يثبتُ بنصٍّ كتاب الله، أو الأحاديث النبوية المشهورة، أو القياس الجلي، أو إجماع الأمة المرحومة، ولا سيَّما إجماع أيام الخلافة الخاصة التي هي من بقايا بركات النبوة، على صاحبها ألف ألف تحية وسلام، وهذه الأربعة هي البراهين الساطعة التي يَصْدُقُ عليها «وعندكم من الله برهان»، ولا يعذر الرجل في هذه الصور بجهل هذه الأصول.

• أمَّا الاستدلال بشبهةٍ واهيةٍ، أو تقليدِ عالمٍ على خلاف ذلك، فغير مسموعٍ، ولا ينجحُ مخالفُها عند الله، وقد يثبت قبح هذه الأفعال بخبر الواحد الصحيح غير المعارض، ويعذر الرجل بسبب جهله، حتَّى يبلغه الحديث، وينجلي الخفاءُ عن وجه الحقيقة، فلمّا انكشفَ الحجاب وتبيّن الأمرُ ما بقي مجالُ «للقيل والقال»، وقد يثبت قبحها بالأدلة الظنية المتعارضة، فيجري هنا اختلاف السلف «المجتهدان مصيبان، أو المصيب واحد والآخر مخطئ معذور».

إذا علمتَ هذه المقدمات لا ينبغي لك في مبحث تغيّر الأوضاع والرسوم، وفي اختلاف الأمة ممَّا ظهر في هذه الأيام أن تسوق جميعها بعصاً واحدة، وأن تنزلها بمنزلة واحدة.

هر سخن وقتے وهر نكته مكانے دارد

أن تنزل جميع أقسام الاختلاف بمنزلة واحدة، بل في بعض الاختلافات يكون الحقُّ في جانبٍ، والخطأ في جانبٍ آخر، وفي بعضٍ يكونُ الحقُّ بينهما.

المقصد الثاني من الفصل الخامس

[في بيان التغيّرات الكلية التي وقعت في هذه الأمة، غير التي بيّناها في المقصد الأول]

وهذا المبحث طويلُ الذيلِ، وليس المقصودُ استيعابه في هذا المكان، ومقصودُنا في هذا الفصل إنَّما هو شرح بعض الأحاديث النبوية المتعلّقة بمبحثنا هذا، مثل حديث «القرون الثلاثة»، وحديث «فإن يقم لهم دينهم يقم سبعين سنةً»، وحديث «اثنا عشر خليفة»، وحديث «خمس مئة سنة».

التغيّر الأول: وفاة النبي ﷺ

وأوّل تغيّر وقع في هذه الأمة إنَّما هو انتقال النبي ﷺ من الدار الفانية إلى الرفيق الأعلى، وأيُّ حادثةٍ أفجعُ منه؟ وأيُّ تغيّر أخطر منه؟ إذ إنَّ الوحي قد انقطع به، وانقطعت سلسلة نزول البركات السماوية المتتابعة المتعلقة بالنبوة.

• فقد أخرج **الدارمي** عن **عكرمة** في آخر حديث طويل في وفاة النبي ﷺ: وَجَعَلَتْ أُمُّ أَيْمَنَ تَبْكِي، فَقِيلَ لَهَا: يَا أُمَّ أَيْمَنَ! تَبْكِي عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَتْ: إِنِّي وَاللهِ مَا أَبْكِي عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ إلا أن أَكُونَ أَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ إِلَى مَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا، وَلكني أَبْكِي عَلَى خَبَرِ السَّمَاءِ انْقَطَعَ[1].

---

(١) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ٥٢) برقم: (٨٣).

• وأخرج **الدارمي** عَنْ **أَنسٍ**، وَذَكَرَ النَّبِيّ ﷺ قَالَ: شَهِدْتُهُ يَوْمَ دَخَلَ الْمَدِينَةَ، فَمَا رَأَيْتُ يَوْماً قَطُّ كَانَ أَحْسَنَ وَلَا أَضْوَأَ مِنْ يَوْمِ دَخَلَ عَلَيْنَا فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، وَشَهِدْتُهُ يَوْمَ مَوْتِهِ، فَمَا رَأَيْتُ يَوْماً كَانَ أَقْبَحَ وَلَا أَظْلَمَ مِنْ يَوْمٍ مَاتَ فِيهِ رَسُول اللهِ ﷺ[١].

• وأخرج **الترمذي** عَنْ **أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ** قَالَ: لَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، وَلَمَّا نَفَضْنَا أَيْدِيَنا من التراب وَإِنَّا لَفِي دَفْنِهِ حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا[٢].

• وأخرج **الدارمي** عن **مَكْحُولٍ** أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ مُصِيبَةٌ فَلْيَذْكُرْ مُصِيبَتَهُ بِي، فَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ الْمَصَائِبِ**»[٣].

والتغيّر الثاني: وفاة عمر الفاروق رضي الله عنه

وقد ورد في أحاديث كثيرة بأنّ عمر «غَلَقُ بابِ الفتنة»، ومنها: حديث **حذيفة**: «ليس عليك منها بأسٌ يا أمير المؤمنين» وقد أوردناه مراراً.

وسيرة الشيخين متقاربةٌ، ومناقبهما متساويةٌ، وسوابقهما متوافقةٌ، والغزوات التي وقعت في عهدهما متشابهةٌ.

أما الخطبة الأولى فقد وضعها أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه، وإتمامها ظهر على يد الفاروق رضي الله عنه، وكان المسلمون في عصرهما مؤتلفون

---

(١) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ٥٤) برقم: (٨٨).
(٢) انظر: «سنن الترمذي» (ح: ٣٦١٨)، و«الشمائل» رقم: (٣٨٥).
(٣) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ٥٣) برقم: (٨٤).

متراحمون، رحمآء بينهم، أشدَّاء على الكفار، متوافقون في الجهاد، ولم يكن الخلاف فيما بينهم، ويحبّ الجنودُ والرعايا الخليفةَ أكثر ممّا يحبون أنفسهم، وكان الخليفة أباً رحيماً، لطيفاً برعيته وعسكره، ورؤوس الجيوش وأمراء الأمصارِ كلّهم أهلُ السوابق من المهاجرين الأولين والأنصار.

• وقد أخرج **الترمذي** في «كتاب الشمائل» عن **عتبة بن غزوان** في حديث طويل، آخره: فقال عتبة بن غزوان: «لقد رأيتَني وإنِّي لسابعُ سبعةٍ مع رسول الله ﷺ، ما لنا طعامٌ إلّا ورق الشجر، حتَّى تقرّحت أشداقنا، فالتقطت بردةً قسمتها بيني وبين سعد، فما منّا من أولئك السبعةِ أحدٌ إلا وهو أميرُ مصرٍ من الأمصار، وستجرِّبون الأمراءَ بعدنا»[1].

• وهما في عهد النبي ﷺ بمنزلة الوزيرين والمشيرين له ﷺ، وتقع مشورتهما في الأمور الجسام، والتدابير الكلّية من الملّة والدولة موقع القبول.

• وكان الفاروق رضي الله عنه في خلافة الصدِّيق رضي الله عنه بمنزلة الوزير والمشير وناصر الخلافة وظهيرها ومعينها.

• ولما جاءت نوبته أنجزَ مآثر وجلائل الأمور، وظهرَ تأييدُ الدين من وجوه كثيرة لم تقدَّر لغيره.

• ولأجل هذا التقارب من السوابق والسير وتحمّل أعباء المشاورة للملك والملّة وما قدِّر لهما في الغيب من الفتح وتبليغ الدين جمعَ النبيُّ ﷺ ـ في كثير من الأحاديث ـ ذكر أحدهما مقروناً بذكر الآخر مثل الصنوين والفرقدين:

(١) انظر: «الشمائل المحمدية»، للترمذي (١/ ٤١٩) رقم: (٣٦٨).

• قال رسول الله ﷺ في قصة «تكلّم البقرة» وفي «قصة الذئب»: **«أؤمنُ به أنا وأبو بكر وعمر»**.

• قال علي: كثيراً ما كنت أسمع رسول الله ﷺ يقول: **«كنتُ أنا وأبو بكرٍ وعمرُ، وفعلتُ أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر، وانطلقتُ أنا وأبو بكر وعمر، ودخلتُ أنا وأبو بكر وعمر»**.

• وقال رسول الله ﷺ: **«إنَّ أهلَ الجنّةِ ليتراؤون أهلَ عليينَ كما ترون الكوكبَ الدريَّ في أُفق السماءِ، وإن أبا بكر وعمرَ منهم وأنعما»**.

وقال ﷺ: **«أبو بكر وعمر سيدا كهولِ أهلِ الجنّة من الأولين والآخرين، إلا النبيين والمرسلين»**.

• وقال: **«إنِّي لا أدري ما بقائي فيكم، فاقتدوا باللذين مِنْ بعدي أبي بكرٍ وعمرَ»**.

• وقال **أنس**: كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد لم يرفع أحدٌ رأسَه غير أبي بكر وعمر، وكانا يتبسّمان إليه، ويتبسّم إليهما.

• وخرج ﷺ ذاتَ يوم، ودخل المسجدَ وأبو بكر وعمر، أحدُهما عن يمينه، والآخرُ عن شماله، وهو آخذٌ بأيديهما وقال: **«هكذا نُبْعَثُ يومَ القيامةِ»**.

• وقال ﷺ: **«لو اجتمعتُما في مشورةٍ ما خالفتُكما»**.

• وقال: **«هذان السمعُ والبصرُ»**.

• وقال: **«أما وزيراي من أهلِ السماءِ فجبريلُ وميكائيلُ، وأمّا وزيراي من أهلِ الأرضِ فأبو بكرٍ وعمر»**.

• وقال: **«الحمدُ للهِ الذي أيّدني بهما»**.

• ورأى رسول الله ﷺ في **رؤيا القليب** شأنهما، ورئي

رجحانُهما في **رؤيا الرجحان في الوزن**، فعبر النبي ﷺ بالخلافة.

• وأخبر أنّ حسنات عمر كعدد نجوم السماء ثم قال: «**جميعُ حسناتِ عمرَ كحسنةٍ واحدةٍ من حسناتِ أبي بكر**».

• وفي حديث: «**ألا أستحيي ممّن تستحيي منه الملائكةُ**»، في منقبة عثمان.

• وإن رسول الله ﷺ عامل الصدِّيق والفاروق معاملة واحدة.

• وفي حديث **أبي موسى**: أنه بشَّرهما بشارةَ واحدةً، بخلاف عثمان.

• ثم هما ضجيعاه ﷺ، وقال **عليُّ بن الحسين**: «منزلتُهما في حياته منه منزلتُهما في مماته»[١]، إلى أحاديث كثيرة على هذا الأسلوب.

والواقع أنَّ كليهما كانا في قرن واحد، وانقرض القرن الثاني[٢] بوفاتهما.

وينبغي هنا أن نكتب خطبة عبد الله بن الأهتم خطيب الشام، التي تنطق فيها فصاحته بكلّ جلالها وعظمتها.

• أخرج **الدارمي** من حديث **خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ** قَالَ: دَخَلَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الأَهْتَمِ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ مَعَ الْعَامَّةِ، فَلَمْ يُفْجَأْ عُمَرُ إِلَّا وَهُوَ بَيْنَ يَدَيْهِ يَتَكَلَّمُ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللهَ خَلَقَ الْخَلْقَ غَنِيّاً عَنْ طَاعَتِهِمْ، آمِناً لِمَعْصِيَتِهِمْ، وَالنَّاسُ يَوْمَئِذٍ فِي الْمَنَازِلِ وَالرَّأْيِ مُخْتَلِفُونَ.

فَالْعَرَبُ بِشَرِّ تِلْكَ الْمَنَازِلِ: أَهْلُ الْحَجَرِ وَأَهْلُ الْوَبَرِ، يُحْتَازُ دُونَهُمْ

---

(١) انظر: «تاريخ الطبري» (٦/ ٥٣٥).

(٢) قد مضى تنقيح معنى القرن في حديث القرون الثلاثة.

طَيِّبَاتُ الدُّنْيَا وَرَخَاءُ عَيْشِهَا، لَا يَسْأَلُونَ اللهَ جَمَاعَةً، وَلَا يَتْلُونَ [لَهُ] كِتَاباً، مَيِّتُهُمْ فِي النَّارِ، وَحَيُّهُمْ أَعْمَى نَجِسٌ، مَعَ مَا لَا يُحْصَى مِنَ الْمَرْغُوبِ عَنْهُ وَالْمَزْهُودِ فِيهِ.

فَلَمَّا أَرَادَ اللهُ أَنْ يَنْشُرَ عَلَيْهِمْ رَحْمَتَهُ، بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة] صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وسلم[(١)]]، وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَلَمْ يَمْنَعْهُمْ ذَلِكَ أَنْ جَرَحُوهُ فِي جِسْمِهِ، وَلَقَّبُوهُ فِي اسْمِهِ[(٢)]، وَمَعَهُ كِتَابٌ مِنَ اللهِ [نَاطِقٌ]، لَا يُقَدَّمُ إِلَّا بِأَمْرِهِ[(٣)]، وَلَا يُرْحَلُ[(٤)] إِلَّا بِإِذْنِهِ.

فَلَمَّا أُمِرَ بِالْعَزْمَةِ، وَحُمِلَ عَلَى الْجِهَادِ، انْبَسَطَ لأَمْرِ اللهِ لَوْثُهُ، فَأَفْلَجَ اللهُ حُجَّتَهُ، وَأَجَازَ كَلِمَتَهُ، وَأَظْهَرَ دَعْوَتَهُ، وَفَارَقَ الدُّنْيَا تَقِيّاً نَقِيّاً.

ثُمَّ قَامَ بَعْدَهُ **أَبُو بَكْرٍ** فَسَلَكَ سُنَّتَهُ، وَأَخَذَ سَبِيلَهُ، وَارْتَدَّتِ الْعَرَبُ أَوْ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ، فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُمْ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَّا الَّذِي كَانَ قَابِلاً، انْتَزَعَ السُّيُوفَ مِنْ أَغْمَادِهَا، وَأَوْقَدَ النِّيرَانَ فِي شُعُلِهَا، ثُمَّ نَكَّبَ بِأَهْلِ الْحَقِّ أَهْلَ الْبَاطِلِ، فَلَمْ يَبْرَحْ يُقَطِّعُ أَوْصَالَهُمْ، وَيَسْقِي الأَرْضَ دِمَاءَهُمْ، حَتَّى أَدْخَلَهُمْ فِي الَّذِي خَرَجُوا مِنْهُ، وَقَرَّرَهُمْ بِالَّذِي نَفَرُوا عَنْهُ، وَقَدْ كَانَ أَصَابَ مِنْ مَالِ اللهِ بَكْراً يَرْتَوِي عَلَيْهِ، وَحَبَشِيَّةً أَرْضَعَتْ وَلَداً لَهُ، فَرَأَى ذَلِكَ عِنْدَ مَوْتِهِ غُصَّةً فِي حَلْقِهِ، فَأَدَّى ذَلِكَ إِلَى الْخَلِيفَةِ مِنْ بَعْدِهِ، وَفَارَقَ الدُّنْيَا تَقِيّاً نَقِيّاً عَلَى مِنْهَاجِ صَاحِبِهِ.

---

(١) زاد في الأصل الفارسي.

(٢) في الأصل الفارسي: «ونقبوا في رسمه».

(٣) في الأصل الفارسي: «بإذنه».

(٤) في الأصل الفارسي: «ولا يؤخر».

ثُمَّ قَامَ بَعْدَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ، فَمَصَّرَ الأَمْصَارَ، وَخَلَطَ الشِّدَّةَ بِاللِّينِ، وَحَسَرَ عَنْ ذِرَاعَيْهِ، وَشَمَّرَ عَنْ سَاقَيْهِ، وَأَعَدَّ لِلأُمُورِ أَقْرَانَهَا، وَلِلْحَرْبِ آلَتَهَا، فَلَمَّا أَصَابَهُ قَيْنُ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ أَمَرَ ابْنَ عَبَّاسٍ يَسْأَلُ النَّاسَ هَلْ يُثْبِتُونَ قَاتِلَهُ؟ فَلَمَّا قِيلَ: قَيْنُ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، اسْتَهَلَّ يَحْمَدُ رَبَّهُ أَنْ لَا يَكُونَ أَصَابَهُ ذُو حَقٍّ فِي الْفَيْءِ، فَيَحْتَجَّ عَلَيْهِ، بِأَنَّهُ إِنَّمَا اسْتَحَلَّ دَمَهُ بِمَا اسْتَحَلَّ مِنْ حَقِّهِ، وَقَدْ كَانَ أَصَابَ مِنْ مَالِ اللهِ بِضْعَةً وَثَمَانِينَ أَلْفاً، فَكَسَرَ لَهَا رِبَاعَهُ، وَكَرِهَ بِهَا كَفَالَةَ أَوْلَادِهِ، فَأَدَّاهَا إِلَى الْخَلِيفَةِ مِنْ بَعْدِهِ، وَفَارَقَ الدُّنْيَا تَقِيّاً نَقِيّاً عَلَى مِنْهَاجِ صَاحِبَيْهِ.

ثُمَّ يَا عُمَرُ! إِنَّكَ بُنَيُّ الدُّنْيَا، وَلَدَتْكَ مُلُوكُهَا، وَأَلْقَمَتْكَ ثَدْيَيْهَا، وَنَبَتَّ فِيهَا تَلْتَمِسُهَا مَظَانَّهَا، فَلَمَّا وُلِّيتَهَا أَلْقَيْتَهَا حَيْثُ أَلْقَاهَا اللهُ، هَجَرْتَهَا وَجَفَوْتَهَا، وَقَذَرْتَهَا إِلَّا مَا تَزَوَّدْتَ مِنْهَا، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَلَا بِكَ حَوْبَتَنَا، وَكَشَفَ بِكَ كُرْبَتَنَا، فَامْضِ وَلَا تَلْتَفِتْ، فَإِنَّهُ لَا يَعِزُّ عَلَى الْحَقِّ شَيءٌ، وَلَا يَذِلُّ عَلَى الْبَاطِلِ شَيءٌ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ.

قَالَ أَبُو أَيُّوبَ: فَكَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَقُولُ فِي الشَّيءِ: قَالَ لِي ابْنُ الأَهْتَمِ: امْضِ وَلَا تَلْتَفِتْ[١].

والتغيّر الثالث: مقتل عثمان ذي النورين ﷺ وما ترتّب عليه من نتائج

وهذا من أعظم التغيّرات، وقد جعله النبيُّ ﷺ حداً فاصلاً بين زمان الخير وزمان الشرّ، وجعل هذا التغيّر بنفسه مطمحَ إشارته في

(١) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ٥٥) برقم: (٩١).

أحاديثَ كثيرةٍ تبلغُ حدّ التواتر بهيئته الاجتماعية، وانقطعت الخلافةُ الخاصّة المنتظمة عند هذا التغيّر، كما نصَّ النبي ﷺ على ذلك في أحاديث كثيرة، وقد جمع النبي ﷺ كلّاً من الخلفاء الثلاثة في أحاديث كثيرة، مما أوردناه في المقصد الأول.

وإذا تأمّلت وتدبّرت رأيت أن الخلافة الخاصة المنتظمة بالفعل لا تُذكر في موضع إلا ويليها ذكر الخلفاء الثلاثة معاً، وكذلك لا تُذكر الخلافة الخاصة بالمداخلة في الأمور المهمة في حياة النبي ﷺ وبعد وفاته في موضع إلا ويأتي ذكر الشيخين لا غير.

وانقطعت هناك القرون الثلاثة المشهود لها بالخير، والقرن الثالث هو مدّة خلافة عثمان ذي النورين رضي الله عنه التي امتدّت قرابةَ اثنتي عشرة سنة، وهناك فرق بين معاملة الشيخين ومعاملة عثمان رضي الله عنهم حيث ينزل أحياناً من العزيمة إلى الرخصة، ولم يكن أمراؤه على صفة أمراء ورعية مثل أمراء الشيخين ورعيتهما، نعم لم تنتقل خشونة الرعية ومخالفتها من القلب واللسان إلى اليد والسلاح إلا عند إتمام هذا القرن، وهذا لا ينازع فيه إلا مكابر.

● اعلم ـ أسعدك الله تعالى ـ أنّه إذا ظهر إشكالٌ في حديثٍ فارجع إلى حديثٍ آخر، حتَّى يتبيّن لك مقصودُ النبيِّ ﷺ، إذ إنّ مَثَلَ حديث النبي ﷺ كمثل القرآن، يشبِهُ بعضهُ بعضاً، قال الله تعالى: ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ﴾ [الزمر: ٢٣]، وكثيراً ما ذكر النبي ﷺ نصّ كلّ حديثٍ بعبارات مختلفة وأساليب متنوعة، لقد ورد ـ مثلاً ـ في حديث: «**خيرُ الناسِ قرني، ثم الّذين يلونَهم، ثم الذين يلونَهم، ثم ينشأُ قومٌ تسبِقُ أيمانُهم شهادتهم، وشهادتهم أيمانهم**»(١).

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (ح: ٦٤٢٩)، ومسلم في «صحيحه» (ح: ٢٥٣٣)، =

وفي رواية لفظ: «**ثُمَّ يَفْشُو الْكَذِبُ**»[(١)].

• وانظر بعد ما فهمت مضمون هذا الحديث من خيرية القرون الأولى وشرِّيّة القرون الأخرى، ثم اقرأ حديث: «**تَدُورُ رَحَى الْإِسْلَامِ لِخَمْسٍ وَثَلَاثِينَ، أَوْ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ، أَوْ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ، فَإِنْ يَهْلَكُوا...**»[(٢)] وتأمل في معناه على وجه التحقيق والتنقيح، ثم قارن بين حديث: «**رحى الإسلام**»، وبين الخيرية المذكورة في الحديث الأول، وكذلك قارن لفظ الهلاك الوارد في الحديث الثاني، وبين قوله ﷺ: «**تَسْبِقُ أيمانهم...**» إلخ، الوارد في الحديث الأول وبين قوله ﷺ: «**يفشو الكذبُ**»، يتبيّنُ لك أنّ المراد بعينه بالحديث الثاني، وتاريخ «خمس وثلاثين» يبدو بهذه المقارنة كثيراً إذا نظرت إليه بنظر عابر سريع، لكنْ إذا تأمَّلته وجدته مطابقاً لمعنى: «القرون الثلاثة» من حيث التأويل الذي بيَّنتُه من قبل[(٣)]، وإذا اشترك الحديثان في أكثر الأمور فلا بدَّ من حمل القيد في حديثٍ على إطلاقِ الآخر ومحكمه على متشابه الآخر.

• ثم تقدم وانظر إلى حديث: «**الخلافة بالمدينة، والملك بالشام**»، جعل الخلافة في هذا الحديثِ قسيماً للملك، فانظر ماذا يظهر من بين هذه المقابلة؟

اعلم أن قرناً من هذه القرون الثلاثة الممدوحة، إنَّما هو قرن النبوّة، والقرنان منها قرنا الخلافة الراشدة، وكانت كلها في المدينة، ولم

= والترمذي في «سننه» (ح: ٣٨٥٩)، وأحمد في «مسنده» (١/ ٣٧٨) برقم: (٣٥٩٤)، وأبو القاسم الطبراني في «الروض الداني» (١/ ٢٢٠) برقم: (٣٥٢) واللفظ له، ولم نجد في روايته الفقرة الأخيرة: «شهادتهم أيمانهم».

(١) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٢٣٠٣).

(٢) انظر: «سنن أبي داود» برقم: (٤٢٥٤).

(٣) راجع: (ص٣١٦، ٤٨٢) من نفس الجزء من الكتاب.

تستقرّ بعد هذه القرون سلطنةٌ وحكومةٌ في المدينة، فالتعيين بمدَّة «خمس وثلاثين سنة» وتعيين الخلافة في المدينة مصداقهما واحد، وهذان من معالم شيءٍ واحدٍ، وغايتهما واحدةٌ.

ثم تقدم من هذا، واقرأ حديث أبي عبيدة ومعاذ بن جبل: «**إنَّ هذا الأمرَ بدأ نبوةً ورحمةً، ثم يكونُ خلافةً ورحمةً، ثم يكونُ ملكاً عضوضاً**»، وقارن بينه وبين حديث القرون الثلاثة وحديث: «**تزول رحى الإسلام**»، وحديث: «**الخلافةُ بالمدينةِ، والملكُ بالشام**»، لا شك أنَّ الخلافةَ والرحمةَ توافقان «الخيرية» والملك العضوض مرادفٌ للفتنة.

• ثم تقدم من هذا، واقرأ حديث[1] **كرز بن علقمة**، الذي ذكر فيه تقدُّم الإسلام وشيوعه على بيوت العرب والعجم، وعودة الناس أساود صباء، ثم تأمَّل متى حصل للإسلام تقدم ورقيٌّ، ومتى ظهرت فتنةُ الأساودِ الصباء.

ثم قارن بينه وبين حديث «خيريّة القرون الثلاثة»، وحديث «رحى الإسلام»، وحديث «الخلافة والرحمة»، تجد أنَّ هذه الأحاديث كلها ينسجم بعضها مع بعض.

• ثم وازن بين حديث: «**أساودُ صباءُ**»، وبين حديث: «**الهرج**»، وحديث: «**يفشو الكذب**»، وحديث: «**فإن يهلكوا**»، وحديث: «**ملكاً عضوضاً**» تجد مضمون كل واحد منها واحداً.

• ثم تقدم، واقرأ حديث **حذيفة** واقرأ: «**لا تقومُ الساعةُ حتَّى تقتلوا إمامَكم، وتجتلدوا بأسيافكم، ويرث دنياكم شرارُكم**»، وتأمل إلى أي حادثة

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ٤٧٧)، والبغوي في «شرح السُّنَّة» (٧/ ٤٢١)، والمراد بالأساود: الحيات.

يشير هذا الحديث، ومتى وقعت، وإلى غير ذلك من الأحاديث.

وبالجملة: نقِّ ذهنك عن كلّ شائبة من شوائب الكدورات، وطبِّق بعضَ الأحاديث على بعض لكي يتبيَّن لك مرادُ كلام رسول الله ﷺ.

ثم اقرأ أخبار أحبار أهل الكتاب، وتذكَّر آثار الصحابة الكرام، حتَّى يحصلَ لك اطمئنانٌ تام، وإذا لم تظهر نتيجةٌ رغم ذلك، ولم يتبيَّن لك معنى الحديث فأنتَ عاجزٌ عن درك معاني الأحاديث؛ لأنَّه لم تردِ الأحاديثُ بهذا القدر في شأن مسائل الصلاة والزكاة أيضاً.

إذا لَـمْ تَـسْـتَـطِـعْ أمـراً فَـدَعْـهُ وَجَـاوِزْهُ إلَـىٰ مَـا تَـسْـتَـطِـيْـعُ

وبالجملة: فإنَّ الاختلافَ في هذه القرون كالاختلاف الواقع بين أصناف نوعٍ واحدٍ، فكلُّها واحدةٌ من ناحية، ومختلفةٌ من ناحية أخرى، ولذلك عدَّ النبيُّ ﷺ خلافَة الخلفاء الثلاثة في حديث: «**رحى الإسلام**» في مرتبةٍ واحدةٍ، وعدَّها في حديث: «**الخلافةُ بالمدينةِ والملكُ بالشامِ**» في منـزلةٍ واحدةٍ، ووصفها في حديث: «**نبوة ورحمة**» بصفة واحدةٍ، وعبَّر عن خلافة الثلاثة في حديث الفتن من مسند **حذيفة** بـ«زمان الاستقامة»، وعبَّر عن خلافتهم في حديث **كرز بن علقمة** لرقي الإسلام ونموه.

فلما وقع التغيّرُ الأعظمُ تبدلَّت صورةُ العالم، وظهر تغيّر نوعي بالنسبة للزمان الأول، ووقعت ضمنَ هذا التغيّر ثلاثُ فتن وهدنتان، وأشار النبي ﷺ إلى هذه الحوادث الخمس بصراحة بما لا مزيد عليه.

• أخرج **الشيخان** عن **حذيفة** قال: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ فَجَاءَنَا اللهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ:

«نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ»، قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: **«[قَوْمٌ] يَسْتَنُّونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي، وَيَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ»**، فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: **«نَعَمْ، دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا»**، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! صِفْهُمْ لَنَا، قَالَ: **«[نَعَمْ، قَوْمٌ] مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا»**، قُلْتُ: [يَا رَسُولَ اللهِ!] فَمَا تَرَى[1] إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: **«تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ»**، فَقُلْتُ: فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ، قَالَ: **«فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ عَلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ، وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ»**[2].

وفي **رواية** قلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: **«نَعَمْ»**، قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: **«نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ»**، قال: قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: **«قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ»**، قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: **«نَعَمْ، دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا»**، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! صِفْهُمْ لَنَا [مَنْ هُمْ]، قَالَ: **«هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا»**، قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: **«تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ»**، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ، قَالَ: **«فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلكَ»**[3].

وفي **رواية** قُلْتُ: فَمَا الْعِصْمَةُ؟ يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: **«السَّيْفُ»**،

---

(١) في الأصل الفارسي: «فما تأمرني».

(٢) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٣٦٠٦)، و«صحيح مسلم» برقم: (١٨٤٧) واللفظ له.

(٣) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٣٦٠٦).

قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ السَّيْفِ بَقِيَّةٌ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، تَكُونُ إِمَارَةٌ عَلَى أَقْذَاءٍ، وَهُدْنَةٌ عَلَى دَخَنٍ**»، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ مَاذَا؟ [قَالَ: «**ثُمَّ يَنْشَأُ دُعَاةُ الضَّلالَةِ، فَإِنْ كَانَ لِلَّهِ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةٌ جَلَدَ ظَهْرَكَ، وَأَخَذَ مَالَكَ، فَالْزَمْهُ وَإِلا قُمْتَ وَأَنْتَ عَاضٌّ عَلَى جَذْلِ شَجَرَةٍ**»، قَالَ: قُلْتُ ثُمَّ مَاذَا؟] قَالَ: «**ثُمَّ يَخْرُجُ الدَّجَّالُ بَعْدَ ذَلِكَ، مَعَهُ نَهْرٌ وَنَارٌ، فَمَنْ وَقَعَ فِي نَارِهِ وَجَبَ أَجْرُهُ، وَحُطَّ وِزْرُهُ، وَمَنْ وَقَعَ فِي نَهْرِهِ، وَجَبَ وِزْرُهُ، وَحُطَّ أَجْرُهُ**»[١].

قال البغوي: قوله: فما العصمة؟ قال: «**السيف**»، كان قتادة يضعه على أهل الردة كانت في زمن الصدِّيق رضي الله عنه، وقوله: «**هدنة على دخن**»، معناه صلحٌ على بقايا من الضغن، وذلك أنَّ الدخان أثرٌ من النار [يدلّ على بقية منها]، قال أبو عبيد: أصل الدخن أن يكون في لون الدابة أو الثوب أو غير ذلك كدورة إلى سواد.

وفي بعض الروايات: قلت: يا رسول الله! الهدنة على الدخن، ما هي؟ قال: «**لا يرجع قلوبُ أقوامٍ**[٢]**، عن الذي كانت عليه**»[٣].

ويروى: «**وجماعة على أقذاءٍ**» يقول: يكون اجتماعهم على فساد من القلوب، شبَّهه بأقذاء العين[٤].

• الفتنة الأولى: تشتمل على ثلاث حوادث عظيمة

مبدأ هذه الفتنة منذ خلافة علي المرتضى رضي الله عنه، وقد أخبر النبيُّ ﷺ أنّها لا تكون منتظمةً وتألَّم النبيُّ ﷺ منها.

---

(١) انظر: «سنن أبي داود» برقم: (٤٢٤٤)، و«مسند أحمد» (٥/٤٠٣) برقم: (٢٣٤٧٦)، و«المستدرك»، للحاكم (٤/٤٧٩) برقم: (٨٣٣٢)، و«شرح السُّنَّة» (١٥/٩ ـ ١٠) واللفظ له.

(٢) وورد في النسخة الفارسية الأصلية: «قلوب بني آدم» بدلاً من «قلوب أقوام».

(٣) انظر: «شرح السُّنَّة» (١٥/١٠). (٤) انظر: «شرح السُّنَّة» (١٥/١١).

• لقد ذكر السيوطي[١] في «الخصائص»:

• أخرج **الطبراني** و**أبو نُعيم** عن **جابر بن سمرة** قال: قال رسول الله ﷺ لعليٍّ: «**إنّك مؤمّرٌ مستخلَفٌ، وإنَّك مقتولٌ، وإنَّ هذه مخضوبةٌ من هذا**؛ يعني: لحيته من رأسِهِ»[٢].

• وأخرج **الحاكمُ** عن **عليٍّ** ﷺ قال: إنَّ ممّا عهد إليَّ النبيُّ ﷺ: أنَّ الأمةَ ستغدرُ بي[٣] بعدَه[٤].

• وأخرج **الحاكم** عن **ابن عباس** ﷺ قال: قال النبيُّ ﷺ لعليٍّ: «**أما إنّك ستلقى بعدي جهداً**» قال: في سلامةٍ من ديني؟ قال: «**في سلامةٍ من دينك**»[٥].

• وأخرج **أحمد** عَنْ إِيَاسِ بْنِ عَمْرٍو الْأَسْلَمِيِّ **عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ** ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّهُ سَيَكُونُ [بَعْدِي] اخْتِلَافٌ أَوْ أَمْرٌ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ السِّلْمَ فَافْعَلْ**»[٦].

الحادثة الأولى: وقعة الجمل[٧]:

وقد أخبر بها النبي ﷺ في خبرٍ واحدٍ غريبٍ.

• أخرج **أبو يعلى** عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ قَالَ: مَرَّتْ عَائِشَةُ بِمَاءٍ لِبَنِي عَامِرٍ، يُقَالُ لَهُ: الْحَوْءَبُ، فَنَبَحَتْ عَلَيْها الْكِلابُ، فَقَالَتْ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: مَاءُ لِبَنِي عَامِرٍ، فَقَالَتْ: رُدُّونِي رُدُّونِي سَمِعْتُ

---

(١) «الخصائص الكبرى» (٢/ ١٧٨). (٢) انظر: «المعجم الأوسط» (٧/ ٢١٨).

(٣) في الأصل الفارسي: «ستقذرني».

(٤) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ١٥٠) برقم: (٤٦٧٦).

(٥) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ١٥١) برقم: (٤٦٧٧).

(٦) انظر: «مسند أحمد» (١/ ٩٠) برقم: (٦٩٥).

(٧) وقعة الجمل كانت في جمادى الآخرة سنة ٣٦هـ. انظر: «تاريخ الخلفاء» (ص١٧١).

رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**كَيْفَ بِإِحْدَاكُنَّ إِذَا نَبَحَتْ عَلَيْهَا كِلابُ الْحَوْءَبِ**»(١).

• وأخرج **الحاكم** من حديث يحيى بن سعيد، عن الوليد بن عياش عن إبراهيم عن علقمة قال: قال **ابن مسعود** رضي الله عنه: قال لنا رسول الله ﷺ: «**أحذّركم سبعَ فتنٍ تكونُ بعدي: فتنةٌ تقبِلُ من المدينةِ، وفتنةٌ بمكّةَ، وفتنةٌ تقبِلُ من اليمنِ، وفتنةٌ تقبِلُ من الشام، وفتنةٌ تقبِلُ من المشرق، وفتنةٌ تقبِلُ من المغربِ، وفتنةٌ من بطنِ الشامِ، وهي السفياني**» قال: فقال ابن مسعود: «منكم من يدرك أوَّلها، ومن هذه الأمةِ مَنْ يدرك آخرها»، قال الوليد بن عياش: «فكانت فتنةُ المدينة من قِبَل طلحة والزبير، [وفتنة مكة فتنة عبد الله بن الزبير،] وفتنة الشام من قبل بني أمية، وفتنة المشرق من قبل هؤلاء»(٢).

الحادثة الثانية: حرب «صفين»(٣):

• وقد أخبر بها النبي ﷺ في خبر صحيح، أخرج **الشيخان** عن **أَبِي هُرَيْرَةَ** عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ، وَتَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ، وَدَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ**»(٤).

---

(١) انظر: «مسند أبي يعلى» (٨/ ٢٨٢) برقم: (٤٨٦٨) إسناده صحيح، وأخرجه أحمد (٦/ ٥٢) برقم: (٩٧)، من طريق يحيى وشعبة، كلاهما عن إسماعيل بهذا الإسناد، وصحَّحه ابن حبان برقم: (١٨٣١)، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٣٤) في «باب: فيما كان في الجمل وصفين وغيرهما»، وقال: رواه أحمد، وأبو يعلى، والبزار، ورجال أحمد رجال الصحيح.

(٢) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٤/ ٥١٥) برقم: (٨٤٤٧).

(٣) وقعت حرب صفين سنة ٣٧هـ. انظر: «تاريخ الخلفاء» (ص١٧١).

(٤) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٧١٢١)، و«صحيح مسلم» برقم: (١٥٧) واللفظ له.

هذه إشارةٌ إلى أنّ أهل الشام رفعوا المصاحف وقالوا: بيننا وبينكم هذا القرآن، وقال عليٌّ رضي الله عنه: هذا قرآنٌ صامتُ، وأنا قرآنٌ ناطقٌ.

• وأخرج **البخاري** أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال لعَمَّارٍ: «**تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ**»[1].

وقد انتهت هذه الحربُ بالتحكيم، وقد بيَّن النبي ﷺ هذه القصة بوجه ينبئ بأنها تكون مبدأ مفاسد شتّى غير مرضية عند الشارع.

الحادثة الثالثة: حرب «النهروان»:

وقد ذكرها النبي ﷺ في خبر متواتر، وقال: تقع عند افتراق المسلمين، وأمَّا الفريق الذي يتولّى قتلَ الخوارج أولاها بالحق، وهذه الحرب حسنة من حسنات عظيمة لهذه الجماعة.

وبعد هذه الحوادث الثلاث وقعت حادثة شهادة علي المرتضى رضي الله عنه، وقد أخبر بها النبي ﷺ في حديث مستفيض، ووصف قاتله بأشقى الناس.

• أخرج **الحاكم** في حديث طويل عن **عمار بن ياسر** رضي الله عنه قال: كنتُ أنا وعلي رفيقين في غزوة ذي العشيرة، فقال رسول الله ﷺ: «**ألا أحدّثكما بأشقى الناس رجلينِ؟**» قلنا: بلى يا رسول الله! قال: «**أُحَيْمَرُ ثمود الذي عقرَ الناقةَ، والذي يضربُكَ يا عليُّ على هذِهِ** ـ يعني: قرنه ـ **حتَّى تبتلّ هذه من الدمِ** ـ يعني: لحيته ـ»[2].

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٢٨١٢)، و«صحيح مسلم» برقم: (٢٩١٦) واللفظ له.

(٢) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ١٥١) برقم: (٤٦٧٩)، و«مسند أحمد» (٤/ ٢٦٣) برقم: (١٨٣٤٧).

۞ والهدنة الأولى:

مبدأها صلحُ الحسن بن علي مع معاوية بن أبي سفيان، وبيَّنه النبيُّ ﷺ في حديث صحيح.

● أخرج **البخاري** عن **الحسن** قال: وَلَقَدْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرَةَ قَالَ: بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ جَاءَ الْحَسَنُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**»[(١)].

● ثم أخبر بعد ذلك عن حقيقة هذه الهدنة فقال: «**إمارةٌ على أقذاءٍ، وهدنةٌ على دَخَنٍ**».

● ثم بيّن استقلالَ معاوية بن أبي سفيان بالمُلك.

● أخرجَ **ابنُ أبي شيبة**، عن **معاوية** قال: ما زلتُ أطمعُ في الخلافةِ منذُ قال لي رسولُ اللهِ ﷺ: «**يا معاويةُ إنْ ملكتَ فأَحْسِنْ**»[(٢)].

● والفتنة الثانية: تشتمل على عدة حوادث:

الحادثة الأولى: شهادة الحسين بن علي رضي الله عنهما:

لقد ورد في «مشكاة المصابيح» معزواً إلى **البيهقيِّ** عن **أمِّ الفضل بنت الحارث** أنها دخلت على رسولِ اللهِ ﷺ فقالت: يا رسولَ اللهِ! إنِّي رأيتُ حلُماً منكراً الليلة، قال: «**وما هو؟**» قالت: إنّه شديدٌ، قال: «**وما هو؟**» قالت: رأيتُ كأن قطعةً من جسدِكَ قُطِعَتْ ووضعت في حِجْري، فقال رسول الله ﷺ: «**رأيت خيراً، تلدُ فاطمةُ إن شاء الله غلاماً يكون في حجرِك**»، فولدت فاطمةُ الحسينَ، فكان في حِجري كما قال

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٧١٠٩).

(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٦/ ٢٠٧) برقم: (٣٠٧١٥).

رسول الله ﷺ، فدخلتُ يوماً على رسولِ اللهِ ﷺ فوضعته في حِجْره، ثم كانت مني التفاتةٌ، فإذا عينا رسول الله ﷺ تهريقان الدموعَ، قالت: فقلتُ: يا نبيَّ الله! بأبي أنت وأمي، ما لك؟ قال: «**أتاني جبريلُ** ﷺ، **فأخبرني أنَّ أمتي ستقتل ابني [هذا]**»، فقلت: هذا؟ قال: «**نعم، وأتاني بتربةٍ من تربته حمراء**»(١).

والحادثة الثانية: وقعة الحرة(٢):

• أخرج **أبو داود** عن **أبي ذر** قال: كنتُ رديفاً خلفَ رسول الله ﷺ يوماً على حمار، فلمّا جاوزنا بيوتَ المدينة، قال: «**كيفَ بِكَ يا أبا ذر! إذا كان بالمدينةِ جوعٌ تقومُ عن فراشك، ولا تبلغُ مسجدَك، حتَّى يجهدَكَ الجوعُ؟**» قال: قلتُ: اللهُ ورسولُه أعلم، قال: «**تَعَفَّفْ يا أبا ذرٍ**».

قال: «**كيفَ بكَ يا أبا ذر! إذا كان بالمدينةِ موتٌ يبلغُ البيتُ العبدَ، حتَّى إنّه يباعُ القبرُ بالعبدِ؟**» قال: قلت: اللهُ ورسولُه أعلم، قال: «**تصبر يا أبا ذر**».

قال: «**كيفَ بِكَ يا أبا ذر! إذا كان بالمدينةِ قتلٌ تَغْمُرُ الدماءُ أحجارَ الزيتِ؟**» قال: قلتُ: اللهُ ورسولُه أعلم، قال: «**تأتي من أنت منه**»، قال: قلت: وألبس السلاح؟ قال: «**شاركتَ القومَ إذاً**»، قلتُ: فكيف أصنعُ يا رسولَ اللهِ!؟ قال: «**إن خشيتَ أن يبهرَكَ شعاعُ السيفِ فألقِ ناحيةَ ثوبكَ على وجهكَ ليبوءَ بإثمكَ وإثمِهِ**»، رواه **أبو داود**(٣).

---

(١) انظر: «مشكاة المصابيح»، للتبريزي (٣/ ٣٤٧)، و«دلائل النبوة»، للبيهقي (٧/ ٣٦٨).
(٢) وقعت في سنة ٦٣هـ.
(٣) أخرجه أبو داود في «سننه» باختلاف يسير في اللفظ برقم: (٤٢٦١)، وأورده الخطيب التبريزي في «مشكاة المصابيح» (٣/ ١٧١)، واللفظ للمشكاة رغم إحالة الخطيب التبريزي لنص الحديث إلى «سنن أبي داود».

والحادثة الثالثة: استحلال مكة، بسبب خروج عبد الله بن الزبير، وقد أخبر به النبيُّ ﷺ.

والحادثة الرابعة: خروج إبراهيم بن الأشتر لقتال عبيد الله بن زياد.

والحادثة الخامسة: تسلّط المختار على الكوفة، وقد أخبر به النبيُّ ﷺ بكلمة: «**في ثقيفٍ كذَّابٌ ومُبِيْرٌ**».

• أخرج **الترمذي** عن **ابن عُمَرَ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فِي ثَقِيفٍ كَذَّابٌ وَمُبِيرٌ**»[1].

قال أبو عيسى[2]: يُقَالُ: الْكَذَّابُ الْمُخْتَارُ بْنُ أَبِي عُبَيْدٍ، وَالْمُبِيرُ الْحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ[3].

• وروى **مسلم** في «الصحيح» حين قتل الحجاج عبد الله بن الزبير، قالت أسماء: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَدَّثَنَا أَنَّ فِي ثَقِيفٍ كَذَّاباً وَمُبِيراً[4].

والحادثة السادسة: قتالُ مصعبٍ مع المختار.

والحادثة السابعة: قتالُ الضحّاك بن قيس مع مروان.

والحادثة الثامنة: قتال عبد الملك مع مصعب بن الزبير.

والحادثة التاسعة: ظهورُ الحجّاج وظلمُه، وقد أخبر النبي ﷺ بذلك، وأخبر عن هذه المقاتلات بـ«دعاة على أبواب جهنم».

---

(١) انظر: «سنن الترمذي» (ح: ٢٢٠).
(٢) وفي النسخة الفارسية الأصلية: «قال عبد الله بن عصمة» بدلاً من «قال أبو عيسى».
(٣) انظر: «سنن الترمذي» (ح: ٢٢٢٠).
(٤) انظر: «صحيح مسلم» برقم: (٢٥٤٥).

❁ والهدنة الثانية:

خلافة عبد الملك بن مروان:

وقد استقرّ أمرُ الحكومةِ بعد اللتيا والتي على يد عبد الملك بن مروان، وقد اجتمع أهل الإسلام جميعاً تحت حكمه، وحَكَمَ أولادُه وأحفادُه البلاد على هذا المنوال، ولقد ورد ذكر حكومة هذه الطائفة في الحديث الشريف:

• أخرج **البخاري** من حديث **أبي هريرة**: «**هَلَكَةُ أُمَّتِي عَلَى يَدَيْ غِلْمَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ**»[١].

• وأخرج **الحاكم** عن **أبي ذر** ﵁ [قال: سمعت رسول الله ﷺ] يقول: «**إذا بلغتْ بنو أميةَ أربعينَ، اتَّخذوا عبادَ اللهِ خولاً، ومالَ اللهِ نحلاً، وكتابَ اللهِ دغلاً**»[٢].

• وأخرج **أبو يعلى والحاكم** عن **أبي هريرة** ﵁ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**إنِّي رأيتُ في النومِ بني الحكم ينزون على منبري كما تنزو القِرَدةِ**» قال: فما رئي النبيُّ ﷺ مستجمِعاً ضاحكاً حتَّى توفِّي[٣].

• وأخرج **البيهقي** عن **سعيد بن المسيب** قال: رأى النبيُّ ﷺ بني أمية على منبره، فساءه ذلك، فأوحي إليه إنَّما هي دنيا أعطوها، فقرَّت عينه[٤].

• وأخرج **الترمذي والحاكم والبيهقي** عن **الحسن بن علي** قال: إنَّ

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٧٠٥٨).

(٢) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٤/٥٢٦) برقم: (٨٤٧٦).

(٣) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٤/٥٢٧) برقم: (٨٤٨١)، و«مسند أبي يعلى» رقم: (٦٤٦١).

(٤) انظر: «دلائل النبوة»، للبيهقي (٧/٤٤٧).

رسولَ اللهِ ﷺ قد رأى بَنِي أُمَيَّةَ يخطبون عَلَى مِنْبَرِهِ رجلاً رجلاً فَسَاءَهُ ذَلِكَ فنَزَلَتْ: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَـٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾، وَنَزَلَتْ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَـٰهُ فِى لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٌ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٍ ۝٣﴾، يَمْلِكُهَا [بَعْدَكَ] بَنُو أُمَيَّةَ. قَالَ الْقَاسِمُ بن الفضل: فَحَسَبْنا ملكَ بني أمية فَإِذَا هِيَ أَلْفُ شَهْرٍ لَا يَزِيدُ [يَوْمٌ] وَلَا يَنْقُصُ[1].

• وأخرج **أبو داود** عن **عبد الله بن حوالة** قال: قال رسول الله ﷺ: **«يَا ابْنَ حَوَالَةَ، إِذَا رَأَيْتَ الْخِلَافَةَ قَدْ نَزَلَتِ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ فَقَدْ دَنَتِ الزَّلَازِلُ وَالْبَلَابِلُ وَالْأُمُورُ الْعِظَامُ، وَالسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنَ النَّاسِ مِنْ يَدِي هَذِهِ مِنْ رَأْسِكَ»**[2].

❁ نكتة دقيقة:

وهنا نكتةٌ دقيقةٌ ينبغي لك أن تفهمَها، وهي: أنَّه وردت في خلافة الشام أحاديثُ مختلفة يدلّ بعضها على الذمّ، وبعضها على المدح، مثل حديثِ آخر من مسند ابن حوالة.

• أخرج **أحمد وأبو داود** عَن **ابْنِ حَوَالَةَ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«سَيَصِيرُ الْأَمْرُ إِلَى أَنْ تَكُونُوا جُنُوداً مُجَنَّدَةً، جُنْدٌ بِالشَّامِ، وَجُنْدٌ بِالْيَمَنِ، وَجُنْدٌ بِالْعِرَاقِ»**، قَالَ ابْنُ حَوَالَةَ: خِرْ لِي يَا رَسُولَ اللهِ! إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ، فَقَالَ: **«عَلَيْكَ بِالشَّامِ، فَإِنَّهَا خِيرَةُ اللهِ مِنْ أَرْضِهِ، يَجْتَبِي إِلَيْهَا خِيرَتَهُ مِنْ عِبَادِهِ، فَأَمَّا إِنْ أَبَيْتُمْ فَعَلَيْكُمْ بِيَمَنِكُمْ، وَاسْقُوا مِنْ غُدُرِكُمْ، فَإِنَّ اللهَ تَوَكَّلَ لِي**

---

(١) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٣٥٠)، و«المستدرك»، للحاكم (٣/ ١٨٦) برقم: (٤٧٩٦)، و«شعب الإيمان»، للبيهقي (٨/ ١٨١).

(٢) انظر: «سنن أبي داود» برقم: (٢٥٣٥)، و«مسند أحمد» (٥/ ٢٨٨) رقم: (٢٢٥٤٠).

بِالشَّامِ وَأَهْلِهِ»[(١)].

وحلُّ هذا التعارض أنَّ أهل الشام كانوا لا يستحقّون الخلافة في حدِّ ذاتهم، بالنظر إلى صفاتهم الذاتية، ولكن بالرغم من ذلك نالوا الخلافة، وتوجَّهت العنايةُ التشريعيةُ إلى تحقيق أمر الجهاد والتعاون عليه، فأينما كان الذمّ في الحديث فيرجع إلى أهل الشام أنفسهم؟ وحيثما وقع المدح والحثّ فمردَّه إلى الأمور الملكية وما شاكلها، ومن بينهم كان عمر بن عبد العزيز الخليفة الراشد، متحلّياً بالعلم والفضل والزهد، وله آثار محمودة في هذا العالم:

أحدها: تدوين الحديث وجمعه.

وثانيها: فرض الحظر على سبِّ أهل البيت، وهو الذي يصدق عليه نصُّ حديثِ: **«إنَّ الله يَبْعَثُ على رأسِ كلِّ مئةِ سنةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لها دينَها»**[(٢)].

• الفتنة الثالثة: خروج بني العباس من خراسان:

هي أنَّ هذه الهدنة لمّا كانت على وشك الانقضاء خرج بنو العباس ـ وهم مدَّعون الخلافة ـ من خراسان، ووقعت الحروب الدامية، وظهرت الاعتداءات، وقتلوا كلَّ مَنْ ينتمي إلى بني أمية وأعوانهم، وظلموا ظلماً شديداً، وانتشر الظلمُ في جميع الأطراف والنواحي، ووقع ما وقع، ثم بعد هذه الثورات استقرّت دولة بني العباس، وانتهى التغيّر الثالث، وظهر التغيّر الرابع.

إعادة النظر في التغيرات الثلاثة:

وبالرغم من أنَّ هذا التغيّر (الثالث) كان يحمِلُ في طيِّه حوادثَ

---

(١) انظر: «سنن أبي داود» برقم: (٢٤٨٣)، و«مسند أحمد» (٤/ ١١٠) برقم: (١٧٠٤٦).

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٦٨) برقم: (٨٥٩٣).

عظاماً وأموراً جساماً، وانتهى بعدَ زمن طويل، لكن كان لونه كلون التغيرات الماضية من هذه الناحية يصحّ أن نقول: دولتان كانتا في الإسلام: الأولى بالمدينة، والثانية بالشام، قال النبيُّ ﷺ: «**الخلافةُ بالمدينةِ، والمُلْكُ بالشامِ**»، وفي الإسرائيليات في وصف النبي ﷺ: «مهاجره طيبة، وملكه بالشام».

أولاهما: عُبِّر عنها بلفظ: «الخيرية» و«الخلافة والرحمة» و«مدة شيوع الإسلام».

والثانية: وُصِفت بوصف «تَسْبِقُ أيمانُهم شهادتَهم»، «ويفشو الكذبُ»، و«الملك العضوض»، و«أساودُ صباء».

أولاهما: أرّخت بـ«تزول رحى الإسلام لخمس وثلاثين».

والثانية: أرِّخت بسبعين سنة من بعد قيام أمر الحكومة عقب الهدنة الأولى.

أولاهما: لم يكن فيها سبُّ السلف الصالح.

وفي الثانية: كانوا يسبُّون السلف الصالح على اختلافِ أهوائهم وآرائهم.

وفي **الدولة الأولى**: ترجعُ جميعُ الأمور الدينية إلى الرسول ﷺ والخليفة الخاص، ولم يكن في الدين اختلافُ يُعْبَأُ به ذلك الوقت.

وفي زمن **الدولة الثانية**: نشأت اختلافاتٌ ومذاهبُ مختلفة في الأصول والعقائد مثل المرجئة والقدَرية والخوارج والروافض.

وكانت جماعةٌ من الناس على **مذهب أهل المدينة** في الفتاوى والأحكام، وجماعة أخرى كانت على **مذهب أهل العراق**.

غير أنَّ هذه الاختلافات لم تدوّن، وهذه النزاعات لم تضبط، وينبغي أن تُعتبرَ هذه الحالةُ التي نشأت عن التغير الثالث بالمقارنة مع

الحالة الأولى التي نشأت عن التغير الأول والثاني كمثل نوعين يختلفان في الأحقية تحت جنس واحد، واعتباراً بهذا الأمر المشترك مع ما قال النبيُّ ﷺ: «**لا يزالُ الإسلامُ عزيزاً إلى اثني عشر خليفة... كلُّهم من قريشٍ**»[1].

وفي رواية: «**لا يزالُ أمرُ النّاسِ ماضياً ما ولّاهم اثنا عشر رَجلاً... كلُّهم من قريشٍ**»[2]، أخرجه **الشيخان** من حديث **جابر بن سَمُرة**.

وهذا الأمرُ مشترَكٌ بين الدولتين: دولة المدينة، ودولة الشام، يقتضي تفصيلاً، وهو أنَّ لغلبة الدين جناحين، أحدهما الخلافة وثانيهما عِلْمُ النبيِّ ﷺ، أمّا اتّحادُ هاتين الدولتين باعتبار الخلافة فهو من جهة أنَّ الخليفةَ كان مستقلّاً في تصرّفه في البلاد بدون المقاومة للبغاة، ومن دون الاعتماد الكلي على أمراء الجيوش بخلافِ دولة بني العباس.

واتحادُ هاتين الدولتين باعتبار العلم كان من جهة أنَّ المذاهبَ لم تدوّن إلى ذلك الوقت، ولم يقل أحدٌ من الناس أنا متبعٌ فلاناً، بل كانوا يتأوّلون أدلة الكتابِ والسُّنَّة على مذهب أصحابهم، وادّعى كلُّ شخصٍ أنَّ الحكم كذا وكذا حسب مقتضى الشريعة المحمدية على صاحبها الصلاة والسلام، أخطأ في ذلك أو أصاب، وفقه هذا الزمان كان مخلوطاً بآثار الصحابة والتابعين، وكانوا كلّهم يأخذونَ المسانيد والمراسيل.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٧٢٢٢)، ومسلم في «صحيحه» برقم: (١٨٢١) واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٧٢٢٣)، ومسلم في «صحيحه» برقم: (١٨٢١) واللفظ له.

التغير الرابع: استحكام دولة بني العباس في العراق

هو استقرار دولة بني العباس في العراق، وامتدّت هذه الدولةُ إلى أربع مئة سنة، وقد أخبر بها النبي ﷺ.

• أخرج **الترمذي** عَنْ **أَبِي هُرَيْرَةَ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تَخْرُجُ مِنْ خُرَاسَانَ رَايَاتٌ سُودٌ، لَا يَرُدُّهَا شَيْءٌ حَتَّى تُنْصَبَ بِإِيلِيَاء**»[1]، هذه هي «فتنة السرّاء» وهذا هو المراد بـ: «**ثم يكونُ جبريةً وعتواً**».

• وأخرج **أبو داود** من حديث **عَبْد اللهِ بْنِ عُمَرَ** يَقُولُ: كُنَّا قُعُوداً عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَذَكَرَ الْفِتَنَ فَأَكْثَرَ فِي ذِكْرِهَا حَتَّى ذَكَرَ فِتْنَةَ الأَحْلَاسِ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! وَمَا فِتْنَةُ الأَحْلَاسِ؟ قَالَ: «**هِيَ هَرَبٌ وَحَرْبٌ، ثُمَّ فِتْنَةُ السَّرَّاءِ، دَخَنُهَا مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يَزْعُمُ أَنَّهُ مِنِّي، وَلَيْسَ مِنِّي، وَإِنَّمَا أَوْلِيَائِي الْمُتَّقُونَ، ثُمَّ يَصْطَلِحُ النَّاسُ عَلَى رَجُلٍ كَوَرِكٍ عَلَى ضِلَعٍ، ثُمَّ فِتْنَةُ الدُّهَيْمَاءِ، لَا تَدَعُ أَحَداً مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ إِلَّا لَطَمَتْهُ لَطْمَةً، فَإِذَا قِيلَ: انْقَضَتْ تَمَادَتْ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِناً، وَيُمْسِي كَافِراً، حَتَّى يَصِيرَ [النَّاسُ] إِلَى فُسْطَاطَيْنِ: فُسْطَاطِ إِيمَانٍ لَا نِفَاقَ فِيهِ، وَفُسْطَاطِ نِفَاقٍ لَا إِيمَانَ فِيهِ، فَإِذَا كَانَ ذَاكُمْ فَانْتَظِرُوا الدَّجَّالَ مِنْ يَوْمِهِ أَوْ مِنْ غَدِهِ**»[2].

قال الخطابي: قوله: «**فتنة الأحلاس**» إنَّما أضيفت «الفتنة» إلى «الأحلاس» لدوامها وطول لبثها، يقال للرجل إذا كان يلزم بيته لا يبرح: هو حلس بيته.

---

(١) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٢٢٦٩).

(٢) انظر: «سنن أبي داود» برقم: (٤٢٤٢)، وانظر: «بذل المجهود» (١٢/ ٢٧٠).

وقد يحتمل أن يكون شبَّهه بالأحلاس لسواد لونها وظلمتها، والحرب ذهاب المال والأهل، يقال: حرب الرجل فهو حريب إذا سُلِبَ ماله وأهله، و«الدخان» يريد أنها تثور كالدخان من تحت قدميه.

وقوله: «**كورك على ضلع**» مَثَلٌ، ومعناه الأمرُ الذي لا يثبتُ ولا يستقيمُ، وذلك أنّ الضلع لا يقوم بالورك ولا يحمله، وإنَّما يقال في باب الملائمة والموافقة إذا وصفوا هو ككفٍ في ساعد، وساعد في ذراع، ونحو ذلك، يريد أنَّ هذا الرجلَ غيرُ خليقٍ بالملك ولا مستقلّ به، و(**الدهيماء**) تصغير الدهماء صغّرها على مذهب المذمة لها[1].

• والتحقيق لدى الفقير في معنى هذا الحديث أنَّ المراد بفتنة الأحلاس هو فتنةُ بني أمية في الشام، و«هرب» إشارة إلى هرب عبد الله بن الزبير من المدينة إلى مكة، والمراد بـ «حرب» هو معارك الضحاك بن قيس وغيره، و«فتنة السراء» هي فتنة بني العباس، وربَّما قرأتَ قصة وصية إبراهيم العباسي لأبي مسلم في كتب التاريخ، والمراد بـ«فتنة الدُّهيماء» هو فتنة الأتراك، و«فإذا قيل انقضت تمادت» إشارة إلى استقرار طوائف الأتراك في بلاد الفرس والروم طبقة بعد طبقة.

• قد بقيت هناك مسألةٌ دقيقةُ الغموضِ جدّاً، وهي الإشارةُ الواردةُ في حديث **ابن ماجه** إلى خروج أبي مسلم من خراسان، ووصف هذا الخليفة بالمهدي، ورغّب على نصرته، وقد اعترضَ الخوارج على ذلك.

• أخرج **ابن ماجه** من حديث عَلْقَمَةَ عَنْ **عَبْدِ اللهِ** قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ أَقْبَلَ فِتْيَةٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، فَلَمَّا رَآهُمْ النَّبِيُّ ﷺ

(١) انظر: «شرح السُّنَّة» (١٥/ ٢٠).

اغْرَوْرَقَتْ عَيْنَاهُ، وَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ، قَالَ: فَقُلْتُ: مَا نَزَالُ نَرَى فِي وَجْهِكَ شَيْئاً نَكْرَهُهُ، فَقَالَ: **«إِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ اخْتَارَ اللهُ لَنَا الْآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا، وَإِنَّ أَهْلَ بَيْتِي سَيَلْقَوْنَ بَعْدِي بَلَاءً وَتَشْرِيداً وَتَطْرِيداً حَتَّى يَأْتِيَ قَوْمٌ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَعَهُمْ رَايَاتٌ سُودٌ، فَيَسْأَلُونَ الْخَيْرَ، فَلَا يُعْطَوْنَهُ، فَيُقَاتِلُونَ، فَيُنْصَرُونَ، فَيُعْطَوْنَ مَا سَأَلُوا، فَلَا يَقْبَلُونَهُ حَتَّى يَدْفَعُوهَا إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، فَيَمْلَؤُهَا قِسْطاً، كَمَا مَلَؤُوهَا جَوْراً، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَلْيَأْتِهِمْ وَلَوْ حَبْواً عَلَى الثَّلْجِ»**[(١)].

• وأخرج **ابن ماجه** عَنْ **ثَوْبَانَ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«يَقْتَتِلُ عِنْدَ كَنْزِكُمْ ثَلَاثَةٌ، كُلُّهُمْ ابْنُ خَلِيفَةٍ، ثُمَّ لَا يَصِيرُ إِلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ، ثُمَّ تَطْلُعُ الرَّايَاتُ السُّودُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، فَيَقْتُلُونَكُمْ قَتْلاً لَمْ يُقْتَلْهُ قَوْمٌ، ثُمَّ ذَكَرَ شَيْئاً لَا أَحْفَظُهُ، فَقَالَ: فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَبَايِعُوهُ وَلَوْ حَبْواً عَلَى الثَّلْجِ، فَإِنَّهُ خَلِيفَةُ اللهِ الْمَهْدِيُّ»**[(٢)].

• وأخرج **ابن ماجه** عن **عبد الله بن الحارث بن جزء الزّبيديّ** قال: قال رسول الله ﷺ: **«يَخْرُجُ ناسٌ من المشرقِ فيوطّئون للمهديّ»**؛ يعني: سلطانه[(٣)].

• والتحقيقُ في هذه الأحاديث الثلاثة عندي أنَّ المراد «بالمهدي» هو خليفة بني العباس، ليس الإمام المهدي الذي يظهر في آخر الزمان، أمّا وصفه هنا بالمهدي وتسميته «خليفة الله» والحثّ على نصرته، فمن جهة قضاء الله بإقامة خلافة هذا الفريق في عالم الغيب من حيث لا يتغيّر

---

(١) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (٤٠٨٢).
(٢) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (٤٠٨٤).
(٣) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (٤٠٨٨).

ولا يتبدَّل، فهو مهدي بمعنى أنه هُدي إلى التدبير المفضي إلى استقرار خلافته، ليس على نمط الخارجين الآخرين الذين تلاشى تدبيرهم، ولم يحصل لهم شيءٌ سوى الهرج والمرج، وهو خليفةُ اللهِ بمعنى أنَّ خلافته تحقَّقت في قضاء الله تعالى، ولذا ينبغي التعاونُ معه، ولا ينبغي المخالفة له، ذلك لأنَّ المطلوبَ الحقيقيَّ في الشريعة إنَّما هو قطعُ النزاع، وتقليلُ الهرج والمرج، والخلافة المستقرة خير ـ وإن كان صاحبها كورك على ضلع ـ من الخلافة المتلاشية، وإن كان صاحبُها أفضل، وغايةُ التشريع إنَّما هي تقليلُ المفاسد، وتعيين الطريق الموصل إلى الحصول عليه حسب التقدير بأسرع وقت ممكن.

وفي بداية الدولة العباسية كان أمرُ الخليفةِ نافذاً في أطراف العالم، اعتراها الضعفُ بعد المعتصم، وقامت دولة **السلاجقة** حتَّى صارت دولة بني العباس صورةً بغير حقيقة، وخرج **العُبيديون** على مصر، وظهرت فتنةٌ عظيمة من جانبهم، وقد تسلّطت النصارى على الشام، ونهاية الأمر تشتّت شَمْلُ العبيديين، وأُخْرِجت النصارى من أرض الشام، ثم تغلّب **الأتراك الجنكيزيون** على خراسان، وبالأخير طُوي بساط الخليفة العباسي، ومعه انقضت دولة العرب، وظهرت رئاسة العجم في كلِّ ناحية من نواحي البلاد، وهذا مبدأ التغيّر الخامس.

التغير الخامس: دولة العجم

وفي أيام دولة بني العباس استحكمت أصول المذاهب وفروعها، وألَّف الأحناف والشوافع والمواليك المؤلّفات حسب مذاهبهم، وامتازت المعتزلة والشيعة والجهمية في الأصول بعضهم عن بعض، وفي عهدهم نُقِلتْ علومُ اليونان إلى لغة العرب، وتُرْجِمَ تاريخُ الفرس إلى العربية، وكلٌّ حزب بما لديهم فرحون، ولم يكن أحدٌ من الناس يسمِّي نفسه

حنفيّاً أو شافعياً قبيل انقراض دولة الشام، بل كانوا يتأوّلون الأدلة وفقاً لمذاهب أصحابهم.

وفي دولة العراق صار كلٌّ واحد ينتمي إلى مذهب مخصوص كحنفي وشافعي، كانوا لا يحكمون بالقرآن والحديث إلا إذا وجد قولاً صريحاً من أصحاب مذاهبهم، فصارت الاختلافاتُ الناشئة عن تأويل القرآن والحديث مستحكمةً.

ومهما اختلفت دولة بني العباس في أولها وأوسطها وآخرها ولكنها مضت على تأسيس هذه المذاهب وتفريعها وتخريجها، وهذه الحالة بالنسبة للحالتين الأوليين كالجنس السافل ضمن الجنس العالي.

وقال النبيُّ ﷺ بالنظر إلى هذا الأمر المشترك، كما أخرج **أبو داود** من حديث **سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ** عن النبيِّ ﷺ قال: «**إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ لَا تَعْجَزَ أُمَّتِي عِنْدَ رَبِّهَا أَنْ يُؤَخِّرَهُمْ نِصْفَ يَوْمٍ**»، قِيلَ لِسَعْدٍ: وَكَمْ نِصْفُ [ذَلِكَ] الْيَوْمِ، قَالَ: خَمْسُ مِئَةِ سَنَةٍ[١].

وتفصيل هذا الإجمال: هو أنَّ الخلافةَ في المدينة والشام والعراق كلها كانت في قريش، وكانت الأوامر والأحكام تصدر من بلاد العرب إلى الأطراف والنواحي ولو بحسب الظاهر ـ كانت مدتها خمس مئة سنة ـ، ولفظ الأمة في هذا الحديث بمعنى القوم والقبيلة، وانقرضت دولة قريش بل دولة العرب بعد هذه المدة، بل تمزّقت، وأصبح الأعاجم رؤساء المحافل والنوادي وملوك العالم، ولما انقرضت دولةُ العربِ، وانتشر الناس إلى مختلف البلدان والأوطان، اتخذوا ما حفظوه من المذاهب أصلاً أصيلاً، وصار ما كان مستنبَطاً في الزمن السابق سُنَّةً

---

(١) انظر: «سنن أبي داود» برقم: (٤٣٥٠).

مستقرّة في الزمن اللاحق، وعلمهم ينحصر في التخريج على التخريج، والتفريع على التفريع.

ودولةُ العجم مثل دولة المجوس إلا أنَّهم يقيمون الصلاة، ويشهدون بالتوحيد، ونحن وُلدنا تحتَ هذا التغيّر، ولا ندري ما يشاء الله من بعده.

هذا آخر الفصل الخامس

❁ ❁ ❁

فهرس الموضوعات

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الفصل الثاني

في بيان لوازم الخلافة الخاصة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع **الصفحة**

الفصل الرابع

[في رواية الأحاديث والآثار الدالّة على خلافة الخلفاء

وعلى إثبات لوازم الخلافة الخاصة بهم، سواء كان بالتصريح أو بالتلويح]

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

مسانيد المكثرين من أصحاب النبي ﷺ

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

مسانيد المهاجرين من أصحاب رسول الله ﷺ

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

مسانيد سائر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

فذلكة الفصل (خلاصة)

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة